وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله
كلية العلوم الإنسانية
قسم التاريخ

الطائفة الأرمنية في الدولة العثمانية من ستينيات القرن التاسع عشر إلى نهاية الحرب العالمية الأولى (1277هـ - 1336هـ) / (1860م - 1918م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر

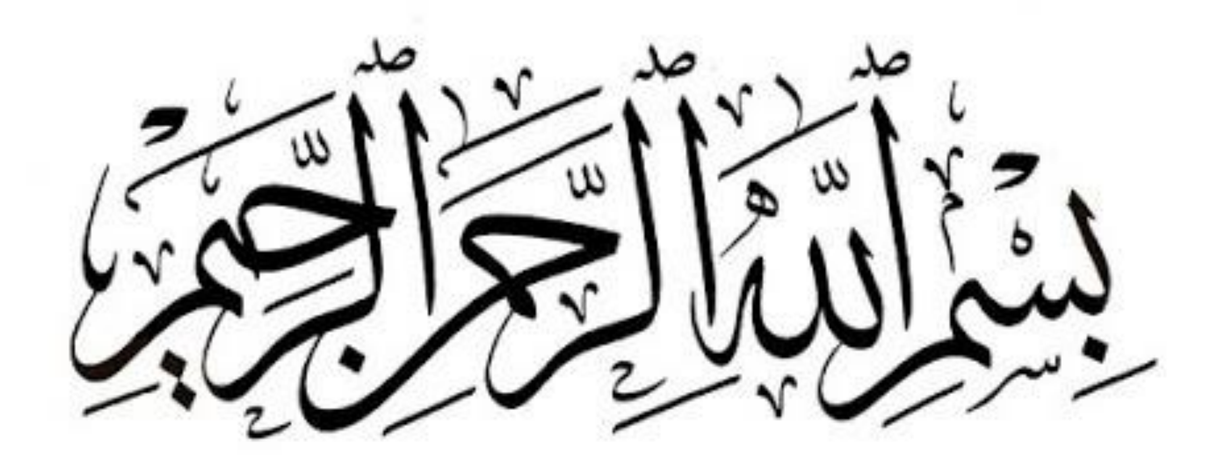
إعداد الطالبة:
فاطمة بوجلطي

إشراف الأستاذ الدكتور:
الغالي غربي

أعضاء لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د/ ابراهيم سعيود	جامعة الجزائر2	رئيسا
أ.د/ الغالي غربي	جامعة المدية	مشرفا ومقررا
أ.د/ مصطفى نويصر	جامعة الجزائر2	عضوا
أ.د/ محمد دراج	جامعة الجزائر2	عضوا
أ.دة/ نادية طرشون	جامعة المدية	عضوا
أ.د/ صادق دهاش	جامعة البليدة	عضوا

السنة الجامعية : 1442-1443هـ/2020-2021م


بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وتقدير

أتقدم بخالص شكري وجزيل الامتنان والعرفان إلى الأستاذ الدكتور الغالي غربي، الذي لم يدخر أي جهد في توجيهي ونصحي طيلة فترة إنجاز هذا البحث، كما أتقدم بشكري العميق إلى الأستاذة الدكتورة نادية طرشون التي أفادتني بتوجيهاتها الثمينة وملاحظاتها القيمة.

كما أوجه شكري الجزيل إلى الدكتورة ابتسام الغرافي على مساعدتها لي في رئاسة الأرشيف العثماني في إسطنبول، كما أتقدم بشكر خاص للجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذه الرسالة.

الإهداء

إلى تاج رأسي والدي الكريمين حفظهما الله وأطال في عمرهما

إلى زوجي الكريم الذي كان خير معين وسندا لي، في سبيل أن يرى هذا العمل النور

إلى قرة عيني ملاك وماسي حفظكما الله لي.

أهدي هذا العمل

المختصرات

تر: ترجمة

د. ن: دون ناشر.

د. م: دون مكان.

د.ت: دون تاريخ.

ع: عدد.

ج: جزء.

ط: طبعة.

ص ص: صفحات متتابعة.

ص: صفحة.

Abréviations

P : *Page.*

PP : *Pages successive.*

Kısaltmalar:

a.g.e*: adı geçen eser*. المرجع السابق ذكره

a.g.m *: adı geçen makale*. المقالة السابقة الذكر

Çev *:Çeviren*.ترجمة

S *:Sayfa* .صفحة

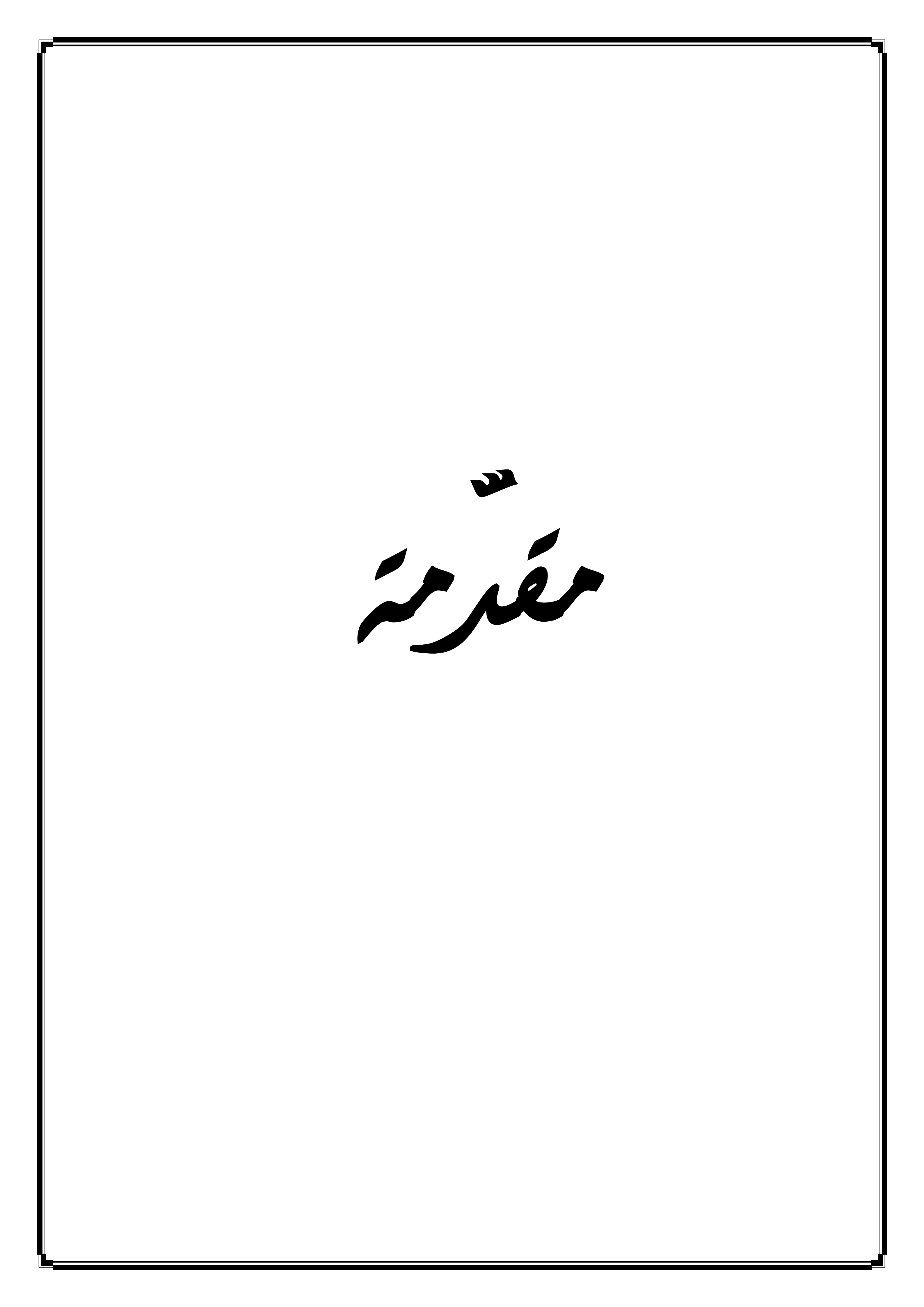
Cil*:Cilt* . مجلد

Baskı*:* طبعة

B.O.A.:*Başbakanlık Osmanlı Arşivi.* رئاسة الأرشيف العثماني

T.B.M.M:*Türkiye Büyük Millet Meclisi* . مجلس الأمة التركي الكبير

T.C: Türkiye Cumhuriyeti



مقدّمة

مقدّمة:

ضمّت الدولةُ العثمانية (1299 – 1923 م) في بوتقتها العديدَ من الأقليات العرقية والدينية، وكانت الجاليةُ الأرمنية إحدى هذه الأقليات التي استقرّت في شرق الأناضول، أو ما اصْطُلح على تسميته بالولايات الستّ: (أرضروم، بتليس، معمورة العزيز/ خربوط، سيواس، ديار بكر، فان/ وان)، وحتى في المدن الكبرى مثل إسطنبول وإزمير. الأقلية الأرمنية كانت متميّزةً من جميع النّواحي؛ سواء السياسية أو الاجتماعية وحتى الاقتصادية. فعلى الصّعيد السياسي اضطلعَ الأرمنُ بعدّةِ وظائف حسّاسة في الدولة العثمانية، فمنهم مَن وصل إلى رتبة ناظر / وزير، وبعضُهم تدرّجوا في السّلك الدبلوماسي، وهذا راجعٌ لإتقانهم اللّغات الأجنبية، ما جعل الدولةَ العثمانية تعتمد عليهم، خاصّة بعد أفول نجْم اليونانيّين. أمّا على الصّعيد الاقتصادي، لعب الأرمنُ دورًا لا يُستهان به في اقتصادِ الدولة العثمانية، وذلك من خلال اشتغالهم في الصيرفة، فظهرت عائلاتٌ احترفت هذا النّشاط، وقامت بتأسيس شركات وبنوك، هذا الأمرُ سمح بظهور طبقةٍ ميْسورة من الأرمن ربطت علاقات متينة بالبلاط العثماني. كما أنهم احتكروا عدّة مناصب مهمّة في الدولة العثمانية تولّاها الأرمنُ أبًا عن جَدّ، مثل الضرب خانة أو دار السّكة.

أمّا من الناحية الاجتماعية، عاش الأرمنُ إلى جانب المسلمين في سلام وانسجام، يتمتّعون بحقوق ضمنتها لهم الدولةُ العثمانية في إطار نظام الملل؛ لهم مؤسّساتهم الخاصّة التي استطاعوا من خلالها المحافظةَ على هويتهم. ونتيجةً للدور الذي اضْطلعوا به منحتهم الدولةُ العثمانية ثقتَها إلى درجةِ أنّها لقّبتهم ب "الأمّة المخلصة"، أو بالتّعبير العثماني "مللت صادقه".

إلّا أنّ هذه الأوضاع لم تستمرّ، فمع ظهور التّيارات القومية، وازدياد نشاط الإرساليات التبشيرية؛ بدأت الملّةُ الصادقة تتطلّع إلى الانفصال عن الدولة العثمانية، وقد ظهر ذلك بصفةٍ رسمية خلال الحرب الروسية العثمانية (1877–1878 م)، حينما قدّم الأرمنُ يدَ العون للروس؛ أملًا في أنْ تقوم روسيا بمنحهم الولايات السّت. ولما خيّبت روسيا آمالهم توجّهوا إلى بريطانيا وفرنسا، إلّا أن هذه الأخيرة استغلّت الأرمن كأداةٍ لتمرير مخططاتها في الدّولة العثمانية؛ لأنّ الأرمن لم يدركوا أنّ هذه الدول لن تتحرّك إلّا حسب ما تُمليه عليها مصالحُها وسياستها، الأمرُ الذي جعلهم يقومون بتأسيسِ أحزابٍ ثورية تبنّت العمليات الإرهابية والعصيان وسيلةً للوصول لغايتهم، إلّا أنّ هذه الأنشطة الثّورية جرّت الويلات؛ سواء على الأرمن أو على الدولة العثمانية.

بقيتِ المسألةُ الأرمنية التي تعد امتداد للمسألة الشرقية تراوح مكانها ،بل إنها تعقّدت أكثر لأنّ الدولة العثمانية لم تكن مستعدّةً ؛لا للإصلاحات ولا للتنازل عن أيّ شبرٍ من شرق الأناضول لأنّها اعتبرت ذلك نهايةً حتمية لها ،هذه الظروف دفعت بالأرمن لانتهاز فرصةِ اندلا ع الحرب العالمية الأولى ،ومشاركة الدّولة العثمانية إلى جانب ألمانيا ؛للوقوف إلى جانبِ روسيا كآخرِ أملٍ لهم لحلّ مسألتهم ،الأمرُ الذي دفع بالاتحاديين لإصدار قرار تهجير الأرمن ،هذا القرارُ كان له تداعياتٌ خطيرة على الأرمن ؛حيث لقي الآلافُ منهم حتفهم خلالَ عملية السَوْق ،مما جعل الدولة العثمانية تُتّهَم بتدبير إبادتهم ،من أجل التخلّص منهم ومِن قضيتهم نهائيا ؛لذلك يمكن أن نعتبر الموضوع قيد الدّراسة انموذجًا دراسيًّا مهمًّا لإحدى الأقليات التي لعبت دورًا مهمًّا في تاريخ الدولة العثمانية.

أولا. أهميةُ الموضوع:

- يستمدّ البحثُ أهميته من كوْن القضية الأرمنية هي إحدى القضايا التي لها جذور في الماضي، ومازالت تلقي بظلالها على وقتنا الرّاهن؛ فهي تمثل مسألةَ أقليةٍ رفعت رايةَ العصيان في وجه الدولة العثمانية بهدف إقامةِ دولةٍ قومية في شرق الأناضول.
- المسألةُ الأرمنية ظهرت في ظروفٍ تاريخية حرجة بالنسبة للدّولة العثمانية، أي نهاية القرن التاسع عشر ومشارف القرن العشرين؛ حيث تجمِعُ العديدُ من الدراسات على أنّ هذه الأخيرة كانت تواجه مشاكل داخلية وخارجية، وسياسية واقتصادية، وحتى اجتماعية.
- إماطةُ اللّثام عما عُرف في التاريخ العثماني المعاصر بـ "الإبادة الأرمنية" و"التهجير القسري للأرمن" من أراضيهم التاريخية في مطلع القرن العشرين.
- استخلاصُ العِبر والدّروس من التاريخ، فالمسألة الأرمنية تعتبر انموذجًا من نماذج المسألة الشرقية، التي اتّخذتها الدولُ الأوروبية الكبرى ورقةَ ضغطٍ ترفعها بين الفيْنة والأخرى للتدخّل في الشئون الداخلية للدولة العثمانية تارةً، والمساومة تارة أخرى.
- إبرازُ إسهاماتِ الأرمن الكبيرة في الجوانبِ الحضارية والاقتصادية، وحتّى السياسية، من خلال تواجدهم في السّلك الدبلوماسي، وفي مختلفِ الوزارات، فضلًا عن دورهم في المجال العمراني.

- الوقوفُ على العوامل التي أدّت إلى ميلاد القضية الأرمنية، وإبراز الدّور الأوروبي الممنهج في تحريض الأرمنِ ضدّ الدّولة العثمانية، وعلى القيامِ بعصيانٍ وتمرّد دمويّ في شرق الأناضول تارة، وفي جعل أراضيهم ملاذًا لهم تارة أخرى.

ثانيا. دوافعُ اختيار الموضوع:

إنّ اختياري لموضوع "**الأقلية الأرمنية في الدّولة العثمانية من ستينيّات القرن التاسع عشر إلى نهاية الحربِ العالمية الأولى**" ،تسنده عدّةُ عوامل أهمّها الشخصية ،فاختياري خوض غمارِ هذا البحث نابعٌ من رغبة شخصيّة ،فكثيرًا ما كان موضوعُ الأقليات في الدولة العثمانية يستهويني ،لما كان لهذه الأخيرة من دورٍ في إضْعافها، كما أنّها كانت أداةً طيّعة في يدِ الدول الكبرى لتمرير مخطّطاتها الاستعمارية .بالإضافة إلى ذلك شهدت الساحةُ السياسية الدولية في السّنوات الأخيرة ،خاصّة سنة 2015م ،والتي تمثّل ذكرى مرور 100 سنة على ما عُرف بالإبادة الكبرى للأقلية الأرمنية ،إعادة فتح ملف القضية الأرمنية ،حيث كانت الكثيرُ من الدول الأوروبية – وحتّى العربية مثل مصر و سوريا – قد اعترفت بها ،وقد تمخّض عنْ هذا الاعتراف سَنُّ قوانين في أوروبا تجرّم كلّ مَن يُنكر الإبادةَ التي تعرّض لها الأرمن ،وهذا الاعتراف لم يكن حرصا على حقوق الإنسان ،لأن هذه الدول ارتكبت أبشع الجرائم في مستعمراتها سابقا ،إلا أن الهدف الحقيقي من وراء هذا الاعتراف هو الحيلولة دون انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي .في نفس الوقت نجد أنّ تركيا سليلةَ الدولة العثمانية مازالت ترفضُ الاعتراف بإبادة الأرمن، وهذا ما زادَ من فضولي لمحاولة تتبّع موضوع الأرمن وحيْثيات تاريخهم وقضيتهم.

أمّا بالنّسبة للدّوافع العلمية، فقد توخّيتُ من خلال هذا البحث الأكاديمي سدَّ ثغرةٍ في المكتبة العربية وحتّى الجزائرية، فالدّراساتُ التي تطرّقت للأرمن في الجزائر مُنْعدمة، أمّا في المكتبات العربية فهي شحيحة، حيث نجدُ النّذر القليلَ من الدّراسات التي تخصّصت في الشّأن الأرمني، أمّا بقيةُ الدراسات فنلاحظ أنها تطرقت للموضوع بصفةٍ عَرَضية، أو ضمْن بحوثٍ عن الدولة العثمانية أو المسألة الشرقية. كما أنّ اختياري لموضوع الجالية الأرمنية يهدف للمساهمةِ – قدرَ الإمكان — في تسليط الضّوءِ على جانبٍ مهمّ من تاريخ الدولة العثمانية، خاصة أواخر القرن التاسع عشر ومشارفِ القرن العشرين، وما مرّت به من مشاكل أمنية راجعة لممارسات اللجان الثورية الأرمنية ولنشاطاتهم الدّعائية.

ثالثا. الإطارُ الزّماني:

يعود سببُ اختياري للحيّز الزمني الممتدّ من 1860 إلى 1918؛ كوْن سنة 1860 حملت حدثًا مفصليًّا في تاريخ الملّة الأرمنية، ففي هذا التاريخِ صاغ الأرمنُ قانونهم التّأسيسي المعروف بـ "**نظام نامة الملة الأرمنية**"، والذي يعتبرُ بمثابة دستورٍ للأقلية الأرمنية، فأصبحوا بذلك يشكّلون دولةً صغيرة داخل دولةٍ كبيرة، بالرغم من أنّ هذا القانون كان بموافقةِ الدّولة العليّة. أمّا بالنسبة لسنة الختام 1918 م فقد شهدَ العالمُ خلالها نهايةَ الحرب العالمية الأولى، أما بالنّسبة للأرمن فهو يمثل تاريخ اصدار قرار العودة للمهجرين الأرمن بعد أن تم تهجيرهم قسراً من طرف حكومة الاتحاد والترقي نحو سوريا العثمانية، مما جعلهم يتشتّتون في مختلف أنحاء العالم.

رابعا. الدّراساتُ السابقة:

خلالَ إنجازي للبحث استفدتُ كثيرًا من ثلاث دراساتٍ مهمّة تناولت موضوعَ الأرمن خلال المرحلة قيد الدّراسة، وهذه الدراسات هي:

- دراسة الدكتور أحمد عبد الوهاب الشرقاوي، وهي رسالة دكتوراه غير منشورة، نوقشت في إحدى الجامعات المصرية (جامعة الزقازيق) سنة 2010 م، بعنوان "أبعاد المشكلة الأرمنية وأثرها في تركيا الحديثة". وهي دراسةٌ ضخمةُ الحجم غزيرةُ المعلومات، اعتمدتْ بشكلٍ كبير على وثائق الأرشيف والمصادر الأصلية؛ حيث عرضت وجهات النّظر والآراء المختلفة لكلّ أطراف القضية، ثمّ خلصت إلى النّتائج بعدَ دراسةٍ وتحليلٍ للأحداث وقراءةٍ للوثائق ونقدٍ للمصادر، وقد تناولت هذه الدراسةَ القضيةَ الأرمنية بشكلٍ شامل وموضوعي بعيدٍ عن المسلّمات المتداوَلَة مثل "الإبادة الأرمنية"، "مذابح العثمانيين ضدّ الأرمن"، "اضطهاد الأرمن".. وغيرها من المقولات التي تردّدَت كثيرًا، ولم تجدْ مَن يردّ عليها أو يتناولها بالنقد والتحليل؛ بل اتّخذت هذه الأطروحة خطوةً أكبر من تفنيدِ وتكذيب هذه المقولاتِ إلى توجيه أصابع الاتّهام إلى الأرمن أنفسهم بارتكاب مذابحَ ضدّ المسلمين العثمانيّين؛ استنادًا إلى أدلةٍ ووثائقَ عثمانيةٍ وروسية وأمريكية وبريطانية وألمانية، وحتى مصادر أرمنية.
- *Raymond kévorkian, **Le Génocide des Arméniens**, Odile Jacob, paris, 2006.*

الكتابُ هو دراسةٍ مستفيضة ،تتكوّن من ستّة أقسام ويقع في 1007 صفحة ،ويتناول هذا الكتابُ الإبادةَ الأرمنية التي كانت نتيجةً لعملية طويلة و ممنهجة تمّت خلالها التصفيةُ الجسدية لجزءٍ مهمّ من رعايا الدولة العُثمانية باعتبارها – الإبادة – شرطًا أساسيًّا لإقامة دولةٍ قومية تركية ،هذا ما أدّى بها لاستبعادِ كلّ الأقليات غير التّركية من كيانها ؛لذلك زوّدنا الكتاب بمعلوماتٍ قيّمة ،خاصّة فيما يتعلّق بالقضية الأرمنية في عهد الاتحاد والتّرقي، وبالتّحديد الإبادة والتّهجير القسري الذي تعرّض له الأرمنُ خلال الحرب العالمية الأولى.

– طاهر توفيق هوكر، **الكرد والمسألة الأرمنية (1877–1920)**، الطبعة الأولى، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2014.

هذه الدّراسةُ في الأصل عبارة عن رسالةٍ لنيْل درجة الدكتوراه ،تتكوّن من أربعة فصول تقع في 822 صفحة ،تناولت حقيقةَ علاقة الكرد بالمسألة الأرمنية ،وتعود أهميةُ هذا العمل إلى أنّه اعتمد على مصادرَ أصلية متعدّدة ومتنوّعة ،خاصّة الوثائق ،بالرغم من أنّ الباحث حاول تبرئةَ ساحة الكرد من التّهم التي علقت بهم بخصوص المذابح الأرمنية (1894–1896 م) ،وذلك من خلال الكشف عن أنّ الأكراد كانوا بدورهم ضحايا عملياتِ القتل والذّبح والتهجير التي قام بها الأرمنُ ضدّهم ،الدراسة تتقاطع مع موضوعِ بحثي في الأحداث التي وقعت ما بين (1894– 1896 م) والإصلاحات الأرمنية ،وتهجير الأرمن.

خامسا. إشكاليةُ الموضوع:

لا يمثّل عنوانُ "الجالية الأرمنية في الدولة العثمانية" مجرّدَ التطرق والبحث في موضوع الأرمن بل يتطرّق كذلك للمسألةِ الأرمنية، التي تعتبر انموذجًا من نماذج الحركاتِ التي كانت تسعى للاستقلالِ عن الدولة العثمانية وتأسيس دولةٍ قومية أسوةً بالبلقان، وتمثلت الإشكاليةُ الرئيسية للعمل في **معرفة الأسبابُ التي حالتْ دون تمكّن الأرمن من تأسيس نواة دولة قومية في شرق الأناضول، أو بتعبير آخر لماذا فشل الأرمن في الاستقلال عن الدولة العثمانية في وقت نجحت فيه قوميات أخرى في الانفصال؟.**

وقد تفرّعت عنْ هذه الإشكالية أسئلةٌ فرعية تمثّلت فيما يلي:

- كيف كانت أوضاع الأرمن الاقتصادية والاجتماعية؟ وما هو الدّورُ الذي لعبه الأرمنُ في الدولة العثمانية؟ وهل كان دورُهم في الدولة العثمانية عامًّا، أو أنّه انحصر في أسَرٍ معيّنة؟ ما هو دورُ الإرساليات التبشيرية

في ظهور المسألة الأرمنية؟ وما هي الأسبابُ التي أدّت لتشكيل اللجان الأرمنية؟ متى اكتسبت المسألةُ الأرمنية بعدًا دوليًّا لأوّل مرّة؟ وما هي الأسباب التي كانت تقف وراء العصيان الأرمني الذي ظهر في نهاية القرن 19 م؟ وهل هذا العصيان كان عبارة عن أحداث عابرة، أو بتعبيرٍ آخر انفجر نتيجةَ مناهضةِ سياسة الدولة العثمانية؟ أم أنّها عبارة عن عملٍ مخطّط ومدبّر له؟ وكيف نظر الغربُ للأحداث التي وقعت؟ ولماذا تمّ ربطُها بالإسلام؟ لماذا خاضت الدولة العثمانية غمار الحرب العالمية الأولى؟ وهل يمكن أن نعزو التّهجير الذي تعرضت له الأقلية الأرمنية لأسباب دفاعية بالدرجة الأولى؟ وكيف كان موقفُ الدول الغربية والعربِ من عملية التهجير؟ وهل كان التهجيرُ قرارًا مؤقّتًا أم دائمًا؟ وما هو المصيرُ الذي واجهه المهجّرين الأرمن، هل عادوا إلى مواطنهم التاريخية؟

سادسا. منهجُ البحث:

وللإجابةِ على الإشكالية الرئيسيةِ والإشكاليات الفرعية؛ اتّبعنا المنهجَ التاريخي الوصفي والتّحليلي، فبالنّسبة للمنهج التاريخي الوصفي اعتمدنا عليه عندما عدْنا للجذور التاريخية للمسألة الأرمنية، وتتبعنا مختلف الأحداث التي تمخّضت عنها، وما صاحبها من تداعيات، مثل المظالم التي تعرضت لها الأقلية الأرمنية والتهجير القسري لها، أمّا بالنّسبة للمنهج التحليلي فهو منهجٌ يقوم على البحث في الأحداثِ والوقائع المتضمّنة في الوثائق التاريخية، لذلك وظفناه خلال عملية قراءة واستنطاق الوثائق التاريخية.

سابعا. خطّةُ البحث:

بناءً على الإشكالية المطروحة فقد قسّمنا الدراسةَ إلى: مقدّمة قمنا فيها بالتعريف بموضوع دراستنا، من التطرق لأسباب اختيار الموضوع، والفترة الزمنية المدروسة، إضافة للدراسات السابقة، وعرض الإشكالية الرئيسية، وكذا التساؤلات الفرعية، ثم مصادر ومراجع الدراسة.

أما **الفصلُ التّمهيدي،** من الأطروحة والمعنْوَن بـ "**أرمينيا والأرمن قبل الفتح العثماني**"، فقسمناه إلى أربعة مباحث تطرّقنا من خلالها لدراسة أرمينيا مِن حيث الموقع الجغرافي، والتضاريس، ثمّ أعقبناها بنبذةٍ تاريخية عن الأصول العرقية للأرمن، كما ضمنّاها أوضاع أرمينيا السّياسيةَ والدينية قبلَ الفتح العثماني، وفي الأخير استعرضنا دخولَ الأرمن تحت الإدارة العثمانية، ويعود سببُ إدراجنا للفصل التّمهيدي إلى أنّنا رأينا أنّ هذه الخطوة ضروريةٌ ليكون لدى القارئ خلفيةٌ تاريخية حول أرمينيا والأرمن حتّى يتسنّى له فهْمُ الفصول اللاحقة.

الفصلُ الأوّل، جاء تحت عنوان: "**الأوضاع العامة للأرمن في الدولة العثمانية**"، وقد عالجنا هذا الفصل في أربعةِ مباحث، فكان المبحثُ الأوّل حول الوضع الديمغرافي للأرمن في الدّولة العثمانية، فتطرّقنا من خلاله للجذور التّاريخية للإحصاءِ في الدولة العثمانية ،وقد استعرضنا في هذا العنصر أهم الإحصاءات التي قامت بها هذه الأخيرة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ،والمتمثلة في إحصاء نفوس 1298 هـ / 1881م وإحصاء (1322هـ-1326هـ) / (1905م -1909)م. ثم انتقلنا للإحصائيات المتعلّقة بالسّكان الأرمن، وذلك من خلال الإحصائيات العثمانية والفرنسية وإحصائيات الدبلوماسيين والسياح ،ثم أهم المناطق التي يتركز فيها الأرمن سواء في الولايات الست أو في اسطنبول . أمّا المبحثُ الثّاني فكان حولَ الوضع الاقتصادي للأرمن في الدّولة العثمانية، والذي خصصناه للمهن التي برز فيها الأرمن مثل التجارة الخارجية والصيرفة، مما خلق للأرمن وضع اقتصادي متميز. بالإضافة إلى أهم الحرف التي يفضل الأرمن ممارستها، مثل صناعة الحرير والخياطة وصناعة الزرابي.

أما المبحث الثّالث من هذا الفصل فيتعرض للأسرة الأرمنية في المجتمع العثماني ومكانة المرأة الأرمنية، أما المطلب الثاني من هذا المبحث فتطرقنا فيه للزواج في المجتمع الأرمني، وقد احتوى هذا العنصر على ثلاثة نقاط وهي المهر وتحضير جهاز العروسة وتربية الذكور، كما تطرقنا لتأثير الثقافة الأوروبية على المجتمع الأرمني. ثم ختمنا هذا المبحث بعلاقة الأرمن بالأتراك والأكراد. أما المبحث الأخير من هذا الفصل والعنون بدّور الأرمنُ في الدولة العثمانية، تكلمنا فيه عن الدور الذي لعبته النخبة الأرمنية الاقتصادية والثقافية من خلالِ اضْطلاعهم بمناصبَ حكومية حسّاسة، خاصّة في السّلك الدبلوماسي، وذلك راجعٌ لإتقانهم اللغات، كما وصل بعضُهم إلى منصب الوزارة، فقدّموا بذلك خدماتٍ جليلةً للدولة العثمانية.

الفصلُ الثّاني، حمل هذا الفصلُ عنوان: "**عوامل ميلاد المسألة الأرمنية** "، والذي يتفرع إلى أربعة مباحث، المبحث الأول تطرقنا فيه إلى النهضة الأرمنية ودورها في ميلاد الشعور القومي الأرمني، وذلك خلال التعرض إلى عواملَ ظهورها، والواقع التعليمي للأرمن، وكيف ساهم التعليم في ظهور المسألة الأرمنية، بالإضافة لدور الطباعة في بعث المسألة الأرمنية. أمّا المبحثُ الثاني والذي عنوانه دور الإرساليات التبشيرية في ميلاد القضية الأرمنية، فقد احتوى على ثلاثة عناصر بداية بانقسام الكنيسة الأرمنية الغريغورية إلى كنيسة كاثوليكية وبروتستانتية العنصر الثاني ركزنا فيه على فعاليات الإرساليات التبشيرية البروتستانتية الأمريكية نتيجة لدورها المكثف في شرق الأناضول، ثم رد فعل الكنيسة الأرمنية الوطنية اتجاه نشاط هذه الأخيرة.

أمّا المبحثُ الثّالث فعالجنا فيه ظهورَ أحزابٍ وجمعيات سياسية قومية واشتراكية لأوّل مرّةٍ في تاريخ الأرمن تدعو لتشكيل دولة أرمنية، من خلال تبني العمل الثوري المسلح، هذا التوجه الجديد في القضية الأرمنية مستلهم من حركة التمرد التي عرفتها منطقة زيتون وذلك قبل ظهور الأحزاب الأرمنية، ثم عالجنا دور الدعاية الأرمنية داخليا وخارجيا. أمّا المبحثُ الرّابع فتعرّض لدورِ التدخّل الأجنبي من خلال وثائق الأرشيف العثماني، وذلك في ثلاثة عناصر أولهما الدور الفرنسي ثانيهما الدور الإنجليزي، ثالثهما الدور الروسي فهذه الأطراف الثلاثة المتصارعة على اقتسام ممتلكات الدولة العثمانية كان لها دور كبير في ميلاد القضية الأرمنية.

الفصلُ الثّالث، المعنْوَن بـ: "**المسألة الأرمنية في عهد السّلطان عبد الحميد الثاني (1292–1326هـ) / (1876–1909م)** " ،والذي بحثتُ فيه ظروفِ تدويل المسألة الأرمنية في مؤتمر برلين بعد الحربِ الروسية العثمانية (1294/1293هـ) / (1878/1877م) وما تمخّض عن دخول المسألة الأرمنية جدول أعمال الدبلوماسية الدولية من تداعيات مثل: توتر العلاقات بين الأرمن والأتراك نتيجة استعانتهم بالقوى الكبرى لتحقيق تطلعاتهم القومية ،وكذا الضغوطات الأجنبية على الدولة العثمانية لتطبيقِ برنامج الإصلاحات في الولايات السّت، وتشكيل فرسان الحميدية في عام 1891هـ/ 1308مـ. أمّا المبحثُ الثّاني فتطرّق إلى تطوّر المسألة الأرمنية من خلال أحداث (1312/1311هـ) / (1894–1896م)، والتي أطلقتْ عليها المصادرُ الغربية مصطلحَ المذابح الحميدية، وقد عالجنا في هذا المبحث أحداث ساسون وتأزم الأوضاع في الأناضول، تداعيات هذه الأحداث ومن يتحمل مسؤوليتها. أمّا المبحثُ الثّالث فتعرّض للأحداثِ السابقة الذكر بعيون غربية من خلال التطرق لمصدريْن غربيين ومصدر أرمني. أمّا المبحثُ الأخير فتطرّق إلى أهمّ الأحداث التي شهدتها المسألة الأرمينيةُ في المرحلة الأخيرة من حكم السّلطان عبد الحميد الثاني وبالتحديد بعد اعلان المشروطية الثانية، وقد خصصنا هذا المبحث للتغيير الذي وقع في التحالفات الأرمنية، حيث اتجهت الأحزاب الأرمنية من التحالف مع الدول الأوروبية إلى التحالف مع جمعية تركيا الفتاة، بالإضافة لتطرق لمؤامرة يلديز، والانقلاب العثماني وإعلان المشروطية وما عقبه من أحداث أضنة (1909م/1326هـ) والتي ذهبَ ضحيّتها آلافُ الأرمن.

أما الفصلُ الرّابع والأخير والموسوم بـ "**المسألة الأرمنية في عهد الاتحاديين(1326هـ–1336هـ)/ (1909–1918م)** "، عالجنا في المبحثُ الأوّلُ والمعنون بأوضاع الأرمن قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى، الأوضاع الديمغرافية للأرمن 1914م/1332هـ وذلك من خلال احصائيات الدولة العثمانية والإحصائيات الفرنسية والأرمنية، أما العنصر الثاني فعرضنا فيه أوضاع الأرمن (1909–1914م) خلالِ التطرّق لمشكلة

الأراضي التي واجهها الأرمن بعد المشروطية الثانية. في العنصر الثالث ناقشنا موضوع الإصلاحات الأرمنية الثالثة (1913م/1331هـ). أمّا المبحثُ الثاني فتطرق إلى أهم تطورات المسألة الأرمنية خلال الحرب العالمية الأولى، وذلك في أربعة نقاط النقطة الأولى القومية التركية بشقيها سياسة التتريك القسري والطورانية التي تبنتها حكومة الاتحاد والترقي كإيديولوجية لها ،أما النقطة الثانية فتناولنا فيها أسباب دخول الدولة العثمانية غمار الحرب العالمية الأولى ورد فعل الأرمن من القرار العثماني، وخصصنا النقطة الثالثة للتشكيلات المخصوصة وبداية الإجراءات الانتقامية اتجاه الأرمن، أما النقطة الأخيرة من هذا المبحث فكانت حول قيام الأرمن بعصيان فان تمهيدا لدخول الجيوش الروسية شرق الأناضول .

تعرّضنا في المبحث الثّالث لقضية مهمة في التاريخ الأرمني أو العثماني على حد السواء ألا وهي التهجير القسري الذي طال الأقلية الأرمنَية العثمانية في عام 1915م/1333هـ، وذلك من خلال أربعة نقاط النقطة الأولى تعرضنا فيها لأسباب التهجير على ضوء وثيقة التهجير أي حسب الرواية العثمانية فقط، أما النقطة الثانية فخصصناها لتطبيق قرار التهجير، فالدولة العثمانية لم تترك عملية التهجير دون تنظيم، أما النقطة الثالثة تناولنا فيها الإجراءات المتخذة لتسيير عملية السوق مثل الوسائل المستخدمة في العملية ومصاريف الإعاشة ثم في النقطة الرابعة تحدثنا فيها عن مصير ممتلكات الأرمن المتروكة والمشاكل الناجمة عن التهجير. وتناولنا في المبحثُ الرّابع والأخير من هذا الفصل، اصدار قرار العودة للأرمن المهجرين، والمواقف المختلفة من التهجير، فقرار التهجير والإسكان كان مؤقتا، فبعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها أصدرت الدولة العثمانية قرار العودة للأرمن المهجرين، والمواقف المختلفة من التهجير سواء العربية أو الغربية، ورؤية الدراسات التاريخية الغربية والعربية للتهجير.

وقمْنا في الخاتمة بتقييدِ أهمّ الاستنتاجات التي خلصْنا إليها في الدّراسة، ثمّ ألحقنا هذا العمل بملاحقَ تضمّنت خرائط ونماذجَ من وثائق الأرشيف العثماني مُترجمة مكمّلة لما ورد في متن الدراسة.

ثامنا. مصادرُ ومراجعُ الدّراسة:

1–الوثائق الأرشيفية:

النّوع الأوّل من المادّة العلمية الخامّ التي اعتمدنا عليها تتمثّل في الوثائق الأرشيفية ،وهي تنقسمُ إلى قسْمين : الوثائق المنشورة من طرفِ مركز الأرشيف العثماني بإسطنبول ،ووثائق غير منشورة مأخوذة عنْ نفسِ الجهة ، وبالعودةِ إلى وثائقِ الأرشيف العثماني فقدْ لاحظنا أنّ تركيا أوْلَت اهتمامًا كبيرًا لنشر الوثائق المتعلّقة بالمسألة

الأرمنية في مختلفِ مراحلها ،وهذا يمكن أنْ نعْزوه إلى رغبتها في دعْمِ حجّتها فيما يخصّ المسألة الأرمنية ،ومِن الكتب الوثائقية التي اعتمدْنا عليها نذكُر" ***Osmanli Belgelerinde Ermeni Isyanları*** "**التمردات الأرمنية من خلال الوثائق العثمانية**"، ويتكوّن من أربعةِ مجلّدات ،كلّ مجلدٍ يعود لفترة زمنيّةٍ محدّدة ،فمثلًا المجلّد الأول يغطّي الحقبة الزمنية الممتدّة من (1878-1895 م) ،أمّا المجلّد الثاني فيغطي الفترة الممتدّةَ من (1895-1896 م) ،والمجلّدان يضمّان وثائقَ حول الأحداث التي قام بها الأرمن في أرضروم سنة 1890 ،والأحداث التي وقعت في كنيسة البطريركية الأرمنية في (قوم قابي) *Kum Kapı* وحوادث العصيانِ التي قام بها الأرمن في مناطق متفرقة من شرق الأناضول ،والتّدابير العسكرية والسياسية المتّخذة من طرفِ الحكومة العثمانية لإخماد فتيل هذه الثورات ،أمّا المجلّدان الثّالث والرّابع فيغطّيان الفترةَ الزمنية الممتدّة من 1896 إلى 1916 م ،ويضمّان بين دفّتيهما الوثائقَ المتعلقة بتطورات التمردات التي قام بها الأرمن.

كما استفدْنا من كتابٍ وثائقي آخر، والموسوم بـ "**العلاقات الأرمنية الفرنسية في الوثائق العثمانية**" "***Osmanli Belgelerinde Ermeni – Fransiz Ilişkileri(1879-1918)***"، ويضمّ الكتابُ بين طيّاته المراسلاتِ الدبلوماسية بين السّفارة العثمانية في فرنسا ووزارة الخارجية العثمانية في اسطنبول حول القضية الأرمنية، وهي مرتّبة ترتيبًا كرونولوجيًّا، دون أنْ ننسى أنّ كلّ الوثائق المنشورة توجد في شكلٍ ترجمة من اللغة العثمانية إلى اللغة التركية الحديثة، مع صورةٍ للوثيقة.

ومِن الكتب الوثائقية التي لا يمكن الاستغناءُ عنها لدراسةِ العلاقات الإنجليزية الأرمنية، نجد الكتابَ الوثائقيّ المعنون بـ "**العلاقات الإنجليزية الأرمنية من خلال الوثائق العثمانية**"، وهو بدوْره مقسّمٌ إلى أربعة مجلّدات تضمّ مراسلاتٍ بين وزارة الخارجية العثمانية مع سفارتها في لندن حول الأحداث الأرمنية التي وقعت في الأناضول، والأنشطة التي كان يقومُ بها الأرمنُ الذين كانوا في إنجلترا، فضلًا عن مجهوداتِ الرأي العام الإنجليزي لصالح الأرمن.

أمّا الكتابُ الوثائقي الثّالث، فيحملُ عنوان "**العلاقات الروسية الأرمنية في الوثائق العثمانية**" "***Osmanli Belgelerinde Ermeni- Rus Ilişkileri***"، وهو يتكوّن من ثلاثة مجلّدات تغطّي حيزًا زمنيًّا محدّدًا: فالمجلدُ الأوّل يغطي الفترة من 1841 إلى 1898 م، وهو يتشكّل من 97 وثيقة. أمّا المجلدُ الثّاني فهو يغطي الحيزَ الزمني الممتدَّ من 1899 إلى 1906 م، ويضمّ 95 وثيقة. أمّا المجلّد الثّالث فيحتوي على 73

وثيقة تغطّي الفترة الزمنية الممتدّةَ من 1907 إلى 1921 م. وقد أفادتنا الكتبُ الثّلاثة الأخيرة في التعرّف على طبيعة العلاقات، التي كانت تربط الأرمنَ بالقوى الأوروبية الفاعلة آنذاك، والمتمثلة في فرنسا وإنجلترا وروسيا.

أمّا الوثائقُ غير المنشورة ،فقد تحصّلنا عليها من **"المركز الثقافي الآسيوي"** المتواجد في جمهورية مصر العربية ،والذي يترأسه الدكتور أحمد الشرقاوي ،المتخصّص في الشّأن الأرمني ،الوثائق التي يربو عددُها عن 200 وثيقة ،هي مِن الأهمية بمكان ،بحيث لا يمكن للباحثِ الاستغناءُ عنها لدراسة تهجير الأرمن ،هذه الوثائقُ تلقي الضوءَ على دوافع إصدار قرار التهجير ،وذلك من خلال وثيقة التهجير ،وكذلك الأرمن الذين شملهم التّهجير ، والذين لم تشملْهم عمليةُ السّوْق ،والإجراءات التي اتّخذتها الدولة العثمانية لتسيير أعمال التهجير ،مثل تكفّل الدولة بحمايةِ الأرمن المهجّرين ،ومعاقبة كلّ مَن تسوّل له نفسُه مهاجمتهم ،وقيام الدولة كذلك بدفع مصاريف النّقل والإسكان والإعاشة والمؤن ،فضلًا عن توقّف أعمال التهجير ،وإصدار قرار العودة.

2- المصادر الأجنبية:

أمّا بالنسبة للمَصادر الغربية، فأغلبُها باللغة الفرنسية، وفي مقدّمتها كتاب سياسة السلطان «***La politique du Sultan***» لمؤلفه **فيكتور برار*Victor Bérard*** ، وهو دبلوماسي ورجل سياسة فرنسي، قامَ بعدّة رحلات في الدولة العثمانية، ووقفَ بنفسه على حقيقة الأوضاع في الدولة العثمانية، وهو مِن المهتمّين بحماية الأقليات المسيحية في الدولة العثمانية، وخاصّة الأرمن. ويمكن أنْ نعتبر هذا الكتابَ بمثابة مذكراتٍ خاصّة بالمؤلف، أورد لنا فيها معلوماتٍ عايشها بنفسه، وحقائقَ أخرى استقاها من شهاداتٍ لأشخاص ثقة – حسب وصفه–، وقد تطرّق من خلال مؤلَّفه "للمجازر" التي وقعتْ للأرمن في اسطنبول والأناضول، علاوة على سياسةِ السّلطان عبد الحميد الثاني تجاه الأرمن، والذي لقّبه بـ "السلطان الأحمر ". وقد أفادني الكتابُ في التعرف على الموقف الغربي من الأحداث الأرمنية، أو ما اصطُلِح على تسميته بالمذابح الحميدية؛ حيث وجّه أصابعَ الاتهام للسّلطات العثمانية.

أمّا المصدرُ الثاني، « ***1895 Massacres d'Arméniens*** » والذي يصنّف بدوره في خانةِ المذكرات، لكن هذه المرّة تعود لقنصل فرنسا في طرابزون ***Cillière Alphonse*** ، والذي تمّ تعيينُه في منصبه قبلَ الأحداث التي وقعتْ فيها سنة 1895 م، وقد عايش الأحداث التي يسمّيها بدوْره بـ "المذابح"، والتي كانت طرابزون مسرحا لها ،وقد كانت بمثابةِ الشّرارة الأولى لموجة من الأحداث التي انتشرت في عدّةِ مناطق من

الأناضول ، تعرّض من خلال مؤلَّفه للأسبابِ التي أدّت إلى حدوث عمليات القتلِ ضدّ الأرمن ،واتّهم السّلطات العثمانية بتدبير المجازر ،كما أنّه أشار لدوْر القنصلية الفرنسية في حماية الأرمن.

3- المصادر باللغة العربية:

أمّا بالنّسبة للمصادر العربية، فقد استفدنا من كتابُ فائز الغصين والموسوم بـ "**المذابح في أرمينيا**"، ويقع هذا العمل في 93 صفحة من القطع المتوسط. وتضمّن هذا الكتاب بالأساس حوادثَ عامي 1915 و1916، كما أنّ الغصين رصدَ - بإيجاز واقتضاب - ملامحَ التّاريخ الأرمني عمومًا، ووضْعَ الأرمن العثمانيّين خصوصًا، كما أنّه أقرّ عبرَ ما كتبه بأنّ ما تعرّض له الأرمنُ إبّان عامي (1894-1896) هو عبارة عنْ مجازر في إطار "سياسة رسمية" تبنّتها الدولة العثمانية في عهد السّلطان عبد الحميد الثاني، وقد أفادنا هذا المصدرُ في التعرّف على أهمّ الممارسات التي تعرّض لها الأرمن خلال عملية السوق أو التهجير.

4-المراجع الأرمنية المترجمة إلى اللغة العربية:

كما اعتمدنا في هذه الدّراسة على كتبٍ تعود لمؤلّفين أرمن ترجمت إلى اللغة العربية ،أهمّها كتابٌ يعود لمؤلّف أرمني هو **نيقولاي هوفهانيسيان** ،والموسوم بـ "**الكتابات التاريخية العربية عن الإبادة الأرمنية**" ،وهو عبارة عن دراسة تعالجُ الإبادةَ الأرمنية التي ارتكبَتْ من طرف حكومةِ الاتّحاد والترقي عام 1915 م من خلال الكتابات التاريخية العربية، كما يشرح دوافعَ الكتابة التّاريخية العربية ،فضلًا عن ذلك تناول قضايا حاسمة في هذه المؤلفات ، مثل أسباب وطبيعة الإبادةِ الأرمنية، ووسائل وآليات ارتكابها، إلى جانب هذا من المفيدِ التّنويه إلى أنه اهتمّ بحقيقة استخدام المؤرّخين العرب لمصطلح "**الإبادة الأرمنية**" « ***Armenocide*** » على نطاق واسع ،وتصويرهم لهذه المذابح بأنها "**أكثر المذابح إبادة**" . كما أشار إلى أنّ المؤلفات العربية تنظر إلى الإمبراطورية العثمانية باعتبارها بلدَ المذابح والمجازر التي مارسوها، ليس فقط اتجاه الأرمن، ولكن أيضًا اتجاه العرب واليونانيين والآشوريين، وغيرهم من الشّعوب غير التركية في الإمبراطورية، ولقد أسعفنا الكتابُ بمعلوماتٍ قيّمة حول موقف الكتابات العربية من الإبادة الأرمنية.

5- المراجع باللغة العربية:

من أهم المراجع التي استفدنا، دراساتٍ للمؤرخ المصري المعاصر، **محمد رفعت الإمام** الذي يُعتبر من المختصين القلائل بالشّأن الأرمني في الشرق الأوسط، ومن مؤلّفاته التي اعتمدنا عليها الدّراسة الموسومة بـ "**مصر والأرمن مسألة أضنة أبريل 1990، الطّريق إلى الإبادة الأرمنية الكبرى**"، وتتكوّن هذه الدراسة من ثلاثةِ فصولٍ متّصلة ومُتكاملة، أوّلها "خلفيات مسألة أضنة في الأستانة"، وثانيها "مسألة أصنة 1909»، وثالثها "مردود مسألة أضنة في مصر"، وتكتسب هذه الدراسةُ أهميتَها مِن اعتمادها على مادّةٍ علمية خامّ تتمثّل في الصحافة المصرية، والتي عكست بوضوح شبكة الاتّجاهات والتوجهات في مصر إزاء مسألة أضنة.

بالإضافةِ إلى ما ذكرناه، اعتمدنا على مراجعَ عربيةٍ اتّسمت أغلبُها بالتركيز على ما عرف ب "الإبادة الأرمنية"، ولعلّ ذلك راجعٌ إلى أنّ العلاقات العربية الأرمنية قد بدأتْ بشكلٍ مباشر خلال تهجير الأرمن، ومن هذه الكتب نذكر الكتابَ الموسوم بـ "**مجازر الأرمن ومواقف الرأي العام العربي منها** " للمؤلف السّوري نعيم اليافي، وقد تعرض من خلال كتابه لأسبابِ القضية الأرمنية، والتي أفضتْ إلى ارتكاب المجازر في حقّ الأرمن، كما قدّم وجهة نظره الخاصّة من الإبادة، وموقف الرأي العام العربي منها.

بالإضافةِ إلى الكتابِ الموسوم بـ "**تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتى اليوم**" للكاتب المصري **فؤاد حسن حافظ**، وقد تطرّق المؤلفُ من خلاله لتاريخ الأرمنِ منذُ العصور القديمة حتّى العصر السوفياتي، بالإضافة إلى أوضاع أرمينيا السّوفياتية الاقتصادية والعلمية والثقافية، وقد أفادنا هذا الكتابُ في التعرّف على تاريخ بداية المسألة الأرمنية، وسياسة السّلاطين العثمانيين و"تركيا الفتاة" تجاه الأرمن، بالإضافة إلى التعصّب التركي الذي أفضى–حسبَ الكاتب – لإبادة الأرمن.

ومِن الكتب التي اسْتقينا منها معلوماتِنا كذلك الكتابُ الموسوم بـ "**سياسة الحكومة العثمانية في أرمينيا الغربية وموقف القوى الدولية منها**" للدكتور **صالح زهر الدين،** وقد شرح الكاتبُ فيه تاريخ الشعب الأرمني، وحضارته القديمة، وكذا المجازر التي تعرّضوا لها خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، أسبابَها ومزاعم الأتراك حولها، والمسئولية الدّولية المشتركة حول المجازر، والدّور الذي لعبه اليهود والصهيونية في القضية الأرمنية. وأفادني هذا الكتابُ في التعرف على جذور الطورانية كسببٍ من أسباب إبادة الأرمن والمواقف الدولية المختلفة منها.

6- الجرائد:

وفي ذات السّياقِ هناك كتبٌ أخرى اعتمدنا عليها ،وهي عبارة عن مجموعةٍ من المجلدات تغطي حقبًا زمنية مختلفة ،تحتوي على مقالاتٍ وردت في الصّحف والدوريات العربية ،خلال الفترة المتراوحة بين1292 هـ إلى 1341 هـ / 1876م إلى 1923م ،وهي تعالج مواضيعَ مختلفةً عن المسألة الأرمنية ،والموسوم بـ "**أرمينيا والأرمن في الصحافة العربية**" (**1876- 1923**) ،والهدفُ منه هو تدوينُ حقبةٍ مهمّة من التاريخ الحديث والمعاصر للشعب الأرمني ،وذلك بالاستناد إلى ما ورد من أخبار ومقالاتٍ في دوريات الصّحافة المصرية والعربية المحفوظة في دار الكتب المصرية ،وقد تمّ تقسيمُ الفترة التاريخية الخاصّة بعرض المسألة الأرمنية في الصّحافة العربية إلى المراحل التالية : التّدويل والإصلاحات (1876-1893) ،المذابح الحميدية (1894-1896) ، الأرمن وتركيا الفتاة (1897-1908) ،مذابح أضنة 1909 ،مشروع الإصلاحات (1910-1914) ،الإبادة الكبرى (1915-1918) ،الاتفاقيات (1918-1923) ،وقد استقينا معلوماتٍ قيمةً من هذه المجموعة.

7-المراجع باللغة التركية:

بالإضافةِ إلى المصادر والمراجع التي ذكرناها، اعتمدْنا على العديدِ من الدراسات باللغة التركية، إلّا أنّ معظمَها اتّسم بالطّابع السياسي، وذلك من خلال التطرق للأحداث التي قام بها الأرمنُ ضدّ الدولة العثمانية نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، أمّا بالنسبة للدّراسات التي تناولت الجانب الاقتصادي والاجتماعي فهي قليلة، إنْ لم نقل شحيحة، ومن أهمّ هذه الكتب: الدراسة التي تعود للمؤلف **مراد غوكهان داليان، *Murat Gökhan Dalyan*** والموسومة بـ: ***« XIX. Yüzyılında Gelenekten Batı Kultürüne Geçiste, Ermeni Yaşamı »*** ، أي الحياة الأرمنية ،الانتقال من التقاليد إلى الثقافة الغربية خلال القرن التاسع عشر الميلادي، وهو عبارة عن دراسة اجتماعية واقتصادية للمجتمع الأرمني ،وقد تناول فيه المؤرخ عاداتِ وتقاليد ولباس ومنازل الأرمن ،وكذا الهجرة الأرمنية، كما أنه أفردَ جزءًا لأهمّ التحولات التي شهدتها الحياةُ الاقتصادية الأرمنية ،وقد أفادتنا هذه الدراسة كثيرًا ،خاصّة عندما تطرقنا للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للأرمن، حيث تعتبر من الدراسات القليلة التي تناولت حياة الأرمن الاقتصادية والاجتماعية.

تاسعا. صعوباتُ البحث:

أمّا بخصوص الصّعوبات التي واجهتْ هذه الدراسة، فلا تكاد توجد دراسةٌ تخلو من الصعوبات والعوائق، فالدّراسةُ كانت تبدو لنا من الوهلةِ الأولى سهلةً، وفي متناولنا، لكنْ بعد دخولنا مُعترك البحث برزت لنا عدّةُ صعوبات، وفي مقدّمتها صعوبةُ الحصول على المادّة الأوليّة التي تناولت الموضوعَ محلّ الدراسة، بل تفاجئنا من نُدْرتها، وبُغية تذليلِ هذه الصّعوبة توجّهنا إلى تركيا على حسابنا الخاص، وبالتّحديد إلى مركز الأرشيف العثماني، الذي وجدنا فيه ضالّتنا، فتحصّلنا على عددٍ كبير من الوثائق. أمّا مكتبات تركيا مثل مكتبة يلديز والمركز الإسلامي فإنها ضمّت رصيدًا مُعتبرًا من الكتب حول الشّأن الأرمني، خاصّة ما يتعلق منه بالجانب السياسي، أمّا ما يتعلق بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية فلمْ نجدْ ما يروي غليلنا.

بصرفِ النّظر عن هذه الصّعوبة برزت لنا صعوبةٌ أخرى، والمتمثّلة في مشكلة الترجمة، فمِن المعروف أنّ الدراساتِ العربيةَ حول الموضوع تكاد تكون محدودةً؛ لذلك كان لزامًا علينا ترجمة كلّ ما له علاقة بالأرمن من اللّغات الأجنبية (التركية، الفرنسية، والإنجليزية). ومن الصعوبات التي واجهتنا –كذلك – طولُ فترة الدراسة نوعًا ما، والتي غطّت حيزًا يقدّر بـ 58 سنة، مّا استدعى منّا البحث عن المادة العلمية الضرورية بكلّ فترةٍ تاريخية.

في هذا الإطار، لا ندّعي أننا أتينا على جميعِ جوانب الموضوع، فهو لا يزال يحتاجُ إلى المزيد من التعمق والتّنقيب في مصادرَ أرشيفيةٍ أخرى لمعرفة مختلفِ الآراء؛ لأنّ هذه الدراسة اعتمدتْ على مادّةٍ أرشيفية أحادية النّظرة، والمتمثلة في الأرشيف العثماني.

وفي الختام، لا يسعُني إلّا أنْ أقدّم خالصَ شكري وتقديري إلى كلّ مَن ساهم في إخراج هذه الدراسة المتواضعة إلى الضوء، وخاصّة الأستاذ المشرف، الأستاذ الدكتور **الغالي غربي**، الذي لم يبخلْ علينا بتوجيهاته القيّمة، كما لا يفوتني أن أوجّه شكري العميقِ إلى جميع أفراد أسرتي الصّغيرة والكبيرة على صبرهم علينا أوّلًا، ثمّ على ما بذلوه في سبيل أنْ ترى هذه الدراسةُ الضوء، خاصّة والدي، وزوجي الذي كان خيرَ مُعينٍ ومشجّع لي.

الفصلُ التّمهيدي

أرمينيا والأرمن قبلَ الفتحِ العثماني

المبحثُ الأوّل: أرمينيا من الناحية الطبيعية.

المبحثُ الثّاني: الأصولُ العرقية للأرمن.

المبحثُ الثّالث: أوضاعُ الطائفة الأرمنية قبل الفتح العثماني.

المبحثُ الرّابع: دخولُ الأرمن تحت الإدارة العثمانية.

يعدّ الأرمنُ من أقدمِ شعوب آسيا الصّغرى، استوطنوا منطقةً جغرافية مترامية الأطراف، هذه المنطقة تختلفُ اختلافًا جذريًّا عن أرمينيا الحالية، والذي دلّ على استيطانهم هناك الآثارُ التاريخية التي خلّفوها –كما سيأتي بيانُه في الموقع الجغرافي –، والتي لا تزال تشهدُ على أنّهم عاشوا في تلك المنطقة منذ آلاف السنين، وتعرفُ بأرمينيا التّاريخية، ومِن هذه الآثار نجد القصورَ والمعابد والأديرة والكنائس، بالإضافة إلى الآداب والفنون والأبجديّة التي تدلّ على حضارة الأرمن العريقة. وقبل أنْ نخوض في موضوع الأرمن قبل الفتح العثماني رأينا أنّه من الضروري أن نتطرّق لمفهوم "الأقلية" باعتباره مصطلحًا مهمًّا، وردَ في عنوان المذكرة.

تأخذُ الطائفة عدّةَ تسميات، مثل، فئة، أقلية أو ملة، أو فرقة أو مجموعة، وغيرها من التسميات، وهي عبارة عن مجموعاتٍ بشرية ذات سماتٍ وخصائص تختلفُ عن مثيلاتها في مجتمع الأكثرية، ولكلّ طائفة سماتٌ قومية أو إثنية أو دينية مشتركة بين أفرادها. وتنطوي تحت مفهوم الطوائف أنماطٌ وأنواع مختلفة ،منها :الأقلية العرقية ،والأقلية الدّينية ،والأقلية المذهبية ،والأقلية الإقليميّة ،والأقلية الثّقافية ،والأقلية السّياسية ،والأقليّة الاقتصادية والاجتماعية والأقليّة القومية المتعدّدة الجذور ،وما عداها مشتقّ منها ،ومتفرّع عنها ،أو جامعٌ لها بصيغة أو بأخرى ،مثل القول بأقليّة إثنية أو عنصرية أو غير ذلك ومع ذلك فإنّ الأقلّيات العرقية أو الإثنية العنصرية والأقليات الدينية – المذهبيّة– أكثرُ أنماط الأقليات ظهورًا في العالم ،وتكمن وراءَ أغلب الصّراعات التي تنشب من حينٍ إلى حين بين الأقلية والأكثرية في بلدٍ ما(1).

وقد نشأتِ الأقلّيات نتيجةَ عدم استقرار الجماعات السّكانية، من جرّاء تشابك العلاقات الاقتصادية والاجتماعية، وتلاقح الحضارات، وتكوّن فوارق البِنَى الاجتماعية والبشرية في بيئاتٍ جغرافية متباينة، واختلاف في توزيعِ الثّروات والموارد. وبالتالي ظهور مُستغِلّ ومُستغَلّ ،فنشأت أقلّيات محكومة ومُضطهدة من قِبَل أكثريات في ممالكِ التّاريخ ،جرّاء الغزو والاحتلال والهجرة والتّهجير وسَوق المغلوبين لخدمة الغالبين ،وقد كانت مسألةُ الأغلبية والأقلية محورَ معظمِ الصّراعات على السّلطة والنفوذ والتملّك والسيطرة على الثروات والموارد والأرض منذ أقدم العصور حتى اليوم(2).

---

(1) **معجم المصطلحات التاريخية والسياسية**، الجزء الأول، دار الكتب، بيروت،2008 ، ص.224.

(2) نفسه ، ص. 225.

وممّا سبق ذكره، يمكن أنْ نقول أنّ الجالية الأرمينية في الدّولة العثمانية هي أقلية إثنية ودينية، فأين استقرّت؟ وما هي أصولها العرقية؟

المطلبُ الأوّل: أرمينيا من الناحية الطبيعية:

أرمينية يُطلق عليها اسمُ *Armenia* في اللغة الإنجليزية ،و *Arménie* باللغة الفرنسية ،بينما تعرفُ باسم "أرمنستان" في اللّغة التركية والإيرانية ،ويُقصد بها بلاد الأرمن[1] ،ويطلق هذا المصطلح على الرقعة الجغرافيّة الممتدّة من آسيا الصّغرى غربًا إلى هضبة أذربيجان[2] ،والسّاحل الجنوبي لبحر قزوين[3] ،ومن جورجيا[4] شمالًا إلى سلسلة جبال طوروس جنوبًا ،أمّا فلكيًّا تمتدّ أرمينيا التاريخية بين خطّي الطول 37° و 34°،ودائرتي العرض 35° و 44.5° شمالًا[5].

أمّا أرمينيا التاريخية تمتدّ من الأناضول الشرقي حتى إيران شرقًا ،ومن شمال العراق وسوريا حتى مشارف البحر الأسود شمالًا[6] ،وهي بذلك تعدّ قسمًا من الهضبةِ الكبرى الممتدّة من آسيا الصغرى[7] حتى إيران، تتخلّلها جبالٌ متفاوتةُ الارتفاع ،تمتدّ من الجنوب الشّرقي إلى الشمال الغربي ،لذلك تعتبر أكثر علوًّا وارتفاعًا عن المناطق التي تجاورها[8]. ولها حدودٌ طبيعيّة تفصلها عن المناطق المجاورة لها ،إذ يفصلُها نهر الكورة شرقًا عن الأراضي المنْخفضة

---

(1) أحمد فؤاد رسلان، **أرمينيا الأمّة والدولة**، الطبعة الأولى، دار الأمين، دون مكان الطبع، 1418 هـ/1997م، ص. 23.

(2) **أذربيجان:** تقع شرق القوقاز المواجهة لبحر قزوين، وهي غنيّة بالبترول جنوبًا، تلتقي حدودها بحدود إيران، فيها أراضي خصبة وموارد مائية وفيرة. عبد الوهاب الكيالي وآخرون، **الموسوعة السياسية**، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1990، ص.39.

(3) عبد العزيز محمد الشناوي، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، الجزء الثالث، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2004، ص. 313.

(4) **جورجيا:** تقع جورجيا غربي القوقاز وعلى جانبي سلسلة جبال "سورام"، ولها حدود قصيرة مع تركيا جنوبًا، عبد الوهاب الكيالي وآخرون، المرجع السابق، ص ص. 39–40.

(5) مروان المدور، **الأرمن عبر التاريخ**، منشورات دار الحياة، بيروت، لبنان، 1982، ص. 68.

(6) صالح زهر الدين، **سياسة الحكومة العثمانية في أرمينيا وموقف القوى الدولية منها**، بيروت، 1996، ص. 35.

(7) انظر الخريطة ،ملحق18 ،ص398.

(8) مروان المدور، المرجع السابق ، ص. 68 وما بعدها.

المتاخمة لبحر القزوين ،وتفصلُها سلسلةُ جبال البونتيك شمالًا وجورجيا ،وتفصلها جبال طوروس جنوبًا عن سوريا وكردستان وإيران[1]. وتقدّر مساحتها بـ (300.000 كلم^2 [2].

يوجد في أرمينيا العديدُ من السّلاسل الجبلية ،تتفاوت هذه الجبالُ من حيث الارتفاع ،وأهمّ هذه الجبال جبال أرارات *(Ararat)* وينقسمُ هذا الأخير إلى قسميْن :جبال أرارات الكبير *(Great Ararat)* ويسمى كذلك بجبل النار ،ويبلغ ارتفاعه 3914م ،ويقع إلى الشّرق من الجبل السّالف الذكر[3] ،جبال ألاغوز *(Alagöz)*، ويقع في قلب أرمينيا ،ويبلغ ارتفاعُه 4168م ،بالإضافة إلى جبل سيفان داغ *(Suphàn Dagh)* يبلغ ارتفاعه 4176م ، ويقع بالقربِ من الشّواطئ الشمالية الغربية لبحيرة فان *(Van)* ،ويذكره الأرمن في أناشيدهم ،وتراتيلهم لجمالِه ومكانته الخاصّة في نفوسهم ،وتغطّيه الثلوج معظمَ أوقات السّنة ،بالإضافة إلى جبالٍ أخرى منها يوزداغ، وتينديرك ... وغيرها[4].

تتنوع التربةُ في أرمينية من منطقةٍ إلى أخرى، منها تربة غرنيتية غنيّة صالحة للزراعة هذا النوع من التربة يتواجدُ في سهل أرارات، وأراكس، كما نجد تربةً رماديّة جافّة غنيّة بالمعادن في أراضي أرمينية الجنوبية والشمالية الشّرقية. أمّا النوع الثّاني فهو عبارة عن تربةٍ سوداء بركانيّة جبلية ،تختزن في جوفها مختلف المعادن مثل الذهب والفضّة والرصاص والحديد والنحاس والملح الحجري والرخام والزرنيخ وغيرها ،كما نجد تربةَ المنحدرات العالية، والنّوع الثّالث والرّابع يصلحان لتربيةِ الماشية ،ولا يصْلحان للزّراعة ؛لأنهما يكونان غالبية أشهر السنة مغطيان بالثلوج[5].

تخترقُ أرمينيا العديدُ من الأنهار التي هي بمثابةِ شرايين ممتدّة في قلب أرمينيا ؛لأنّها تصل إلى أربع جهات مُتباعدة ،وهي بحر القزوين ،والبحر الأسود ،والخليج العربي ،ومن أهمّ هذه الأنهار نهر أراكس *(Arax)* الذي ينبع مِن جبال بنغول داغ ،ويشقّ مجراه في طريقٍ جبلي متعرّج ليصبّ في بحر القزوين ،نهر جورخ *(Djorokh)* الذي ينبعُ من جوار مدينة بيبورت ،ثمّ يصبّ في البحر الأسود ،بعد أنْ يقطع مسافة 350 كلم[6]. ويعتبر نهرا الدجلة

---

(1) محمد رفعت الإمام، **الأرمن في مصر في القرن 19م**، مطابع نوبار، القاهرة، 2015، ص. 21.

(2) عبد العزيز محمد الشناوي، مرجع سابق ، ص. 313.

(3) جورج بورنتيان، **موجز تاريخ الشعب الأرمني من العصور القديمة إلى العصور الحديثة**، ترجمة، سحر توفيق، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2012، ص. 16.

(4) مروان المدور، مرجع سابق ، ص. 72.

(5) نقية حنة منصور، **الأرمن والدولة العثمانية**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2016، ص. ص. 34-35.

(6) *Elisée Reclus, **Les Arméniens**, 2ème édition, édition Magellan et cie, Paris, 2011, p. 34.*

والفرات من أهمّ هذه الأنهار، فقد ازدهرتْ على ضفافهما أقدمُ حضارات الشرق الأدنى القديم، فبالنسبة لنهر الفرات *(Euphrates)* فهو ينبعُ من قرية قوزيل قليا على بُعد 40 كلم شمال مدينة أرضروم، ويجري على مسافة 2800 كلم ليصبّ في شطّ العرب. أمّا نهر الدجلة *(Tigris)* ينبع من جبال طوروس جنوب بحيرة فان ،ويجري على مسافة 2000 كلم باتّجاه شطّ العرب[1]. بالإضافةِ إلى أنهار أخرى لا تقلّ أهميةً عن الأنهار التي ذكرناها.

بالنّسبة للبحيرات ،يوجد في أرمينيا العديد من البحيراتِ التي تختلف من حيث المساحة ،ولعلّ من أهمّ هذه البُحيرات نجد بحيرة فان [2](Van) وهي من أوسعِ البُحيرات وأعمقها ،ويبلغ طولها 2900 كلم ،وترتفع بـ 169 م فوقَ سطح البحر[3]. بالإضافةِ إلى بحيرة سيفان *(Sevan)* أعلى البحيرات طولها 1416 كلم[4] ،وبحيرة أورمية *(Urmia)* والتي تقع في جبال أذربيجان ترتفع بـ 1230م عن مستوى سطح البحر وتغطي مساحة 4680 كلم^2 على الرغم من وقوعها في منطقة جبلية[5].

أمّا إذا تحدّثنا عن مناخ أرمينية فهو بصفةٍ عامّة مناخٌ قارّي ،يتّصف عمومًا بالقسوة والشدة[6] ،حيث يستمرّ الشّتاء طوال ثمانية أشهر كاملة في هذه الهضاب ،أمّا الصّيف القصير والحارّ فلا يزيد عن شهرين فهو فصلٌ شديدُ الجفاف لا تنبت فيه المزروعات إلّا قليلًا[7].

وممّا لا شكّ فيه أنّ منطقةً بهذا الامتداد ستكون غنيةً بالمواد الخام ،فجوف أرمينيا غني بمختلف المعادن مثل الذّهب والفضة والرّصاص والحديد والنحاس والرخام والزرنيخ والصّودا والبوتاس الموجودة في بحيرة فان *(Van)* والكبريت وحجر الشّب والزئبق والملح الحجري، والحجر الكلسي والرملي[8] ،هذا التنوّعُ في الثروات الطبيعية انعكسَ

(1) صالح زهر الدين، مرجع سابق ، ص. 36.
(2) مروان المدور، مرجع سابق ، ص. 73.
(3) جورج بورنوتيان، مرجع سابق ، ص. 16.
(4) رفعت محمد الإمام، **الأرمن في مصر**.... مرجع سابق، ص. 22.
(5) نقية حنة منصور، مرجع سابق ، ص. 35.
(6) صالح زهر الدين، مرجع سابق ، ص. 37.
(7) محمد الشناوي، مرجع سابق ، ص. 313.
(8) مروان المدور، مرجع سابق، ص. 79.

على الصناعة الأرمنية ،فاشتهرتْ بصناعاتٍ مثل صناعة النسيج والصباغة ،وأنواع التّطريز ،وصناعة السّجاد الأرمني اشتهر مدّةً طويلة بأنّه أرقى السجاد صناعة وصباغة[1].

إنّ تنوعَ التّربة والمناخ في أرمينيا سيؤثّر بطبيعة الحال على المحاصيل الزّراعية فأرض أرمينيا تنتج أنواعًا مختلفةً من المحاصيل الزّراعية، والتي تتركّز في مناطق متفرقة حيث تختصّ كلّ منطقةٍ بنوع معيّن من الزراعة، فنجد مزروعاتِ الحنطة وسائر الحبوب في أقاليم سهل أرارات وموش وفان. أمّا سهل أراكس *(Arax)* ،والأراضي المحيطة ببحيرةِ فان فهي معروفةٌ بزراعة الكرمة والأشجار المثْمرة ،وكذلك الزيتون في الحواف الشمالية لبحيرة فان ،كما تنمو في أرمينيا الفواكه البرية مثل التّوت والكرز ،كما تزدهر فيها الحياةُ النباتية بسبب الظروف المناخية السائدة على سفوح جبال أرارات وسوفان ونمرود داغ ،حيث تكثُر الحشائش[2]. كما تشتهر أرمينيا بزراعة العنب والتين والزيتون والرمان والجوز والكستناء والمشمش ،كما لا تخلو أرمينيا من الغابات ،ومن أهمّ الأشجار البرية نجد البلّوط، والصّنوبر ،وغيرها من الأشْجار البرية ،وتعتبر الأخشابُ المستخرجة منها من أجود أنواع الخشب[3].

وهكذا ،نلاحظُ من خلال ما سبق أنّ أرمينيا لا تتميّز بوحدة جغرافية ،حيث نجد فيها أراضٍ خصبة وأخرى قاحلة ،ومناطقَ مستوية ومرتفعة ،ومناطق أخرى ذات مناخٍ حارّ ،وأخرى يستمرّ فيها الشتاء لمدة ثمانية أشهر ،وهذا الوضع كان له آثارٌ إيجابية وسلبيّة على التّاريخ الأرمني ،أمّا بالنسبة للآثار الإيجابية ،فالطبيعة الأرمينية كما بينّا تتميّز بالقسوة ،هذه الخاصيةُ جعلت الأرمنَ يدافعون عن هويّتهم القومية ويتمسكون بها ،كما أن الموقع الجغرافي سمحَ لهم بربط أواصرِ الصّداقة بالحضارات المجاورة لهم ،أمّا سلبيًّا فتعدّ أرمينيا من حيث التضاريس منطقة طاردةً للسّكان فلا تسمح جغرافيّتها بإقامة دولةٍ مركزية[4] ،حيث توجد فيها مساحاتٌ شاسعة غير مأهولة بالسّكان ،كما أنّ موقعها على مُفترق الطّرق التجارية بين الشرق والغرب جعلها دومًا مطمعًا للغزاة عبر التاريخ، وهذا ما أفقدها وحدتَها وسيادتَها[5].

(1) عبد العزيز الشناوي، مرجع سابق، ص. 314.

(2) مروان المدور، مرجع سابق ، ص. 77.

(3) نفسه، ص. 78.

(4) رفعت محمد الإمام، **الأرمن في مصر**... مرجع سابق ،ص ص. 23-24.

(5) نفسه، ص. 24.

المطلبُ الثّاني: الأصولُ العرقية للأرمن:

يعتقد الكثيرُ من المؤرّخين أنّ الأرمن ينْحدرون من الشّعوب الهندو أوروبية ،أي أنّ أصولهم تعود إلى الشّعوب التي عاشت في وسطِ آسيا ،ثمّ هاجرت نحو الشّرق الأوسط وأوروبا ،وتدّعي هذه النظرية "أنّ الأرمن قدموا من أواسطِ آسيا عبر أوروبا ،ثمّ عبروا البوسفور ليستقرّوا في آسيا الصغرى[1]" ،وفي هذا السّياق هناك ثلاثُ نظريّات تناولت أصلَ الملّة الأرمينية ،وهي كالآتي:

النّظريةُ الأرمينية : يعتقدُ الأرمنُ الأوائل أنّهم ينحدرون من يافث ابن نوح ،فالتوراة تذكر في حادثة الطوفان بأنّ سفينة نوح قد رستْ فوق جبل أرارات بعد انحصار مياه الطوفان[2]، فاستوطن نوح وأسرتُه في البداية في أرمينيا إلّا أنّ أبناءه اتّجهوا نحو بابل .كما يدّعي الأرمن أنّهم ينتسبون إلى جدّهم الأكبر هايك الذي ضاق ذرعًا بطُغيان البابليّين فتمرّد عليهم ،وعادَ إلى جبل أرارات ودخلَ في حرب مع قائد البابليين انتصر فيها عليهم، ثمّ شرع في إقامةِ الأمّة الأرمينية ،وأصبح أوّل قائدٍ وحاكم للكيان الأرمني[3] ،وقد أطلق عليه اسم أرمينيا من طرف الأجانب نسبةً لبطش ملكِهم أرام السّابع بن هايك[4] ،وتبقى هذه النظريةُ مجرّد أسطورةٍ لا تستند إلى دلائل تاريخيّة ،والهدف منها هو إعطاءُ الأرمن مكانًا مميزًا في التقاليد الدينية المقدسة ،فنوح هو أبو البشرية الثاني الذي اختاره اللهُ لإعادة تعمير الأرض ،لذلك فإنّ الأرمن مثل اليهود الذين وقفوا في وجه البابليّين ،ويعيشون وفق قوانين الرّب[5].

النّظريةُ الإغريقيّة: تذكرُ المصادرُ الإغريقية أنّ أرمينيا أسّست على يد أرمينوس التيسالي *Armenus Thessalian* أحد العمالقة. إنّ المؤرّخين الإغريق الذين تحدّثوا عن الأرمن كلّهم كتبوا بعد ظهور الأرمن بفترة طويلة، إلّا أنّهم – قبل المؤرخين الأرمن بفترةٍ طويلة – قد تركوا عددًا من التّفسيرات التاريخية فيما يخص أصول الشّعب الأرمني ،ومن أكثر الروايات انتشارًا روايتا هيرودوت وسترابون[6] ،فبالنّسبة لهيرودوت فإنه يعتقد أنّ الأرمن

(1) أحمد فؤاد رسلان، مرجع سابق ، ص. 26.

(2) *Yves Teron, **Les Arméniens, Histoire d'un Génocide**, Edition du seuil, Paris, 1996, p. 17.*

(3) عبد العزيز الدروبي، أرمينية وتشكل الأمة الأرمنية، في كتاب **صورة أرمينية في المصادر العربية والأجنبية**، القاهرة ،2012 ، ص.188.

(4) **المرشد**، أرمينيا والأرمن، ع 21 ، الجمعة 22 مايو ، 1896، ص.1، القاهرة، **المذابح الحميدية (1894–1896)** ، المجلد الثاني، القسم الرابع، مطابع نوبار ، القاهرة، 2018، ص.ص. 70–71.

(5) أحمد فؤاد رسلان، مرجع سابق، ص. 27.

(6) جورج بورنوتيان، مرجع سابق ، ص. 26.

قدْ عاشوا في مقدونيا ،ومِن هناك عبروا مضيق البوسفور نحو آسيا الصغرى ثمّ تابعوا سيرهم إلى جبال أرارات ،ثمّ انتقلوا غرب نهر الفرات ،والتي أصبحت أرمينيا فيما بعد(1).

أمّا سترابون، فيعتقد أنّ الأرمن جاؤوا من اتّجاهين؛ جماعة جاءتْ من الغرب، والجماعة الثانية جاءت من الجنوب، فالأرمن – حسب قوله – ليْسوا من سكّان المنطقة الأصليّين، ويبدوا أنّهم جاؤوا بعد سقوط إمبراطورية الحيثيّين. في القرن 13 ق.م وسقوط أورارتو في القرن الثّامن ق.م ،هذا الأمر سمح للأرمن أنْ يقوّوا أنفسهم فيصبحوا بمثابة سكّان المنطقة الأساسيّين ،أمّا سكّان المنطقة المحليّون فقد ذابوا في العنصر الأرمني(2).

النّظريةُ الحديثة : اتّفق الباحثون أنّ الأرمن ينتمونَ إلى الشّعوب الهندوأوروبية ،والذين إمّا جاؤوا عن طريق منطقةِ بحر آرال ،أو أنّهم جاؤوا من البلقان ،وبعد أنِ استقرّوا في آسيا الصغرى تركّزوا حول الفرات ،واتّحدوا مع مملكةِ أورارتو ،وأصبحوا جزءًا منها إلى أنْ سقطت هذه الإمبراطورية(3) ،وحسب الباحثين فإنّ الأرمن قد اتخذوا اسمَ الإمبراطورية الحيثية عندَ هجرتهم مرورًا بأراضي الحيثيين(4).

كما ظهر اتجاهٌ آخر خلال العقودِ الأخيرة ،يذهب إلى احتماليّة أنّ الأرمن لم يكونوا مهاجرين جاؤوا إلى المنطقة ،وإنّما هُم جزءٌ من السّكان الأصليّين(5) للأناضول أو القوقاز الذين عاشوا في منطقة هاياسا *Hayasa* في شمال أرمينيا حتّى وصلت الهجراتُ الهندأوروبية ،وقد أخذ الأرمنُ بعضَ الكلمات من هؤلاء الوافدين الجدد الهندأوروبيين(6).

وفي النّهاية،لا بدّ من القول إنّ هناك مُسلّمة إثنولوجية مَفادها أنّ فكرة الوحدة العرقية أو النقاء العرقي هو محْضُ أسطورةٍ على الصّعيد العلمي – حتّى الآن على الأقلّ – فما بالنا بمنطقةٍ حاجزة ،ومعبر تجاري وثقافي، ومسرح

(1) *Ahmed Akgündüz, Said Öztürk, Recep Kar,* ***Sorularla Ermeni meselesi****, Istanbul, 2008, s. 23.*

(2) جورج بورنوتيان، مرجع سابق، ص ص. 26–27.

(3) أحمد فؤاد رسلان، مرجع سابق ، ص. 30.

(4) جورج بورنوتيان، مرجع سابق ، ص. 28.

(5) أحمد فؤاد رسلان، مرجع سابق ، ص. 30.

(6) جورج بورنوتيان، مرجع سابق، ص. 29.

نزاع عسكري ؛لذا فقدْ بقيت أصولُ الشّعب الأرمني زمنًا طويلًا غامضةً بالنسبة للمؤرخين ،ومصدرًا لمضاعفة الأساطير والفرضيات التي لا تقوم على أسسٍ علمية[1].

المطلبُ الثّالث: أوضاعُ الطائفة الأرمنية قبل الفتح العثماني:

إنّ الموقع الممتازَ الذي احتلّته أرمينيا جعلها محطَّ أنظار جيوش الإمبراطوريات القديمة ،الأمرُ الذي جعلها دائمًا تقعُ فريسةً للغزو ،فقبلَ الميلاد اهتمّ بها الآشوريون ثمّ الميديون ثمّ الفرس والرومان ،أمّا خلال المرحلة الميلادية فقدْ كانت محطّ أنظار الإمبراطوريات الفارسية والبيزنطية[2]. وفي هذا السّياق يمكن أن نقتبس "... تغيّرت حدودُ أرمينيا بتغْيير الأزمان وتقلّب الدّهور ،وبقيت بحيرة "فان" طول الزّمان داخل تخومها ،وبقيت المملكة زاهيةً مدّة طويلة ،وكانت عاصمتُها مدينة فان ،وكان ملوكُهم ذوي بأس وصولة ،وظلّوا كذلك ردحًا من الزمان ،وقد حفظت هذه الأمّةُ استقلالها إلى أنْ أخضعت نهائيًّا سنة 1375 ب.م ،وقد تناول الأحكام فيها الفرس والروس والأتراك، ووقع الجزءُ الأعظم بيَدِ التّرك ،وكانت في مدّة زهْوها من سنة 600 ق.م إلى سنة 400 ب.م مشتبكة في حرب الآشوريين والميديين والفرس واليونان والرومان"[3].

كلّ الإمبراطوريات التي ظهرتْ في الشّرق الأدنى قامت باحتلال أرمينيا –كما سبق وذكرنا – بما في ذلك الغزواتُ العربية، التي وصلتْ حتّى أرمينيا، وقد بدأت هذه الغارات في حدود 640 م، وقد تمكّنت من السيطرة على مُعظم أرمينيا. والذي ميّز الغزو العربي عن باقي الغُزاة أنّ العرب استوطنوا في أرمينية ،كما استوطنوا في المناطق التي استولوا عليها مثلَ سوريا وفارس وبلاد ما بين النّهرين ،أمّا باقي الغزاة كانوا يأتون بغرضِ السّلب أو لترسيخ هيمنة سياسيّة على منطقة الأناضول ،أو ما بين النهرين[4].

بعدَ هذا العرض المقتضب للأوضاعِ السّياسية ،التي سادت أرمينيا قبلَ دخولها تحت الإدارة العثمانية، نتطرّق للأوضاع الدينية لأرمينيا ،فهذه الأخيرة كانت سبّاقةً في اعتناق المسيحية ،وذلك قبلَ الإمبراطورية الرومانية، لتكون

---

(1) آني شابري ولورانت شابري ، **سياسة وأقليات في الشرق الأوسط**، ترجمة ،ذوقان قرقوط، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م، ص .305.

(2) يوسف إبراهيم الجهماني، **تركيا والأرمن**، دمشق، 2001، ص. 23.

(3) **المرشد**، مقال سابق، **المذابح الحميدية**...، مرجع سابق ، ص. 71.

(4) عزازيان هوري، **الجاليات الأرمنية في البلاد العربية (سورية، لبنان، العراق، فلسطين، الأردن، مصر...)** ، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا ،2000، ص29.

بذلك أقدمَ دولةٍ في التاريخ تعترف بهذه الديانة رسميًّا ،وقبل أنْ تعتنق المسيحية انتشرتْ بين الأرمن عبادات وثنية وذلك على غرارِ شعوب الحضارات المجاورة لهم ،وتمثّلت تلك العباداتُ في عبادة الشمس والقمر وبعض الآلهة التي أخَذوها عن الآشوريين(1). ومِن أشهر الآلهة التي عبَدَها الأرمنُ قبل اعتناقهم المسيحية الإله (أرامزدا) وهو سيد العقل وخالق السّماء والأرض ،الآلهة (أناهيد) أم الحكمة وحامية الأرمن جميعًا، والإله (واناندو) وهو إلهُ الغمر والفيْض والبركات والمزروعات ،والإله (ميهر) وهو إلهُ النّار والنور ،والإله (دير) إلهُ العلم والفراسة وكاتم أسرار الإله الأكبر (أرامزدا) ومساعده الأول(2).

كان اعتناقُ الأرمن المسيحيةَ من أهمّ الأحداث المفصليّة في تاريخهم ،فدخلوا بذلك مرحلةً جديدة طوّوا فيها صفحةَ الدّيانات القديمة المقْتبسة من الحضارات القديمة ،لمرحلةٍ جديدة رسمت بعضَ ملامح الهوية الأرمنية التي سوف تميزها عنْ باقي الشعوب .هناك العديدُ من الرّوايات التي تتحدّث عن كيفية تحوّل الأرمن إلى المسيحية ، ومن أهمّ هذه الرّوايات تلك التي يرويها المؤرّخُ الأرمني المعروف باسْم أجاثا نجيلوس ،حيث ذكر هذا الأخير أنّ الحروب التي خاضَها أحدُ الملوك الأرمن وهو خسرو الثاني ضدّ الأسرة السّاسانية الفارسية ،وقيام الملك الفارسي بتعيين خائن يدْعَى أناك لقتل الملك الأرمني مقابلَ وعدٍ بمكافأته، وقد تمكّن هذا الخائنُ من قتل خسرو ومعظم أفراد عائلته ،ولم ينجُ من الموت سوى صبيّين :ابن خسرو تردات ،وابن أناك الذي سيصبح في المستقبل جريجوري المنور *Gregory The Illuminator* والذي أخذ للعيش في قبادوكيا(3).

ذهبَ جريجوري رفقةَ مربّيته بعد مقتل والدِه أناك *Anak* إلى قبادوكيا، حيث احتضنه شقيق المربية الذي كان مسيحيًّا، وأخذَ على عاتقه تربية هذا الطفل على تعاليم المسيحية، وعندما بلغ جريجوري أشدَّه تزوّج في مدينة قيصرية من ابنة أمير أرمني، وكان مسيحيًّا بدوْره، ورزق منها ولديْن، لكنّه ترك زوجته وفلذات كبده لينصرف إلى التّبشير بالدّين الجديد. وقرر التوجّه إلى أرمينيا ،وقبل ذلك كان قد التقى بالملك تردات في القسْطنطينية ،فتقرّب منه ثم نشأتْ بينهما علاقةُ صداقة ،وعادا معًا لأرمينيا ،وقد حاولَ جريجوري جاهدًا جعْلَ الملك يعتنق المسيحية إلّا أنّ هذا الأخير بدا متمسّكًا بالوثنية ،حتى أنّه لما علم أنّ جريجوري يبشّر بالمسيحية سرًّا ؛أمر بسجنه(4).

---

(1) رفعت الإمام، **الأرمن في مصر**...مرجع سابق ، ص. 26.

(2) نقية حنة منصور، مرجع سابق ، ص. 54.

(3) جورج بورنوتيان، مرجع سابق ص ص. 61-62.

(4) *Canan Seyfeli,* ***Ermeni kilise merkezi Eçmiatzin****, çizgi kitabevi, Konya, 2015, s. 90.*

في هذه الأثناء–كما تذكر الرّواية الأرمنية – مرضَ الملكُ واشتدّ مرضه يومًا بعد يوم إلى أنْ أشرف على الهلاك، إلّا أنّ أخت الملك التي كانت مسيحيةً سرًّا قد جاءها – حسب الأسطورة – ملاكُ الربّ ووعدها بشفاء أخيها إذا أطلق سراح جريجوري، فهبّت من نومها مذعورةً وتوجّهت إلى أخيها، وقصّت عليه الرؤيا بحضور حاشيته، ولم يعرْها أيّ اهتمام. لكن بعدَ إلحاحها قام بإخراج جريجوري من السّجن ،ليقوم بمداواته ،وبالفعل شفي الملك واعتنق المسيحية ،وأعلنَها الدّين الرسمي للدّولة ،وعين جريجوري كبير أمناء سرّه[1]. وبذلك تكون أرمينيا قد اعتنقت المسيحيّة قبل روما ،وكان ذلك في سنة 301 م ،أمّا روما فكان ذلك في سنة 312 م ،أمّا فرنسا ففي سنة 496م ،وإنجلترا سنة 605 م ،وألمانيا سنة 805 م[2].

بعد إعلان المسيحية الدّيانة الرسمية للأرمن ،قام جريجوري المنور بتشْييد الكنائس على أرض الهياكل الوثنية التي هدمها ،وقد شيّد أوّلَ كنيسة في أرزنجان في نفسِ المكان الذي أقيمَ فيه هيكلُ كبيرِ الآلهة ،ثمّ شيّد بأمرٍ من الملك مدينة إيتشميادزين التي أصبحت المدينة المقدّسة والمركز الرّوحي للشعب الأرمني ،وأصبحت كاتدرائيتها ومازالت مقرّ الجثليق (الكاثوليكوس) وهو الحبرُ الأعظم للكنيسة الأرمنية[3] ،وأصبح يطلق على الكنيسة الأرمنية: "الكنيسة الجريجورية" ،أو كما يدعونها في لغتهم "الكنيسة المنيرة" (**لوسافار شاغان**)[4] .وقد كانت الكنيسة الغريغورية متّفقةً مع الكنيسة في روما إلّا أنّهما اختلفتا فيما بعد حول طبيعة المسيح[5] ،فالكنيسةُ الأولى تعتقد بأن المسيح ذو طبيعةٍ واحدة ،أمّا الكنيسة في روما فرضت هذا المعتقد ،ومنذ ذلك الوقت صارت للأمّة الأرمنية كنيسة مستقلة[6].

بالإضافةِ إلى اعتناق المسيحية شهد الأرمنُ حدثًا مهمًّا لا يقلّ أهمية عنه ،والمتمثل في ابتكار الأبجدية الأرمنية ،وقد كان الأرمنُ قبل ذلك يستخدمون الأبجديةَ اليونانية للتعبير الفني واللاتنية ونوع من الكتابة الفارسية للاتّصالات الرسمية والنّقوش ،والسّريانية للطقوس الدينية ،وكان غالبيةُ الأرمن لا يجيدون القراءةَ والكتابة[7] ،لذلك كانت نصوصُ الإنجيل غيرَ مفهومةٍ بالنسبة إليهم ،وهذا الوضع قد أثّر سلبًا على انتشار المسيحية ،التي بقيت

(1) *Canan Seyfeli, a.g.e, s. 91.*

(2) صالح زهر الدين، مرجع سابق ، ص. 41.

(3) أحمد فؤاد رسلان، مرجع سابق ، ص ص. 36–37.

(4) **الهدى**، من هم الأرمن؟، ديانتهم، ع 10، الجمعة 10 مارس 1916، ص ص. 115–116، الإسكندرية، **الإبادة الكبرى**... مرجع سابق ، ص. 140.

(5) *Joseph –André Gatte, **L'Arménie et les Arméniens**, Paris, 1882, p. 122.*

(6) **المرشد**، أرمينيا والأرمن، ع 21، المقال السابق، **المذابح الحميدية...** مرجع سابق ، ص ص. 72– 73.

(7) جورج بورنوتيان، مرجع سابق ، ص. 69.

سطحيّة مع بقاء الممارسات الوثنية ،كان هذا هو الدّافعَ الأوّل لابتكار الأبجدية الأرمنية ،أمّا الدافع الثاني فتمثل في محاولةِ ملوك الدّولة الساسانية التبشيرَ بالديانة المزدكية[1]. هذا الأمرُ دفع ببعض الشّخصيات الأرمنية الغيورة على دينها وقوميتها إلى التّفكير الجدّي بضرورة إيجاد أحرفٍ أرمنية ،فبعد الاجتماع الذي ضمّ الملك فرام شابوه *Vorm Shapuh*، والكاثوليكوس سحاق *Sahak* والقديس ميسروب ماشدوتس *Mesrop Mashdtos*، قرّروا تكليف ميسروب بإيجاد أحرفٍ أرمنية[2].

كان ميسروب قسيسًا وعالما واسعَ الاطّلاع ،وكان متمكّنًا من القانون الوضعي والفنون العسكرية ،وذلك قبلَ أن يتفرّغ للحياة الدينية[3] ،كما أنّه كان يتمتع بكفاءات أدبية ولغوية ،فضلًا عن إجادته اللغات الثلاث التي كانت مُنتشرةً وقتئذٍ ؛وهي اللاتينية الفارسية والإغريقية[4].

بعد أنْ تمّ ابتكار الأبجدية الأرمنية ،شهدت أرمينيا حركةَ ترجمة واسعة ،حيث تمّ نقل الكثير من الأدب الأرمني الشّفهي والمكتوب بلغاتٍ أخرى إلى اللّغة الأرمنية ،كما تمّ ترجمة نصوص الكتاب المقدس من الإغريقية إلى الأرمينية ،ويمكن تشبيه هذا الحدث بما وقعَ في ألمانيا في القرن السّادس عشر الميلادي ،عندما قام مارتن لوثر بترجمة الإنجيل إلى الألمانية ،إلّا أنّ التّرجمة النهائية للإنجيل لم تتمّ إلّا في سنة 435 م[5].

وفي الأخير، يمكن أنْ نعتبر ابتكار الأبجدية الأرمينية حدثًا مفصليًّا لا يقلّ أهمية عن اعتناق المسيحية، وقد لعبَ الدّافع الديني دورًا رئيسيًّا في ذلك. كما ساهم ابتكارُ الأبجدية في المحافظة على القومية الأرمينية واستقلال الكنيسة الأرمينية بعاداتها وتقاليدِها وطقوسها عن باقي الكنائس، سواء الشرقية أو الغربية.

أمّا من الناحية الحضارية فقد شيّد الأرمنُ عدّةَ مدن لعبت دورًا كبيرًا في الصناعة والتجارة ،مثل مدينة أرمافير *(Armavir)* عاصمة أرمينيا القديمة ،وحسب الأساطير القديمة فقد بنيت سنة 1980 ق.م ،ومدينة أرتاكساتا *(Artaxata)* ،وهي تبعد حوالي 35 كلم إلى الشمال الغربي من مدينة يريفان ،وعلى بعد 5 كلم من

---

(1) مروان المدور، مرجع سابق ، ص. 297.

(2) نفسه، ص. 298.

(3) جورج بورنتيان، مرجع سابق، ص. 70.

(4) نقية حنة منصور، مرجع سابق ، ص. 47.

(5) *Joseph- André, Op.cit, p. 67.*

شمال المدينة السابقة تقع مدينة دوفين *(Duvin)* ،وكانت عاصمة للدول الأرمينية خلال حكم الفرس والعرب[1] بالإضافة إلى مدينة آني *(Ani)* والتي تعرف بمدينة ألف كنيسة وكنيسة ،شيدت فيها القصور الفخمة والكنائس والمسارح وكانت مركزًا تجاريًّا كبيرًا[2] .بالإضافة إلى مدينة فان *(Van)* ،كما لا يجبُ أن نهمل ذكر مدينة بدليس *(Bitlis)* والتي تقع غربي فان ،وتحتل هذه المدينة موقعًا استراتيجيًّا بالنّسبة لطرق التجارة القادمة من بغداد إلى أضروم[3].

يمكن القول ،أنّه لم تكن هناك دولةٌ أرمينية مستقلّة ذات سيادة ،ثمّ احتلّها العثمانيون ،بل كانت – منذ الفتح الإسلامي الأوّل لها – مقسّمة إلى أجزاء تتبع عدّةَ دول أخرى ،لم يكن هناك ما يدْعَى بـ"أرمينيا الكبرى"، أو "المملكة الأرمينية " ،التي يذكرها كثيرٌ من المؤرخين الذين اهتموا بالشأن الأرمني في الماضي السحيق[4].

الظّروفُ التّاريخية والجغرافية التي عاشَها الأرمن لم تمكّنهم أن يبقوا على أيّ نوعٍ من الاستقلال بشكل مستمر،أو على شكلٍ ولاية أرمينية موحّدة ،ولكن كانت هناك — غالبًا – عدّة عائلات أرمينية من النبلاء سيطرت على بعض المناطق ،كإماراتٍ إقطاعية تابعة للإمبراطوريات المجاورة ،تعمل كحاجزٍ بين الإمبراطوريات القوية التي أحاطتهم ،بذلك ضمنت لهذه الإمبراطورياتُ خدماتها العسكرية ضدّ أعدائها[5].وأفضلُ مثال على ذلك هو عائلة البجراطيين *Baghratid* ،والذي قدّمها المؤرخون القوميون الأرمن كمثال ساطع على وجودهم التّاريخي المستقلّ، كانت هذه العائلة في الحقيقة تحكمُ تابعة للخليفة العباسي ،إذ قام الخليفة المتوكل بتوليةِ الأرمني أشوط البجراطي؛ حاكمًا على أرمينيا عام 856[6].

(1) مروان المدور، مرجع سابق ، ص. 80.

(2) *Elisée Reclus, Op. cit, p. 60.*

(3) مروان المدور، مرجع سابق ، ص. 80.

(4) انظر على سبيل المثال: فؤاد حسن حافظ: تاريخ الشعب الأرمني– ومحمد رفعت الإمام: القضية الأرمنية في الدولة العثمانية، مراجع سبق ذكرها.

(5) *Center for Strategic Research, **Armenian Claims and Historical Facts,** Ankara, 1998, P. 9.*

(6) فؤاد حسن حافظ، مرجع سابق، ص 124.

وفي نفس الاطار ،يقول المؤرّخ الأرمني أصلان كيفورك إنّ الأرمن عاشوا كأمراء وأعيان محليّين ،ولم يكن عندهم شعور الوحدة الوطنية ،ولم تكنْ بينهم روابط أو صلاتٌ كلاسيكية ،صلاتهم الوحيدة هي كونهم متجاورين في الإقطاعيات ،تلك فقطْ هي المشاعر القومية المحلية التي كانت لديهم(1).

المطلبُ الرّابع: دخولُ الأرمن تحت الإدارة العثمانية:

تعود الجذورُ التّاريخية للتواجد العثماني في أرمينيا إلى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي ،حيث تمكنوا من بسْط هيمنتِهم على القسْم الغربي من أرمينيا في عهد السّلطان بيازيد الأوّل (1388-1389م)(2) ،وتمّ الاستيلاء على أرمينية الشّرقية في القرنيْن التّاليين ،أي في عهد السّلطان محمد الفاتح (1451-1481م) والسلطان سليم الأوّل (1516-1520) ،وذلك بعدَ الحملة التي تغلب فيها على الدّولة الصفوية الفارسية والتي كانت تحكم أرمينيا الشّرقية(3).

يجدرُ بنا التّنويهُ هنا إلى أنّ الأرمن لم يكونوا متواجدين في غرب الأناضول ،وإنّما هاجروا إليها في عهد الدّولة البيزنطية خلالَ العصور الوسطى ،وأسّسوا جالياتٍ كبيرةً في بعض المدن خاصّة اسطنبول(4) ،كما أن محمد الفاتح بعد فتحِ القسْطنطينية سنة 1453 م ،بوقتٍ قصير قام بنقل أعدادٍ كبيرة من الأرمن من الأناضول إلى اسطنبول، وكان ذلك نتيجةَ هروبِ قسمٍ كبير من العلماء والأغنياء الرّوم إلى الغرب ،حيث لعبوا هناك دورًا كبيرًا في بداية النّهضة الأوروبية(5) ،فلم يكنْ أمام السّلطان محمد الفاتح من مخرجٍ لإعادة بناء المدينة ومضاعفة عدد سكّانها ،إلّا بإحضار أرباب الحرف والتجّار من الأرمن واليهود من مناطق متفرّقة من الأناضول نحو اسطنبول ،مثل :كيليكيا، أربكير ،وبورصة وأماسيا ،هذه السّياسة التي انتهجها محمد الفاتح ،استمرت في عهدِ خلفائه، وكانت النتيجةُ استقدام عددٍ كبير من الأرمن من تبريز ونهجوان ومناطق أخرى نحو اسطنبول(6).

ليسَ هناك تاريخٌ محدّد يتّفق عليه المؤرخون حول بداية العلاقات العثمانية الأرمينية، فهناك مَن يُرجعها لعهد السّلطان أرخان (1326/ 1362م) فعندما تمكّن هذا الأخيرُ من الاستيلاء على بورصة، واتّخذها عاصمة له،ساعد

---

(1) *Aslan Kevork**, L'Armenie et les Armenians,** Istanbul, 1914, p.24.*

(2) محمد الشناوي، مرجع سابق ، ص. 315.

(3) فؤاد حسن حافظ، **تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتى اليوم**، القاهرة، 1986، ص. 177.

(4) جورج بورنوتيان، مرجع سابق ، ص. 194.

(5) *Murat Bebiroğlu.**, tanzimttan II Meşruteyete Nizamnameleri**, Istanbul, 2003, s. 10.*

(6) *Vartan Artinian, **Osmanli devletinde Ermeni anayasası doğuşu (1839-1863)**, Istanbul. 1980, s. 80.*

الأرمن على تشكيل مجتمعٍ مُنفصل خاصّ بهم في الأناضول بهدف حمايتهم من البطش البيزنطي ،كما قام بنقْل مركزهم الرّوحي الذي كان في كوتاهية إلى بورصة. وهناك مَن يُرجع بدايات هذه العلاقة إلى محمد الفاتح الذي أوجد منصبَ البطريك الأرمني للقسطنطينية ،لذلك قامَ بتعيين الأسقف هوفاكيم من بورصة كأوّل بطريك للأرمن في الإمبراطورية العثمانية سنة 1461 م ،وقد تمّ إنشاءُ هذه البطريكية في دير صولو *SuluManastarı*، والذي يقع في سماتيا *Samatya*[1]. إلا أن جاثليق اتشميادزين يمثل السلطة الدينية العليا التي يخضع لها كل الأرمن ،إلى جانب جاثليق سيس ،وبطريركية القدس ، أما بطريركية إسطنبول لم تكن سوى همزة وصل بين الملة الأرمنية والسلطان العثماني.[2]

انتظمَ الأرمن بعد تأسيس بطريركيّتهم في اسطنبول، مثل باقي الشعوب الخاضعة للإمبراطورية العثمانية في شكْل طوائف دينية مُنفصلة سمّيت بالملل، كلّ ملّةٍ كانت تحت إشراف قائد ديني خاصّ بها، وكانت الملة ذاتية الحكم، إذْ كان مسموحًا لها الاحتفاظ بمؤسّساتها الخاصّة، مثل: المدارس والجمعيات الخيرية والمستشفيات، كما أنّها كانت مسئولة أيضًا عن القانون والنّظام، وعن حلّ النزاعات داخل الجالية. وبما أنّ السلطان قد وافق على البطريرك الأرمني فقد مارسَ هذا الأخير ،سلطتَه الكاملة على أفراد جاليته ،حيث كانت له محكمته الخاصّة واستطاع تنفيذ العدالة المدنية والدينية بين جاليته ،كما كان يحتفظُ بقوّة شرطة صغيرة وكذلك السجن[3].

وهكذا عاشتِ الجاليةُ الأرمينية في ظلّ الدولة العثمانية قرونًا طويلة من غير أن تكون لها مشاكل، لها بطريركيّتها الخاصّة بها، على غرار الملل الأخرى. بالرغم من أنّ هذه البطريركية لم يكنْ لها تأثيرٌ روحاني كبير على الأرْمن لأنّها كنيسة عثمانية أكثر ممّا كانت كنيسة وطنيّة إنْ صحّ التعبير، إلا أنها لعبت دورًا سياسيًّا بالدّرجة الأولى، حيث كانت واسطة بين الأرمن وبين الدّولة العثمانية، وهذا بخلاف مركز إتشميادزين الذي كانت له سلطة كبيرة على الأرمن، والذي يرجع تأسيسه للأبِ الروحي للمذهب الغريغوري، وهو غريغوري المنور- كما سبق وأشرنا-.

هناك حقيقةٌ تظهرها سجلّات التحرير العثمانية ،وهي زيادةُ عددِ الأرمن زيادةً كبيرة في مقاطعات الأناضول بعد فتحِ العثمانيّين شرق الأناضول ،الأمرُ الذي جعل الأرمنَ يجدون فرصةً كبيرة لممارسة أنشطة تجارية وفلاحية

(1) *Erdal Llier*, ***Ermeni kilisesi ve terör***, *Ankara, s.26-28.*

(2)*Yves Ternon,Jean-Claude Kebabdjian* ***,l'Arménie d'antan ,Voyage à travers l'Arménie d'avant 1915***,*HC Editions ,Paris,2015,p.16.*

(3) جورج بوتيان، مرجع سابق، ص.197.

واسعة في الأناضول إبّان الحكم العثماني(1). بل إنّ هذه الهجرات كانت مستمرّةً منذ بدايات قيام الدولة العثمانية، مما يمكنُ اعتباره أوّلَ دخول أرمني رسميّ تحت الحكم العثماني(2).

إذًا، بعدَ قرون من التّعايش السّلمي بين الأرمن والدولة العثمانية، استطاع الأرمن أنْ يتبوءوا مركزًا متميزًا بين سكّان الإمبراطورية، فاضْطلعوا بمناصبَ حسّاسة في الدولة، قدموا من خلالها خدمات جليلة لها، إلى درجة أنهم أصبحوا يعرفون بالأمّة المخلصة، أو بالتّعبير العثماني **"مللت صادقه"**. وفي نفس السياق يمكن أن نورد ما ذكره اللورد ليونيز عن وضعَ الأقليات العثمانية ،ففي يناير 1868م أرسل القنْصل بلجريف إلى لورد ستانلي من ترابزون يقول: "إنّ المسلمين يزرحون تحتَ أعباء مضنية ،ولن تفلح الدولةُ العثمانية في إصلاح ذاتِ بينها ،حتّى يتمّ توزيع هذه الأعباء على عاتق المسلمين والمسيحيّين ،بالتّساوي عن طريق تخفيف الخدمة العسكرية الإلزامية بإدْخال المسيحيّين فيها ،وعن طريق إدارةٍ مُنصفة وإيلاء بعض الاهتمام لمصالح الأقاليم والمخلصين الكادحين من الشّعب، وليس فقط أولئك الذين ينحصرُ همّهم في المكائد وجمع المال، فإن الحكومةَ العثمانية متّهمة اتهامًا خطيرًا ،وهو قمعُ رعاياها من المسلمين لصالح المسيحيّين ،ويؤسفني أن أؤكّد صدق هذه التّهمة"**(3).**

---

(1) **Tahrir Defterleri, Başbakanlık Arşivi, Bulunan, TD 64, ve TD, 99 S' dir**.

(2) أحمد عبد الوهاب الشرقاوي ،**أبعاد المشكلة الأرمنية وأثرها في تركيا الحديثة**، رسالة دكتوراه غير منشورة، مصر ، جامعة الزقازيق، 2010م، ص 57.

(3) نفسه، ص 62 .

الفصلُ الأوّل

الأوضاعُ العامة للأرمن في الدّولة العثمانية

المبحثُ الأوّل: الأوضاعُ الديمغرافية للأرمن في الدولة العثمانية.

المبحثُ الثّاني: الأوضاعُ الاقتصادية للأرمن في الدولة العثمانية.

المبحثُ الثّالث: الأوضاعُ الاجتماعية للأرمن في الدولة العثمانية.

المبحثُ الرّابع: دورُ الأرمن في الدولة العثمانية.

المبحثُ الأوّل: الأوضاعُ الديمغرافية للأرمن في الدولة العثمانية

المطلبُ الأوّل: الجذورُ التّاريخية للإحصاء في الدولة العثمانية.

المطلبُ الثّاني: السكّان الأرمن في الدولة العثمانية.

المطلبُ الثّالث: التّوزيع الديمغرافي للأرمن.

ضمّت الدولةُ العثمانية (1299-1923 م) (698 – 1342 هـ) في بوتقتها مجموعةً كبيرة من التّشكيلات الإثنية ،والأقليّات الدينية ،هذه الأخيرةُ بدأت في نهاية القرن 19 م في خلق اضطرابات ؛فظهرت الثّوراتُ والتمرد في المناطق المكتظّة بالأعراقِ المختلفة ،بعضها كان يهدُف للتوحّد مع أبناء الجلدة الواحدة ،مثلما حدثَ مع اليونانيّين ،والبعضُ الآخر كان يهدفُ لتأسيس دولةٍ مستقلّة كما هو الحال لدى الأرمن(1).

الأطرافُ المطالبة بالأرض، أو الانفصاليّين، أنتجوا أرقامًا مختلفة متعلّقة بالسكان بهدف إظهار أحقيتهم في الأرض، هذا الأمرُ دفع بالإدارةِ العثمانية إلى القيام بإحصائيّات، وإنْ كان ليس الهدف منها إثبات أحقية مجموعةٍ إثنية على حساب أخرى، وإنما كان يستندُ إلى دوافع أخرى سوف نتطرّق إليها – لاحقًا –. ولا يفوتنا في هذا السّياق التذكير بأنّ الدولة العثمانية قد عرفت منذُ وقتٍ مبكّر الإحصاء، لكنّه يختلف جذريًّا من حيث الشّكل والمضمون والوسائل عنِ الإحصاء الذي سوف تتّبعه في نهاية القرن 19 م، وفي هذا الصّدد تستوقفنا مجموعةٌ من الأسئلة الملحّة: ما هي الجذورُ التاريخية للإحصاء في الدولة العثمانية؟ ما هي أهمّ الإحصائيات التي قامت بها؟ وما هو عددُ السّكان الأرمن في الدولة العثمانية؟ وتوزيعهم الجغرافي في شرق الأناضول وفي إسطنبول؟

المطلبُ الأوّل: الجذورُ التّاريخية للإحصاء في الدولة العثمانية

إنّ الباحثين الأتراك يرجعون الإحصاءاتِ الرسميةَ العثمانية إلى ما قبل القرن 19م ،حيث كانت الدولةُ العثمانية تعتمد في أخْذ معلوماتها عن السّكان على الأرقام المحررة في سجلّات التحرير الخاصة بالأشخاص المكلّفين بالضرائب وكذا المعافين منها ،وذلك خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر(2) .وعندَ النّظر إلى سجلّات التحرير الخاصّة بالدولة العثمانية ،نجد أنّ الموظفين بها كانوا يسجلون السكان على حسبِ الدّيانة التي يدينون بها ،أي يسجّلون أتباع كلّ دينٍ على حدة ،وكانت توجد جماعاتٌ لا تنتمي إلى المسيحية ،ولكنّها كانت مسجّلة تحت بند المسيحيّين بل احتوتْ تلك السّجلات على مَن لا ينتمون إلى أيّ دينٍ سماوي. كتلك الجماعة "الشّمسية" أو "الشّمسيون" كما سمّاهم الراهب الرحالة (سيمون) وهُم يعيشون في ماردين وأرضروم ،وهُم قومٌ وثنيون إلّا أنّهم أجابوه بأنّهم أرمن.(3)

---

*(1) Mehmet Okur , <u>Osmanli devleti' nin son yüzyılında Karadeniz bölgesi' nde Türk, Rum ve Ermeni nüfusu</u>, **Tarihte Türkler ve Ermeniler Ermeni nüfusu kilisesi misyonerlik**, Cil 08, Türk Tarih Kurumu, Ankara, 2014, s . 30.*

*(2) Musa Çadırcı, "<u>1830 Genel Sayımına Göre Ankara Şehir Merkezi Nüfusu Üzerinde Bir Araştırma</u>", **the journal ottoman studies** , Istanbul, 1980 ,s.109.*

(3) محمد حرب ،**رحلة الراهب سيمون إلى مصر والشام**، كتاب الهلال، القاهرة، 2007م، ص 84-86.

اعتمدَ المؤرخون – خلال دراستِهم للأوضاع الديمغرافية في الدّولة العثمانية في القرن 16 م – على دفاتر الطّابو ،بالرّغم من أنها لا تتّسم بالدقّة لأنّها لا تسمح لهم بأخذ نظرةٍ شاملة عن الوضع السكاني للدولة خلال الفترة التاريخية السّالفة الذكر ،وقد كانت مرتبطةً بعددِ البيوت (*hane*)،وعدد العزاب الذين لا تشملهم الضّرائب، مثل: محصّلي الضرائب ،وخطباء الجوامع والأئمة ،والعميان والمعلولين والشيوخ ،كما تضمّ هذه الدفاتر المكلّفين جميعًا ؛ سواء المسلمين أو غير المسلمين ،لذلك لم تهملْ تسجيلَ أيّ شخص[1].

إنّ وضع دفاتر الطّابو تسنده دوافعُ اقتصادية بالدّرجة الأولى، حيث تمّ الاحتفاظ بها لاعتبارات ضريبية. لذلك أعطتِ الدّولة العثمانية أهميةً كبيرة للمحافظة على هذه الدفاتر لما ضمّته من معلومات ضريبية دقيقة ،في وقت شكّلت فيه الضرائب أهمَّ رافدٍ من روافد الاقتصاد العثماني[2]، والمعلومات المسْتقاة من هذه الدفاتر تتيح للباحث التعرّف على المنتسبين إلى مختلف الطوائف الدينية وأعدادهم من مختلف الطبقات ،وتشكّل بهذا الصدد أهمّ دليل، لأنّه كان يوجد في نفس الوقت المساجدُ إلى جانب الكنائس والبِيَع ،وكان إلى جانب أوقاف المسلمين أوقاف المسيحيين ،كلّ ذلك كان مقيدًا في تلك الدفاتر ممّا يتيح للباحث التعرّفَ على الثروات التي تملكها كلّ مجموعة دينية ،كما أنّها تلقي نظرةً على البنية الديمغرافية ،إلى جانب هذه النتائج المستخلصة من هذه الدفاتر والعائدة للقرن 16 م ،يمكن أنْ نعتبرها حجرَ الزاوية لمعرفة ديمغرافية النفوس التي كانت موجودةً في الأناضول في القرن 19 لأنه من الطّبيعي أنْ تنعكس نسبُ النفوس التي كانت في القرن 16 م على نسب النفوس في القرن الأخير[3].

بالرّغم من ذلك ،لا مفرّ هنا من الإقرار بأنّ دفاتر الطابو لا تخلو من الثغرات ،حيث نجد أنّ هذه الدفاتر سجّلت اليهود والسّريان ،الذين يعيشون في شرق الأناضول تحت اسم أرمينة « *Erâmine* »[4] ،لكن السكان المسلمين لم يختلطوا ضمنَ فئةٍ غير مسلمة ؛فغير المسلمين كانوا يسْكنون في أحياءَ خاصّة بهم ضمن جماعات أخرى[5]
.

(1) يوسف حلاج أغلو، **تهجير الأرمن (1914–1918)** ، **الوثائق والحقيقة** ، ترجمة ، أورخان محمد علي، الطبعة الأولى، بيروت، 2010 ، ص. 26.

(2) *Servet Mutlu, "Osmanli nüfusu", **Türk- Ermeni ihtilafi makaleler,** n°: 112, TBMM kültür ve sanat yayın Kurul yayınları, Ankara, 2007, s. 352.*

(3) يوسف حلاج أغلو ، المرجع السابق ، ص. 27.

*(4) Ince Erdoğan Dilşen, **Amerikan misyonerlerinin faaliyetleri ve van Ermeni isyani (1896).** IQ Kültür Sanat, Istanbul, 2008, s. 248.*

(5) يوسف حلاج أغلو، المرجع السابق، ص 27.

مِن خلال ما سبقَ ذكره، فإنّ دفاتر الطّابو كانت مثلَ سجلات التحرير، حيث لم يكن هدفها الأساسي هو إحصاءَ السكان؛ لذلك كان لزامًا الانتظارُ مدّة زمنية طويلة من أجل القيام بإحصاءٍ رسمي لتحديد عدد السكان فحسب.

أوّلُ إحصاءٍ سكّان عام وضبط الأراضي تحقّق في عهد السلطان محمود II سنة 1830 ،لكن الدافع الأساسي لهذا الإحصاء هو ضمانَ جمع الضرائب بصفةٍ منتظمة[1] ، وبدافع تأسيسِ جيشٍ جديد بعد القضاء على أوجاق الانكشارية ،حيث ظهرت حاجةٌ ماسّة إلى معلوماتٍ صحيحة بخصوص سنّ وعددِ السكان الرجال. قامت الدّولة العثمانية بهذا الإحصاء بعدَ ربع قرْنٍ فقط من بداية تطبيق إحصاء النفوس في الولايات المتحدة الأمريكية، وإنجلترا وفرنسا[2] ،وكان هذا الإحصاءُ جزئيًّا ،استهدف فئةً من المجتمع العثماني ؛وهي فئة الرجال ،وفي السياق نفسه لا بدّ من التّنويه إلى قيام الدّولة بإنشاء مصلحةِ سكّان منفصلة سنة 1835 ،1838 ، 1844م. وقد ظلّت هذه المصلحة تشتغل لمدّة 10 سنوات ،ثمّ قامت الدولةُ العلية بإلغائها. مع العلم أنّ موظفي المصلحة قد واصلوا أداءَ مهامّهم في مراكز هامّة في الإمبراطورية[3].

لا ريبَ أنّ إحصاء السكان بعد التّنظيمات اكتسى أهميةً كبيرة على الصعيد الاقتصادي ،ففي سنة 1855 م أصبحت الخدمةُ العسكرية إجبارية ،وقبلَ هذا التاريخ لم تكن تطبّق على أيّ مسيحي ،فالمسيحي الذي لا يرغبُ في أدائها يدفع ضريبةً بدلَ القيام بالخدمة العسكرية ،وهي موسومة بـ "ضريبة البدل " مما جعل هذه الأخيرة مصدرًا من مصادر الدّخل الجديدة ،من أجل تموين الوظائف التي استحدثت بعد التنظيمات ،أمّا على الصعيد العسكري استعملَ في إحصاء الشّباب لتجنيدهم في جيشٍ حديث لمواكبة الجيوش الأوروبية[4].

1- إحصاءُ السّكان العامّ في عهد السلطان عبد الحميد II :

أعطى السلطانُ عبد الحميد الثاني تعليماتٍ للقيام بإحصاءٍ جديد للسكان حسب المعايير الدولية المتعارَف عليها آنذاك، وهذه الخطوةُ التي أقدَم عليها السلطان يمكن أنْ نعزوها لعدّة أسباب، ولعلّ أهمّ هذه الأسباب ما يلي:

---

(1) *Musa Çadırcı, a.g.m, s. 110.*

(2) *Sevret Mutlu, a.g.m, s. 352.*

(3) *Sevet Mutlu ," Son dönemde Osmanli nüfusu ve etnik dağılımı",* ***Tarehte Türkler ve Ermeniler Ermeni nüfusu ve kilisesi misyonerlik****, cil 08, Ankara, 2014, s . 34.*

(4) *Servet Mutlu,Osmanli... a.g. m, s. 35.*

- بعدَ تسلّم السلطان عبد الحميد II مقاليدَ الحكم سنة 1876 ،كانت البلاد تعيش ضائقة مالية وفوضى سياسية ،ومما لا مراءَ فيه أنّ مجالات الاستفادة من الإحصاء متعدّدةٌ ومتشعّبة ،ومِن ضمنها الاقتصادية، فالدولةُ كانت تنظرُ إلى الرعايا المسيحيّين من منظور اقتصادي (جمع الضرائب) ،أمّا المسلمين فكانت تنظر إليهم من منظورٍ عسكري (التجنيد)(1).
- لا ريب أنّ التّغيير الحاصل على مستوى العلاقات الدولية والمتمثّل أساسًا في بداية الحرب العثمانية الروسية، وتفوّق هذه الأخيرة بتوقيعِ معاهدة برلين 1878 م ،قد ترتّب عليه وصول موجات من المهاجرين تدفقت من كلّ مكانٍ تقريبًا ،من رومانيا والجبل الأسود وصربيا وبلغاريا ،سوف تكون هذه الموجة مهمّةً عامي (1876-1879 م) ،وبعد هذا التّاريخ ستتراجع ،ولكنْ دون أن تتوقّف بالكامل ،أضف إلى ذلك موجات المهاجرين الذين واصلوا المجيء مِن القوقاز ،فقد وصل عددُ الشراكسة الذين جاؤوا للاستيطان في الإمبراطورية العثمانية ، بين عامي (1881-1914 م) إلى نحو 500.000 نسمة كما سيلجأ إلى الدولة العُثمانية مجموعات صغيرة من تاتار القرم وتاتار قازان الآذريين ؛هربًا من السياسة القمعية التي اتبعها القيصر الروسي ألكسندر الثالث. ومن أجل التكفّل بنقل المهاجرين وتنظيم توْطينهم وتلبية احتياجاتهم ،تم إنشاءُ لجنة شئون المهاجرين(2).

لكي تتمكّن الدولة من تحقيق إحصاءٍ يحمل مواصفات ذلك العصر ،نجد أنّها تتّجه نحو الخارج ،حيث أحضرتْ من أجل هذا الغرض الخبيرَ الفرنسي الذي يطلق عليه *M.Bollond* ،هذا الخبير أراد وضع نظام إحصاءٍ جديد ،فبحث مناهجَ إحصاء السكان التي كانت متّبعة من قبل ،فخلص إلى نتيجة مَفادها أن النظام القديم المتّبع مقبولٌ ،وأنّه كان مناسبًا لظروف الإمبراطورية(3).

2- إحصاءُ النّفوس لسنة 1881 م/1298 هـ :استنادًا للإرادة السّلطانية الصادرة بتاريخ 5 تموز 1881 م/1298 هـ حول القيام بإحصاء السكان العام في جميع أنحاء الإمبراطورية(4) ،ووعيًا منها بأهميّة هذه الخطوة اتّخذت الدولةُ العثمانية جملةً من الإجراءات ،ولعلّ أهمّها يتمثّل فيما يلي:

- إصدار القانون التأسيسي لسجلّ النفوس، وقد وضع حيز التنفيذ بموافقة السلطان سنة 1881 م/1298هـ.

---

(1) *Sema Küçük Söz, **Tebe'A-i-Sâdika Ermeniler**, Tek yayıncılık, Istanbul, 2006, s. 44.*

(2) روبير مانتران، **تاريخ الدولة العثمانية**، ترجمة بشير السباعي، ج2، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1993، ص 192.

(3) *Servet Mutlu, Son dönemde...a.g.m, Op.cit, s. 37.*

(4) *Ki young Lee, **Ermeni Sorunu ' nun doğuşu,** birinci baskı, T.C, kültür. Bakanlığı, Ankara, 1998, s.* 38.

- مِن أجل توفير المعْطيات العامّة والراهنة بخصوص إحصاء السكان الذي سوف يجرى، أعطيت تعليمات بتسجيل المواليد والوفيات، وحالات الزواج والطلاق بصفة متواصلة، وحتّى الذين يغيّرون محلّ الإقامة شرع في تسجيلهم بشكل محلي.
- وضع وثيقة رسمية للنفوس "وثيقة النفوس " ممضية ومختومة لكلّ شخص، هذه الوثيقة أصبحت إجبارية، ويشترط إظهارها من طرفِ الجميع، في البلدية أو مراكز الشرطة، وحتى المسافر إلى الخارج أو في داخل الإمبراطورية العثمانية، وحتّى عند المثول أمام المحاكم، ويمكن تشبيه هذه الوثيقة ببطاقة الهوية. وكل شخص يتهرّب من استخراج هذه الوثيقة – وخاصّة الرجال الذين يكونون مقبلين على الخدمة العسكرية– يتمّ معاقبتُهم بالحبس ، أو بدفع غرامة مالية ،وفي حالة ما إذا تمّ مصادفة شخص لا يملك هذه الوثيقة ،يمنع من ممارسة أيّ نشاط رسمي وينقل فورًا إلى العسكرية(1).

أولى نتائج الإحصاء بدأت تؤخَذ في سنوات (1884-1885 م) (1301-1302 هـ)، لكنّ نتائج إحصاء الكثير من الولايات لم تنتهِ إلى غايةِ الفترة المتراوحة بين سنوات (1886-1887 م) ،حيث قام الصدرُ الأعظم جودت باشا بتقديم نتائج الإحصاءِ إلى السّلطان ،في تاريخ 17 أغسطس 1893 م الموافق لـ 05 صفر 1315 هـ في شكل مجلّد ،بعد أن تمّ جمعُ نتائج الإحصاء التي أماطت اللّثام عن واقعٍ ديمغرافي جديد بدأت تتّضح معالمه بالتدريج(2).

ومِن مزايا هذا الإحصاء الذي يختلفُ كثيرًا عن سابقه، أنّه أعطى معلوماتٍ مفصّلة، كما أنه حدّد – بشكل مُنفصل – الرجالَ والنساء، كلّ على حدة وحتّى الأطفال، فضلًا عن هذا فقد حدّد غير المسلمين حسب مذاهبِهم. وفي هذا الإطار نسوقُ بعضَ نتائج هذا الإحصاء:

جدول (01): عددُ السّكان العثمانيّين المُحصى سنة 1885م/1302هـ(3):

	المسلمون		غير المسلمين		المجموع
أوروبا	1.836.421	%57.20	1.373.222	%42.8	3.209.643
آسيا	10.671.837	%82.30	2.289.267	%17.78	12.961.104
الجزر	27.480	%10.40	236.109	%89.60	263.590
اسطنبول المدينة	384.910	%44.18	488.655	%55.90	873.565

(1) *Servet Mutlu,Osmanli.. a.g.m, s. 335.*
(2) *Ki young Lee, a.g.e, s. 38.*
(3) ***Dictionnaire de l'empire Ottoman**, Librairie Arthème Fayard, France, 2015, p. 341.*

ضواحي اسطنبول	40.455	%50.18	40.247	%49.90	80.702
المجموع	12.961.104	%74.50	4.427.500	%25.50	17.388.604

في ضوء النّتائجِ الموجودة أعلاه، يمكن ملاحظةُ ما يلي:

- تعتبرُ هذه الأرقامُ نتائجَ إحصاء 1881 م، ولعلّ سائلًا يسألُ هنا: لماذا جاء عنوانُ الجدول "إحصاء السّكان العثمانيّين المحْصَى سنة 1885 ، فلقد سبق وأشرْنا أنّ نتائج هذا الإحصاء لم تؤخذْ إلّا خلال الفترة المتراوحة بين (1884 م-1885 م) (1301 هـ-1302 هـ).
- هذه الأرقامُ تشي بوجود نسبةٍ كبيرة للمسلمين مقارنةً بغير المسلمين، وهي على التوالي ثلاثة أربا ع، وربع عدد السّكان الإجمالي، معناه أنّ عددَ المسلمين يفوق بكثيرٍ عددَ غير المسلمين، بالرّغم من إهمال القيام بإحصاءٍ في بعض البلدان العربية، إذًا التعدادُ الحقيقي للمسلمين يفوق بكثيرٍ الأرقامَ المعلَنَة في الجدول.
- في السياق ذاتِه، لا بدّ من التنويه إلى تزايدِ غير المسلمين في إسطنبول المدينة بنسبةٍ تصل إلى 55.90% نتيجةً للازدهار الاقتصادي للمدينة، وفي المقابل نجد أنّ هذه الإحصائيات لم تشملِ المهاجرين المسلمين الذين وفدوا إلى إسطنبول لأنّهم لم يكونوا مسجّلين.

3- التّعدادُ الثّاني للسّكان (1905- 1909 م) (1322 هـ-1326 هـ) :

لقد تمّ إجراءُ هذا الإحصاء لتصحيح أخطاءِ الإحصاء الأوّل ،وانتهى مع ثورة تركيا الفتاة(1)، هذا الإحصاءُ أجْري في نفس الإطار الدّيمغرافي والإداري ،وانتهج نفسَ الأساليب التي استُعْملت قبل 22 سنة ،ممّا جعله يواجِهُ نفسَ العقبات ،وتفيد نتائجُ هذا الإحصاء إلى أنّه لم يطرأ فيه تغييرٌ مهمّ مقارنةً بإحصاء 1881، حيث بلغ عددُ سكّان الإمبراطورية الذين تمّ إحصاؤهم خلالَ هذه المرحلة كما سبق وذكرنا؛ 17.388.604نسمة ،أمّا الإحصاءُ الثاني فقد قدّر تعداد السّكان بـ 20.884.630 مليون نسمة ،بنسبةِ نموٍّ سنوية تصلُ إلى 10‰ (2).

هذه الإحصائيات لم تكن تعبيرًا دقيقًا عن الواقع الديمغرافي في كافّة أنحاء الدولة ،وهذا يعود لوجود ثغرات في التّعداد الأوّل انعكستْ على التعداد الثاني ،وفي هذا الإطار سوف نسوقُ مثالًا : هو عدم إدراج كلّ مناطق

(1) *Frédéric Hitzel, **Le dernier siècle de l'empire Ottoman,** Société d'édition les belles lettres, Paris, 2015, p. 70.*

(2) ***Dictionnaire de L'empire Ottoman**, Op.cit, p. 341.*

الدّولة العثمانية ،فقد استثنيَ من هذا الإحصاء اليمنُ والحجاز وطرابلس الغرب ومصرُ وتونس(1) ،وهذا راجع في اعتقادنا لعدم وجود حركاتٍ انفصالية في هذه المناطق مقارنةً بالأناضول ،والجزء الأوروبي من الدولة ،أضف إلى ذلك الأوضاعَ الاقتصادية الخانقة التي كانت تعيشها الدولةُ والتي لا تسمح بإجراء إحصاءٍ في هذه المناطق، فالإحصاء يتطلّب فتحَ مناصب عملٍ جديدة ،وهذا يحتاج ميزانيةً إضافية.

بالرّغم من أنّ التّنظيم الجديد المعمول به في الإحصاء، والذي حمله تيارُ الحداثة من أوروبا؛ أصبح إدخالُ النّساء والأطفال لا بدّ منه، إلّا أنّه وقعت عراقيلُ حالت دون إحصائهم إحصاءً دقيقًا، بالرغم من ذلك هذه الإحصائيات تضمّنت معلوماتٍ بالغةَ الأهمية.

كما يوجد مناطقُ تعذّر الوصولُ إليها ،فلم يتمّ إحصاء سكانها ،فضلًا عن ذلك كثير من المسيحيين – خصوصًا الأرمن – كانوا يتهرّبون من التّسجيل لكي لا يتمّ تجنيدُهم ،أو لكي لا يدفعوا ضريبة البدل ،حيث كانوا يدفعون جوازات سفر أجنبية(2).

في الإحصاءيْن السّابقين أعطيت أهمية كبيرة لبطاقة النّفوس التي لم يقتصرِ استخدامُها على الإحصاء ،بل تعدّى استعمالها إلى مجالاتٍ أخرى ،مثلًا عند شراء ملكية أو تحويلها ،أو عند الشّروع في العمل في وظائف رسمية أو غير رسمية ،وحتّى عند القيام بالتّسجيل في مدرسة خاصّة ،أو مدرسة حكومية ،كذلك عند تقاعدِ عاملٍ ما أو من أجل أخْذ معاش التّقاعد ،إذًا أصبح إجباريًّا إظهارُ بطاقة النفوس ،وكلّ مَن يقوم بتزوير هذه الوثيقة ،أو يضيفُ معلومات خارجَ اختصاصاته يتعرّض لعقوبات شديدة(3).

المطلبُ الثّاني: السّكان الأرمن في الدولة العثمانية:

بتتبّعنا لعملية الإحصاء في الدّولة العثمانية ،كلّ ما ذكر خلالها عبارة عن توطئةٍ لا بدّ منها لكي تتضح لنا ملامحُ الوضع الديمغرافي في تلك الحقبة التّاريخية ،والآن يجب أنْ نعود إلى جوهر موْضوعنا ،والموسوم بـ "الوضع الديمغرافي للأرمن في الدولة العثمانية " .الملفتُ للانتباه في نهاية القرن 19 أنّنا نجد أنفسنا أمام كمٍّ وفير من المواد ذاتِ الصّلة بالأرقام السكانية ،وهذا راجعٌ – كما سبق وأن أسلفنا – إلى أنّ الأقليات الإثنية أو الدينية ،من أجل أن تثبتَ حقّها على أيّ جزءٍ من الدولة العثمانية ؛نجد أنّها تعطي إحصائياتٍ ديمغرافيةً خاصّة بها ،وهذا ما ينطبق على الأرمن الذين كانت لهم آمالٌ عريضة بتأسيس دولتهم القوميّة في شرق الأناضول ،فوضعوا إحصائياتٍ علّها

(1) *Standford J. Shaw, Ezel Kural Shaw,* ***History of the Ottoman Empire and Modern Turkey****, volume II, Reform Revolution and Republic, The Rise of Modern Turkey (1808-1975), Cambridge University press, New York, 1977, p. 200.*

(2) *Servet Mutlu, Son dönemde…, a.g.m, s. 47.*

(3) *Servet Mutlu, Osmanli..., a.g.m, s. 38.*

تفيدهم في تحقيقِ حلمهم هذا على أرض الواقع. هذه الإحصائياتُ لم تقتصر على الأرمن فحسب؛ بل صادفنا إحصائياتٍ وضعها أجانبُ مثل القناصل والسّياح وباحثينَ أجانب متعاطفين مع القضية الأرمنية، أو أنهم مُتحاملون على الدّولة العثمانية، أو العكس، وفي هذا الصّدد سوف نتطرّق لكلّ إحصاءٍ على حدة بالعرض والتّحليل والمناقشة.

1- حسبَ الإحصائيات الأرمنية:

لقد أميطَ اللّثامُ عن الإحصائيات الأرمنية في مؤتمر برلين 1878 م ،وهي إحصائيات وضعت من لدُن البطريركية الأرمنية ،فكان الرقمُ الذي وضعتْه هذه الأخيرة يصل إلى 3 ملايين أرمنيّ في عموم الإمبراطورية العثمانية، وقبل أنْ نحلّل هذه الإحصائيات نقارنها بالإحصاءِ العثماني لسنة 1881 حيث يصل عددُ الأرمن (1.125.500) أرمنيًّا ،منهم 9.88.887 أرمنيًّا غريغوريًّا ،و 160.166 كاثوليكيًّا ،و 36.339 بروتستانتيًّا[1].

والملفتُ للانتباه في هذه الإحصائيات أنّها تتضمّن فرقًا شاسعًا بينها ،وبأيّ حالٍ من الأحوال لا يمكننا تفنيدُ الإحصائيات التي تعود إلى البطريركية ،واعتبارها ملفّقةً من الوهلة الأولى ،وخاصّة أن هناك مؤرّخين أجانب دافعوا عنها ،وهذا ما ينطبق على كتابٍ يعود لسنة 1880 لمؤلّفٍ مجهول ،حيث رأى صاحبُه أنّه يوجد لدى كلّ المجتمعات المسيحية وثائقُ تحتاج إلى سجلّاتِ الحالة المدنية ،فكلّ كنيسةٍ بما فيها الأرمنية كانت تكتب على دفتر أسماءَ المؤمنين الذين تقوم بتعْميدهم ،فضلًا عن وضع تاريخ ميلادهم[2].

لكنّ الملاحَظ أنّ هذا الرقم الذي أعطته البطريركية سرعانَ ما نزل إلى غاية 1.178.000نسمة عندما تعلّق الأمرُ بموضوع إعطاء الضّريبة[3] ،إذًا البطريركية هنا تناقض نفسَها بنفسها ،وعلى هذا الأساس لا يمكننا أن نعتبرَ هذا الإحصاء دقيقًا وموثوقًا فيه ؛لأنّه أوّلًا :قدّم في محفلٍ سياسي دولي شارك فيه الوفدُ الأرمني بهدف الحصول على الدّعم الأوروبي لتشكيل دولة أرمينستان المستقلّة في شرق الأناضول. ثانيًا :هناك مؤرّخون أرمن لم يعتمدوا إطلاقًا على إحصائيات البطريركية، وشهد شاهدٌ من أهلها ،وقطع ما ذهبت إليه البطريركية ،وهو الكاتبُ الأرمني فاهران فاردبات *Vahran Vardapet* الذي اعتبر الرقمَ فيه مبالغاتٌ كبيرة ،حيث ذكر في الجريدة الأرمنية الموسومة بالجريدة الشرقية « *Ceride- işakiye* » في العدد المؤرخ بـ 1886/15/03 أنّ عددَ الغريغوريّين هو 1.263.900 نسمة ،وحسب نفسِ الكاتب يمكن القبول أنّ عددَ الرعايا الأرمن كلهم هو 1.5 مليون نسمة[4]

(1) *Standford Shaw. Ezel Kuvel Shaw, Op.cit, p.200.*
(2) *Anonime,* ***Les Arméniens en Turquie,*** *paris, 1880, p.10.*
(3) *Ince Erdoğan Dilşen, a.g.e, s. 249.*
(4) *Kiyoung Lee, a.g.e, s. 35.*

جدول (02): يمثّل عددَ السّكان في الولايات السّتة حسب إحصائياتِ الدولة العثمانية المؤرّخة بـ 1893 [1].

الولايات	المسلمون	الأرمن	الآخرون
أرضروم	445.548	101.138	3.356
وان	59.412	60.448	-
بتليس	167.054	101.358	-
خربوط	300.188	73.178	543
ديار بكر	289.591	46.823	1.166
سيواس	766.558	116.545	37.813
المجموع	2.028.351	499.490	42.878

جدول(03) : يمثّل الولاياتِ الستّ حسب قائمةِ السّكان الملحق بالولاية ،والمؤرّخة بـ 7 أيلول 1880 (وضع البطريركية الأرمنية)[2]:

الولايات	المسلمون	الأرمن	الآخرون
أرضروم	60.000	134.000	75.000
وان	20.000	252.000	230.000
بتليس	65.000	57.000	20.000
خربوط	70.000	158.000	67.000
ديار بكر	55.000	88.800	150.000
المجموع	270.000	689.800	542.000

إذا أتينا لمقارنة الجدولَيْن السّابقين نلاحظ فرقًا كبيرًا بين أرقام الإحصائيات العثمانية وبين أرقام الإحصائيات التي وضعتها البطريركية التي جعلت أكثريةَ السّكان من الأرمن، ومهْما يكنْ من أمرٍ فهي أرقام مبالَغ فيها.

(1) *Cevdet Küçük, Osmanli diplomasisinda Ermeni meselesi ortaya çikişi (1878-1897), İstanbul,1984, s. 167.*
(2) *a.g.e, s. 167.*

2- حسبَ الإحصائيات العثمانية:

حسب الجدولِ رقم (2) المتعلّق بالإحصائيات العثمانية ،في تقديرنا -كما سبق وأنْ ذكرناه في موضع سابق - تعتبر إحصائياتٍ موثوقًا فيها ؛لأنّ الدولة العثمانية استفادت منها في حلّ عدّة مسائل منها :العسكرية والاقتصادية (الضرائب) (1) ،فلا يُعقل أنْ تغشّ الدولةُ نفسها بإيراد إحصائياتٍ ملفّقة.

3- حسب الإحصائياتِ الأجنبية:

يمكن أن نقسّمها إلى ثلاثةِ أصناف: الصنف الأوّل استقيناها من المصادر الفرنسية، أمّا الصنفُ الثّاني يعود إلى الدبلوماسيّين الأوروبيّين، وذلك من خلال استغلال دراساتِ القناصل المقيمين في شرق الأناضول، والتي تعطينا معلوماتٍ بالغةَ الأهمية عن الوضع الديمغرافي. أمّا الصّنف الثّالثُ فيعود إلى الرحّالة الذين زاروا شرقَ الأناضول، وأطْنَبوا في تسجيل كلّ ما رأوه بما في ذلك أعداد السّكان، وإنْ كانت تلك الأرقام التي أوردوها في رأينا عبارةً عن تخميناتٍ قد تكون قريبةً من الواقع أو بعيدةً عنه.

- **إحصائيات المصادر الفرنسية:**

المؤرخ الفرنسي مارسيل ليبار *Marcel Leart* ،معاصر للقضية الأرمنية ،اعتمد على أرقام البطريركية التي قدمتها عام 1882 م ،إذ قدر عدد الأرمن في تركيا ب 2.560.000 أرمنيا ، بينما في الولايات الستة فقدرها ب 1.630.00 أرمنيا (2) ،كما أعطى لنا الأرقام التي قدمتها البطريركية الأرمنية عن المنطقة الشرقية: أرضروم 150.000 أرمني ،فان 185.000 أرمني ،بتليس 180.000 أرمني ،خربوط 168.000 أرمني، ديار بكر 105.000 أرمني ،سيواس 165.000 أرمني . (3)

إذا رجعنا إلى سنوات أسبق ،وتحديدا في عام 1869م ،دار نقاش في البرلمان الفرنسي حول الأرمن ومطالبهم، وكان مما جاء فيه :أن الإحصائيات المتوافرة فيما يتعلق بالمناطق العثمانية ،توضح أن الأرمن يعتبرون أكثر من 13% من إجمالي السكان ،والعدد الإجمالي للأرمن القاطنين في المنطقة العثمانية بلا شك أقل من مليون نسمة وهذه الأرقام في نظرنا أقرب إلى الواقع (4) .

(1) *Cevdet Küçük a.g.e, s. 166.*

(2) *Marcel L'eart,* ***La question Arménienne a la lumière des documents****, Paris,1913, p. 59.*

(3) *Marcel L'eart, Op.cit, p. 60.*

(4) *East Uras,* ***The Armenian in history and the Armenian Question****, Istanbul, 1988, p .365.*

إلى جانب هذا نجد الكاتبَ الفرنسي فيتال كوينية *Vital Cuinet* الذي يعتبر من أفضل الكتاب الغربيين الذين درسوا سكان الدولة العثمانية بطريقة تفصيلية في كتابه الموسوم بـ "تركيا الآسياوية" « *Turquie d'Asie* »،وقد صرح بأن :"الكتاب الذي نقدمه اليوم للجمهور هو عبارة عن مجموعة المذكرات الإحصائية التي جمعناها من المواقع نفسها التي قمنا بزيارتها خلال رحلاتنا الاستكشافية المختلفة طوال الإثني عشر سنة المنقضية " وقد قام كوينيية بهذه المهمة الضخمة ،بناءا على طلب ولحساب إدارة الدين العام العمومية ،وهو يقدم الأعداد التالية لسكان الدولة العثمانية :عدد المسلمين 14.856.118 نسمة ،الأرمن 1.475.011 نسمة ،مسيحيون آخرون 1.285.853 نسمة ،اليهود 123.947 نسمة ، الأجانب 170.822 نسمة وهكذا فإن ،المجموع الإجمالي للسكان يقدر ب 17.911.751 نسمة [1].

- **إحصائياتُ الدّبلوماسيّين:**

لقد آثرْنا في هذا الصددِ أنْ نسوق إحصائياتِ القنصل الإنجليزي *Trotter* ،التي ضمّنها في التقرير الذي أرسله هذا الأخيرُ إلى سفيرِ بلاده في اسطنبول *Goschen* ، فنلاحظ أنّ الأرقام التي أوردها قريبةٌ جدًّا من الأرقام التي قدّمها البابُ العالي ،وهذا ما يبيّنه الجدولُ التالي[2]

الولايات	المسلمون	الأرمن	البقية
أرضروم	202.074	52.301	3.396
فان	82.204	39.113	30.375
بتليس	145.009	77.993	2.153
خربوط	168.894	44.102	1.793
ديار بكر	140.538	27.254	4.861
سيواس	283.043	53.013	17.867
المجموع	1.021.762	240.803	60.445

- **إحصائياتُ السّياح**: قام الرحالة الإنجليزي لانش « *Lynch* » بزيارة شرق الأناضول ،وأوردَ هذه الأرقام في كتابه الموسوم بـ "أرمينيا سفرٌ ودراسة" « *Armenia Travel and Studies* » ،وقد حدّد عددَ

(1) *Vital Cuinet, **La Turquie de l'Asie**, Paris ,1892, P.142.*
(2) *Cevdet Küçük, a.g.e, s. 168.*

الأرمن فيه بـ 1.475.011 نسمة ،والأرقام التي وضعَها هذا الأخير[1] تعودُ إلى تاريخ 1890 م ،يمكن أن نجمعها على الشّكل الآتي:

الولايات	المسلمون	الأرمن	الآخرون
أرضروم	428.496	106.768	-
فان	52.229	75.644	-
بتليس	145.454	97.184	342
خربوط	182.000	93.000	1.758
ديار بكر (فقط قضاء بالو)	45.580	15.150	9.239
المجموع	553.758	387.746	11.339

بالإضافة إلى الرحّالة لانش Lynch نجد رحالةً عثمانيًّا ،وهو "صلاح الدين باي" الذي أصدر كتابًا كاملًا حول المعرض العالمي لسنة 1867 م ،والذي ضمّنه أرقامًا حول تعدادِ الأرمن في الدولة العثمانية ،والذي قدّره بـ 2.400.000 نسمة ،إضافةً إلى تعدادهم في عدّة مناطق من العالم ،وهذا ما يبيّنه الجدول الآتي[2]:

المنطقة	عددُ الأرمن بها
تركيا الأوروبية	400.000 نسمة
تركيا الآسيوية	2.000.000 نسمة
مصر	20.000 نسمة
روسيا	250.000 نسمة
إيران	25.000

ما نستشفّه من خلال الجدولِ أنّ آسيا التركية تضمّ أكبرَ عددٍ من الأرمن بالمقارنة مع تركيا الأوروبية، بالرّغم من أنّ عدد 2.000.000 مبالَغٌ فيه. فجميعُ الأمثلة التي سقناها تصبّ في اتّجاه إبراز الوضع الديمغرافي للأرمن في الدّولة العثمانية، والذي يؤكّد لنا بما لا يدعُ مجالًا للشكّ أنّ مجموع السكان الأرمن في جميع الإمبراطورية العثمانية ليس مليوني نسمة أو 3 ملايين نسمة.

(1) *Cevdet Küçük.a.g.e, s. 169.*
(2) *Anonime, Op. cit, p. 10.*

فحسب تعدادِ الأرمن في الولايات التي ذكرناها تجعلنا نخلُصُ إلى أنّهم كانوا يتركّزون في ولايات الأناضول[1] الشّرقية ،التي يمكن أنْ نعتبرها الركيزةَ الأساسية من ركائز هذا التّكتل السكاني الأرمني ،بالرغم من أنّ توزيعهم لم يكنْ متساويًا ؛لا من حيث النّسَب ولا التوزيع ،فهناك مناطقُ ضمّت أعدادًا كبيرة من الأرمن ،ومناطقُ قليلة السّكان ، وهو يقطعُ ما ذهبت إليه البطريركية أنّهم يشكلون الأغلبية بدافع تشكيلِ دولةٍ مستقلّة بهم.

المطلبُ الثّالث: التوزيعُ الجغرافيّ للأرمن في الولايات الشرقية:

يمكن تقسيمُ الأرمن الذين يعيشون في الدّولة العثمانية إلى قسمين: قسم يعيشون خارج معاقلهم التّاريخية، خصوصًا اسطنبول، وقسم يعيشون في معاقلهم التاريخية، والتي تعود إليهم تاريخيًّا، ويُطلق عليها الأرمن مصطلح"يكير" « *yekir* » وهي كلمةٌ أرمنية معناها الوطن[2] ،وهُم يتوزّعون أساسًا في 6 ولايات ،وهي:

- **أرضروم *Erzurum***: وهي تقع في شمال شرق آسيا الصغرى ،يحدها جنوبا ولاية فان و ولاية بتليس ومعمورة العزيز وديار بكر،أما شرقا تحدها ولاية طرابزون شرقا تحدها روسيا وايران ،أما غربا سيواس ،[3] تبلغ مساحتها 76.720 كيلومتر مربع ، من الناحية الإدارية مقسمة إلى ثلاثة سناجق ،وكل سنجق مقسم إلى ثمانية أقضية كما توجد بها 154 ناحية.[4]
- **بتليس *Bitlis*** :تقع غربي بحيرة فان ،في أرضٍ سهلية تحيط بصخرةٍ وعرة تقوم فوقها أطلال قلعة قديمة [5]، وأغلبُ سكّانها خليطٌ من الأرمن والأتراك والعرب والسّوريين والأكراد ،وتحتلّ هذه المدينة موقعًا استراتيجيًّا بالنسبة لطرق التّجارة القادمة من بغداد إلى أرضروم[6]. تبلغ مساحتها 37 ألف كلم^2 ،وعددُ سكّانها 300 ألف نسمة ،وتعتبر بتليس مركزَ الولاية (بتليس، ، موش، ولواء كنج)، ويتشكّل لواء بتليس من عدّة أقضية ، نذكر منها :قضاء بتليس نفسه ،وقضاء أخلاط ،وقضاء قارجكان... إلخ[7]

---

(1) الأناضول **Anadoul:** شبه الجزيرة المستطيلة التي تتكوّن من 755.688 كلم^2،على امتداد الغرب من قارة آسيا وهي تشكّل 97% من أراضي تركيا في الوقت الحاضر، ويطلق اسم الأناضول اليوم على الأراضي التركية الواقعة في آسيا و لكنْ يطلق في الماضي على وحدات إدارية صغيرة أحيانًا ،فأصبح علمًا على أراضٍ شاسعة. وتشمل المنطقة التي تعرف بآسيا الصغرى قبل إطلاق اسم الأناضول عليها. أنظر: سهيل صابان، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض ،1421ه \2000 م، ص. 39

(2) ***Dictionnaire de L`empire Ottoman***, *Op.cit, p.117.*

(3) *Cuinet Vital, Op.cit, p132.*

(4) *Ibid, p.133.*

(5) س. موستراس، **المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية**، ترجمة، عصام محمد الشحادات، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1423 هـ-2002م، ص. 152.

(6) مروان المدور، مرجع سابق، ص 80

(7) أحمد الشرقاوي وآخرون، ***جغرافية الممالك العثمانية***، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، 2018م، ص. 237 وما بعدها.

- **فان "وان"** « ***Van*** »:عبارة عن منطقةٍ في كردستان ،يحدّها شمالًا أرضروم ،وغربًا بتليس ،وجنوبًا حكاري، وشرقًا محدودة بممالك إيران ،مساحتُها السطحية تقريبًا 15 ألف كيلومترًا مربّعًا ،ومجموع سكانها 447 ألف نسمة ،وفان هو مقرّ الولاية، وهي على شرقِ بحيرة وان ،والأقضية التي تحتوي عليها الولاية :قضاء وان نفسه، قضاء باركيري ،وقضاء أرجيش ،وقضاء موكس... إلخ[1].
- **سيواس *Sivas*** :سباستيه أو سبسطية Sebastia [2] ولاية سيواس واقعة داخل آسيا الصّغرى ،يحدّها شمالًا طربزون ،وشرقًا أرضروم إلى معمورة العزيز ،وجنوبها الشرقي حلب ،وجنوبًا أطنة ،وغربًا أنقرة وقسطموني ،تبلغ مساحتُها السّطحية تقريبًا ستين ألف كلم مربّعًا ،ومجموع سكانها 894 نسمة ذكورًا وإناثًا ،وتتشكّل من عدّة ألوية :ولاية سيواس نفسها ومن توابعها أماسيا ،وتوقاد ولواء قره حصار[3].
- **ديار بكر *Dyarbékir*** : وهي مدينةٌ تركية آسيوية، وهي جزءٌ من كردستان، تقع على الضفة اليمنى لنهر دجلة، وهي مقرُّ أسقفية يونانية تتبعُ بطريركية القسطنطينية، قسم يحدّه من الشمال الجزيرة درسيم، وشرقًا بتليس وغربًا معمورة العزيز ،والموصل في الجنوب الشرقي ،تبلغ مساحتها 50 ألف كيلومترًا مربّعًا ،وعمومُ سكّانها 420 ألف نسمة ،ولواءُ ديار بكر هو وسطُ ولاية ديار بكر الذي هو حول ولاية طرابزون وسيواس[4].
- **خربوط أو معمورة العزيز *Kharpôut*** : ،وهي مدينةٌ تركية آسيوية[5] ،تعدّ داخل الأناضول ،وقسمًا ما بين آسيا الصّغرى وكردستان ،يحدّها شمالًا أرضروم إلى درسيم ،وشرقًا إلى ولاية ديار بكر ،وجنوبًا غرب ولاية حلب[6] ،مساحتها 23 ألف كيلومترًا مربّعًا ،وعمومُ سكانها 284 ألف نسمة ،ومِن ألويتها نفسُ مركز الولاية المشار إليه ،ومن توابعها لواءُ ملاطية[7].

---

(1) أحمد الشرقاوي وآخرون، المرجع السابق، ص. 217 وما بعدها
(2) س. موستراس، مرجع سابق ، ص. 317.
(3) أحمد الشرقاوي وآخرون، مرجع سابق، ص. 139 وما بعدها.
(4) نفس المرجع، ص.217.
(5) س. موستراس، مرجع سابق، ص. 258.
(6) أنظر الخريطة، ملحق1،ص362.
(7) أحمد الشرقاوي وآخرون، مرجع سابق، ص. 229.

أمّا خارج معاقلهم ،فقد استقرّ الأرمنُ في المدن المهمّة مثل أزمير ،وإسطنبول[1] . ونحن في هذا الإطار نركّز على اسطنبول باعتبارها العاصمةَ السّياسية و الاقتصادية للدولة العثمانية ،حيث يجمع الكثيرُ من المؤرخين الأرمن[2] أنّ التواجدَ الأرمني في إسطنبول سابقٌ للفتح العثماني ؛لأنّ إسطنبول كانت طوالَ فتراتها التاريخية مدينةً متعدّدة الأجناس ؛وذلك يعودُ إلى الدّور التجاري الذي كانت تضطلع به[3] ،لكن بعدَ الفتح العثماني ،ونتيجةً لسياسة الإسكان الطّوعية والإجبارية التي انتهجها محمد الفاتح ،والرامية لإعادة إسطنبول إلى عهدها السّابق باعتبارها مركزًا اقتصاديًّا وعاصمةً للبلاد ؛كان الأرمن من بين الذين جلبهم هذا السّلطان[4] .

كان الأرمنُ الذين جلبهم محمد الفاتح إلى إسطنبول ينحدرون من مناطقَ مختلفة من الأناضول ،وكذلك مِن أنقرة وبورصة ،واستقرّوا في سبعةِ أحياءٍ في المدينة[5] ،وقد كان الأرمنُ يفضّلون الإقامة في جماعات في المناطق التي تتوفّر فيها فرصُ العمل ،أو بالقرب من كنيسةِ الحي التي هي تحتَ سلطة الزعماء الدّينيين مثل البطريرك، لذلك نجدُ أنّ الأرمن قد استقرّوا في يني كابي *Yeni Kapı* ولونغا*Langa* وكوم كابي وسماتيا ،ويمكن اعتبارُ هذه الأماكن مِن أولَى الأماكنِ التي استقرّ فيها الأرمنُ لأنّ بطريركيّتَهم قد أسّست في سماتيا *Samatya* ،لذلك يوجد قسمٌ كبير من العائلات الأرمنية بالقربِ من الكنيسة[6].

كما أنّنا نجد أنّ الأرمن قد استقرّوا في أحياء أخرى، لكنْ بأعدادٍ متفاوتة، وذلك راجعٌ لعدّة أسباب، ولعلّ أهمَّ هذه الأسباب الحرائقُ والأوبئة التي دفعت بالأرمن للتوجّه نحو أحياء المسلمين، والملاحَظ أنّ هذه الأسباب كانت إجباريةً في هذا الانتشار. ومِن الأحياء الأخرى التي انتشر فيها الأرمنُ نذكر بشكتاش *Beşiktaş* [7] والذي نجدُ فيه الأتراك والأرمنَ والرومَ واليهود ،أمّا أورتاكوي *Ortaköy* يقيم فيها اليهود والأرمنُ وعددٌ قليل من

(1) **إسطنبول:** يحدها من الشمال البحر الأسود، ومن الجنوب بحر مرمرة، ومن الشرق ولاية خدواندكار، والغرب ولاية أدرنة، وولاية قسطموني، وهي بمثابة قلب السلطنة للممالك المحروسة في الجنوب الشرقي من منطقة تراقي، مساحتها 13712 كيلومترًا مربعًا، وعدد سكانه 1.5 مليون نسمة، نفسه، ص 29.

(2) ومن هؤلاء المؤرخين الأرمن نذكر ماوسيس هورنتسي *Movses Horentsi* وقوريم غراغوس *Görım Gragos*.

(3) *Arsen Yarman, **Osmanli Sağlık hizmetlerinde ve Ermeniler, surup pirgiç Ermeni hastenesı Terihi**, Ana Basım Sanayı ve ticaret A.S, Istanbul, 2001, s. 19.*

(4) *Arsen Yarman , a.g.e , s. 20.*

(5) *a.g.e , s. 26.*

(6) *a.g.e, s. 28.*

(7) **بشيك طاش:** قرية على البوسفور على الجانب الأوروبي، إلى الأعلى قليلًا من طولمة باغجه، ذكر دوكاي أن السّلطان محمد الثاني قد عبر من هذه النقطة بأسطوله برًا إلى عمق القرن الذهبي، وقد فعل ذلك باستخدام ألواح خشبية جرّ فوقها السفن، فيها ضريح القائد خير الدين بربروس، أنظر: س. موستراس، مرجع سبق ذكره، ص ص. 159- 160.

الرّوم والأتراك. فضلًا عن منطقة بيباك *Bebek* يقطنُ فيها الأرمنُ والأتراك والروم. أمّا سارييار *Sarıyar* يسكنُها كلّ مِن الأتراك والأرمن والروم والعرب(1).

الهجرةُ الأرمنية: عند دراسة وضْعِ الأرمن الديمغرافي، من الضّروري أنْ نولي قدرًا كبيرًا من الاهتمام لهجرة الأرمن؛ لأنّها من أهمّ سماتِ المجتمع الأرمني، فهو "شعبٌ مهاجر"؛ حيث نجد عددًا لا بأسَ به هاجروا من معاقلهم التاريخية إلى عدّةِ مناطق، والهجرة التي قاموا بها نوعان، هي:

- **الهجرةُ الدّاخلية** :والتي تعني انتقالَ الأفراد والجماعات من إقليمٍ إلى آخر ،دون اجتيازِ حدودِ الدولة العثمانية، والهجرةُ الداخلية كانت تنقسمُ إلى قسمين :هجرة موسميّة ،وهي هجرة مؤقّتة ،فعلى سبيل المثال كان أرمنُ خربوط يهاجرون إلى أضنة في سنوات 1880 م من أجل العمل في مزارعِ القطن ،ثمّ يعودون إلى مناطقهم في الخريف ،أمّا النّوع الثاني فهي الهجرةُ الدائمة ،ومن أهمّ المناطق التي هاجروا إليها من الولايات الستة والأناضول إلى الأستانة وإزمير ،وهي هجرةٌ من مناطق طردٍ مكتظّة سكانيًّا ،فقيرة ماديًّا ،متخلّفة حضاريًّا ؛إلى مناطق جاذبة عمرانيًّا ،غنية ماديًّا ،أو متقدّمة حضاريًّا. ثمّ الثانية من الأستانة وإزمير إلى مصر. فضلًا أنّ ما يلاحظ عن مدّ الهجرة الأرمني أنّه اتّجه دومًا إلى المدن بشكلٍ أساسي ،ففي المدن تستطيع الأقلياتُ أن تندمج في النسيج السكاني على عكس الرّيف المغلق (2).

- **الهجرةُ الخارجية** : هاجرَ الأرمنُ خلال القرن 19 م و القرن 20 م إلى الكثيرِ من الدول الغربية لأسبابٍ مختلفة ،ومن بين أهمّ هذه الأسباب الرّغبةُ في العيش في ظروفٍ أحسن ،والحصول على تعليم أفضل ،وكانت أوّل حركةِ هجرةٍ أرمينية كبيرة في القرن 19 ،وارتبطت مباشرةً بسياسة التوسّع الروسي ؛حيث كانت حركةُ الهجرة إلى هذا البلد من أجل البحثِ عن ظروفِ حياة أفضل. أمّا في نهاية القرن 19 م – وخصوصًا في سنة 1895 م – كانت الهجرةُ بالدّرجة الأولى تعودُ لعدم الاستقرار الذي كان يعيشُه الأرمن في منطقة فان وبتليس ،بالإضافة إلى قيام العشائرِ الكردية بسرقةِ قسمٍ كبير من حيواناتهم ،لهذا السبب اضطرّوا للهجرة إلى روسيا(3) ،كذلك هاجر الأرمنُ نحوَ أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية.

إذًا، الأسبابُ التي دفعت الأرمنَ للهجرة الداخلية أو الخارجية كانت متعدّدةً ومختلفة، حيث شكلت الأسبابُ الاقتصادية عاملًا أساسيًّا دفعَ بالأرمن إلى البحثِ عن موردٍ اقتصاديّ لهم وحياة أفضل، بالإضافة إلى

(1) *Arsen Yarman.a.g.e,s.28*

(2) رفعت الإمام، **الأرمن في مصر**... مرجع سابق، ص. 88 وما بعدها.

(3) *Ahmet Aktar, **Tehcir öncesi Anadoludan Amerikaya Ermeni göcü 1834-1915**, IQ Kültür sanat yayınclık, Istanbul, 2007, s. 41.*

العواملَ التعليمية، فهناك مَن قرّر الهجرةَ من أجل الحصول على تعليمٍ أفضل. وعلاوةً على هذا هناك مَن هاجر لعواملَ سياسيّة وأمنية ،بسبب تعرّضهم للمجازر ،أو بسبب محاولةِ استغلالهم من طرف الأحزاب الأرمينية ،فهذه الأخيرةُ كانت تجبر الأرمنَ الأغنياء على دفع أموالٍ من أجل تحقيق أهدافها[1] ،بالإضافة إلى العوامل الطبيعية، حيث ذكرنا أنّ أرمينيا أرضٌ طاردةٌ للسكّان ،لا تسمح بالاستقرار السّكاني نتيجة مناخها القاسي في فصل الصيف كل هذه الأسباب دفعت الأرمنَ إلى ترك بلادهم.

لقد حاولنا – من خلالِ هذا المبحث – طرحَ عدّة تساؤلات وإثارة إشكاليات، لا ندّعي أنّنا أجبنا على مجمَلِها، لكنْ في ضوء ما تقدّم يمكن القول:

- إنّ المتأمّل للحقبة التاريخية المدروسة ،يلاحظُ أنّ عددَ سكّان الدولة العثمانية في نهاية القرن 19 وبداية القرن 20 بلغ تقريبًا 18 مليون نسمة ،مِن ضمنهم 1.250.000 أرمينيا ،أي بنسبة 6.9%، وقد بلغ عددُ السّكان الإجمالي في الولايات الستّ 345.091 نسمة ،من ضمنهم 612.421 نسمة من الأرمن، بنسبة تصلُ إلى 4.5 خارج الولايات المذكورة ،وهذا عكسُ الادّعاء الأرمني ،هذا يجعلنا نقول إنّ نسبة السكان الأرمن الذين تتضمّنهم الدولةُ العثمانية أقلّ من 10% ،هذه النسبة تجعلهم أقليّةً سواء في كلّ الدولة العثمانية أو في معاقلهم التاريخية (الولايات الست).
- مع أنّ الإحصائيات التي قامت بها الدّولة العثمانية في البداية لم تكن موجهّةً تمامًا للسّكان ،فقد كان الهدف منها اقتصاديًّا حيث تمّ إحصاءُ – فقط – الأشخاصِ الذين تشملهم الضرائب ،أمّا الأشخاص غيرُ المكلّفين بأداءِ الضّريبة لم يتمّ تسجيلهم ،بالإضافة إلى ذلك كان لها أهدافٌ عسكرية ،فقد تمّ إحصاءُ السكان المسلمين الرّجال ،لذلك يمكن القول إنّ هذه الإحصائيات لم تكنْ دقيقة ؛حيث كان من العسير تحديدُ مجمل السّكان بمختلف فئاتهم ،إلّا أنّها في نفس الوقت تعرض إشاراتٍ مهمّةً متعلّقة بالسكان يعتبرها بعضُ المؤرخين قريبةٌ من الواقع.
- المصادرُ الأرمنية والغربية المتحاملة على الدّولة العثمانية، أعطتْ معلوماتٍ بخصوص السّكان الأرمن في كامل الدّولة العثمانية وشرق الأناضول، وقد انحصر الرقمُ ما بين 2 و3 ملايين، وهي أرقامٌ مبالَغ فيها كما أسلفنا.

(1) *Ahmed Aktar ,a.g.e , s. 48.*

المبحثُ الثّاني: الأوضاعُ الاقتصادية للأرْمن في الدّولة العثمانية

المطلبُ الأوّل: تركيبة المجتمع الأرمني.

المطلبُ الثّاني: المالُ والتجارة.

المطلبُ الثّالث: الحِرَفُ التي مارسها الأرمن.

تميّز الوضعُ الاقتصادي للدّولة العثمانية خلال القرن 19 بظاهرتين رئيسيتين ،تمثّلت الظاهرةُ الأولى في ركودِ الوضع الاقتصادي بالدّاخل ،وتدهور حجم التجارة الخارجية مع الدّول الأوروبية ،أمّا الظاهرةُ الثانية تمثلت في تحسين مكانة المسيحيّين في الحياة الاقتصادية بالدّولة ،لاسيّما بعد أن بدأوا بالعمل تحت رعاية القوى الأوروبّية، والتي نجحت – آنذاك – في التسلّل إلى أراضي الدّولة العثمانية ،وكان الأرمنُ مِن بين هذه الأقليات المسيحيّةِ المستفيدة مِن هذا الوضع ،فقد كانوا في الهيكل الاقتصادي العثمانيّ القديم أربابَ صناعة ،أمّا الرّومُ فكانوا في الأنشطة المتعلّقة بالبحرية ،أمّا اليهود كانوا قد امتازوا بالأنشطةِ المتعلّقة بالمال بإسطنبول.

المطلبُ الأوّل: **تركيبة المجتمع الأرمني**:

يمكن تقسيمُ المجتمع الأرمني إلى قسمين: القسم الأوّل هُم سكّان الريف، أمّا القسم الثاني هُم سكان المدن.

1- سكانُ الريف : لعلّ أوّلَ ما يتعيّن الإشارةُ إليه في هذا الصّدد أنّه إلى غاية 1914 م ،نجد أنّ 80% من السكّان الأرمن في الإمبراطورية العثمانية ،كانوا ريفيّين يتركّزون في الأناضول الشرقية وقيليقية[1] ،وكذلك في أبواب إسطنبول وبورصة وأنقرة[2] و أدرنة ،ومازال يُجهَل الكثيرُ عن هذه الشريحة من المجتمع الأرمني ،التي عاشت في الولايات الشرقية مشتّتة عبرَ مساحات واسعة ،يفصل بينهم عددٌ كبير من المستوطنات الكردية والتركية أو المراعي ،ومعظمُ هؤلاء السكان قد مارسوا النشاطَ الزّراعي فالفلاح الأرمني بالرّغم من كونه مالكًا للأرض ،إلّا أنه اعتُبرَ حسب قانون 1858 "القانون الزراعي" « *Le code Agraire* » ،أجيرًا لدى إقطاعي مسلم أو دير أرمني يتقاسم خزانته مع قبائلَ كرديةٍ وتركمانية بدوية أو نصف بدوية ،والتي تحترف تربيةَ المواشي ،وكذلك السرقة ،كان هؤلاء جيران الأرمن الذين يعيشون في الأرياف.[3]

مارس الأرمنُ زراعةَ الفواكه وصناعة النبيذ، كما أنّهم في نفس الوقت كانوا مربّين مستقرّين في إطار القرية، وفي خطّ موازٍ نجد أنّ بعض القرى كانت أرمنية صرفةً لديها كنيستُها القديمة، وفي المراحل المتأخرة من الإمبراطورية العثمانية نجد أنّ سكّان القرى أصبحوا مختلطين مسيحيّين ومسلمين بمقابرَ مُنفصلة. وفي هذا الإطار لا ينبغي أنْ

---

(1) **قيليقية** : تقع قيليقية شمال شرق البحر المتوسط عند خليج مرسين والإسكندرون ،وقد تأسست بها مملكة أرمينيا الصغرى (1075-1375) على أيدي الأرمن النازحين إليها أمام الزحف السلجوقي. أنظر: محمد رفعت الإمام، مصر والأرمن، مسألة ضنة أبريل 1909، الطريق إلى الإبادة الأرمنية الكبرى، مطابع النوبار – العبور، القاهرة، 2014، الهامش رقم 1، ص. 127.

(2) **أنقرة** : تقع في قلب آسيا الصغرى ،يحدها شمالًا قسطموني ،وشرقًا سيواس ،وجنوبًا أظنة وغربًا خنداونكار، مساحتها حوالي 68 ألف كيلومتر مربّع ،أنظر : أحمد الشرقاوي وآخرون ،المرجع السابق ،ص. 149.

(3) *Anahid Ter Minassian, Les Arméniens dans l`empire Ottoman,* ***Arménie une passion Française le mouvement Armenophile en France (1873-1929)****, Avril 2007, Paris, p.30.*

نغضّ الطرفَ عن حقيقة مَفادها أنّ حياة الفلاح الأرمني لا تختلفُ عن حياة الفلاح الكردي أو التّركي ، فقد كانوا يتقاسمون معًا نفسَ الظّروف ،فالفلاحُ في هذه البيئة هو الذي كان يتحمّل الضغط الجبائي الكبيرَ للدولة وهذا لم يمنعْ من وجود مزارعين أرمن أثرياء.[1]

2- سكّانُ المدن: سكن الأرمنُ المدن الكبرى ،وخاصّة إسطنبول التي فتحت ذراعيها لكلّ أرمنيّ منذ عهد السّلطان محمد الفاتح ،وأضحتْ مركزًا اقتصاديًّا وسياسيًّا لهم ،بالإضافة إلى إزمير .وعلى النّقيض من سكان الأناضول كانت وضعيّتُهم مريحةً ومميزة ،فقد كانوا من المتنفّذين اجتماعيًّا حيث لعبوا أدوارًا مهمّة ،كما أنّهم نَعِموا برعاية السلاطين[2] . فما هي الوظائفُ التي مارسها الأرمن في المدن؟

المطلبُ الثّاني: المالُ والتجارة:

لقد لعبتِ الأقلياتُ الإثنية – المكوّنة من الأرمن واليونانيّين واليهود ومجموعاتٍ قومية عديدة أخرى – دورًا هامًّا في البُنيان الاجتماعي العثماني ،كان الأرمنُ واليونانيون — واليهود بشكل أقلّ — متمركزين أساسًا في استانبول وإزمير ،وكان لهم – بالفعل– دورٌ قياديّ في التجارة والمالية العثمانية في أواخر القرن الثامن عشر[3]. وقد تنامى دورُ الأقليات في الحجم عبْرَ العقود، واتّجه وضعُهم نحو المزيد من التحسّن، وبدءوا يلعبون دورًا مهيمنًا في فروعٍ أساسية في الاقتصاد العثماني عندَ نهاية القرن التاسع عشر. فعندما يرتفع معدلُ التقدّم الاقتصادي والتّقني في القرن التاسع عشر ،عندئذٍ فإنّ المسيحيين واليهود سوف يتقدّمون على المسلمين بنصْفِ قرن ،فالعصرُ الحديث يقتحم الشرقَ عبْر أقلياته ،وليس عبر المسلمين[4].لقد لعبَ الأرمن دورًا كبيرًا في مجال التّجارة الداخلية والخارجية، وفي مجال المعاملات المالية، والتي نقصد بها الصرافة والصّيرفة.

---

(1) *Anahid Ter Minassian, Op. cit ,p.30.*

(2) في المبحث اللاحق ،سوف نتطرّق للدور الذي لعبه الأرمن في الدولة العثمانية.

(3) *Charles Issawi, **The Economic History of Turkey,(1800 – 1914)**, Chicago, University of Chicago Press, 1980, P. 54.*

(4) *Youssef Courbage Philippe Fargues: **Chrétiens et Juifs Dans L'Islam Arabe et Turc**, Librairie Arqethme Fayard, Paris, 1990, P. 137.*

1- التّجارةُ الخارجية: عندما يُقال أعمال تجارية ،فأوّل ما يتبادر إلى الذّهن عملياتُ شراء وبيعٍ أيّ نوع من السّلع ،مثل موادّ أولية أو مصنّعة أو عمليات تأجير أيّ سلعة مُباعَة صالحة للاستعمال ،وكذلك عمليات التسليم والوَساطة والتّنفيذ ،وعمليات النّقل والصيرفة ،ونقل البضائع والتأمين والاتفاق عليها [1].

إنّ المعاهدات التجارية التي وقّعتها الدولةُ العثمانية مع فرنسا وإنجلترا أدّت إلى فتح تجارتها الخارجية على أوروبا ،وهذا أدّى بدوره إلى خفض الضرائب من 12% إلى 3%، والشروع في استعمال السفن البخارية ،أدّى كذلك إلى انخفاض أجرةِ الشّحن وفتح الطّريقِ لخلق مناصبَ شغلٍ جديدة أدّت إلى تطوير التجارة الداخلية والخارجية للإمبراطورية[2]. سيطرَ على المجال التجاري في الدّولة العثمانية غيرُ المسلمين ،وخاصّة اليونانيين والأرمن؛ لأنّها منعت الأجانبَ من المتاجرة في أراضيها ممّا دفعهم لاستعمالهم كوسطاء[3] . وقد شكّل نهاية القرن 19 م وبداية القرن 20 بالنّسبة لهذه البرجوازية الجديدة عصرًا ذهبيًّا حقيقيًّا ؛حيث أصبحوا يسيطرون على رؤوس الأموال ،وعلى حركتي التّجارة الداخلية والخارجية ،بالرّغم من أنّهم لا يمثّلون سوى خُمس إجمالي سكان الإمبراطورية إلّا أنهم يعتبرون قوة اقتصادية، ففي المدن هُم يمثّلون – في واقع الأمر– ثلثَ السكان الحضر[4].

وقد ظلّ قطاعُ التجارة الخارجية بيَدِ التجّار الأرمن حيث استطاعوا تشكيلَ ثروات طائلة ،ومن العوامل التي ساعدتهم على النّجاح ،نجد أوّلًا تحصيلهم التعليمي ،فقد كانوا على قدرٍ كبير من الثقافة والمعرفة باللغات الأجنبية، "... فالأنشطة التجارية التي كانت تتمّ بين الدولة العثمانية والدّول الأوروبية تحتاج إلى مفاوضين تجاريين يجيدونَ لغاتِ البلاد المتعاقَد معها ،وحريّ بالذكر أنّ كثيرًا من الأرمن قد أجادوا عدّة لغات ... "[5].

أمّا العامل الثاني يتمثّل في نجاح الأرمن في ربطِ علاقات متينةٍ بسفارات الدول الأجنبية ،ومن خلال هذا سعوا إلى الحصول على جنسياتٍ أجنبية بُغية الاستفادة من نظام الامتيازات الذي كانت تتمتّع به هذه الدول ،مما سمحَ للتّجار الأرمن بتعاطي النّشاط التجاري على نفس النّحو الذي كان يمارسه التجارُ الأجانب فوق أراضي الدّولة

---

(1) مكرديج هـ بولدوكيان، **الصيارفة الأرمن في الإمبراطورية العثمانية** ،ترجمة. نور أريسيان، مطبعة باكلايان، بيروت، لبنان ،2015، ص. 36.

(2) *Arsen Yarman, a.g.e, s. 51.*

(3) *Zakarya Mıldanoğlu, <u>Izmir ` de ekonomi ticaret ve Ermeniler,</u>* ***Izmir Ermenileri****, Aras yayıncılık, Istanbul, 2017, s. 232.*

(4) روبير مانتران وآخرون ، مرجع سابق ،ص. 197.

(5) رفعت الإمام ،**الأرمن في مصر**... مرجع سابق, ص. 110.

العثمانية[1]. والجدير بالذّكر أنّ هناك بعضًا من الأرمن قد امتلكوا بيوتاتٍ تجارية[2] كبيرة في تريست وأزمير وامتدّ نشاطها التجاري إلى البندقية[3]، كما نظمَ الأرمنُ معارضَ كانت تجمع الرعايا المسلمين وغير المسلمين الذين كانوا ضمنَ الإمبراطورية إلى جانب الأوروبيّين ،فمثلًا كان الأرمن في 15 أغسطس من كلّ سنة ينظّمون معرضًا بتكير داغ[4].

2– الصّيرفة :

بسبب توسّع الأعمال التجارية يلجأ الكثيرُ من التجّار في بلادٍ بعيدة وأجنبية إلى عمليةِ الاستدانة بشكلٍ متبادَل مع بعضهم البعض في كثيرٍ من الأحيان ،فالأشخاصُ المدينون المتواجدون في بلادٍ مختلفة لا يمكنهم تأمينُ مبالغ كبيرة في أسواقهم ،ويواجهون صعوباتٍ كثيرةً في حال نقل النّقود المعدنية ،وحين يسمح لهم بالدّفع مسبقا يحتاجون إلى المال لنقل البضاعة ،إضافةً إلى الخطر المحتمَل أثناءَ عملية النقل أو التأخير في الوصول إلى المكان المحدّد ولتفادي تلك العقبات باتتْ مهنةُ الصّيرفة حاجةً ملحّة ومفيدةً للتجارة[5]. وقد عرّفها الدكتور رفعت الإمام بـ: "... كان الشّكل التقليدي للصيرفة *Banking* هو تسليفَ القروض المالية بالفائدة للحكومات وكبار الشّخصيات والأفراد ،وفي هذا المجال ظهرت مجموعةٌ من الصيارفة الأرمن"[6].

ولما كانت التشريعاتُ الإسلامية تحرّم تحصيلَ الفوائد على القروض، ولكنّها في المقابل تعتبر الناتج عن إبرامِ الصّفقات نتيجةً طبيعية للنّشاط التجاري، نجد أنّ المسيحيّين قد برزوا في قطاع الصّيرفة، وفي مقدمتهم الأرمن الذين تعاطوا مهنةَ الصّيرفة على نطاقٍ واسع، خاصّة في اسطنبول، فحقّقوا نجاحًا باهرًا، وثرواتٍ وحظوةً لدى الدّولة العليّة. لقد كان جمعُ الضرائب في الدولة العثمانية يضطلع به الباشوات الملتزمون بجمعها في مهلةٍ محددة لملء خزينة الدولة، إلّا أنّ الدولة كانت لا تثقُ في الباشوات ،ولا تعوّل عليهم ؛لأنّهم كانوا يخطئون في عملهم ،لذا ظهرتْ حاجةٌ ملحّة

(1) رفعت الامام ،**الأرمن في مصر** ...مرجع سابق ،ص. 118.

(2) **غرف التجارة** : تتشكّل في المدن الرئيسية أماكنُ لاجتماع التجار برعاية حكومية حيث يجتمعون من أجل التشاور حول سبل تطوير التجارة ،ويبدون الآراء للحكومة حول السبل الضرورية لتنمية التجارة والصناعة تدعى هذه المؤسسة غرفة التّجارة، ويتمّ اختيار التجار الصيارفة من بين أعضائها وتصادق الحكومة على ذلك ،لمزيد من المعلومات ،أنظر: مكرديج هـ بولدو كيان ،مرجع سابق، ص. 49.

(3) رفعت الإمام ،**الأرمن في مصر**... مرجع سابق ، ص .114.

(4) *Arsen Yarman, a.g.e, s. 57.*

(5) مكرديج هـ. بولدوكيان ، مرجع سابق ،ص. 45.

(6) رفعت الإمام ،**الأرمن في مصر**... مرجع سابق ،ص. 108.

للاستعانة بأصحاب الأموال والأثرياء الأرمن ،فأصبح الأرمنُ صيارفة ،وأخذوا على عاتقهم مهمّةَ تسليم الضرائب لخزينة الدولة[1].

وبصرف النّظر عن هذا ،فإنّ الصيرفة لا تتوقّف عند هذا الحدّ ؛بل تتجاوزها إلى عملية منح قروضٍ ليس للأشخاص فقط ؛بل تصل إلى حدِّ منْح الدولة العثمانية قروضًا ،وهذا ما كانت تقوم به عائلةُ دوزيان *Düzyan* التي قدّمت قروضًا للدولة العلية مقابلَ فوائد[2] ،وقد تطوّر هذا النشاط إلى درجةِ قيام الأرمن بتشكيل بنوك خاصّة، مثل البنك التّجاري العثماني، وهو أوّلُ بنكٍ أرمني بلغ رأسُ ماله 100 ألف ليرة عثمانية[3].

ونسوق على ما كنّا بصدده نموذجًا ساقه مارسال ليار *Marcel Léart* في كتابه الموسوم بـ "القضية الأرمنية في ضوء الوثائق" وهو دالٌّ على النشاط التجاري والصّيرفي الكبير للأرمن ،في مجال التصدير من بين 166مفاوض تجاري نجد 141 أرمني 13 تركي و12يوناني ،أما في مجال التصدير من بين 150 مفاوض تجاري نجد 127 أرمني و23 تركي ، ومن بين 37 صيرفي نجد 32 هم من الأرمن و5فقط من الأتراك ، ومن بين 9800 من أصحاب المحلات والحرفيين نجد 6800 هم من الأرمن و2550 من الأتراك و450 من جنسيات مختلفة .[4]

في نفس السياق نسوق مثالا آخر، فحسب قائمة محضرة في سنة 1912 نجد في اسطنبول 40 شخصًا من أصحاب البنوك الخاصّة ،منهم 12 يونانيًّا و 12 أرمنيًّا و 8 يهود من الشّرق ،و 5 من أوروبا ،كذلك في قائمة مشكّلة بطريقةٍ متشابهة كان يوجد في إسطنبول 34 صاحبُ بورصة ،بينهم 18 يونانيًّا ،و6 يهود و5 من الأرمن[5] ونستشفّ- من خلال ما ذكرناه آنفًا- أنّ الأقليات المسيحية وخاصة الأرمن كان لها باعٌ عريض في مجال الصيرفة.

لم يكتف الأرمن بهذا بل أسّسوا عدّة شركات، أهمّها "شركة أماسيا الخيرية" والتي تأسّست عام 1871 م من مؤسّسها "ميناس كوفور كيان" و"كريسدوسادور"، بالإضافة إلى ذلك اتّفق فريقٌ من الأرمن المعروفين، وبعد حصولهم على موافقة الدّولة، أسّسوا شركة ماليةً ضخمة بفرعين، تحت اسم "شركة الأناضول وشركة الروميللي" وقد عملتْ هذه الشركة مع مئاتِ العملاء في جمع الضرائب لتساهم في ميزانية الدولة. كما اشتهرتْ عدّةُ شخصيات

(1) *Cahit Külekçi, **Sosyo – kültürel açıdan Ermeniler ve Tükler (İstanbul Ermenileri),** Kayihan yayınları, Istanbul, 2010, s. 102.*
(2) *Cahit Külekçi,a.g.e s. 94.*
(3) مكرريدج هـ. بولدوكيان، مرجع سابق، ص. 173.
(4) *Marcel Léart ,Op.cit,p.12.*
(5) *Arsen Yarman, a.g.e, s. 51.*

أرمينية هيْمَنت على جانبٍ كبير من النشاط الصيرفي ،فنذكر على سبيل المثال لا الحصر: سركيس هاروتيون كتاجنيان[1] وكراييت هوفهانيس أزنافوربان[2] أو مكرديج سركيس جزايرليان[3].

وبناءً على ما ذكرناه يمكنُنا التوصّلُ إلى بعض النقاط، ولعلّ أهمّها ما يلي:

- معَ حلول القرن 19 م أصبحت التجارةُ الخارجية خاضعةً لسيطرة القنصليات ومندوبيها والشركات الأجنبية، التي حرصتْ على تشغيل المسيحيّين الذين برعوا في اللّغات الأجنبية، مما ساهم في تحسين أوضاعهم الاقتصادية وخاصّة الأرمن، لأنّ المسيحيين كانوا يمتلكون أدواتِ النّجاح، ومن أهمّها اللغة.
- إنّ مزاولة الأرمن للنّشاط التجاري والصيرفي أدّى إلى بروز عائلاتٍ أرمينية بالغةِ الثراء، مثل عائلة دوزيان *(Düzyan)*. وفي نفس الوقت ،أدّى إلى خلق واقعٍ اقتصاديّ متميز للأرمن في المدن ،حيث أدرّ عليهم هذا النّشاطُ أموالًا طائلة ،استطاعوا من خلالها ربطَ علاقات مع البلاط.
- يمكن اعتبارُ الأرمن الطبقةَ الأغنى في الإمبراطورية العثمانية ؛إذْ كانت ملكية أكثر من 95% من المعامل في إسطنبول ومنطقتي البحر المتوسط والبحر الأسود ؛تعود للأرمن واليونانيين[4] .

المطلبُ الثّالث: الحرفُ التي مارسها الأرمن:

مارس الأرمن عدة حرف، حتى أنهم برعوا في بعض الحرف فأصبحت حكرا عليهم، ومن أهمها نذكر:

1- صناعةُ الحرير:

مِن المدن التي أظهر فيها الأرمنُ أنشطةً اقتصادية كثيفة ،نجد مدينة بورصة ،وفي مقدّمة هذه الأنشطة حياكةُ الحرير ،وقد تأسّس في هذه المدينة أوّلُ مصنعٍ لحياكة الحرير ،وبمجيء سنة 1862 م وجد بها 90 مصنعًا لحياكة

---

(1) **سركيس هاروتيون كناجيان:** القسطنطينية (1873م - ؟) تلقى تعليمه في مدرسة هاكوب كوركين الأرمنية وتخرج منها عام 1889زاول التجارة منذ عام 1891م، أسس عام 1896 الشركة التجارية المعروفة بـ "هاروتيون كناجيان وأولاده" أصبح عام 1914 عضو مجلس إدارة في المصرف الأرمني. أنظر: مكرديج هـ، بولدوكيان، مرجع سابق، ص ص. 174-175.

(2) **هوفاتيس كرابيد أزنافوريان :** القسطنطينية (1792-1864) تلقّى تعليمة لدى رجل دين إيطالي كاثوليكي ،انضم إلى شركة والده للصرافة وجمع ثروة كبيرة ،تم نفيه إلى جزيرة إليميا عام 1880 ،وبعد عودته استمر في الصرافة ،كان يملك متجرًا خاصًا في أيدن ،حصل على لقب أمير. أنظر: نفسه، ص. 175.

(3) **سركيس جزايرليان القسطنيطنية (1805-1861) :** مارس مهنة الصيرفة منذ أن كان يبلغ العشرين عامًا ،وجمع ثروة خياليّة ،موظف حكومي ومراقب جمركي أسهم في تأسيس صناعية الحرير في الدولة العثمانية ،قام بترميم شوارع بعد سقوط مناصره الوزير رشيد باشا عام 1859 ،تمّ الاستيلاء على أملاكه ،وغادر إلى إنجلترا وفشل في استرجاع أملاكه ،بعد رفع دعوى قضائية ،كان يلقب بالأمير. نفسه، ص. 176.

(4) نفسه ،ص. 168.

الحرير[1]. وجديرٌ بالملاحظة في هذا الإطار أنّ الدولة العثمانية لما أرادتْ أن تواكبَ التّطوراتِ الحاصلةَ في هذا الميدان قامتْ بإرسال بعضِ الأرمن إلى فرنسا وإيطاليا من أجل تعلّم المهارات الخاصّة بصناعة الحرير، من بينهم مهران أفندي *Muhran Efendi* مدير فرع الحرير. كما أنّنا نجد في صدارةِ صناعة الحرير اسمًا أرمينيا آخر هوَ أغوب غيرتشيكان *Agop Girçikyan*، والذي كان من قبل أستاذًا للّغة الفرنسية للصّدر الأعظم مصطفى رشيد باشا، وقد درس في أوروبا وزارَ مدنًا أوروبّية مختلفة، كما أنّه تابع- باهتمامٍ- التّطوراتِ التي كانت في المجال الزّراعي خاصّة، وعندما عاد إلى اسطنبول تمكّن من تجسيد ما درَسَه، واشتهر بمؤلّفه الموسوم بـ "صناعة الحرير"، وكانت اللّغة الأصلية للكتاب الأرمينية، ثمّ تُرجِم إلى اللغة التركية[2].

وقد أسّس الأرمنُ عدّةَ مصانع لحياكة الحرير مثل مصنع خوسروكور كيجيان للحرير عام 1881، فبعد تخرّج هذا الأخير من المدارس الأرمينية سافرَ إلى لندن لدراسةِ صناعة الحرير الحديثة، ذاع صيتُه في القسطنطينية بجَمال الألوان والزّخارف التي كان يستعملها على الحرير[3]. وهكذا ساهم الأرمنُ في تنمية صناعة الحرير بتأسيسهم عدّة مصانع استعملتِ تّقنياتِ حديثة جلبوها من أوروبا.

2- الطّباعةُ على القماش:

تعدّ الطباعةُ على القماش من الحرفِ التي اشتغلَ فيها الأرمن، فقد اشتهروا بالطّباعة على قماش الموسلين الخفيف، وكانت لهم شهرةٌ اخترقتِ الآفاق، وامتدّت من أواسط آسيا حتّى الأناضول. وقد اعتبرت مدينةُ توكات *Tokat* مركزًا لهذه الصّناعة، واستعملت فيها الألوانُ القاتمة مثل البني والبنفسجي القاتم والأرجواني والأحمر القاتم، كما انتشرتْ هذه الصّناعة في مناطقَ من إسطنبول مثل: سماتيا *Samatia* و أوسكودار *Üsküdar*، والجدير بالتّسجيل أنّ هذه الصناعة قد برعَ فيها المسيحيّون، وفي مقدّمتهم الأرمن؛ لأنّ الإسلام يحرّم التصوير[4].

3- الخياطة:

كانت الخياطةُ واحدةً من الحرفِ التي زاولها الأرمن، وقد عرفت هذه الحرفةُ أوضاعًا صعبة نتيجة استيراد الملابس الجاهزة والرّخيصة ذات الجودةِ العالية من الدّول الأجنبية خلال النصف الثاني من القرن 19 [5]. ومن أجلِ تجاوز هذه الأوضاع السّيئة المحيطة بهذه الحرفة؛ طلب الأرمنُ من الدولة العثمانية زيادة الضرائب المفروضة على

(1) *Arsen Yarman,a.g.e, s. 42.*
(2) *Cahit Külekçi, a.g.e, s. 197.*
(3) مكرديج هـ. بولدوكيان، مرجع سابق، ص. 184.
(4) *Cahit Külekçi, a.g.e, s. 42.*
(5) رفعت الإمام، **الأرمن في مصر**... مرجع سابق، ص. 135.

الألبسة الجاهزة المستوردة، أمّا الألبسة ذات الصّنع المحليّ على الأقلّ يتمّ إعفاؤها من الضرائب في الإسكلات الدّاخلية، لكنّ الدولة العثمانية رفضتْ هذا المقترح، وفي سنة 1892 أعاد الحرفيّون الأرمن نفسَ الطلب على الدّولة لكنّها رفضت مجدّدًا.

عرفتْ سنة 1892 قيامَ الدولة العثمانية بإنشاءِ مصانع الخياطة من أجل صنع ألبسةٍ عسكرية من القماش المحلّي للعسكر، فقامت بإرسال شبابٍ إلى مدن أوروبّية مثل: فيينا وباريس؛ من أجل تعليمهم الخياطة، ولم يثبتْ فيما إذا كان الأرمنُ قد اشتغلوا في هذه المعامل، لكنّنا في سنة 1882 نجد اسمَ الأرمني آشيليان *Aşilyan* الذي كان خيّاطًا في قصر يلديز *Yaldız* . ومن الأسماء الأرمنية التي اشتغلت في الخياطة في إسطنبول نجدُ على سبيل المثال: بوغوس آغا *Bogos* ağa، رافائيل أوهانيس *Rafael Ohannes* ،توبتشو أوغلو مراد آغا *Topçu oğlu Murat* [1].

4- التّطريز:

يشكّل التطريز فرعًا من الفروع المساعدة في الخياطة ،وقد برز الأرمن كذلك في هذه الحرفة حيث تفوقوا في التطريز حتّى على الأوروبيين أنفسهم ،وشهدتِ المنتوجات الأرمنية رواجًا منقطعَ النظير ،حيث اشتهر الأرمن بصنع الفوط المطرّزة بخيوط مبرومة ،ومفارش المحمل الشّريف المطرزة بخيوطٍ معدنية ،ولا يفوتنا التنويه في هذا السّياق قيام مصرَ باستدعاء مطرّزين أرمن من الأستانة لتلبيةِ حاجات الطبقة الحاكمة ،ويمكن أن نسوق كمثالٍ استدعاءَ السّيدة سيربوهي كالفان من الأستانة ستّ مرّات ما بين عامي (1808-1856) لتطريز جهاز العروس وملابسها للأميراتِ المصريّات في أعراسهن[2].

5- صناعةُ الزّرابي :

حياكةُ الزّرابي في البداية كانت يدوية، ثمّ أصبح لها طابعٌ صناعي، حيث كان هناك مصانعُ تحوي 3000 امرأة تنسجُ الزّرابي، وكلهنّ كنّ من الأرمينيات تقريبًا. وكان يتمّ استيرادُ الصوف الرقيق الموجّه لصناعة الزرابي من الخارج ،وكانت الزرابي الأرمينية تُباع في أوروبا وأمريكا باسْم سجّاد إزمير *Symirne* التي كان يوجد بها أكبر ميناءٍ في الشرق[3].

---

(1) *Cahit Külekçi, a.g.e, s. 100.*

(2) رفعت الإمام، **الأرمن في مصر**... مرجع سابق، ص. 136.

(3) *Yvs Ternon, Jean Claud Kebabdjian, Op.cit, p. 46.*

6- حرفٌ أخرى:

فضلًا عمّا ذكرناه ،فإنّ الأرمن قد مارسوا جميعَ الأنشطة الاقتصادية تقريبًا على المستويات الصناعية والحرفية، فامتازوا بحيويّتهم وخصالهم التي أسْدوا – من خلالها – خدماتٍ كبيرةً للمجتمع العثماني على امتداد تاريخٍ طويل ،فقد كانوا على الدّوام من الناس الحاذقين والمهرة يعتمدون على أنفسهم في كسْب رزقهم ،ولست هنا في مَعْرض تزكيةِ الشّعب الأرمني ،فهي حقيقةٌ تاريخية ذكرها الكثيرُ من المؤرخين[1]، وما يؤكّد قولي وقولَ هؤلاء المؤرّخين ما ذهب إليه الجغرافي الفرنسي فيكتور أمادي دي بوكاج *Victor Amédée de Bocage* .

فعندما "فتحت " الجزائر من طرف فرنسا سنة 1830 م ،سعتْ فرنسا بكلّ قواها للاحتفاظ بهذه المستوطنة التي اعتبرتْها من أجمل المستعمرات التي يمكن أنْ يمتلكها شعب ،مساحتها 16.000.000 هكتار، تنقسمُ إلى قسميْن مميّزين : القسمُ الأوّل : الصّحراء تمتدّ جنوب الأطلس ،وهي غيرُ صالحة للزراعة ،القسمُ الثاني والمتمثّل في التّل : فهو يمتدّ بين الأطلسي والبحر ،وفي الوقت عينه هذه المنطقة تتميّز بخصوبتها المنتشرة في كلّ الأودية تقريبًا ، وهذا ما سيؤهّلها لتكون مطمورة فرنسا في السّنوات العجاف ،كما لقبت في الماضي بمطمورة روما. وفي هذا السّياق فإنّ فرنسا اتّبعت فكرةَ الاستيطان في الجزائر ،ولكنّها – وبإيجازٍ شديد – لم تصلْ إلى هدفها المنشود[2].

مباشرةً بعد احتلال الجزائر، تدفّقت عليها موجاتٌ من المستوطنين من كلّ الجنسيات: سويسرية، ألمانية، إسبانية، إيطالية، مالطية... إلخ. وبذلوا قصارَى جَهْدهم من خلال الاستثمارات التي قاموا بها، إلّا أنها لم تستجبْ لما كانوا يتطلّعون إليه، واستعملت فرنسا كلّ الوسائل، لكنّ كلّ هذه الجهود باءت بالفشل، مما دفعها للبحثِ عن أسبابِ هذا الفشل، والتي كان مِن بينها: عدم تأقْلم المهاجرين مع مناخ الجزائر، فكثيرًا ما كانوا يقعون فريسةً للأمراض النّاتجة عن تغير المناخ، وهذا ما جعل بوكاج *Bocage* يقترح ضرورةَ البحث عن شعبٍ له خاصية التّكيف مع مناخ الجزائر، ومدفوع للهجرةِ لظروف لا يمكن مقاومتها. وفضلًا عن ذلك يجب أن يكون هذا الشّعبُ متديّنًا وصناعيًّا وزراعيًّا ،وفي نهاية المطافِ توصّل إلى أنّ هذه الشروط توجد مجتمعةً في الشعب الأرمني ، وإنّ ما يلفت الانتباهَ في تاريخ الأرمن هو كثرةُ الحروب التي أدّت إلى تقسيم أراضيهم بين تركيا وروسيا وإيران ،فالدّين والوجهُ الحضاري المشرق

---

(1) من هؤلاء المؤرخين نذكر الدكتور رفعت الإمام المتخصص في الشأن الأرمني والدكتور محمد الشناوي، وأحمد الشرقاوي وهو متخصّص كذلك في الشأن الأرمني.

(2) *Victor – Anédée Barbié de Bocage,* ***De l'introduction des Arméniens Catholique en Algérie****, Paris, 1855, pp- 5-6.*

للأرمن يجعلهم على درجةٍ كبيرة من الأهمية ،فبالرّغم من اغتصاب أراضيهم فإنهم كانوا يجنحونَ دومًا للسّلم .فمُجْمل ما دعا إليه بوكاج *Bocage* هو توطينُ الأرمن في الجزائر[1].

النّحاسة :عُرف الأرمنُ بصناعة الفضّة والنحاس ،وكانوا يقومون بها بمهارةٍ كبيرة[2]،وقد عرفت هذه الحرفة ضائقة بسبب استيراد الأدواتِ النُّحاسية المخصّصة للمطبخ من أوروبا ،وفي الوقت عينه ظهرتْ طلباتُ الحرفيين التي اقترحت على الدّولة العثمانية إمّا زيادة الضريبة على السّلع المستوردة من أوروبا ،أو تقليص الضريبة على سلع النّحاس ،غير أنّ هذه الطلبات المذكورة قوبلت بالرفض. ومن النحّاسين الأرمن المعروفين في إسطنبول نجد : أهانيس باكيرجيان *Ohannes Bakırcyan* وباكيرجي أندون *Bakırcı Andon* [3].

حرّاس وعسْكر :اشتغل الأرمنُ بصفتهم عسكرًا وحرّاسًا للبحرية والترسانة ،وكذلك أمن بارود خانة ،بالرغم من أنّ هذه المهنة لم تكنْ منتشرةً كثيرًا في الدولة العثمانية ،ففي البداية كانت تشغل اليونانيّين ثمّ شرعت بتشغيل الأرمن، والجديرُ بالذّكر أنّ هؤلاء الحرس والعسكر الذين يشتغلون لدى الدّولة لم تشملهم الضرائب ،فضلًا عن ذلك في حالةِ موتهم يُختار شخصٌ من نفس الجماعة التي ينتمون إليها ليحلّ محلّهم[4].

الطّباعة: لقد تأخّر دخولُ المطبعة إلى الدولة العثمانية، إلّا أنّ الأقليات غير المسلمة كانت سبّاقة إلى تأسيس المطابع، فأوّلُ مطبعةٍ للأرمن قد أسّست سنة 1587 م في الدولة العثمانية. ومن أجل تأسيس مطبعةٍ يجب طلب رخصةً من الدّولة العثمانية، وهذه الأخيرة بدوْرها تجري تحقيقات بخصوص الأشخاص المؤسّسين والمطبعة التي سوف تتأسّس، إذ أنّها كانت تعطي الرخصةَ إذا لم تلاحظْ أيّ مانعٍ في تأسيس المطبعة. أمّا إذا كان الأشخاصُ المؤسّسون غيرَ مناسبين، أو أنّ هناك مطابعَ تشتغل دونَ رخصةٍ؛ يتمّ غلقُ هذه المطابع بعد القيام كذلك بالتّحقيقات الضرورية ويتمّ معاقبة أصحاب هذه المطابع. بموجب القانون الأساسي للمطابع والساري المفعول في سنة 1885 نجد اسمَ الأرمني أغوب باياجريان *Agop Bayacryan* في مقدّمة الأرمن المشتغلين في المطابع ،وقد درسَ هذا الأخيرُ في معهد روبيرت *Robert Koleji* ،كما أنّه درس الطباعةَ في أمريكا، وبعد عودته إلى إسطنبول سنة 1867 م طلب رخصةً من الدولة العثمانية من أجل فتْحِ مطبعة ،أعطيت له هذه الرخصةُ بشروطٍ محدّدة ،وقد أسّس مطبعتَه الأولى سنة 1867 م[5].

---

(1) *Victor – Anédée de Bocage, Op. Cit, pp. 12-13.*
(2) *Arsen, Yarman, a.g.e, s. 42.*
(3) *Cahit Külekçi, a.g.e, s. 89.*
(4) *Saro Dadyan,* ***Osmanli `da Ermeni aristokrasısı****, Everest yayınları, 2011, s. 181.*
(5) *Cahit Külekçi, a.g.e, s. 29 – 93.*

الحِدادة : الحدادة مهنةٌ نجدُها في المدن الرئيسية مثل إسطنبول ،وحتّى في المناطق الريفية ،وهي من المهن التي مارسَها الأرمن لكسْبِ رزقهم ،ومع الأهمية الكبيرة والمتزايدة لمهنةِ الحدادة اجتمع الحدّادون تحت مؤسّسة منظمة، ولم يؤخذْ من هذه الأخيرة الضّرائب التي كانت تؤخَذ من بقية الحرف ،ومن الأرمن الذين امتهنوا هذه الحرفةَ نجد: ساكا أغلو كرابات آغا Saka *oğlu Karabet ağa*،أسادور أغلو حاجي أغوب *Asador oğlu Haci Agop* (1)

التّحميل :لقد زاول هذه المهنةَ الأرمنُ القادمون موسميًّا من القرى إلى إسطنبول ،كما أنّهم كانوا يأتون من ولاياتٍ مختلفة من الأناضول ،أمّا الأماكن التي كان يشتغل بها هؤلاء فهي :غالاطة Galata، كراكويKaraköy وتوب خانه *Tophane* ،والشيء الملاحَظ أنّهم كانوا في نهاية القرن 19 إلى جانب ممارستهم لمهنة التحميل فقد انخرطوا في الأنشطةِ المعادية للدّولة العثمانية ؛لذلك منعتهم الدولةُ من المجيء إلى دار السعادة(2).

يتضح مما سبق أن الأرمن لعبوا دورًا بارزًا في التجارة الخارجية، بواسطة ممارستهم دورَ الوسيط التجاري بين الدولة العثمانية والدّول الأوروبية، وقد اختارهم الأوروبيّون لعدّة اعتبارات، ولعلّ أهمّها هو معرفتهم باللغات الأجنبية، والاعتبارُ الثاني هو العاملُ الدّيني، كما أنّهم ساهموا – إلى حدّ كبير – في تطوير الحياة الاقتصادية من جهة، ومن جهةٍ أخرى راكموا ثروات كبيرة خلالَ الفترة قيد الدراسة، وسمحَ لهم هذا الثراء بربط علاقات بالبلاط.

(1) *Cahit Külekçi ,a.g.e, s. 101 – 102.*
(2) *a.g.e, s. 89.*

المبحثُ الثّالث: الوضعُ الاجتماعي للأرمن في الدّولة العثمانية

المطلبُ الأوّل: الأسرةُ الأرمنيّة في المجتمع العثماني.

المطلبُ الثّاني: الزّواجُ في المجتمع الأرمني.

المطلبُ الثّالث: تأثيرُ الثّقافة الأوروبية على المجتمع الأرمني.

المطلبُ الرّابع: علاقةُ الأرمن بالأتراك والأكراد.

اتّسمت المصادرُ والمراجع التي أنجزتْ حول الأرمن، سواء ما تعلّق منها بالدراسات المنشورة باللغة التركية والتي تنوء بالعُصبة، أو العربية والتي تتميّز بقلّتها، وحتّى الفرنسية؛ بتركيزها على الجانبِ السياسي أكثرَ من اهتمامِها بالمجالات الاقتصادية والاجتماعية، أو أنّها تناولت هذه المجالاتِ بصفةٍ عَرَضية، فلم تأخذ حظّها كفايةً مِن الدّراسة.

المطلبُ الأوّل: الأسرةُ الأرمينية في المجتمع العثماني:

1- الأسرةُ الأرمينية:

كان المجتمعُ الأرمني في الدولة العثمانية طيلةَ فترة طويلة قائمًا على سلطة الأب، فالأسرةُ الأرمينية هي أسرةٌ أبويّة بالدرجة الأولى؛ حيث يتبوّأ فيها الأبُ مكانةً مهمّة، فهو صاحبُ السّلطة المطلقة. ومن المهامّ التي يضطلعُ بها الإشرافُ على البيت فهو ربّه، وهو الشخصُ الوحيد المسئول عنِ المشتريات، وباختصارٍ يقع على عاتقِه عبءُ إعاشة الأسرة. عادةً هذه الأسر تتشكّل من الأبناء الذين يقعُ على عاتقهم تنفيذُ جميع أوامر الأب على أكْمَل وجْه، وفي حال مخالفةِ أوامره فإنّه يملك سلطةَ طردهم من المنزل ،وحرمانهم من الميراث(1).

وإذا قارنّا طبيعة الأسرة الأرمينية مع الأسرِ التركية ،فهذه الأخيرة كانت بدوْرها أبويّةً ،سواء في المدن أو في القرى ،ونسوق على ما كنّا بصدده نموذجًا رأينا أنّه دالٌّ على التّشابه بين الأسرتين ؛فالأسَرُ الأرمينية ترتكز على احترامِ كبار السّن ،فالصّغارُ لا يتكلمون حتّى يعطيهم الكبارُ الإذن ،كذلك الأسَرُ التركية تولي اهتمامًا كبيرًا للسنّ والخبرة ،فهُمَا يمثّلان أسسَ طبيعة السّلطة (2). واللافتُ للانتباه في هذا السّياق هو تأثيرُ القوانين الإسلامية على الأرمن؛ حيث جرى تبادلٌ حضاريّ بين الأرمن والأتراك نتيجةَ تعايشهم جنبًا لجنبٍ لقرون عديدة؛ وهذا التشابه الكبيرُ أيًّا كان مصدرُه فقدْ سهّل على الأرمن الاندماجَ فأصبحوا جزءًا حيويًّا في النسيج الاجتماعي العثماني.

يلعبُ الدينُ دورًا مهمًّا في الأسرة الأرمنية ؛فهذه الأخيرةُ تعتمد على مفاهيمَ دينيةٍ مثل الاستقامة تجاه الكلّ، والطّهر ،والعيش الجماعي ،واحترام الكبير(3) ،كما أنّ أفرادها يحرصون على أداءِ عباداتهم في الكنائس ،وفي حالِ عدم وجود الكنيسة يقومون بعباداتِهم في منازلهم ،ونتيجةً لذلك، كان لرجالِ الدّين مكانةٌ مرموقة في المجتمع الأرمني ، أحيانا في حالِ وجود شكاوى من طرفِ الشّعب فإنّه يتمّ إعلامُ الدولة العثمانية، وبعدَ أن تنتهي الدولةُ من مساءلتِهم تعمل كلّ ما في وسْعِها لحلّ المشْكِل بالاتّصال بالمؤسسة العثمانية المختصة ،وهي البطريركية التي تتّصل

(1) *Murat Gökhan Dalyan, **XIX Yüzyılda gelenekten batı kültürüne geçişte Ermeni yaşamı**, öncü Basımevi, Ankara, 2011, s. 12.*

(2) *Frédéric Hitzel, Op. cit, p. 261.*

(3) *Cahit Külekçi .a.g.e, s. 45.*

بها فتأمرها باتّخاذ التدابيرِ اللازمة من أجل حلّ المشاكل[1] ،لكنّ السلطة التي كان يتمتع بها هؤلاء بدأتْ تتضاءل مع دخول التأثيراتِ التّغريبية.

وأحيانا أخرى في حال وجودِ خلافاتٍ يومية بين أفراد الملّة ،فإنّهم لا يلجئون أبدًا إلى المركز – أي الدولة العثمانية – أو إلى مرجعيّاتهم ؛بل إنّهم يحاولون حلَّها فيما بينهم ،وهذا إنْ دلّ على شيء فإنّه يدلّ على تمسّكهم بعاداتهم وتقاليدهم التي ترتكزُ بالأساسِ على الحياةِ المشتركة[2] ،كما تدلّ على أنّ الأواصر الاجتماعية بين أفراد المجتمع الأرمنيّ كانت قوية.

استنادًا إلى ما سبق، نشيرُ إلى حدوث تغييراتٍ في المجتمعات العثمانية، سواء مسيحية أو مسلمة، فالوضع السّابقُ لم يبقَ على حاله، حيث بدأ يتغيّر شيئًا فشيئًا، نتيجة تأثير الثّقافة الأوروبية التي جاءت بها الإرساليات، لكنّ هذا التأثير كان نسبيًّا، فقد كان كبيرًا في المدن الكبيرة، ولم تكنْ مناطقُ شرق الأناضول بمنأى عن هذه التّغييرات التي حدثتْ في أوساط الأرمن، والجدير بالذّكر أنّ معظم دعاةِ تغيير أنماط الحياة التقليدية كانوا من خرّيجي مدارس الإرساليات.

2– مكانةُ المرأة الأرمينية :

نظرَ المجتمعُ الأرمني للمرأة نظرةً دونيّة ؛حيث اقتصر عملُها على تدبير شئون البيت ،وعدم التقصير في احترام وخدمةِ الزّوج وكبار العائلة ،ولم يقتصرْ هذا على الزّوج أو كبار العائلة ،بل تعدّاه ليشمل إخوة الزوج الذّكور حيث تقوم كذلك بتنفيذِ أوامرهم وطاعتهم[3]، ونسوق إلى ما نحن بصدده شكلًا آخر يتمثل في المرأة الأرمينية التي تعيشُ في المناطق الريفية ،والتي كانت بالإضافة إلى أعمالها المنزلية تشاركُ في إعانة زوجها في حالة عدمِ قدرته عن طريق ممارستها لبعضِ الحرف مثلَ صناعة الفخّار وصناعة بعض المأكولات وبيعها ،علاوة على ذلك صناعة الزرابي كما كانت تقومُ ببيع ما تنتجه أو تقايضه[4] ،وهذا إنْ دلّ على شيء فيدلّ على أنّ مسئولية المرأة كانت مضاعفةً على مسئولية الرجل.

لقد أوْلَت الأسرُ الأرمينية أهميةً كبيرة لتربية بناتها ،أكثرَ ممّا أوْلَته للذكور ،وهذا يمكن أنْ نعزوه إلى المهامّ الشّاقة والمسئوليات التي كانت تنتظرُها في المستقبل ،أي بعدَ زواجها ،فابتداءً من سنّ الثامنة يشرع في تحضير البنتِ

---

(1) *Cahid Külekçi, a.g,e, s. 46.*

(2) *a.g,e, s. 47.*

(3) *Murat Gökhan, a.g,e, s. 15.*

(4) *Ahmet Kanakal, Şükrü Batmaz, "Women in Armenian and daily life, (Based on the Armenian stories of the 19th and 20th Centuries", **Osmanli Siyasal ve Sosyal Hayatında**, **Ermeniler**, IQ Kültür Sanat yayıncılık, Istanbul, 2009, s. 321.*

للزّواج وتعليمها مسئولياتها المقبلة ،حيث تتعلّم الأشغالَ المنزلية والحرف مثلَ الخياطة والطرز[1]. لقد كان ينظَرُ للمرأة الأرمينية من طرفِ زوجها وأخيها على أنّها خادمة أو أمَة ،وفي حال ما إذا مرضتْ أو عجزت يُنظَر إليها باحتقار وفي المقابل كان عددٌ قليل من الرّجال الذين ينظرون لزوجاتهم أنهنّ متساويات معهم ،لكن الحقيقة أنّ هذا العدد كان قليلًا جدًّا[2].

كانت ملابسُ الأرمينيات في القرن 19 شبيهةً بملابس المسلمات ،فعندما تخرج الأرمينية إلى الشارع لا يُرى منها إلّا عيناها وأنفها ،وتلبس الجلباب ،وبهذا الشّكل يمكنها أن تخرج إلى الخارج ،كما أنّها لا تخرج من بيتها بدون ضرورة ؛لأنّ خروجها بدونِ ضرورةٍ سيؤدّي إلى فقدانها احترامها في المجتمع ،ونتيجةً لهذا فحتى البنات اللواتي يبلغْنَ من العمر 7 و 6 سنوات لا يرسَلْن إلى البقّال ،فالأرمن في هذا الموضوع محافظونَ أكثرَ من المسلمين أنفسهم[3].

تمدّنا كتبُ الرّحالة الأوروبيّين[4] ،بمعلوماتٍ مهمّة حول أوضاع المرأة الأرمينية ،ويجدرُ التنويه هنا أنهم استغربوا من عدم السّماح للمرأة الأرمينية بلقاءِ الأجانب ،وفي هذا السّياق ننقل ما أورده الرحالة الفرنسي م. بيروت M. *Perrot* الذي ذكر أنّه استُقْبل استقبالًا جيدًا من طرف صاحبِ بيتٍ أرمني ،ولكنّه عندما سأله هذا الأخير عن سبب عدم تعريفِه له بزوجته ،فما كان ردُّ صاحب البيت إلّا أنْ قال له : "هكذا هي العاداتُ عندنا"، كما أنّه أردف قائلًا : "بالنّسبة إليّ هي عادةٌ حكيمة ،ما هي الفائدةُ عندي من رؤية نساءِ رجالٍ آخرين، فزوجتي أخذتها من أجلي فهي مالي" . ونضيف إلى ما نحنُ بصدده، ما وصفه هذا الرّحالةُ من وضع المرأة الأرمينية عند زوجِها، حيث ذكر بأنّها محبوسةٌ في بيتها، وكانت بمثابة الأَمَة لزوجها، علاوةً على هذا تضطرّ للقيام بأيّ عمل من الأعمال الحقيرة"، فهي تغسل رجليْه، وعندما يأكل تقومُ بخدمته. فهذا الرحّالةُ لم يجدْ بدًّا من وصف هذه العادات الأرمينية بالبربرية[5].

وضعُ المرأة الأرمينية لم يختلفْ عن وضع النّساء في الدولة العثمانية ،فالأسَرُ الأرمينية على غرار الأسَرِ العثمانية كانت تتبع عاداتٍ وتقاليدَ صارمةً تجاه المرأة ،ففضلًا عن عدم التقائها بالأجانب ،كان صوتها لا يُسْمع أبدًا [6]. كما أنّه لم يكنْ يسمح للكِنّة الجديدة ببعضِ التّصرفات ،مثل الحديث إلى كبار العائلة أو الأكل إلى جانبهم فهذه العاداتُ كان يجب عليها أنْ تتبعها لسنوات ،وأحيانًا حتى وفاتها ،حيث كانت الكنّةُ الجديدة تشرح طلباتها

(1) *Ahmet kanakal, Şükrü,a .g.m , s. 342.*
(2) *Murat Gökhan Dalyan, a.g.e, s. 16.*
(3) *a.g.e, s. 18 – 19.*
(4) الرحالة الذين وردت أسماؤهم في الكتاب هم: السائح الإنجليزي *Burnabg* والكاتب الفرنسي *M. Perrot*.
(5) *Murat Gökhan, a.g.e, s. 19.*
(6) *Cahit Külekçi, a.g.e, s. 72.*

عن طريق حركةِ الرّأس ،أو أنها تهمس بصوتٍ مُنخفض ،والغريب في كلّ هذا أنّ الكنّة لم تكن مسئولة حتّى عن أبنائها ،فهي مجرّد أمٍّ تقوم بأعمال الغسيل ،وتلبّي احتياجاتهم اليومية ،أمّا تربية أبنائها فهي تعود بالأساس إلى أمّ الزوج ،فهي مسئولة عن ذلك [1].

أما بالنسبة لعلاقة الرجل بالمرأة في المجتمع الأرمني، كان الأرمن في القرن 19م يرونَ أنّ المكان الطبيعي للمرأة هو البيت، لذلك فالمرأةُ لا تمشي في الشّارع بمفردها، بل بمعيّة زوجها، وهذا الأخيرُ لا تمشي إلى جانبه النّد للندّ، وإنّما تتراجع خطواتٍ خلفه، وكلّ مَن تفعل خلافَ ذلك لا ينظر إليها باحترامٍ من طرف مجتمعها، ويُعاب عليها ذلك. كذلك مِن بين العادات التي اتّبعت من قِبَل المجتمع الأرمني هو منعُ الجلوس إلى جوار الرّجل في الكنيسة، حيث كان يفصَلُ بينهما بواسطة حاجز. وفي نفس السياق لم يكن يسمَحُ في منطقة سيواس (*Sivas*) إلّا للنساء المتقدّمات في السنّ بالذهاب إلى الكنيسة[2] ،وعندما بدأت الثقافة الغربيّة تتغلغل في أوساط المجتمع الأرمني كان أوّلُ مَن تبنّاها هُم الرجال ،لكن بصفةٍ محدودة ،واقتصر هذا فقط على الرّجال المثقّفين (الميسورين) الذين سافروا إلى أوروبا بغرض الدّراسة ،وعندما عادوا إلى بلادهم شرعوا في العيْش على نفس النّمطِ الأوروبي ،وتركوا العاداتِ والتقاليدَ القديمة ،حيث بدأ الرجالُ والنساء في الأكل والمشي معًا[3].

فضلًا عن كلّ ما ذكرناه ،لا يفوتنا في هذا الإطارِ الإشارةُ إلى أنّه لم يكن يُسمَح للفتاة الأرمينية الالتحاق بالمدرسة ،وذلك لمعارضتهم تعليم البنات ،ففكرةُ تعليم المرأة لم تكنْ مقبولةً إلى غاية نهاية القرن 19 م ،فلمْ تحظَ الأرمينية بأيّ قدرٍ من التعليم سوى عددٍ قليل منهنّ[4] ،وكان شأنها في ذلك شأنَ كلّ النساء العثمانيات. لكنّ هناك مستجداتٍ أدّت إلى حدوثِ تغيير على وضْع المرأة الأرمينية ،وفي مقدّمتها الإرساليات التّبشيرية الأمريكية التي قامت بفتح عددٍ من المدارس الخاصّة بتعليم البنات ،فهذه الإرسالياتُ عملت على تحطيمِ العادات الأرمينية القديمة ،كما أنّها عملت على تعليم البناتِ التمريض والأشغال اليدوية ،حتّى أنهنّ بعد تخرجهنّ بدأن يعْمَلن ،في وقتٍ كان عملُ المرأة في المجتمع الأرمني أمرًا غريبًا ،حتّى أنّ بعضهنّ عملنَ في التمثيل ،لكنْ عددهُنّ قليل[5].

(1) *Murat Gökhan, a.g.e, s. 20.*
(2) *a.g.e, s. 21*.
(3) *a.g.e s. 22*
(4) *Ahmet Kankal, Şükrü Batmaz, a.g.m*, s. 249.
(5) *Murat Gökhan, a.g.e, s. 24-25*.

المطلبُ الثّاني: الزّواجُ في المجتمع الأرمني:

نظرًا للأهمية الكبيرة التي يوليها الأرمنُ للزّواج، هذا الأمرُ دفع بهم إلى الاهتمامِ بتربية الفتاةِ تربيةً خاصّة. فقدْ سبق وذكرْنا أنهنّ يتلقّين منذُ نعومة أظافرهنّ تربيةً خاصّة لإعدادهنّ للحياة الزوجية ،أو بتعبير آخر حياة المتاعب فالزّواجُ لدى المرأة الأرمينية يعني أنّها سوف تفقد الحريةَ التي كانت تتمتّع بها في عائلتها ،كما يعني انتقالها إلى العيشِ مع آخرين ،أو إلى عشيرةٍ أخرى[1]. فالمجتمع الأرمني وضَعَ شروطًا للزّواج ،فلا يجوز الزواجُ من خارج الملّة الأرمينية فالأرمني لا يجوز له أنْ يتزوّج إلّا بأرمينية ،أمّا عدا ذلك لم يكنْ مسموحًا به إلّا في حالات نادرة ،حيث كان يُسمَح للأرمني أنْ يصاهرَ سريان ،وفي المقابل يستحيلُ القبولُ بالزّواج بمسلم أو مسلمة ،بالرغم من هذا وجِدت حالاتٌ نادرة لزواجِ أرمنيّ بمسلمةٍ أو مسلمة بأرمني ،كانت نهايتُها أنْ عاش الآباء وماتوا وكأنّهم ارتكبوا عارًا عظيمًا[2].

أهدافُ الزّواج لدى الأرمن تختلفُ بين الريف والمدينة، فالزواجُ في القرى يكون لأسبابٍ محدّدة مثل إنجاب الأولاد للمُساعدة في أعمال الزّراعة والأشغال اليومية، كما يهدف للإتيانِ بكنّةٍ تقوم بمساعدة الأمّ في أعمالِ البيت، فالعروسُ توجّه مباشرةً للأشغال المنزليّة والزراعية. وهذا ما جعلَ الزواجَ يرتّب بين الأمهات والآباء ولا يؤخَذ برأي العروسين إطلاقًا، فلا دخلَ للزّوج والزوجة في اتّخاذ القرار، كما أنّه لم يكنْ لجمال المرأة أهمية كبيرة. أمّا في المدينة الأمرُ يختلف تمامًا ؛فالشخصُ لا يفكّر في الزواج حتّى يكمل دراسته ،ويجِدَ عملًا مستقرًّا ،كما أنه مِن الممكن للشّخص أن يلتقي بالعروس قبلَ الزواج ويتعرّف عليها ويأخذَ القرارَ بشأن الزواج[3].

أمّا سنّ الزواج لدى الأرمن كان مبكّرًا خصوصًا لدى البنات ،لكنّ السنّ كان يختلف من منطقةٍ إلى أخرى ففي بعض المناطق سنُّ البنات كان ما بين 12 و 16 سنة ،أمّا سنّ أزواجهنّ كان مساويًا لسنّهن ،لأنّ الأولاد على غرار البنات كانوا يتزوّجون صغارًا في السن[4].

إنّ المجتمع الأرمني لا يختلف عن المجتمع العثماني من حيث منع الزّوج من رؤية الزوجة، ومن أجل رؤية الفتاةِ التي يرغب في الزواج بها؛ فإنّ الحمّام يعتبر المكانَ الملائم لرؤية الفتاة، وهذا يكونُ من طرف الأمّ والخالة والعمّة، وعندما يقع الاختيارُ على فتاةٍ معينة، فإنه درج على ترتيبِ الرجل زيارةً مع والدته، وبناءً على هذا فإنّ جواب عائلة الفتاة أنّهم سيقومون بسؤال الفتاة. لكن ليسَ مهمًّا جدًّا الجواب الذي سوف تُعطيه الفتاة لأنّها أوّلًا صغيرة في السّن، ولا تفرّق بين الصالح والطالح ،ولأنّ مهمّتها الأساسية في ذاتِ الوقت بعد زواجها هي خدمةُ الحما والحماة وباقي

(1) *Anahide Ter Minassian, **Ermeni kültürü ve modernleşme**, **şehir oyun, mizah, aile, dil**, Çev Sosi Dolanoğlu, Istanbul, 2006, s. 104.*
(2) *Ahmet Kankal, Şükrü Batmaz, a.g.m, s. 333.*
(3) *a.g.m, ss. 333 – 335.*
(4) *Anahid Ter Minassian, a.g.e, s. 103.*

الأقارب من جهةِ زوجها[1] ،وفي ذاتِ السّياق لا يفوتنا أنْ نورد بعضَ الممارسات الاجتماعية المتشابهة بين الأرمن والعثمانيين ،وفي مقدّمتها المهر وجهاز العروسة.

1- المهر لدى الأرمن:

في المجتمع الأرمني ،من أجل أن يتحقّق الزّواجُ على الرجل أن يدفعَ للفتاة مقدارًا محدّدًا من المال تحت اسْم المهر ،هذا المبلغُ يتغيّر من منطقةٍ إلى أخرى ،ففي بعضِ المناطق يكون عبارةً عن أموال مثلما كان في منطقة سيواس، وفي مناطقَ أخرى مثل أرضروم كان مهرُ الفتاة عبارةً عن جاموسين ،أمّا في المراحل الأخيرة عندما لاحظتِ الكنيسةُ أنّ هذه العادة — عادة المهر – تخلقُ مشقّة ؛فإنّها اتّجهت نحو إبطالها ،بالرغم من ذلك استمرّ في إعطاءِ المهر في المجتمع الأرمني ،وبصرفِ النّظر عن هذا اعتبرت عادةُ المهر من طرف المبشّرين عادةً بدائية[2].

2- تحضيرُ جهاز العروسة:

مِن الممارسات الاجتماعية المهمّة التي تكون قبلَ الزواج، نجدُ الجهاز. والجهازُ لدى الأرمن لم يكنْ إحضارُه دائمًا من طرف الفتاة ؛بل في بعض المناطق يمكن للرّجل أنْ يحضره ،فجهازُ العروسة في المجتمع الأرمني فضلًا عن كونِه من العادات ،يمكن أن نعتبرَه من الضّروريات[3] ،فعادةُ هذا الأخير يكون مُشكّلًا من أشياءَ تسهّل للمرأة حياتَها اليومية ،وهي عادةً عبارة عن وسائدَ وأغطية و ملاحف وبعض الزّرابي وأدوات خاصّة بالمطبخ المصنوعة من النّحاس والحطب[4]. وهناك بعضَ العائلات الأرمنية التي تقوم بإعدادِ جهاز الفتاة منذُ ولادتها ،وفي أسَرٍ أخرى ميراثُ الفتاة يتحدّد فقط في جهازها ،ثمّ بعد ذلك إخوانها الذّكور سوف يأخذون حصّةً من ميراث الأب[5]

3- تربيةُ الذّكور:

تتّسم العائلةُ الأرمينية –كما سبق وذكرنا – بأنّها واسعة، والعلاقاتُ التي تربط بين أفرادها تنظمها العادات والتّقاليدُ والدين، وتبعًا لذلك لا يتمتّع البناتُ بحقوقٍ متساوية مع الذكور، وهذا الأمرُ لم يكنْ حكرًا على الأرمن فقط؛ بل يمتدّ ليشمل حتّى العثمانيين المسلمين، وتجدر الإشارةُ أنّ الذكور في البداية يربّون في وسط نسويّ محض، فيدلّلون من طرف اللواتي يقمْنَ بتربيتهم، لكن بمجرْد أن يخرجوا من مرحلة الطفولة حتى يدخلوا تحتَ سلطة الأب والأخ الكبير. وبصرفِ النّظر عن هذا فالمجتمعُ الأرمني – على غرار المجتمعات العثمانية – لم يُعطِ عنايةً كبيرة

(1) *Cahit Külekçi, a.g.e, ss. 52-54.*
(2) *a.g.e, s. 30.*
(3) *a.g.e, s. 54.*
(4) *Murat Gökhan, a.g.e, s. 70.*
(5) *Anahide Ter Minassian, a.g.e, s. 104.*

بخصوص إرسال الذّكور إلى المدرسة ،فالطفلُ يحضّر لممارسة مهنةٍ في المستقبل ،فالذهابُ إلى المدرسة بالنّسبة إليهم هو مضيعة للوقت ،وبناءً على هذا فالأطفالُ الذكور الذين يكبرون في المدن والبلدات ،يجبُ أن يكونوا مهرةً ومدرّبين على الحياة العملية ،أمّا في الريف يجب على الطفل أن يكون نشيطًا ورزين الرأي(1).

المطلبُ الثّالث: تأثيرُ الثّقافةِ الأوروبية على المجتمع الأرمني:

في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، طرأ على الوضعِ الاجتماعي الأرمني عدّةُ تطوّرات، هذه التطوّرات كانتْ على صلةٍ مباشرة بالإرساليّات الأجنبية، وهذا نتيجةَ إقبالِ الأرمن الكبير على مدارسهم، وفي هذا الإطارِ من المهمّ أن نقفَ على أهمّ مظاهر تأثير الثقافة الأوروبية، والتي تجلّت فيما يلي:

1- تغييرُ العادات والتقاليد الأرمينية:

حتّى لا نسقطَ في التعميم، الأرمنُ الذين كان لهم احتكاكٌ بالثّقافة الأوروبية – خصوصًا الذين درسوا في مدارس البروتستانت – بدءوا ينظرونَ إلى عاداتهم وتقاليدهم نظرةَ احتقار، واعتبروها عاداتٍ بدائية، فشرعوا بمعارضتها، وتركها رويدًا رويدًا. فبعدما كان المجتمعُ محافظًا جدًّا بخصوص علاقة الرجل بالمرأة ،بدأ الرجالُ والنساء بالمشي معًا في الشوارع(2).

وعلاوةً على ذلك ،نسوق على ما كنّا بصدده نموذجًا آخر رأينا أنّه دالٌّ على تأثير الثقافة الأوروبية في المجتمعِ الأرمني ،عرفْنا في موضعٍ سابق أنّ البنات كنّ يزوّجن في سنٍّ مبَكّرة ،ولم يكنْ لهنّ رأي في شأن تزْويجهن، إلّا أنهنّ في السّنوات اللاحقة أصبحنَ لا يُسمَح بخطبتهنّ وتزويجهنّ في سنّ مُبكرة ،خاصّة البنات اللّواتي درسْنَ في مدارس الإرساليّات الأجنبية ،وكان هذا نتيجةَ طبيعة التعليم الذي منحه البروتستانت لهنّ ،فارتفع سنُّ الزّواج بالنّسبة للبنات(3)، وهذا إنْ دلّ على شيء فهو يدلّ على انتقالِ عادات المجتمع الأرمني من الطابع التّقليدي المحافظ إلى الطابع الأوروبي الحديث.

2- تغييرُ الجنسيّة العثمانية:

مِن الجدير بالذّكر أن نذكرَ بسياقِ المرحلة التاريخية محلّ الدراسة، حيث كان الأجانبُ يتمتّعون بحصانة نتيجةً للامتيازات التي تحصّلوا عليها من طرفِ الدّولة العثمانية، وكان الأرمنُ قد لاحظوا ذلك، ومن أجل حصولِهم على نفس الامتيازات، فإنّ أقصرَ طريق بالنسبة لهم هو تغييرُ المذهب الديني والتجنّس بجنسية هذه الدول للحصول على حمايتها. وكانَ من تبعاتِ هذا هو تشكّلُ هويّات كثيرة في السّنوات اللاحقة في المجتمع الأرمني ،وهكذا باتَ

(1) *Cahit Külekçi, a.g.e, s. 77.*
(2) *Murat Gökhan, a.g.e, s. 22.*
(3) *a.g e, s. 73.*

من الواضحِ للأرمن من أجل حماية مصالحهم والمحافظة عليها هو توثيقُ علاقاتهم بالغرب ، ومن مظاهر ذلك هو الزّواجُ بالأجنبيّات واختيار عرابينَ منهم ،ونتيجة لهذه الرغبة تشكّل قسمٌ من الأرمن المحليّين الذين تركوا لغتَهم ، وأصبحوا يتحدّثون بلغاتِ الدّول التي تجنّسوا بجنسياتها ،وكمثالٍ على ذلك أصبح الأرمنُ المنتمون إلى الكنيسة الكاثوليكية لا يتحدّثون الأرمينية ؛بل بدءوا بالتحدّث باللغة الفرنسية والإيطالية[1].

لقدْ أفضى هذا كلُّه إلى تغيير نمَطِ حياتهم ،فالأرمنُ الذين غيّروا جنسياتهم أصبحوا يلبسون نفسَ الهندام الذي يلبسه مواطنو هذه الدّول ،ويعملونَ على التحدّث والعيش مثلهم ،حتّى أسماؤهم تمّ تغييرها ،وقد شهدت سنة 1870 تأثرًا كبيرًا بالثّقافة الفرنسية ،فبدأ الشبابُ – وحتّى الكبارُ في السّن– بتقليد حياةِ باريس ،وموضتها، وجرائدها[2].

لقد عرفنا في موضعٍ سابق أنّ الأرمن كانوا يعيشون جنبًا إلى جنب الأتراك و الأكراد ،ونتج عن ذلك بروزُ صلاتٍ وثيقة ربطتِ الأرمن بهاذين المكوّنين الاجتماعيّين على مدار قرون ،وهذا يمكن أنْ نعزوه أوّلًا إلى البعد الجغرافي ،فقد كانتِ الأناضول الشّرقية منذُ عصورٍ سحيقة معبرًا للهجرات البشرية القادمة من أواسط آسيا، واتّخذت هذه المنطقةَ مستقرًّا لها ،فضلًا عن البُعد الديني ،فهذه العلاقة قد أطّرها الإسلامُ في دولةٍ شهدت تنوعًا عرقيًّا ودينيًّا لا مثيلَ له ،وفي هذا السياق سوف نتطرّق إلى العلاقة التي ربطت الأرمن بالأتراك والأكراد.

المطلبُ الرّابع: علاقةُ الأرمن بالأتراك والأكراد:

1– علاقةُ الأرمن بالأتراك:

لقد كانت العلاقةُ التي ربطت الأرمن بالأتراك علاقةَ تأثيرٍ مُتبادل، شملت – حسبَ تقديرنا – ميدانيْن أساسيّين: الميدان الاجتماعي وكنّا قد وقفنا على جانبٍ منه في موضوعِ الأسرة والزواج، أمّا الميدان الثاني هو الميدانُ الدّيني، وفي هذا المجال يتصدّر موضوعُ الاهتداء.

الاهتداء:

كما يوجد في الدّولة العثمانية الأرمن العابرون إلى مذاهب أخرى، يوجد كذلك الأرمنُ المهتدون، وهم الأرمنُ الذين كانوا على الدّيانة المسيحية، ثمّ قرّروا تركَ دينهم واعتناقَ الإسلام، وفي هذا السّياق آثرنا استخدامَ مصطلح "اهتداء"، وهو مصطلحٌ لا يخصّ الأشخاص الذين يعتنقون دياناتٍ أخرى؛ وإنّما يقتصر على معتنقي الإسلام فقط، وهو في نفس الوقت المصطلح الذي ورد في الوثائق العثمانية، وفي هذا الإطار هناك تساؤلٌ مُلحّ

(1) *Murat Gökhan,a.g.e, s. 27.*
(2) *a.g.e, s. 28.*

يطرح نفسَه: ما هي الأسباب التي دفعتْ ببعض الأرمن إلى اعتناقِ الإسلام؟ وللإجابة على هذا السّؤال ،اعتمدنا على دراسةٍ قيّمة استقتْ مادّتها الأولية من الأرشيف العثماني ،وقد أسعفتْنا هذه الأخيرة بمعلوماتٍ مهمّة[1].

حسب الدّراسة، هناك عدّةُ أسبابٍ لظاهرة الاهتداء، وهذه الأسبابُ تختلف حسب الزمان، وحالةُ الاهتداء لها أسبابُها، ولعلّ أبرزها:

الزّواج : إذا أراد شابٌّ مسلم الزّواجَ بأرمنية فإنّ هذه الأخيرة عليها أن تتحوّل إلى الإسلام ،وهذا النوع من الزّواج وجد معارضةً شديدة من طرفِ رجال الدين ،وبذلوا قصارى جَهْدهم لإرجاع الفتاة إلى حظيرةِ المسيحية، وفي حالةِ ما إذا لم يأتِ هذا الأسلوبُ بنتيجةٍ ،فإنّهم يطبّقون الضّغط النفسي على الأشخاص المهتدين ،وفي هذا الإطار ساقتِ الباحثةُ عدّةَ أمثلة ،ولعلّ أبرزها – في تقديري– امرأة أرمنية من ولاية أرضروم *Erzurum* كانت قد تزوّجت بمسلمٍ فاعتنقتِ الإسلام ،الأمر الذي دفع بالأرمنِ لمهاجمة بيتها ،وتحت وطأة التّهديد أجْبرَت على الارْتداد لكنّ المرأة أثناءَ استجوابها صرّحت أنها عادتْ لدينها القديم نتيجةَ الخوف ،كما بيّنت أنها لا تريد الانفصالَ عن زوجها أو تركَ الإسلام الذين اعتنقته[2] ،وهذا إن دلّ على شيء فإنّه يدلّ على أنّ الأشخاص الذين اهْتدوا كان بمحْضِ إرادتهم دون التعرّض لظلمٍ أو ضغط.

ومِن الأسباب كذلك المساعدات والمكافآت التي كانت تقدّمها الدولةُ العثمانية ،وهذه المساعدات قد تكون مقدارًا نقديًّا معلومًا من القطع النّقدية الفضية *Akçe* ،كما يُعطى الشّخصُ المهتدي أموالًا لشراء ملابسَ من أجل أن يرتدي ملابسَ مشابهة للمسلمين ،والتي يقال لها بـ *(Kisve biha)* ،بالرغم من ذلك فإنّ هؤلاء الأشخاص المهتدين لم تُعطَ لهم ضماناتٌ بتعيينهم في وظيفةٍ بعينها ،أو إيجاد عملٍ لهم ،فالعثمانيّون في هذا الخصوص قد اتّبعوا سياسةً ذكية ،فحسب المزايا التي يتميّز بها المسلم الجديد أو حسب وظيفته ،فإنّه يوظّف في المكان المناسب من طرف الدّولة ،ويُستفاد من المهتدي في أحسن شكل[3]

علاوةً على هذه الأسباب رصدتِ الكاتبةُ أسبابًا أخرى دفعت الأرمنَ إلى الاهتداء ،ومن بينها الخوفُ من هجماتِ العصابات الكردية ،ومِن نهْبهم وسلْبهم ،فالمجموعاتُ الأرمينية كانت تعتقد أنّها إذا أسلمت سوف تنْجو

---

(1) *Ayşe Zamacı, "Arşiv belgelerine göre Osmanli toplumunda Ihtidâ eden Ermeniler ve olayın sosyal neticeleri", **Osmanli siyasal ve sosyal hayatında Ermeniler**, IQ Kültür Sanat yayıncılık, Istanbul, 2009. s. 267.*

(2) *Ayşe Zamacı, a.g.m, ss. 267- 269.*

(3) *a.g. m, ss. 272 – 273.*

من التّهديد الكردي ،لكنْ في هذه الحالة الدولة العلية لا تعطي المصادقةَ أو التأكيد على طلبات الاهتداء، حتّى تقوم بتوفير الأمن في المنطقة ،بعد توفير الأمن إذا تكرّرت طلباتُ الاهتداء فإنّها تجد صداها لدى السّلطات[1].

وفي آخرِ المطاف، توصّلت الباحثةُ إلى جملةٍ من النتائج، لعلّ أبرزها ما يلي:

- إنّ حوادث الاهتداء في الدّولة العثمانية لم تكن تحتَ طائلة الظّلم أو الضغط ؛بل كانت تحدث عادةً بإرادةِ الشّخص ،حتى أنّ نفس هؤلاء الأشخاص كانوا يرتدّون عن الإسلام ويعودون إلى المسيحية.

- استعملت سفاراتُ الدول الكبرى موضوعَ الاهتداء كورقةِ ضغطٍ عل الدولة العثمانية ،التي بقيت غالبًا وجهًا لوجهٍ مع ادّعاء أنّها كانت تجبر الأرمن على اعتناق الإسلام ،وخلافًا لهذا فقد كانت هذه الأخيرةُ تحقّق وتراقب طلباتِ الاهتداء بطريقةٍ صارمة ،حيث كانت تبحثُ عن الأسباب الحقيقة التي أدّت إلى الاهتداء ،سواء أكان الاهتداءُ فرديًّا أو جماعيًّا ،كما أنّها كانت ترفض الطلباتِ عندما تواجه حالات سلبيّة أو مشبوهة ،وفي حال العكس إذا كان قرارُ الاهتداء نابعًا عن قناعةٍ داخلية صادقة دون التعرّض للظّلم والخوف والضغط ؛تعطي له أهميةً كبيرة لتحقيقه[2].

اللّغةُ التركية:

لم يتحدّث الأرمنُ بلغتهم الأمّ – اللغة الأرمنية – ،بل كانوا يتحدّثون اللغة التركية ،فالشبابُ الأرمني قد ابتعدَ عن لغته بالرّغم من أنّ الكنائس والمدارس كانت تقدّم تعليمًا باللغة الأرمنية ،فالإنجيلُ — مثلًا – كان يُنشَر باستمرارٍ من طرف البطريركية الأرمنية باللّغة الأرمينية ،حتى أنّ الأرمينية كانت تكتَب بحروف عثمانية[3].

2- علاقةُ الأرمن بالأكراد[4]:

يعتبر موضوعُ العلاقات الأرمينية الكردية من المواضيع الحيوية، التي حدّدت مصيرَ المسألة الأرمنية، ومازالت تلقي بظلالها على المنطقة – الشرق الأوسط– إلى يومنا هذا، ومن أجل تقليبِ صفحات هذه العلاقة باختصارٍ آثرنا الاعتمادَ على دراسةِ الباحث هوكر طاهر توفيق، ذي الأصول الكردية، والموسومة بـ "**الكرد والمسألة الأرمينية**

---

(1) *Ayşe Zamacı,a.g.m, ss. 274-275.*

(2) *a.g.m, s. 283.*

(3) *Cahit Kölekçi, a.g.e, s. 78.*

(4) **الأكراد:** شعب أري مسلم يقطن منطقة كردستان الجبلية ويبلغ عدد أفراده نحو ثمانين مليون نسمة ،ويذهب الباحثون إلى أنهم أقاموا في هذه المنطقة منذ العام 21 ألف قبل الميلاد ،وفي ظلّ الدولة العربية في القرن السابع للميلاد اعتنق الأكراد الإسلام ،وفي القرن الثالث عشر والخامس عشر الميلاد ،خضعوا لحكم المغول ثمّ حكم وفي القرن الثالث عشر والخامس عشر للميلاد ،ثمّ حكم العثمانيين. أنظر: محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، المجلد 1، المكتبة العصرية، بيروت، 1965، ص.253.

(**1877–1920**) "، وتتّسم هذه الدراسة — حسبنا – بالجديّة والموضوعية في كثيرٍ من مواضعها كما أنّه استقى مادّتَه الأولية من الأرشيف، سواء العثماني أو الكردي، وحتّى الإنجليزي والفرنسي. وقد مرّت هذه العلاقةُ بعدّةِ مراحل، إلّا أنّنا نحاول أن نقسمها إلى مرحلتيْن أساسيّتين حسب الفترةِ الزمنية محلّ الدّراسة، كما أننا نتطرق إليها بشكل مقتضب لنكون فكرة حول طبيعة هذه العلاقة.

المرحلةُ الأولى (1860 – 1877 م):

تميّزت هذه المرحلةُ بسقوط الإمارات الكردية، وكان من تبعاتِ هذا انتشارُ الفوضى والقلاقل في شرق الأناضول، ويمكن إرجاعُ سبب سقوطِ هذه الإمارات إلى العثمانيّين الذين قرّروا فرض الإدارة المركزية، فبالرغم من نجاحِهم إلّا أنّ الحكومة العثمانية أخفقتْ في مدّ نفوذها إلى المناطق الوعرة من شرق الأناضول. وفي خضمّ هذه الظّروف ساءتِ العلاقاتُ الكردية العثمانية ،وكان المستفيدُ الأكبر من هذه الحالة بطبيعةِ الحال الأرمن ؛فقد تحسّنت أوضاعُهم الاقتصادية ؛وهذا راجعٌ – حسبَ نفس الباحث – لعامليْن أساسيّين :العامل الأوّل عدم دفع الأرمن الضّرائبَ للإمارات الكردية بعدَ سقوطها ،وبالتّالي احتفظوا بتلك الأموال لأنفسهم ،أمّا العاملُ الثاني هو دعمُ الإرساليات التبشيرية لهم[1] .

المرحلةُ الثانية: (1877–1918 م):

خلالَ هذه المرحلة تدهورتِ العلاقاتُ الأرمينية الكردية أكثرَ من أيّ وقتٍ مضى ،فقد كشف الأرمنُ عن نواياهم الحقيقية ،والمتمثّلة في رغبتهم في تشكيلِ دولةٍ قومية خاصّة بهم ،واعتبروا أنفسَهم أصحابَ الأرض ،وفي الوقتِ عينه كان الكردُ يروْن أنفسهم أحقَّ بالأرض من الأرمن ،وما زاد الطينَ بلّة هو هجرةُ الشركس والألبان والآذريّين إلى شرق الأناضول ،فقد تدفّقت موجاتٌ من الشّركس والقبائل المسلمة الأخرى من القوقاز إلى الدولة العثمانية ،واستقرّ العديدُ منهم في شرق الأناضول ،وكان أغلبُهم من غير النّاطقين باللغة التركية ،ولا كانوا مزارعين؛ بل كان أغلبُهم يعيش حياةً بدائية ،وجرى توطينُهم في مناطقَ مختلفةٍ لا يتيسّر العيش فيها ،مما دفعهم إلى اتّباع أسلوبِ الإغارة كوسيلةٍ لطلب الرّزق ،وشمل نهبهم كلّ مَن كان حولهم ؛مسيحيين ومسلمين على حدٍّ سواء[2].

بالإضافةِ إلى أحداثٍ وقعت في حقّ الأرمن سوف نتطرّق إليها في فصول لاحقة.

في ضوء ما تقدّم، يمكن القولُ إنّ الأسرةَ الأرمنية لم تختلفِ اختلافًا كبيرًا عن نظيرتها العثمانية، أو بالأحرى المسلمة، لا مِن حيث الزواج أو مكانة المرأة، فقد لاحظنا وجودَ تشابه بين النّسيجين الاجتماعيّين في العادات

(1) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق، ص 76.

(2) نفسه ، ص ص. 72- 73.

والتقاليد، إلّا أنّ وجهَ الاختلاف البارز تمثّل في الديانة. هذه الروابط المشتركة أدّت إلى عدم إحساس الأرمن بأنّهم أجانبُ عن المجتمع الذي يعيشون فيه، لكنّ هذا لا يعني أنّهم قد ذابوا في المجتمع العثماني؛ بل بقوا محافظينَ على تراثهم الذي كيّفوه مع المعْطَى الاجتماعي الذي كانوا يعيشون فيه، لكنْ عندما بدأت الإرساليات التّبشيريةُ تتدفّق على الدولة العثمانية من كلّ حدبٍ وصوْب، بدأتِ الأفكار الغربية بالانتشار بين الأرمن. بالرغم مِن كلّ ما ذكرناه فإنّ الأرمن قد تبوؤوا مكانةً مهمّة في المحيط الذي عاشوا فيه، أدّى بهم لتولي مناصبَ مهمّة وحسّاسة في الدولة العثمانية.

المبحثُ الرّابع: دورُ النخبة الفكرية والاقتصادية الأرمنية في الدولة العثمانية

المطلبُ الأوّل: دورُ الأرمن في القنصليات.

المطلبُ الثّاني: دورُ الأرمن في غرف الترجمة.

المطلبُ الثّالث: دورُ الأرمن في النِّظارات الحكومية /الوزارات.

المطلبُ الرّابع :الأسر الأرمنية المتنفذة الأميرا *(Amira)*

المطلبُ الخامس: دورُ الأرمن في الطبّ والمسرح.

تبنّتِ الدولةُ العثمانية قرارًا يسمح للأرمن بتولّي مناصب حسّاسة في الدولة ،مثل السّلك الخارجي والخزينة الخاصّة والنِّظارات المختلفة ،وهذا القرارُ تسنده دوافعُ مختلفة ،أهمّها :الدّافع الأوّلُ يتمثّل في صدورِ مرسومِ التّنظيمات الذي يساوي بين المسلمين وغير المسلمين في تولي مناصبَ في الدولة ،بعد ما كانت ممنوعةً عليهم ،أمّا الدّافعُ الثاني فيتمثّل في ثورةِ اليونان سنة 1830 م[1] ،حيث قامت الدولةُ العثمانية بإقصاء اليونانيّين وعوّضتهم بالأرمن لسَدّ الثّغرة التي خلّفها اليونانيّون ؛ولأنّ الأرمن حتّى تلك الأحداث لم يكونوا من الشّعوب التي أرادت الانْسلاخَ عن الدولة ؛فكانت بذلك مجملُ هذه الأحداث لصالح الأرمن ،فانخرطوا في الدّولاب الوظيفي الحكومي وارْتقوا إلى قمّة السّلمِ الإداري ،وحازوا على ثقةَ الدولة ،فخدموها بإخلاصٍ وتفانٍ متناهيَيْن ؛لذلك سنسعى من خلال هذا المبحثِ إلى إبراز دور الأرمن في الدّولة العثمانية في عدّة مجالات ،مثل : القنصليات والترجمة والخزينة الخاصّة ومجلس المبعوثان بالإضافة إلى العائلات الأرمينية المتنفّذة ،والتي اصطلح على تسميتِها بـ "الأميرا" ،فضلًا عن دورهم في مجالاتٍ أخرى، مثل :الطبّ والرّسم والمسرح والموسيقى ،إلى غير ذلك .

المطلبُ الأوّل: دورُ الأرمن في القنصليات العثمانية:

لقد تمكّن الأرمنُ من تقلّد وظيفة تمثيل الدّولة العلية لدى الدّول الأجنبية ،وخاصّة منذ النصف الثاني من القرن 19 م ،ويمكن أنْ نُرجع هذا لتأثيرِ عامليْن :أوّلهما يكمنُ في الزيارات التي كان يقوم بها الأرمنُ إلى الدول الأوروبية للحصول على تعليمٍ حديث ،مما جعلهم على اطّلاع بالتطوّر الحضاري الأوروبي ،فضلًا عن إتقانهم اللّغات الأجنبية ،إضافةً لكوْنهم مسيحيّين ،ومن أكثر العناصر صلاحيةً للتعامل مع الأوروبيين[2] ،ومن الوظائف التي تولّاها الأرمنُ في السلك الدبلوماسي نجد منصبَ سفير ،ونائب سفير ،ومستشار ،وكاتب ومترجم ،وقد عمل في السفارات العثمانية لدى الدّول الأجنبية عددٌ من الأرمن ،منهم السيد كارابات داود أفندي *Karabet Davud Efendi* ، وقد تولى هذا الأخير عدّةَ مناصب في السّلك الدبلوماسي ،كان آخرُها قنصل فيينا في سنة 1861 م ،ثمّ عيّن في مديرية التّلغراف[3].

---

(1) **ثورة اليونان** :تعتبر الثورة اليونانية 1821 من أولى الثورات القومية التي شهدتها البلقان ،وهي ثورة شنها اليونان بمساعدة الدول الأوروبية من أجل التحرر من الوجود العثماني بتحريض من الدول الأوروبية ،خاصّة روسيا التي كانت تدّعي حماية الشعوب البلقانية وأتباع المذهب الأرثوذكسي ،وقد توّجت هذه الثورة باستقلال اليونان عن الدولة العثمانية ، حيث أجبرت هذه الأخيرة على الاعتراف باليونان دولة مستقلّة سنة 1829 .أنظر: أكمل الدين إحسان أغلو ،**الدولة العثمانية تاريخ وحضارة** ،نقله إلى العربية صالح سعداوي ،المجلد الأول ،مكتبة الشروق الدولية ،القاهرة ،2010، ص. 95.

(2) رفعت الإمام، **الأرمن في مصر**... مرجع سابق، ص. 194.

(3) *Cahit Külekçi, a,g, e, s . 155.*

بالإضافة إلى أوساب موسكيان *Oseb Musakyan*، وقد عيّن بصفته مستشارًا في سفارة باريس سنة 1898، كما عيّن بصفته سفيرًا في لاهاي، وكان قد بدأ وظيفتَه بالاعتماد الذي أرسل إليه من طرف الدولة العُثمانية، وقبل أن يبدأ وظيفتَه في لاهاي مُنح وسام الشّرف ليجيون *Legion D'honneur* من الدرجة الثانية مِن طرف الحكومة الفرنسية بسبب النّجاح الذي أحرزه في الوظيفة التي كان قد أدّاها في باريس. كما وجد أرمنيّان يشْتغلان في سفارة الدولة العثمانية بروما مِن بينهما أوهانيس كويومجويان *Ohannes Kuyumcuyan* حيث اشتغل سنة 1884 مساعدًا في الغرفة الاستشارية ،ثمّ عيّن في منصب كاتبٍ في سفارة روما ،وقد منح السيد أوهانيس أفندي نيشانًا أو وسامًا من الدرجة الثانية من الدّولة العثمانية بصفته كبيرَ الكتّاب[1]. بالإضافة إلى ما ذكرناه فإنه يوجد بعضُ الأرمن الذين تولّوا وظيفة كاتبٍ لدى سفارات مختلفة، مثل: زنوب ماناس *Zanop Manas* أفوديك ساهوميان *Avedik Sahumyan*، ديكران داديان *Dikran Dadyan* [2].

المطلبُ الثّاني :الأرمنُ في غرف الترجمة[3]:

مِن المناصب الحسّاسة التي تولّاها غيرُ المسلمين في الدولة العثمانية نجد المترجمين[4] في غرف الترجمة، فالتّبعة غير المسلمة العاملة بها كانوا يختارون مِن بين الأرمن خاصّة ،ولا يفضّل كثيرًا اليهود لكنْ رغم هذا يمكن مصادفةُ يهود وروم إلى جانب الأرمن في هذه الغرف[5].

ووعيًا من الدولة العثمانية بحساسيةِ هذا المنصب فإنّها سعتْ لتكوين مُترجمين من المسلمين ،لأنّ المسيحيّين الذين باشروا وظائفهم في هذه الغُرف كانوا يعملون على نشرِ أخبارٍ كاذبة عن الدولة ،وحتّى الأرمن في أواخر القرن التّاسع عشر الميلادي سلكوا نفسَ النّهج ،إذ كانوا يعطون معلوماتٍ عاريةً من الصّحة للأجانب القادمين إلى الدولة

---

(1) *Cahit Külekçi,a.g.e, s. 160.*

(2) *Sadi Koçaş,* ***Tarih Boyunca Ermeniler ve Türk Ermeni Elişkileri****, Altinok Matbaasi, Ankara, 1967, s. 101.*

(3) **غرفة ترجمة الباب العالي (باب عالي ترجمه أوده سي)** : قد أدركت الدولة العثمانية مدى خطورة الترجمة ،وضرورة سريته ،فأنشأت عام 1821 م ما عرف بغرفة ترجمة الباب العالي ،تعلم فيها الدبلوماسيّون المسلمون اللغات الأجنبية ،لمزيد من المعلومات ،**انظر** : أكمل الدين إحسان أغلو ،المرجع السابق ،المجلد I، ص. 236.

(4) **المترجمون** : كان للمترجمين دورٌ كبير في العلاقات الدبلوماسية سلبًا وإيجابًا ،و لاسيّما بين الدول الغربية والدولة العثمانية ،وكانت الدول الغربية أكثر نجاحًا في هذا المضمار ،سواء كان هذا بسبب شروعها المبكّر فيه أم بسبب تصرفاتها الأكثر مرونة ،فقد ألقت الدولُ هذه المهمّة الحسّاسة على عاتق أناس من دينها وجنسها ،و بعض الدول الأوروبية أقامت مدارس الألسن لتخريج المتخصّصين القادرين على تولّي هذه المهمة ،ومثال على ذلك هو أن المؤسسة العلمية المعروفة اليوم في النمسا بأنّها أكاديمية فينا الدبلوماسية ،كان اسمها في القرن الثامن عشر ميلادي "مدرسة الدّراسات الشرقية"، وكانت تقوم على وضع الأفكار العلمية في دبلوماسية النمسا مع الدولة العثمانية ،أنظر: نفسه ، ص. 235.

(5) *Cahit Külekçi, a.g.e, ss. 153 – 154.*

العثمانية ،وخاصّة لعمّال السفارات والقنصليات الأجنبية ،ولعلّ من أهمّ دوافعهم لذلك هو مطالبتهم بالانسلاخ عن كيانِ الدولة ،آملين أن تقوم الدولُ الأوروبية المتحاملة على الدولة العثمانية بنشْرِ تلك الأخبار في صحافتها.

و السؤالَ الملحّ الذي يطرح نفسَه في هذا الإطار :لماذا نجدُ غيرَ المسلمين – وعلى رأسهم الأرمن – في المناصبِ التي لها علاقةٌ بالترجمة ،أو التي لها ارتباطٌ بالعلاقات مع الأوروبيين ،بينما أعدادُ المسلمين في هذه المناصب كانت قليلة ؟إذا أردنا الإجابةَ على هذا التساؤل يجب أن نعودَ للأوضاع القانونية للأرمن ،فهُم حسب تعاليم الشريعة الإسلامية يعتبرون أهلَ ذمّةٍ يدفعون جزيةً لقاء حمايةِ الدولة لهم ،وهذا ما جعلهم يتّجهون في هذا الوقتِ لتحسين أوضاعهم الثّقافية ،فالتحقوا بمدارس المبشّرين مستغلّين فرصةَ تدفق الإرساليات التبشيرية على الدّولة العثمانية ،فقامت هذه الإرسالياتُ بكلّ ما في وسْعِها لبتْرِ علاقتهم بالعثمانيّين من خلال نشر الثقافة الأوروبيّة الغربية في أوساطهم. وفي هذا الوقت ،كان المسلمون مُرابطين على حدود الدولة العثمانية لحمايتها من الأخطار التي تهددها ،وحتّى عند صدور فرمانِ الإصلاحات الذي ساوى بين المسلمين وغير المسلمين فيما يخصّ التّجنيد ؛فإنّ المسيحيّين فضّلوا دفعَ ضريبة البدل[1] على التّجنيد ،أو الهجرة إلى أوروبا وأمريكا. إذًا هذه الأوضاعُ كانتْ لصالح غير المسلمين بما فيهم الأرمن، الذين اتّجهوا إلى تطوير أنفسهم ثقافيًّا، فامتلكوا أدواتِ النجاح المتمثّلة في إتقانهم اللغات الأجنبية، واقتصاديًّا راكموا ثرواتٍ طائلة من خلال ربطِ علاقات وثيقة بالأوروبيين.

المطلبُ الثّالث :دور الأرمنُ في النِّظارات[2] الحكومية/ الوزارات : ارتقى الأرمنُ في السّلم الإداري بتولّيهم مناصب ناظّر ورؤساء نظارات، إلى درجةِ أنّ الأرمن استأثروا ببعضِ النّظارات، مثل: الخزينة الخاصّة ونظارة الخارجية ،وهي مناصبُ مهمّة وحسّاسة في السياسة الاقتصادية والخارجية للدولة العثمانية.

1- الخزينةُ الخاصّة Hazine–i Hassa ʻyi:

بادئ ذي بدء سوف نتطرّق إلى الخزينة الخاصّة، والتي شهدت– خلال عهد السّلطان عبد الحميد الثاني– عجزًا تمثّل في اختلال التّوازن بين المداخيل والمصاريف، فأصبحتْ على وشك الإفلاس، وأمام هذه الوضعيّة غير المريحة للخزينة ظهرت حاجةٌ ماسّة إلى خبيرٍ لإعادة تنظيم المؤسسة وحساباتها.

(1) **ضريبة البدل** : هي الضريبة التي تدفعها التبعة غير المسلمة مقابل عدم أدائها الخدمة العسكرية وهذا بعد صدور التنظيمات التي ساوت بين المسلمين وغير المسلمين في الحقوق والواجبات.

(2) **النظارات** : في نهاية القرن 19 عشر جرى تعيين عددٍ من النظار برتبة وزير على رأس كلّ نظارة جرى تشكيلها آنذاك واستمرّ ذلك اللقب (ناظر) حتى نهاية الدولة العثمانية. أنظر: أكمل الدين إحسان مرجع سابق، المجلد الأول، ص 185.

لهذا نجدُ مدير "البنك العثماني العام " ،والذي كان مِن أصول أرمينية وهو فوستار *Foster* ،يوصي بتعيين *Agop Kazasyan* ،وقد شرعَ هذا الأخيرُ في العمل في 31 ديسمبر 1879 بصفته مدير الخزينة الخاصة فحضر قانونها التّأسيسي ،والذي سيقوم من خلاله بتنظيم المؤسّسة من جديد ،وبالتوازي مع هذا يأمر السلطانُ "عبد الحميد الثاني" بترقيته بإعطائه لقب "ناظر" في 12 أبريل 1880م ،وهذا راجعٌ للدّور الذي قام به ،ففي عهدِه ازدادت مصادرُ دخل الخزينة الخاصّة ،كما قام بتنظيم قسمٍ كبيرٍ من الأملاك الهمايونية المنتشرة في مجال واسعٍ داخل الدولة العثمانية ،وحينما كان أغوب باشا في نظارةِ الخزينة الخاصّة ،تولّى نظارة المالية مرّتين بالموازاة مع هذه الوظيفة[1].

وبعدَ وفاة أغوب باشا خلفَه ميكائيل باشا *Mikail paşa*[2] ،في 20 سبتمبر 1891 حيث عيّن في نظارةِ الخزينة الخاصّة التي بقي فيها إلى غايةِ وفاته ،وخلالَ أدائه لمهامّه عملَ على تشغيل الأشخاص الأكثر كفاءة ونظّم حركةَ المصانع من جديد ،وتقديرًا لجهوده منحَه السّلطانُ عبد الحميد الثاني النّيشان العثماني العالي مِن الدّرجة الأولى ،وفي سنة 1893 حظي بلقبِ باشا ،وبعد ذلك مُنح ميداليةَ الكفاءة الذهبية وميدالية الامتياز الفضيّة والذهبية مع الوسام المجيدي المرصّع ،توفي في سنة 1897[3].

وبعدَ وفاة ميكائيل باشا ،خلَفَه على الخزينة الخاصّة أوهانيس باشا *Ohannes paşa*[4] في 19 نوفمبر 1897 ،حيث عيّن في نظارةِ الخزينة الخاصّة ،وقام بإنهاءِ مجموعةٍ من المشاريع التي شرع فيها في عهد ميكائيل باشا، وتعتبر مرحلتُه مرحلةَ المشاكل المالية التي وصلتْ إلى حدِّ الاستدانة والعجز ،وقد واصل في منصبِه لمدّة 8 سنوات ،

---

(1) *Arzu Tozduman Terzi, "Osmanli meliyesinde söz sahibi üç Ermeni nazir. Agop Ohannes Mikail paşalar",* ***Uluslararası Türk-Ermeni ilişkileri Sempozyumu****, (24-25 Mayis 2001), Istanbul, 2001, s. 22.*

(2) **ميكائيل باشا** : هو من مواليد 1842 تلقى تعليمه الأوّل في مدرسة الصبيان في أورتاكوي ،وبعد ذلك سافر إلى باريس لإتمام دراسته ،وهناك درس لمدّة 7 سنوات ،وقد تولى عدّة مناصب قبل تعيينه على الخزينة الخاصة مثلًا عين الكاتب الخاصّ لعلي باشا في قبرص لمدّة سنة ،كما أنه عين سنة 1888 في وظيفة المديرية العامة لبنك الزراعة ،إلى جانب هذا كان يعطي دروسًا في علم أصول المالية لمدّة 15 سنة ابتداءً من مارس 1878 م، وقد عرف عن ميكائيل أنه كان من المُدافعين عن سياسة التجارة الخارجية الحرة، والمعتمدة على الليبيرالية. أنظر:.*a.g.m, ss.* 25-26.

(3) *a.g.m, s. 25- 26.*

(4) **أوهانيس باشا *Ohannes pasa*** : وهو من مواليد 1836 ،درس في مدرسة الرهبان الكاثوليك الأرمن في باريس والبندقية لمدة 7 سنوات ونصف ،وكان يجيد اللغة الفرنسية والإنجليزية والأرمنية ،وقد بدأ حياته الوظيفية في غرفة ترجمة الباب العالي ،وبعدها تقلد عدة وظائف. *a.g.m,* s. 27.

ومنحه السّلطانُ عبد الحميد الثاني– بفضل خدماته– الوسامَ المجيدي من الرّتبة الأولى وميدالية الكفاءة الذّهبية ، بالإضافة إلى وسامِ الافتخار المجيدي المرصّع ،وفي سنة 1908 استقالَ لظروفٍ صحية[1].

على ضوء ما تقدّم نلاحظُ أنّ الأرمن قد استأثروا بمنصبِ ناظر الخزينة الخاصّة لثلاثةِ عهد متتالية، في عهدِ السّلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909)، بالرغم من حساسية المنصب، وحساسية المرحلة التي كانت تمرّ بها الدولة العثمانية– المسألة الأرمنية– حيث كان مسموحًا للأرمن الانخراط في هذه النظارة. ويمكن أن نعزو ذلكَ للخبرة الكبيرةِ التي كان يتمتّع بها الأرمنُ في المجال المالي ،فقد عرفنا في مبحثٍ سابق أنّهم جمعوا ثرواتٍ كبيرةً من خلال ممارسةِ نشاط التجارة و الصيرفة ،هذا من جهة ،ومن جهةٍ أخرى الأرمن الثلاثة سابقي الذّكر كانوا قد تلقّوا تعليمًا عاليًا في أوروبا ،ما عدا أغوب باشا ،مما سمح لهم بتوسيعِ أفق معارفهم ،كما أنّهم خلال حياتهم المهنية تقلّدوا وظائفَ لها علاقة بالمال ؛مما أهّلهم لتولي هذا المنصبَ الحسّاس ،فكان لهم وزنٌ كبير ؛إضافة إلى أنهم كانوا يتمتّعون بصلاحياتٍ واسعة سمحتْ لهم باتّخاذ قرارات ،فكانت قراراتُهم مسموعة ،كما أنّهم أسدوا خدمات كبرى للدّولة العثمانية.

واللّافتُ للانتباه أنّهم تولّوا هذه المناصب في وقتٍ تنامت فيه القضيةُ الأرمينية وازدادت الطموحاتُ القومية للأرمن خاصّة سنوات (1894– 1895)، إلّا أنّهم انحازوا للنّظام العثماني، ودافعوا عنه، فوثق بهم السّلطان، وهُم بدورهم منحوه ولاءهم بالرّغم من التّحديات الداخلية والخارجية التي كانت تعيشها الإمبراطورية.

ومِن الأرمن الذين عيّنوا كذلك في منصب وزير "ناظر" نجد غابريال نورا دونكيان أفندي *Gabriel Noradunkyan Efendi* ،والذي تولى منصبَ ناظر الخارجية من سنة (1912– 1913م) ،وهذا الأخيرُ درسَ في جامعة السوربون ومعهد فرنسا *Collège de France* ومعهد العلوم السياسية ،ثمّ بعد ذلك تحصّل على شهادةٍ في 30 أغسطس 1875 م من قسم الحقوق بجامعة باريس ،وقد تولّى عدّة مناصب في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ،كان يكتب ويتحدّث التركية والفرنسية والأرمينية ،كما أنّه كان يجيدُ التحدث بالإنجليزية والإيطالية[2].

الجدولُ الآتي يمثّل الأرمن الذين تولّوا منصبَ ناظر أو وزير[3]:

(1) *a.g.m , s. 27.*

(2) *Cengiz Mutlu, **Osmanli `de bir Ermeni hariciye naziri**, **Gabriel Noradunkyan Efendi,** Gündoğan yayınları, Istanbul, 2015, ss. 13 – 25.*

(3) *Sadi Koçaş, a.g.e, s. 94.*

اسم النظارة	الناظر (الوزير)
ناظر المالية	أغوب كازازيان باشا *Agop Kazazyan paşa*
وزير البريد	ماريشال غارابات أرتين داود باشا *Marsal Garabet Artin Davut paşa*
وزير البريد	أندون تينقير يافا باشا *Andon tingir yever paşa*
وزير البريد	أسكان مارديكيان *Oskan Mardikyan*
وزير العمران	بيدروس هالاجيان *Bedros Hallacyan*
وزير العمران	ماريشال غارابات أرتين داود باشا *Maresal Garabet Artin Davat paşa*
وزير العمران	أفوكات كريكور سينابيان *Avukat Krikor Sinapyan*
وزير العمران	كريكور أغاتون *Krikor Agaton*

وبالرّجوع إلى الجدول أعْلاه ،نلاحظ أنّ الأرمن قد وصلوا إلى أعلى المناصب في الدولة العثمانية ،وهذا مؤشّرٌ على أنّ الدولة لم تفرق بين تبعتها ،لا من حيث الدّين ولا من حيث المذهب ،وحتى بين الشعوب التي انطوتْ تحت لوائها ،فالشّرطُ الأساسي بالنّسبة إليها لتولي هذا النوع من المناصب هو الأهليةُ والجدارة ،بالرغم من بدء "العصيان الأرمني" ،فعندَ دراسة عهد السّلطان عبد الحميد II نلاحظ أنّ عددَ الأرمن المشتغلين في الإدارة المركزية للدولة وصلَ إلى 2633 أرمنيًّا ،نجد منهم 40 في نظارة المالية ،و202 في نظارة الخزينة[1].

أمّا الجدولُ الآتي يبين أهمّ الموظّفين الأرمن في وزارة الداخلية[2] العثمانية:

فارتان باشا	*Vartan paşa*
كريكور شابانيان أوساب أميرة	*Krikor Şabanyan Osep Amira*
بيدروس كابا ماجيان	*Bedros Kapamacyan*
ثروث بلا جييان	*Servet Palamacyan*
بوغوس بارناسيان	*Bogos Parnasyan*
هاروتيون هاندانيان	*Harutyun Handanyan*

(1) *Cengiz Mutlu, a.g.e, s. 235.*
(2) *Sadi Koçaş, a.g.e, s. 106.*

2- النوّابُ الأرمن:

تمّ تعيينُ الأرمن كذلك في منصب نوّاب عن ملّتهم في مجلس المشروطيّة الأولى ،ومن بينهم نجد :أوهانيس ألاهفارديان *Ohannes Allahverdiyan* وكان نائبَ رئيس مجلس مبعوثان ،انتخب الرئيس الثاني في الجلسة الأولى في مجلس المبعوثان العثماني ،أدخل كذلك في اللّجنة المؤسسة بهدف إصلاح الهيكلِ المالي للدولة ،بالإضافة إلى صبوح ماكسوديان *Sabuh Maksudyan* معروف عنه أنّه صيرفي ،وقد كوفئ بالنّيشان المجيدي من طرف الدّولة بصفته صيرفي غالاطة *Galata* ،فضلًا عن كوْنه من الشّخصيات المهمّة في المجتمع الأرمني ،وفي سنة 1895 كان عضوًا في مجلس إدارة الشركة الخيرية ،ونتيجةً لعمله لصالح الدولة العثمانية تلقى تهديدًا من طرف منظّمة الهينشاق « *Hinçak* » الأرمنية ،لذلك عملت الدولةُ على ضمان حمايته الشخصية(1).

وفيما يلي جدولٌ يتضمّن نوّاب مجلس المشروطية الأولى 1876 الأرمن(2) .

النائب	المنطقة
أوهانيس ألاهفردي *Ohannes Allahverdi*	**نائب رئس مجلس المبعوثان**
صبوح مكصوديان *Sabuh Maksudyan*	**نائب عن اسطنبول**
روبين يازيجيان *Rupen Yaziciyan*	**نائب عن أدرنة**
سحاق يفروميان *Sahak Yavrumyan*	**نائب عن بورصة**
حمزا سب بالاريان *Hamazasb Ballaryan*	**نائب عن أرضروم**
مانوك كارجيان *Manuk Karciyan*	**نائب عن حلب**
ميكائيل ألتينتوب *Mikael Altintop*	**نائب عن أنقرة**
أغوب شاهينيان *Agop Şahenyan*	**نائب عن سيواس**

(1) *Cahit Külekçi, a.g.e, s. 150.*
(2) *Sadi Koçaş, a.g.e, s. 94*.

المطلبُ الرّابع: الأسر الأرمنية المتنفذة الأميرا *(Amira)*

وهي من الكلمةِ العربية "أمير" و"أمراء" ،وهو لقبٌ عثماني منحَه السّلاطينُ للأرمن الأثرياء الذين تعاونوا مع الدّولة العثمانية منذُ منتصف القرن الثامن عشر وكان يطلقُ عليهم قبلَ ذلك لقب خوجة [1] وشلبي[2] ،لكن إذا تتبّعنا الأشخاصَ الذين حملوا هذا اللّقب ،نجد أنّ أغلبهم كانوا من الصّرافين الأرمن ،إلّا أنّ لقب أميرا لم يستعملْ من أجل كلّ الصّرافين ؛لأنّه يوجد في أوساط الصّرافين اليونانيّين واليهود ؛ولا شكّ كذلك أنّه لا يقال لكلّ صرّاف أميرا إذا كان أرمينيا.

كان هذا اللقبُ في البداية يُمنح لأصحاب الثّروة المعروفين، والجدير بالتّنويه أنّ هذا اللقب ليس رتبة رسمية معطاةً للأرمن في الدّول العثمانية. ثمّ أصبحَ لقب "أميرا" يمنح لأصحاب رؤوس الأموال وجامعي الضرائب ،ورجال الدّولة الموثوق فيهم ،والذين تولّوا مناصبَ عليا في بيروقراطية الدّولة العلية[3]. كما حصلت الأميرا على امتيازات غيرِ مُعترف بها إلّا للمسلمين ،مثل إعفائهم من دفع الجزية التي كان يدفعها أهلُ الذمّة غير المسلمين ،كما يحقّ لهم حملُ قبّعات تعرف بـ "قلباق" « *Kalpak* » والموجود عليها طغراء السّلطان ،وهي خاصّة فقط بالطبقة الأرستقراطية المسلمة ،كما كان يسمح لهم بركوب الحصان، ولهم حقّ إسدال اللّحية المعترف بها للمسلمين[4].

في ظلّ المعلومات التي ذكرناها نستخلصُ أنّ لقب "أميرا" كان يُمنح في الإمبراطورية العثمانية للأعيان الأرْمن المتنفّذين والأثرياء منهم ،وقد كان الجزءُ الأكبر من الأمراء تجارًا جاءوا من مدينة أكن *Egin* ،وهي اليوم مدينة الكمالية (*Kamaliye*) [5]. كما أنّنا لاحظنا أنّ لقب أميرا أصبح يمنح لأشخاص ينتمونَ إلى أسرٍ متنفّذة لعبت دورًا كبيرًا ومحدّدًا في البلاط العثماني، ولما كان من العسيرِ تحديدُ مجمل الأشخاص والعائلات، نكتفي في هذا المَوْضع بالعائلات الأرمينية الكبيرة التي كان لها دورٌ في البلاط العثماني، وتركت بصماتها في التّاريخ العثماني.

(1) **خوجة:** هي كلمة فارسية وتعني "السيد: و"الحاكم" و"الصاحب" و"الغني" ،وكان يطلق اللعب في إيران على أصحاب بالأملاك الكبيرة والتّجار والأغنياء ،وكذلك استخدم هذا اللقب بالمعنى ذاته في تركيا، أنظر: مكرديج هـ بولدوكيان، مرجع سابق، ص ص 19.

(2) **شلبي:** في الفترة الأولى من الإمبراطورية العثمانية حين رأى الإقطاعيون الأرمن في القرن 13 أن أراضيهم تسحب من تحت أقدامهم بدءوا بالاعتماد على رأس مالٍ متحرّك ،ومع مرور الزمن تمكّن بعضهم بفضل قوة المال من الوصول إلى مراكز هامّة في أوساط البلاط الملكي, وأطلق عليهم لقب الشلبيين ،ويعدّ الشلبي لقبًا للنّبلاء يمنح للأمراء ويعني صاحب الألوهية ،كما تمنح هذه الرتبة لبعض الأشخاص الملكيّين ،أصحاب النعم وطبقة المفكرين الكبار. نفسه، ص ص 25 – 26.

(3) *Cahit Külekçi, a.g.e, s. 111.*

(4) *Arsen Yarman, a.g.e, s. 71.*

(5) *Pascal Carmont, **Les Amiras seigneurs de l’Arménie Ottoman**, Édition Salvator, Paris ,1999, p.27.*

عائلةُ داديان *Dadyan*:

عائلة داديان تقيم في سان ستيفانو*San Stéfano* الواقعة على البسفور[1] عائلة داديان في العهد العثماني تولت وظيفةَ صناعة البارود، وهي من العائلات الأرمينية الغنيّة والمتنفّذة، إلى جانب هذا فإنّ عددًا من أفراد العائلة الآخرين مارسوا مهامّ متعدّدة، فوجدوا في مواقع مهمّة في الدولة. وقد تمّتعت هذه العائلةُ بصيتٍ كبير ،أهّلَها أنْ تدخل التاريخ من بابه الواسع بفضْل الوظائف التي اضطلع بها أفرادُها في البارود خانة *Barut hane*[2] ،حيث كانت الوظائفُ هناك تنتقل أبًّا عن جد ،واستمرّوا في هذه الوظيفة 140 سنة ،إلى درجة أنّه إذا ذكرت هذه العائلة يُذكَر معها البارود خانة[3].

بعض أفراد هذه العائلة لمعَ نجمُهم في نظارة الخارجية مثل أرتين أفندي *Artın Efendi* الذي تحصّل على لقب باشا[4]، بسبب المصالح التي ضمنها للدّولة العثمانية من خلال الاجتماعات التي شارك فيها أو مِن خلال الوظائف التي تقلّدها في مختلف مُستويات الدولة ،وقد تلقّى هذا الأخير تعليمه في باريس ،وفي سن 20 سنة شرعَ في العمل في وزارة الخارجية للدّولة العثمانية ،وفي سنة 1865 كان السّكرتير الأوّل لسفارة الدولة العليّة في باريس؛ ومع مرور الوقت بدأ أرتين في الارتقاءِ في المناصب العليا في الدولة العثمانية ،ففي سنة 1888 أصبح مستشارَ وزير الخارجية. أمّا ابنه ديران داديان *Diran Dadyan* فقد تولّى منصبًا مميزًا في غرفة تلغراف وزارة الخارجية ،ونتيجة للخدمات التي قدّمها للدولة مُنح وسام الدّولة ،أمّا ابنته فاشتغلتْ مترجمةً لزوجة وليّ عهد النمسة[5] ،كما أن هذه العائلة أنشأت العديدَ من الكنائس في منطقة أيوب، بورصة، أزمير، هاسكوي[6].

وفي هذا الصّدد ،جديرٌ بالذّكر أنّ "الأميرا" كانوا يعتنون بأولادهم ،ويتابعون تعليمهم عن كثب ،ونتيجة لهذا الاهتمامِ ساهمت عائلةُ داديان في عمليّة التّصنيع في الدولة العثمانية ،حيث أنشئوا أولى المصانع في صهر المعادن

---

(1) *Pascal Carmont. Op. Cit ,p.120 .*

(2) **بارود خانة *Baruthane*:** الاسم الذي يطلق على الأماكن التي يتمّ فيها إعداد البارود قبل إلغاء الإنكشارية ،ويذكر أنّ أوّل مكان أنشئ في الدّولة العثمانية كان في عهد يازيد الثاني في حي كاغط خانه في اسطنبول ،ثمّ أنشئت في مختلف ولايات الدولة وقد عين في عهد سليم الثالث ناظر على دار البارود ثمّ ألغيت الإنكشارية عام 1826 نقلت إلى نظارة المدفعية. أنظر: سهيل صابان، مرجع سابق، ص 52.

(3) *Cahit Külekçi, a.g.e , s . 119.*

(4) **باشا *pasha*:** من الألقاب المدنية وهو لفظ فارسي من "با" أي قدم و"شاه" "أي "ملك" ثمّ أصبح له معنى اصطلاحي خاصّ وهو "الرأس" ويُطلق هذا اللقب في مصر على رجال الجيش ،وعلى أعيان مدنيّين ،ووكلاء النظارات والوزارات ومحافظي الأقاليم وكبار التجار وملاك الأراضي. محمد رفعت الإمام، الأرمن **في مصر**... مرجع سابق، ص. 397.

(5) *Cahit Külekçi , a.g.e, ss . 122- 123.*

(6) *Arsen Yarman , a .g.e, s. 79.*

والقطن والحرير والورق والبارود ،وهكذا ضمنوا مداخيل مهمّة لخزينة الدولة بزيادة إنتاج الدولة ،إلى جانب هذا زادوا من ثرواتهم[1].

عائلةُ باليان *Balyan*:

تعود جذورُ هذه العائلة إلى منطقة قيصرى ،وقد استقرّت في اسطنبول ،ونجحت في إثبات جدارتها في ميدان الفنّ المعماري ،حيث خلّفت عدّة آثار معمارية مهمّة مازالت إلى يومنا هذا شاهدًا على براعتهم ،ومن أشهرِ المعالم الأثرية التي خلّفوها ،قصر دولمه بهجة *Dolma Bahçe* وقصر تشيراغان *çiragan* ،وبايلرباي، واشتغلَ في إنشائها غاراباد باليان *Garabed Balyan*[2] ،وحتّى أبناؤه ساروا على نهجه فامتهنوا الفنّ المعماري، وهُمُ الإخوة أغوب، ونيقوغوس *Nigogos* ،وسركيس الذي عين في وظيفة كبير المعماريين أو باش معماري البلاط[3].

كانت مساهمةُ عائلةِ باليان في المجال المعماري كبيرة، ممّا جعلها تستفيد من عدّة امتيازات، مثل: براءة الإعفاء من أداءِ الضّرائب، التّمتع بالحصانة الشخصية، بحيث يحظُر على الشرطة والأمن الدخول إلى بيوتهم، فضلًا عن حرية التنقّل، وتولّت هذه العائلة مقاولةَ عددٍ كبير من الأبْنية مثل المباني المدنية والعسكرية وحتى المساجد، إلّا أنّ نجم عائلة باليان تراجع نتيجةً لتورّطهم في الفساد، بعدما كانت مقرّبةً من البلاط على مدى ثلاثةِ أجيال في القرن التّاسع عشر. فمثلًا سركيس باليان الذي كان باش معماري البلاط-كما أسلفنا- بقطع النّظر عن مسيرته المهنيّة ،إلّا أنّه بدوْره تورّط في الفساد ،فقد تبيّن خلال استجوابه أنّه استولى على قرابة 300.000 ليرة عثمانية خلالَ الأعمال التي قام بها في عهد السّلطانين عبد العزيز وعبد الحميد الثاني ،لذلك صدرَ في حقّه حكمٌ يقضي بمصادرةِ كلّ ممتلكاته ،وقد تمّ العفو عنه من طرف السّلطان عبد الحميد الثاني ،بعد تدخّل كبير أطبّاء البلاط وهو مافرويان أفندي *Mavroyan Efendi* [4]. ولم يتوقف الأمرُ عند هذا الحد ،فنتيجة لتحطّم بعض المباني التي قامَ بها سركيس تمّ سجنه لكنْ أخلي سبيلُه بعد قيام والده بدفع كفالة ،وهكذا بمجيء نهاية القرن 19 م أي في سنة 1890 م انتهى تأثيرُ الأرمن في المعمار العثماني[5].

عائلةُ ميناس *Menas*:

(1) *Cahit Külekçi , a.g.e, s. 125.*
(2) *Sema Küçük Söz , a.g.e , s. 34.*
(3) *Pascal Carmont, Op. Cit ,pp.118-119.*
(4) *Sorularle, Ermeni meselesi …, a.g.e,s . 134.*
(5) *a.g.e, s. 155.*

تعود جذورُ هذه العائلة إلى منطقةِ قيصري[1] ،وهي عائلةٌ تختلف عن بقيّة العوائل التي تطرقنا إليها[2]، بحيث لم يكنْ لها تأثيرٌ كبير في الحياة الاجتماعية والسياسية للمجتمع العثماني ،فقد قدّمت خدمات للدولة في مجالات الفنون البصرية ،مثل الرسم والتّماثيل والمسرح والموسيقى. كانوا يعتبرون في تلك الفترة رسامي البلاط، وهذا لا يعني أنّهم كانوا يقومون برسْم السلاطين فقط؛ بل كانوا يرسمون بعضَ الأوراق الرسمية التي تستعمل من طرفِ الدولة، بالإضافة إلى رسم الأوراق النقدية التي كانت ترسم كذلك بواسطة رسامين، ومِن رسامي البلاط نجد: رفائيل *Rafael*، وابنيه أنتران مناس *Antaran Menas*، ومناس ميناس *Menas Minas*، كلهم اشتغلوا في البلاط العثماني، ورسموا عدّةَ رسومات لسلاطين عثمانيّين. والشّيء الملاحظ على هذه العائلة كذلك أنّهم كانوا يتركون منصبَ رسّام البلاط لأبنائهم. وفضلًا عن اشْتغالهم بالرسم نجد أنّ بعض أفرادها كانوا مترجمين ،مثل ميناس صبوح *Menas Sabuh* الذي درس في باريس ،كما أنه قام بتأليف كتاب الفن المعماري العثماني[3].

عائلةُ دوزيان *Düzyan*:

تعود جذورُ هذه العائلة إلى المناطق المجاورة لسيواس ،واستقرّوا في إسطنبول في بداية القرن 17 م ،وتعرف عائلةُ دوزيان بثرائها الكبير بالمقارنةِ مع عائلات "الأميرا" التي ذكرناها[4] ،وقد استقرّت هذه العائلة في كورو تشِشمة *Kuru çeşme* على ضفاف البوسفور ،وهي عائلةٌ تنتمي إلى أعرقِ العائلات الأرمنية الكاثوليكية [5].

وقد تقلّد أفراد العائلة عدّةَ وظائف متعلّقة بالمال ،مثل إدارة الضرب خانة ،ونتيجة للتسهيلات التي منحتها الدولةُ العثمانية لهم ،فضلًا عن اشتغالهم في المناصب الحسّاسة في الدولة ،سمح لهم بكسب ثروات طائلة قاموا مِن خلالها بتأسيس نوعٍ من المؤسسات المصرفية[6] ،كما أنّهم زادوا من ثروتهم عن طريق إعطاء قروض بفوائد للدّولة. بالرغم من انتشار أخبار الاختلاس المالي عنهم إلّا أنّهم استطاعوا المواصلةَ في الضرب خانة لسنوات طويلة. لقد جسدت عائلة دوزيان مثالًا في القدرة على المناورة والتحكّم في لعبة الولاء[7].

واستنادًا إلى ما سبق ،نستخلصُ أنّ مصطلح "أميرا" لقبٌ يمنح لأشخاص نبلاء مشتغلين في مهامّ عُليا في الدّولة ،وهم كذلك أشخاصٌ قدّموا دعمهم في بناء مؤسّسات مثل المستشفيات والمدارس والكنائس ،فضلًا عن

(1) **قيصري:** تقع جنوب شرق أنقرة على مسافة 52 ساعة وتحتوي على 40 ألف كلم، أحمد الشرقاوي وآخرون، مرجع سابق ، ص. 152.

(2) *Sema Küçük Söz , a.g.e, s . 35.*
(3) *Arsen Yarman , a.g.e, s . 130.*
(4) *Cahit Külekçi , a.g.e, s . 113.*
(5) *Pascal Carmont , Op.Cit, P. 130.*
(6) *Saro Dadyan , a.g.e, s . 78.*
(7) *Cahit Külekçi , a.g.e, s . 113.*

كوْنهم أشخاصًا حازوا على ثقةِ السّلاطين[1]. لكنّ بعضهم استعمل هذه الثّقة بالتورّط في اختلاس أموال الضّرب خانة، وغيرها من قضايا الفساد.

تحوّلت المناصب التي كان يشغلها الأميرا في البلاطِ إلى مناصب وراثية يتركها الآباءُ لأبنائهم، وهذا ما أدّى إلى نشوءِ علاقات وثيقةٍ بينهم وبين البلاط، فكثيرٌ منهم بقوا أوفياءَ للدولة العثمانية حتى اللحظات الأخيرة بالرّغم من التّحديات الداخلية والخارجية التي شهدتها الدولة، خاصّة فيما يتعلق منها بالقضية الأرمنية، والتي كانت تمسّهم بشكل مباشر.

علاوةً على ذلك يكفي أنْ تعتمد معيار الألقاب حتّى ندركَ مدى قرب الأميرا من البلاط ،فالدولة العثمانية قد منحتهم ألقابًا كانت خاصّة بالعثمانيّين المسلمين مثل لقب "باشا" و"باي"[2] ،حيث منح السّلطان عبد الحميد الثاني لبوغوس داديان لقب "باي" نتيجةً لزيادته لمقدار البارود المنتَج في بارود خانة ،والإصلاحات التي قام بها [3] إنّ الأميرا قاموا بفرض أنفسهم كعناصرَ لا يمكن الاستغناءُ عن خدماتهم في مختلف المجالات.

المطلبُ الخامس: دورُ الأرمن في الطبّ والمسرح والآداب:

1-دور الأرمن في الطبّ:

ومِن المجالات التي كان للأرمن فيها كذلك بصمات نجد الميدانَ الطبي ،ففي المراحل الأولى من الدولة العثمانية كان أطبّاءُ البلاط العثماني من اليهود ،لكن ابتداءً من القرن الثامن عشر يلاحَظ شروعُ الدولة العثمانية في تعيينِ أطبّاء من أصلٍ أرمني ،وهُم من عائلة شاشيان [4] *Şaşyan* ،وأهمّ الأطباء الذين عيّنوا في البلاط العثماني:

مانويل شاشيان *Manuel Şaşiyan*: (1775–1858): وقد ترقّى إلى منصب كبير طبيب البلاط، حيث كان مسئولًا على المراقد وأفران ومطابخ البلاط، ونتيجةً للخدمات التي قدّمها بصفته طبيبَ القصر مُنح له وسام.

بافلاكي شاشيان *Pavlaki Şaşyan*: (1806–1887): وقد تلقّى دراسته في الخارج، مثل مانويل شاشيان، حيث أنهى دراستَه في كلية الطب من جامعة بادوفا *Padova* الإيطالية، وقبل أن يشغل منصب طبيب البلاط كان يشغل منصبَ طبيبٍ لكثيرٍ من العائلات المسلمة، إلى جانب هذا كان يقوم بأبحاثٍ مختلفة في مجال الطّب، وهذا ما دفعه إلى طلب فتح محلّ من الدّولة من أجل القيام بأبحاثه، فوافقتِ الدّولة على طلبه مانحة إياه

(1) *Ahmed Akgündüz , Recep Kara ,a.g.e, s. 61.*

(2) **باي Bey**: كلمة تركية تعني "كبير"، "ثري"، وهو لقب مدني، انظر: رفعت الإمام، **الأرمن في مصر**... مرجع سابق ، ص 397.

(3) *Cahit Külekçi, a.g.e, s. 123.*

(4) *Najat Göğünç, a.g.e, s. 82.*

مكانًا يسمحُ له بتنفيذ أبحاثه. ولم يتوقّف عند هذا الحدّ ؛بل طلبَ من الدولة أن تمنحه رخصةً من أجل فتح دارٍ للعلاج ،فمنحتْه الدّولة رخصة ؛فكان يقوم بأبحاثه بالموازاة مع اشتغاله طبيب بلاط، وبفضل الأعمال التي كان يقومُ بها رقّي في الرّتب ورفع معاشه ،كما منح الوسام المجيدي من الدرجة الخامسة(1).

فضلًا عمّا ذكرناه ،فقد حاولتِ الدّولة العثمانية تأسيسَ جمعية على غرار الصليب الأحمر ،بعدما تبيّن لها أهميةُ هذه المؤسّسة لمواجهة الاحتياجات الصّحية لجيشها في حروبه ،وبعد عدّة محاولات أسّست ما عرف بالهلال الأحمر العثماني على نفس مبادئ الصّليب الأحمر ،إلّا أنّها غيّرت التسمية فقط إلى الهلال الأحمر ،والجدير بالتّسجيل عندما نتصفّح قائمة الأعضاء المؤسّسين نجد أنّ أغلبهم من الأرمن ،مثل الدكتور سيفيتشان أفندي *Seviçen Efendi*، وإستابان باشا *Istepan paşa* وسافيان باي *Sevyan Bey*، والدكتور نوريجان *Dr. Nurican* (2).

2- دورُ الأرمن في المسرح العثماني:

لم يكنِ المسرح ظاهرةً جديدة على الدولة العثمانية ،حيث كانت تقام عروضٌ مسرحية بانتظام في سفاراتِ الدّول الأجنبية في اسطنبول ،أو في منازل الأثرياء ،وقد شهدتْ هذه الفترة انجذابَ الأرمن نحو المسرح، لذلك يعود الفضلُ الأوّل في تعريف العثمانيّين بالمسرح للأرمن ،فقد كيّفوا العروض المسرحية التي كانوا يقومون بها مع المعطى الثقافي العثماني ،سواء من حيث اللغة ،فقد كانت المسرحيّاتُ تعرض باللغة التركية ،أو من حيث العادات ،فتمكّنوا من إحداثِ نوعٍ من التّمازج بين الثقافة الأوروبية والثقافة العثمانية المحلية(3).

ساهم الأرمنُ في تأسيس مسرح عثماني بالمفهوم الغربي ،فأولى المجموعات المسرحية والرّعيل الأول من الممثّلين كانوا من الأرمن ،وكان هذا نتيجةً لبقاء المسلمين بعيدين عنْه بسبب عاداتهم ،لكنْ على النقيض من ذلك وقف الأرمنُ موقفًا مغايرًا ؛فقد أقبلوا عليه وتبنّوه مباشرة ،وساعدوا في تطوّر هذا الفن في الدولة العثمانية ،خاصّة وأنّ مساهمة المسلمات في مجال المسرح كانت منعدمة ،فلم يكنّ يرغبْنَ في الخروج على المسرح ،في حين عادَ النصيبُ الأكبر من المشاركة للأرمينيات اللواتي ملأن هذا الفراغ ،وقد أظهر الأرمنُ قدرةً كبيرة على التمثيل ،فأدّوا مسرحياتٍ باللغة التركية لأعمالٍ أجنبية كثيرة ،من بينها أعمال الكاتب موليير *Molière* وفيكتور هوجو *Victor Hugo* ، هذه العروض تمّ تكييفها مع عادات المجتمع العثماني كما سبق وذكرنا(4).

(1) *Cahit Külekçi, a.g.e, s. 133.*
(2) *Arsen Yarman, a.g.e, s. 339.*
(3) *Frédéric Hitzel, Op. cit, pp. 247- 248.*
(4) *Adem Ölmez,* ***İstanbul' da Barışım Bozulması, İstanbul Ermeni Olayları ve Yahudiler,*** *İstanbul.2010, s. 61.*

وفي القرن التّاسع عشر أسّس أوهانيس كاسباريان الأرمني *Ohannes Kasparyan* أوّلَ مجموعة مسرح محْترف، بدأت بلعب الدّراما بالإضافة إلى أنشطة أخرى. وكانت هذه المجموعة تسمى أراميان *Aramyan* ،ومن أجلِ تمثيل هذه العروض تمّ إنشاء مبانٍ مسرحية في بانغالتي *pangaltı*وفي قيديك باشا *Gedik paşa* [1] ،وفي سنة 1869م أسّس أغوب فارتوفيان *Agop Vartovyan* (1800- 1902) مجموعة مسرحية عرفت باسم غولو أغوب *Agop Güllü* ،وقد قدّمت لأوّل مرّة عروض مسرحية مُترجمة للتركية من طرف ممثّلين مسلمين، لكنّ هذا المسرح الذي أسّس في قيديك باشا قد تمّ غلقُه سنة 1882 من طرف السلطان عبد الحميد الثاني، الذي اعتبره مسرحًا تخريبيًّا ،وبعد ذلك بقليلٍ هُدم ،مما دفع بفنّانيه وفناناته للّجوء إلى بورصة ،حيث قام الحاكم العامّ هناك بإنشاء مسرح "أحمد وافق" حيث كانوا يعرضون هناك كوميديا مولِيار *Molière*[2].

في ضوء ما تقدّم، يمكن القولُ أنّه كانت للأرمن مساهماتٌ في مختلف المجالات الثقافية والاقتصادية، وحتّى السياسية. كما ظهرت عائلات — الأميرا – التي أصبحت قوّةً اجتماعية واقتصادية فاعلة سواء في المجتمع العثماني أو في المجتمع الأرمني، كما ساهمت هذه الأخيرةُ في تدعيم أواصر الودّ والتّواصل بين الأرمن والدولة العثمانية، حيث أثبتوا من خلالِ تولّيهم مناصب عديدة ورفيعة المستوى؛ تعلّقهم بالنظام العثماني وإخلاصهم للدولة.

بتتبّعنا للوضع الديمغرافي والاقتصادي للأرمن وكذا دورهم في الدّولة العثمانية؛ تتّضح لنا جملةٌ من الحقائق، أهمّها:

كانت الطائفةُ الأرمنية تشكّل أقلية، سواء في الدولة العثمانية ككلّ، أو في المناطق التي درج المؤرخون على اعتبارها الأراضي التّاريخية لتواجد الأرمن، والتي اصطلح على تسميتها في تلك الفترة بـ "الولايات السّت" والمتمثّلة في: أرضروم، بيتليس، فان، سيواس، ديار بكر، معمورة العزيز أو خربوط، وهذا بالاستنادِ للإحصائيات التي قامتْ بها الدولة العثمانية، فأعلى تعدادٍ لهم لم يتجاوز مليوني نسمة، بل أكثر من ذلك، كانوا يستقرّون بطريقة مشتّتة.

مارس الأرمنُ عدّةَ وظائف اقتصادية، ولعلّ أهمّها الصيرفة والوسيط التجاري، على غرار بقية المسيحيين، فراكموا ثرواتٍ كبيرة، لكن بالرغم من ذلك لا مفرّ من الإقرار بوجود فروق كبيرة بين الأرمن، الذين يمكن أن نقسّمهم إلى قسمين: قسم عاش في المدن كوّن ثرواتٍ وربط علاقاتٍ وثيقة سواء مع الغرب أو مع البلاط العثماني، حيث أسدوا خدماتٍ جليلةً للدّولة العثمانية، خاصّة في اسطنبول التي كانت قبلةً لكلّ مَن يريد أن يحقق ثروةً أو مكانة اجتماعية. وقسم سكن الأرياف وعاش في ظل ظروف مزرية.

---

(1) *Adem Ölmez, a.g.e ,s .62.*
(2) *Frédéric hitzel, Op .cit, p.249.*

لقد تأثّر الأرمنُ بالعادات والتقاليد العثمانية، ممّا سهّل عليهم الاندماجَ في المجتمع العثماني، بالرغم من أنّهم كانوا متميّزين، لديهم عاداتهم وتقاليدهم، إلّا أنّهم تناغموا مع المجتمع العثماني فشكّلوا رافدًا من الرّوافد التي أثرت الثقافة العثمانية.

الفصلُ الثّاني

عواملُ ميلادِ المسألة الأرمنية

المبحثُ الأوّل: النهضةُ الأرمنية ودورها في ميلاد الشعور القومي الأرمني.

المبحثُ الثّاني: دور الإرسالياتِ التّبشيرية في ميلاد القضية الأرمنية.

المبحثُ الثّالث: تشكيل الأحزابِ واللّجان الثوريّةِ الأرمنية ودورها في ميلاد المسألة الأرمنية.

المبحثُ الرّابع: تأثير الدّولِ الكبرى على ظهور المسألة الأرمنية.

المبحثُ الأوّل: النّهضةَ الأرمنيّة ودورُها في ميلاد الشّعورِ القومي الأرْمني

المطلبُ الأوّل: خلفيات اليقظةِ الأرمنية.

المطلبُ الثّاني: دورُ التّعليم في بعْثِ المسألة الأرمنية.

المطلبُ الثّالث: دورُ الطّباعة والصحف.

سنسعى مِن خلال هذا الفصل للبحثِ في العوامل التي أدّت إلى ظهور ما اصطلح على تسميته في كثيرٍ من المصادرِ والمراجع بالمسألة الأرمنية، وقد اختزلناها في أربعةِ عوامل، هي: اليقظة الأرمنية، والإرساليات الأجنبية، والدّور الأجنبي، والأحزاب الأرمنية. وقبل أن نتطرّق لكلّ عاملٍ على حدة، حريٌّ بنا أن نعرّف بالمسألة الأرمنية حسب ما توخّيناه في هذا الفصل. نقصدُ بالمسألة الأرمنية هي رغبة الأرمن في الاستقلال عن الدولة العثمانية، وتشكيل كيانٍ سياسيّ خاصّ بهم في شرقِ الأناضول، على غرار بلغاريا في البلقان، أو على الأقلّ الحصول على استقلالٍ ذاتيّ أسوةً بجبل لبنان، وقد ظهرت هذه القضيةُ على امتداد النصف الثاني من القرن 19م، وتطوّرت لتصبحَ قضيةً دولية. وقد أدّى إلى ظهورها أسبابٌ متعددة سنحاول التطرّقَ إليها في هذا الفصل.

المطلبُ الأوّل: خلفيات اليقظةِ الأرمنية:

يمكنُ أن نصنّف اليقظةَ الأرمنية ضمن العوامل الدّاخلية التي لعبت دورًا محوريًّا في ظهور المسألة الأرمنية سواء محليًّا أو دوليًّا، وقد تعزّز هذا العاملُ بفعل القومية الأرمنية والنّشاط التعليمي المتمثّل في نشاط: المدارس والجمعيات والصحافة والمطابع، فكلٌّ أسهمَ بقسطٍ وافر في ظهور اليقظة أو الوعي الوطني الأرمني.

1–القومية الأرمنية: قبل أن نتطرق للموضوع ،رأينا أنه من الضروري إعطاء مفهوم للقومية.القوميةُ تعني بمفهومها العامّ ميلًا أو شعورًا بالانْتماء إلى جماعةٍ حضارية معينة، ورغبة في التجمع والترابط لتحقيقِ غايات وأهدافٍ مشتركة في ظلّ إحساسٍ عامّ بوحدة المصير [1]. ويعرّف هنسلي *Hinsley* القومية بأنّها حالةٌ عقلية– في ظلّها– يصبح الولاءُ السياسي للفرد متّجهًا إلى أمته"[2]. ويعرّفها جون ستوسنجز بأنّها: "وعي تجمّعٍ بشريّ ما بمصيره المشترك وماضيه الواحد ورؤيته المستقبلية الموحّدة"[3].وقد شهد القرن التاسع انتشارا واسعا للحركات القومية ،ومن الطريف أنّ المشتغلين بعلوم السّياسة راحوا يُطلقون على القرن التّاسع عشر: "قرن القوميات *Century of Nationalism*" [4].

(1) إسماعيل صبري مقلد، **العلاقات السياسية الدولية**، المكتبة الأكاديمية ،القاهرة ،1971م، ص . 97.

(2) *Hinsley F. H.,* ***Nationalism and the International System****, London, 1973, P. 1.*

(3) أحمد وهبان ،**الصراعات العرقية واستقرار العالم المعاصر**، ط3 ، دار الجامعة الجديدة ، الإسكندرية،2000م ،ص 42.

(4) نفسه ، ص 16.

لعبت الحركة الأدبية الأرمنية ،دورا كبيرا في ظهور القومية الأرمنية ؛فقد بدأت تباشيرها الحقيقية في القرن التاسع عشر ،حيث ظهر أدبين أدب شرقي ظهر بين أرمن روسيا ،وأدب غربي ظهر بين أوساط الأرمن العثمانيين وقد كان لكلا الأدبين الأرمنيين – الشرقي والغربي – إتجاهات خاصة حسب المركز الجغرافي والوضع السياسي ؛ فالأرمن الروس الساكنون في أرمينيا الروسية ،أنتجوا أدبا وطنيا حماسيا وأخذوا بالمبادىء التحريرية والإنسانية السامية ،وفي الوقت الذي كان فيه الأدب الشرقي يترسم خطوط ومبادىء القومية ،عاش الأدب الغربي – ومركزه اسطنبول – بالأحلام الوطنية ،واقتصرت كتابات أدبائه على الحياة الإجتماعية التي كانوا يحيونها في ظل الدولة العثمانية ،فبكوا حاضرها ،وتعزوا بماضيها المشرق [1].

كان للطلاب الأرمن العائدين من الدراسة في أوروبا ،دور في تغذية التوجه القومي أكثر من الكتاب والأدباء المحليين ، وقد كانت كتابات الكتاب الأرمن في روسيا المقدمة الحقيقية للسعي في سبيل الإستقلال الأرمني، وتلقين الأفكار القومية [2].

كما كان للحركة الأدبية التي ظهرت عند المفكرين ورجال الدين الأرمن ،والدعوة لانشاء الجمعيات الأدبية و السياسية ،وتعاظم الشعور القومي لدى شعب يتوزع بين ثلاث امبراطوريات ،وثورات وإنتفاضات روسيا وشعوب البلقان ؛دور في تزايد موجة الرفض لكل قيم العالم القديم ،مما أدى إلى ظهور توجه أدبي جديد يدعو إلى إستتنهاض الشعب الأرمني ؛عن طريق التذكير بالماضي المجيد الذي ضاع تارة ،وعبر تصوير المستقبل القاتم الذي ينتظر الشعب الأرمني تارة أخرى ، والفخر بالتراث الوطني المجيد للملوك القدامى ،و التحريض على التشبث بالأرض موطن الأجداد[3]. وما زادَ من تعزيز الشّعور القومي لدى الأرمن –في تقديرنا –كذلك هو القانون الأساسي للملّة الأرمنية، أو ما اصطلح على تسميته "نظام نامة الملة الأرمنية *Nizamname Millet Ermeni*.

2 **- القانونُ التّأسيسي للملّةِ الأرمنية:** يعتبر إعادةُ تنظيم الملة الأرمنية من جديد حدثًا مهمًّا جدًّا، فهو يمثّل منعرجًا سياسيًّا حاسمًا، ومرحلةً فارقة في تاريخ الأرمن الذين كانوا في الدولة العثمانية، ومن أجل تحقيق ذلك

(1) ك. استارجيان، **تاريخ الثقافة والأدب الأرمني**، د.ن، الموصل ،1954، ص .139.

(2) لوسي قاصابيان ،**20 قصة أرمنية**، دراسة وترجمة، غسان كجو، ط1، الجمعية الخيرية العمومية الأرمنية، حلب، سوريا،1992،ص.7.

(3) نفسه ، ص ص19- 21.

تمّ تأسيسُ لجنةٍ بإدارة السلطان، والتي اجتمع فيها تياران، هما: أنصار التّنوير والمحافظين، أمّا أنصارُ التنوير فكلّهم درسوا في باريس مثل كريكور أوديان *Krikor Odyan* وسارفيتشان *Serviçen* وناهابد روسينيان *Nahabd Rusinyen*، غاراباد أوتوجيان *Garabed Ütücüyan* ونيغوغوس باليان *Nigogos Balyan*؛ وأمّا تيار المحافظين أو الرّجعيّين الذين يتصدّرون اللجنة[1] فأغلبُهم صيارفة وهُم مِن الأميرا أنصار الدولة العثمانية[2].

وبعدَ الجهود المتواصلة التي قامتْ بها هذه اللجنة، تمّ تحضيرُ القانون التأسيسي لملّة الأرمن ،وصودِقَ عليه في 24 ماي 1860م من طرف البطريرك، وفي سنة 1862م عرض على السلطان عبد العزيز (1861-1876) ليصادقَ عليه، ثمّ دخل حيّزَ التنفيذ بفرمان مؤرخ في 17 مارس 1863م، وبناءً على هذا القانون التّأسيسي فقد تمّ إنشاءُ جمعيّة عامّةٍ لها صلاحياتٌ تشريعية كبيرة، وهي تتشكّل من 140 عضوًا، مِن بينهم 80 عضوًا مُنتخبًا من بين المنظّمات النّقابية والصناع والتجار في إسطنبول، و40 عضوًا ينتخَبون مِن بين القساوسة في المقاطعات، و20 عضوًا يُنتَخَبون من بين قساوسة اسطنبول[3].

الدّستور الوطني الأرمني هو عبارة عن وثيقةٍ مرتبطة بتطوّر نظام الملّة العثماني، وهو يتألّف من 99 مادة، وحسب الدّستور أصبح البطريرك الأرمني في اسطنبول الزّعيمَ الدّيني والسياسي للجالية الأرمنية في الدولة العثمانية[4]، ويتألّف هذا الدستورُ من عناصرَ أساسية أهمها المبادئ الأساسية ،ويمكن أن نعتبرها بمثابة توطئة تتضمّن ما يلي:

- إنّ كلّ الأشخاص الذين ينْتمون إلى الأمّة الأرمنية لهم واجباتٌ تجاه أمتهم، وهذه الأمّة لديها واجبات تجاه أفرادها.
- القوّةُ التي تضمن الحقوقَ وتحدّد الواجباتِ هي الحكومةُ الوطنية.
- الحكومةُ الوطنية ترتكزُ على مبدأ الحقوق والواجبات، وهي أساسُ العدالة.

(1)*Anahide Ter Minassian, a.g.e, s. 125.*
(2) *Sorularla Ermeni Meselesi, a.g. e, s. 122.*
(3)*Adem Ölmez, **Istanbul da Sosyal Barışın Bozulması**, **Istanbul Ermeni Olayları ve yahudiler**, Kurtuba Kitap, Istanbul, 2010, ss. 66-67.*

(4) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق، ص 77.

- الأمّة والحكومة مرتبطان كلّ واحدةٍ بالأخرى عن طريق الواجبات المتبادلة. كما تطرق إلى واجبات الأمّة(1).

وقد تمّ تقسيمُ الدّستور إلى فصول، وعددُها خمسة:

- الفصلُ الأوّل، وعنوانه "الحكومة الوطنية" ،ويتألّف من: تكوينها ،ومسئولياتها ،وعلاقاتها(2).
- أمّا الفصلُ الثّاني فعنوانه "الضّرائب الوطنية" ،فكلّ شخصٍ بالغ ينتمي إلى الأمّة ،ويمارس مهنةً يجب أن يسهمَ بنصيبه في النّفقات المتطلبة احتياجات الأمّة ،كما يتضمّن الضرائب الوطنية السنوية وتوزيع الضرائب العامة(3).
- أمّا الفصلُ الثّالث ،فعنوانُه "الانتخاب" ،ويتضمّن شروط الانتخاب والترشح وانتخاب ممثلي الأمة، والانتخاب وفرْز الأصوات، كما يتضمّن انتخاب البطريرك(4).
- أمّا الفصلُ الرّابع، فعنوانه "القانون الدّاخلي للجمعيات والمجالس" والهدف منه هو ضمان التنظيم الإداري.
- أمّا الفصلُ الخامس ،فعنوانه "مراجعة الدستور" أو تعديل الدستور(5).

والملفِتُ للانتباه في هذا الدّستور أنّ المقدّمة قد رسمت الخطوط الأساسية لبرنامج التعليم في مفهومه الحقيقي، وفي أتونِ ذلك تشكّلت لجنةُ التّدريسات *tedrisat Komisyonu* ،وقد لعبت هذه اللجنةُ دورًا رياديًّا في التّنظيم الجديد، وكانت تتشكّلُ من سبعةِ أعضاء يعيّنون لمدّة سنتين عن طريق المجلس السياسي، وليس بينهم أيُّ رجلٍ دين ،ومهمّةُ هذه اللّجنة تتمحْور حولَ القيام بالتّفتيش العام للتّعليم الوطني، وتنظيم نظام المدرسة، ومساعدة الجمعيّات التي تهدف لتشجيعِ تعليم الأطفال ذكورًا وإناثًا، فضلًا عن تحسين ظروف معيشة الأساتذة، وإيجاد مدرّبين مؤهّلين ،علاوةً على ذلك فقد كانت تختار الكتبَ التي سوف تستعمل في المدارس، باستثناء الكتب التّعليمية الدينية ،والتي تدخلُ ضمنَ صلاحيات المجلس الرّوحاني، كما أنها كانت تقوم بتنظيم الامتحانات

---

(1) ***Constitution nationale des Arméniens, traduite de l'arménien sur le document original,*** *traduit par, M.E. prud'homme, Paris, 1862, p. 4.*

(2) ***Constitution nationale****..., Op.cit, pp. 5-6.*

(3) *Ibid, pp. 22-23.*

(4) *Ibid, pp. 32-25.*

(5) *Ibid, pp. 33-37.*

السّنوية وتمنح الشّهادات، وقد باشرت اللجنةُ مهامَّها سنة 1864م وانطلقت معها في انسجام الجمعيات الثقافية[1] .

وبهذا النّظام نامة تحصّل الأرمنُ على حقِّ تشكيل مجالس مثلَ أيّة ملّة مستقلّة، وفي مقدمة هذه المجالس يأتي المجلسُ الروحاني المشكل من 14 شخصًا، وهو مختصّ بالمسائل الدينية الأرمنية [2].ثمّ يليه المجلسُ الجسماني المشكّل من 20 شخصًا ،وهو مكلّف بمتابعة الشئون السّياسية والمالية للأرمن، كما هو مكلّفٌ بتشكيل لجانٍ مثل لجنة إدارة المستشفيات ،ولجنة الأديرة ،ولجنة المرافق ،ولجنة المعارف. وبهذا النظام التّأسيسي شهد الأرمنُ معاملةً تشبه الملّة المستقلّة، فأصبحوا يملكون حقوقًا مختلفة ودستورًا ، وفي ذات السياق شهد مؤرخ أرمني أنّ النظام نامة قد وضع القضيةَ الأرمنية على الطاولة، كما أنه أيقظَ الروحَ القومية لدى الأرمن وشعورهم بالاحتلال العثماني [3].

هناك سؤالٌ ملحّ يطرح نفسه في هذا الصّدد: ما الدّافع الذي جعل الدولة العثمانية تصادق على مثل هذا الدّستور؟ إنّ هذا الدّستور قد منح امتيازاتٍ كبيرةً جدًّا للأرمن. والدافع الذي كان يقف وراءَ المصادقة عليه قد يكون أنّ الدولة العثمانية أرادت أن تكافئ الأرمن بصفتهم التّبعة الأكثر إخلاصًا لها منذ قرون، لكنّ هذا مستبعَدٌ لأنّ مللًا أخرى قد تحصّلت كذلك على قانونها الأساسي، لذلك فإنّ الدافعَ الأساسي في تقديرنا لإمضاء "نظام نامة الأرمن" من طرف السّلطان هو التخفيف من ضغوطاتِ الدّول الأوروبية الممارسة على الدولة العثمانية بخصوص الأقليات المسيحية.

نلاحظُ ممّا سبق، أنّ الدستور الأرمني- المستوحى من الدّستور الفرنسي- لم يسمح إلّا بأدنى حدٍّ ممكن من التدخّل العثماني في شئون الأرمن، كما أنّه فرض على كلِّ أرمنيّ المساهمةَ كلٌّ حسب إمكانياته في سدّ حاجات الأمّة، والمساعدة على تحسين أوضاع أفرادها بُغيةَ تأمين تقدّمها. وبهذا اتجه الأرمنُ بعد ذلك بخطى سريعةٍ نحو القومية ،إلّا أنّ التيار القومي لم تصلْ رياحُه بعْدُ إلى شرق الأناضول، باستثناء قيام الأسقف خرميان هايريك *Khrimian Harik* بإصدار النّشرة المحلية الشهرية الأولى باسم أزريف فاسبوراكان *Arzive*

(1) *Dekran Kevorkian , ″ Ermeni meselesinde tehcire amil olan sebepler″ ,**Tarih boyuca Türklerin Ermeni toplumu ile ilişkileri sempozyumu**, 8-12 ekim 1984 ,Atatürk Üniversitesi ,Erzurum ,1984,s .297 .*

(2) مروان المدور، مرجع سابق، ص451.

(3) *Sorularla Ermeni…, a.g.e, s. 124.*

Vaspuragan وتعني "نسر فان"، كما أسّس مطبعةً ومدرسة في فان ،وقد دعا من خلال مجلته الشباب للمقاومة، وفي سنة 1869 انتخب بطريركا ،ومنذ البداية كان يعرض الأوضاع المأساوية للأرمن أمام الجمعية الوطنية ،فضلًا عن السّلب والنهب الذي كان يتعرض له الأرمنُ على أيدي الكرد، وهجرة الأرمن من أراضيهم(1).

ووفقًا لما ذكره المؤرّخ هوكر طاهر توفيق، فإنّ الدّستور قد منح لأرمن اسطنبول إمكانية التواصل مع الأرمن في شرق الأناضول، وذلك عن طريق تأسيسِ شبكةٍ جديدة من الأسقفيّات، وقد كان هذا الاتّصالُ تحت مظلّة الشبكة الدينية، وأصبح أرمنُ اسطنبول نشطين في إدخال المشاريع بين الجالياتِ الأرمنية البعيدة ،وفي شرق الأناضول بدأتِ المدارسُ تعمل على جلب التّعليم للجماهير الأرمنية الأمية ،وعبرَ التّعليم فإنّ الأفكارَ الوطنية بدأتْ بالازدهار بين الأرمن ،وهكذا ظهرت للوجود صورةٌ أخرى جديدة للأرمن(2).

كما اعتبرَ المؤرخ المذكورُ أنّ إصدار دستورٍ أرمني هو قمّة التعاون بين الأرمن والدولة العثمانية، حيث شكّل الأرمن- وفْقَ موادّه- دولةً داخل دولة، وصار للأرمنِ فيما بعد قيادةٌ موحّدة مركزية اتخذت من مدينة اسطنبول مركزًا لها، والجمعية العامّة الأرمنية بدأت تأتيها الشّكاوي من شرق الأناضول عبر الأسقفيات. فخلال الفترةِ المتراوحة بين أعوام (1860-1870) وصلت إلى البطريكية الأرمنية في إسطنبول حوالي 529 شكوى، إلّا أنّ البطريركية الأرمنية لم تُعرْ هذه الشّكاوي أدْنى اعتبار، ولم ترفعْ للباب العالي إلّا بعد فوات الأوان ،وهذا الأخير كان يهْمِلها (3).

إذًا المؤسّساتُ الأرمنية التي تمخّضت عن الدّستور أدّت إلى ظهور آليةٍ جديدة هي الشكاوي، التي أصبح الأرمنُ يستعملونها لإيصالِ أصواتهم إلى السّلطة الحاكمة،(4) وفي ذات السّياق حري بنا أن نذكر مثالا لتقريرٌ للبطريكية الأرمنية في القسطنطينية، والذي يعتبر التّقريرَ الأوّل للجمعية العامّة الأرمنية، حيث أدرج ضمنَ الجلسة الشفوية لدورة 18 فيفري 1872، وقد قدم للصّدر الأعظم محمود نديم باشا في 11 أفريل من نفس السّنة، ولما

(1) *Mikael Varantin,* ***L'Arménie et la question Arménienne,*** *Imprimerie Moderne, France, 1917, pp. 53- 54.*

(2) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق، ص. 79.

(3) نفسه ، ص. 80.

(4) **الشرق،** الأرمن في بلاد الدولة العلية، الاثنين 15 يونيو 1908، ص. 02، الإسكندرية، **الأرمن وتركيا الفتاة (1897-1908)** ، المجلد الثالث، مطابع نوبار، القاهرة، 2017، ص. 692

لاحظت البطريركية أنّ هذا التقرير لم يأت بالنّتائج المرجوّة، قامتْ بتسليم التقرير مجدّدًا إلى خليفته محمود باشا ،ويتضمّن الاضطهادات والمظالم المرتكبة ضدّ الأرمن في المقاطعات المختلفة (1)

المطلبُ الثّاني: دورُ التّعليم في بعث المسألة الأرمنية:

أسّست التبعةُ غير المسلمة عدّة مؤسّسات ذات طابعٍ اجتماعي وثقافي وديني، مثل دور العجزة والمسْتشفيات، لكنْ تأتي المدارس في طليعةِ هذه المؤسّسات، لأنّ هذه الأخيرةَ لعبت دورًا مزدوجًا، الأوّل على صعيدِ الحفاظ على مقوّمات الأقلّيات، خاصّة المسيحية منها. أمّا الصّعيدُ الثّاني كان على مستوى اليقظة الفكرية وإيقاظِ الوعي القومي لديها، وهذا ما ينطبق على الجاليةِ الأرمنية التي انتقلت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، إلى طورٍ جديد من تاريخِها له معالم مختلفة عن ملامح الطور السابق، فبعدما كانت توصف بـ «الملة الصّادقة". أصبحت تتوقُ إلى الاستقلال على غرار الشعوب التي كانت تعيش تحت مظلّة الدولة العثمانية، دون أنْ تربطها بها أيّ علاقة لا دينية ولا حتى لغوية.

كانت مدارسُ التبعة غير المسلمة- بادئ ذي بدْء- عبارة عنْ مدارسَ رهبانية بالدرجة الأولى ،تهدف إلى تنشئةِ رجال الدين ،لكنْ نتيجة الثّراء الذي طرأ على الأقلّيات المسيحية خاصّة الروم الأرثوذكس والأرمن (2) بوجه خاصّ: بسبب اشتغالهم وسطاء تجاريين- كما سبق وذكرناه في موضعٍ سابق- أدّى إلى ظهور طبقة اجتماعية جديدةٍ أخذت في النّمو يطلق عليها البرجوازية (3) ،والتي أصبحت تملك حقَّ الكلمة في إدارة الكنيسة والطائفة،

---

(1) *Achguerd K.S., **Les Arméniens de turquie, Rapport du patriarche arménien de Constantinople**, Paris, 1877, s. 11-12.*

(2) **نبذةٌ تاريخية عن المدارس الأرمنية:** منذ عهد السلطان محمد الفاتح إلى غاية نهاية القرن الثامن عشر لا نصادف كثيرًا من المؤسّسات الأرمنية في حدود الدولة العثمانية لها خاصية المدرسة حتى سنة 1790م، وفي المقابل بل نجد بعض المؤسّسات التي تعود إلى التعليم الديني أكثر بين الأرمن، وبقيت هذه المؤسسات تحت نفوذ الأشخاص، فقط في سنة 1710م بدأت مدرسة بتليس *Bitlis* في تدريس العلوم الطبيعية والعلوم التي وصلت إلى مستوى متقدم إلى حدٍّ كبير لهذا السّبب أصبحت تعرف باسم الجامعة. في نهاية القرن الثامن عشر برزت حركات النهضة الفكرية بين طبقات الشعب الأرمني، هيّأت الجوّ لزيادة عدد المدارس الأرمنية الخاصة في كلّ أحياء اسطنبول إلى غاية (1820-1825) كان هناك عددٌ قليل من الأرمن الذين يعرفون النّحو الأرمني، لذلك نجد أن المدرسة التي كانت في كوم كابي في سنة 1824 أعطت أهمية لتعليم التركية إلى جانب النحو الأرمني وأصبح يطلق على هذه المدرسة المدرسة العليا *Ali mektep*. أنظر:

- *Süleyman Büyükkaracı, **Istanbul Ermeni okulları,** Yelken basım-yayın-dağitim, Konya 2003, s. 19- 20.*

(3) فؤاد حسن حافظ، **تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتى اليوم**، القاهرة، 1986، ص. 226.

وذلك بعدَ أفول نجم الأميرا. وبدأت معها مظاهرُ "علمنة" التّعليم ،مما دفع لإنشاء مؤسسات تعليمية ليسَ لها علاقة بمدارس الرهبان[1] ،"وكما هو معروف فإن معظم مدارس الأرثودوكس والأرمن التي أنشئت في الشرق بعد استيلاء العثمانيّين على القسطنطينية قد أسّستها الطوائفُ الدّينية برضاء الحكومة وأوامر سلطانية ، وتولّى شأنها رجالٌ من تلك الطوائف ،فألّفوا لها جمعيات من نخبةِ قومهم، يقومون على إدارتها وتدبير شئونها ، ويكونون مطالبين لدى الحكومة بكلّ أمرٍ يتعلق بها" [2].

في الحقيقةِ لم تترك الدولةُ العثمانية موضوعَ فتح التبعة غير المسلمة للمدارس بدون تنظيم، فقد أصدرت في سنة 1869 أوّلَ تنظيمٍ أساسي متعلق بالتعليم لغير المسلمين *Maarif- i Umumiye Nizammamasi*. وهذا القانونُ يتضمّن 198 مادّة ،وقد حدّدت فيه شروط فتح غير المسلمين والأجانب مدارس خاصّة ،سواء بأجرة أو بدونِ أجرة، كما حدّد مسئولية تغطية النّفقات والتي تقع على عاتق المؤسسين ،فضلًا عن ذلك ألزمَ أساتذة هذه المدارس الحصول على شهادةٍ من طرف نظارة المعارف ،ويحظر على هذه المدارس إعطاءُ دروس مُخالفة لسياسة البلاد، وفتح أيّ مدرسةٍ لا يكون إلّا بالحصول على إذنٍ رسمي من الدولة[3].

أعطتِ الدولةُ العثمانية في عهد عبد الحميد الثاني أهميةً كبيرة للتعليم بمختلف مستوياته :الابتدائي والثّانوي (المدارس الرشدية) ،والتّعليم العالي (دار الفنون) ،ولقد لعبت هذه المؤسساتُ دورًا كبيرًا في فتح آفاق التّكوين ومجالات المعرفة؛ لمواكبة التّطور الحاصل في أوروبا ،وإمداد الجهاز الإداري والجيش والأسطول بعناصر مؤهّلة ،حيث شيّد نظامُ عبد الحميد حوالي 40 ألف مدرسة استوعبت نحو مليون ونصف مليون تلميذ وتلميذة، أي بنسبة 6% من إجمالي عددِ السّكان البالغ 25 مليون نسمة، بالرغم من طريقة التعليم المتبعة فيها إلّا أنها كان لها الفضلُ في تكوين نخبةٍ من الإطارات الشّبابية، التي تعلّمت اللغات الأجنبية وطالعت الصحف والكتب، وأصبحت نواة المجتمع العثماني الجديد [4] .

(1) أكمل الدين أغلو وآخرون ، مرجع سابق، ص590.

(2) **المقطم** ،المدارس المسيحية في تركيا، ع 1506،الأربعاء 28 فبراير 1894، ص1، **القاهرة** ،**القضية الأرمنية في الصحافة العربية (1876-1923)** ، **المذابح الحميدية (1894-1896)** ، المجلد الثاني، القسم الثاني, مطابع نوبار، القاهرة ،2018، ص30.

(3) *Adem Ölmez, a.g.e, s. 40.*

(4) محمد رفعت الإمام، **مصر والأرمن مسألة أضنة أبريل 1909 الطريق إلى الإبادة الأرمنية الكبرى 1915**، مطابع النوبار، القاهرة، 2014، ص. 11 وما بعدها.

كما أبدتِ الدولةُ العثمانية اهتمامًا كبيرًا بمدارس غير المسلمين، وتجلّى ذلك من خلال المادة 16 من دستورِ 1876م، والتي استهدفت توحيد الأهالي غير المسلمين تحتَ الراية العثمانية، إلّا أنّها لم تأتِ بنتائج ملموسةٍ عند تطبيقها ،فتشكّلت لهذا الغرض مفتشية مدارس الطوائف غير المسلمة سنة 1886م وكانت تابعة لنظارةِ المعارف[1] ،وأسندتْ إدارتها إلى أحدِ الرّعايا الروم ،وكانت مهمّتها النظرَ في مدى التزام هذه المدارس بالقوانين السّارية والوقوف على عدم إضرارها بسياسة الدولة وأمنها [2] .

كانت "الأميرا" قد فتحت عدّةَ مدارس قبلَ إصدار الدستور الأرمني سنة 1860م، لكن بعد هذا التاريخ خرجَ النظامُ التّعليمي الأرمني عن مراقبتهم؛ حيث بدأتْ هذه الأخيرة تفقّدَ مكانتها في المجتمع الأرمني، فأصبح التّعليم علمانيًّا بعدما كان يطغى عليه الطابعُ الديني، فاكتسب بذلك هيكلًا سياسيًّا ووطنيًّا أكثر من أي وقت مضى. والجدير بالذكر أنّه قد سبق تأسيسَ هذه المدارس إنشاءُ جمعيات أرمنية، والتي أخذت على عاتقها مهمّة إنشاءِ المدارس. ووجدت هذه الجمعياتُ في المدن الرئيسية مثلّ إسطنبول وإزمير، ونذكر- على سبيل المثال لا الحصر- جمعيّة التعليم نرسيسان والجمعية التعليمية الأرمنية سناكاريم (*Senekerim*)، وقامت هذه الأخيرةُ بفتح فروعٍ لها في الأناضول. فضلًا عن ذلك قام الشبابُ الأرمني بإنشاء عدّةِ جمعيات في عدّة مناطق من اسطنبول مثل كوم كابي *Kum Kapi* وأورتاكوي *Ortaköy* [3].

ومهما يكن من أمر اضطلعتْ الجمعياتُ بمهمّة فتح المدارس في أماكن مختلفة من الأناضول، وكانت لهذه الأخيرة علاقة وثيقةٌ باللّجان الأرمنية، وبالمبشّرين والكنائس الأرمنية. ولا يفوتنا في هذا الإطار أنْ نذكر أنّ هذه الجمعيات بدأت بإحداثِ تغييرات في المجتمع الأرمني مِن أجل إعادة إحياء الثقافة واللغة الأرمنية من جديد ، خصوصًا أنّ الأرمن كانوا قد تأثّروا كثيرًا بالثقافة العثمانية وباللغة التركية ،إلى درجة أنّه يصعب التمييز بين التركي والأرمني ،خاصّة من ناحية اللغة- كما أسلفنا-، وكان لهذا الهدف المعلَن الذي سطّرته الجمعيات وجهٌ آخر ،في رأينا يجب عدم التّغافل عنه ،فقد فتحتْ هذه الأخيرة فروعًا لها في أوروبا وفي عدّة ولايات عثمانية ،حيث بدأت

(1) أكمل الدين إحسان وآخرون، مرجع سابق، ص 596 وما بعدها.

(2) فاضل البيات، **المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني، دراسة تاريخية إحصائية في ضوء الوثائق العثمانية**، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (أريسكا)، اسطنبول، 2013، ص. 622.

(3) *Murat Gökhan, a.g.e, s. 40.*

تقوم بدعاية مكثّفة في الداخل والخارج من أجل تشجيع الأرمن على التّمرد ضدّ الدولة العثمانية ،وكسب الرأي العام المسيحي الأوروبي إلى جانبهم ،لذلك لم يدّخرِ الأثرياءُ ورجال الدين الأرمن جهدًا في دعم هذه الجمعيات(1).

شهدت الفترةُ التي أعقبت المصادقةَ على ما اصطلح على تسميته "الدستور الأرمني"، بروزَ فئةٍ من المتنورين الأرمن، وأغلبهم كانوا من الذين درسوا في أوروبا، وخاصّة في باريس، ويمكن اعتبارهم صفوة المجتمع الأرمني، الذين سيلعبون دورًا مهمًّا في مجال عصرنة التّعليم ليواكب التطور الحاصل في أوروبا. كما أنه ستقع على عاتقِهم مهمّةُ نشر التعليم في مناطقهم(2). وفي نفس الإطار سيقومون بإنشاء عدّة جمعيات ،حيث نجد في واجهة الجمعيات "جمعية أرارات" وجمعيةَ "مدرسة الشرق" ،اللّتيْن نقلتَا أنشطتهما من إسطنبول نحو الأناضول، لتتمركزا في عدّةِ مناطق مثل: أضنة وأرضروم ومعمورة العزيز(3). وبتأثير جمعية أرارات– التي كانت تهدف بالدرجة الأولى إلى نشْرِ التعليم– تأسّست عدّةُ جمعيات ثقافية من أجل ضمان التعليم في الأحياء الأرمنية في اسطنبول(4).

1– أهمُّ المدارس الأرمنية:

ومِن أهمّ المدارس التي كان لها دورٌ كبير في نشر اليقظة في أوساط الأرمن، نجد المدارس التالية:

- **مدرسة أراميان أونجويان *Aramyan Uncuyan***: بدأت التدريس سنة 1873م في المستوى المتوسط، وقد فتحت من طرف *Jurayr Kaynar*، يدرس بها 23 أستاذ. أمّا بالنسبة للغات التي تدرّس بها هي اللّسان التركي بالإضافة إلى الإنجليزية والفرنسية.
- **مدرسة داديان *Dadyan***: قام بإنشائها أوهانيس داديان في سنة 1884. كذلك كانت في التعليم المتوسّط، ويدرّس بها 27 أستاذًا، لغةُ التدريس فيها اللغة الأرمنية، فضلًا عن تدريسها للغة الفرنسية والإنجليزية.

بالإضافةِ إلى هذه المدارس التي كانت في التعليم المتوسط وجدت كذلك ثانويات، ولعلّ أهمّها ما يلي:

- **ثانوية سحاكيان نونيان *Sahakyan Nunyen***: تأسّست هذه الثانوية سنة 1831 من طرف استبان أراتان *Istepan Aratan* ،وقد تأسّست بفرمان من السلطان عبد الحميد، تعرضت سنة

(1) *Mehmet Deri*, ***Türkiye 'de azınlıklar ve azınlık okulları, (Rum- Yahudi ve Ermeni Camaatlari)***, *IQ Kültür sanat yayıncılık, Istanbul, 2009, ss. 135- 136.*
(2) *Murat Gökhan, a.g.e, s. 45.*
(3) *a.g.e, s. 45.*
(4) *a.g.e, s. 41.*

1866 لحريقٍ أدّى لخرابها ،ثمّ أعيد بناؤها في شكلٍ منفصل يضمّ قسمين: قسم من أجل الطلبة الذكور، وقسم من أجل الطّلبة الإناث ،وكانت تقدّم تعليمًا نهاريًّا ،أمّا بالنسبة لمقرراتها الدراسة كانت تدرس الأرمنية والعثمانية والفرنسية ،والتاريخ والجغرافيا والرياضيات والعلوم الطبيعية والحقوق ،والاقتصاد والتربية البدنية والرسم والموسيقى، إلى جانب هذا أضيفتْ دروس الثقافة العامة ،ودروس في التفصيل والخياطة والطّبخ من أجل رفع مستوى تعليم البنات ،وذلك باقتراح من طرف وجهاء المجتمع الأرمني(1).

- **ثانوية غاتروناغان الأرمنية *Getronagan***: وقد تأسست هذه الثانوية في سنة 1885م وبدأت في التّدريس سنة 1886،وفي سنة 1891م خرجت أول دفعة والتي بلغ عددها 18 طالبًا ،وتقع هذه المدرسة في غالاطة Galata ،أمّا بالنسبة لمقرراتها فتضمّنت اللغة الأرمنية والعثمانية والفرنسية ،والتاريخ والجغرافيا والرياضيات والعلوم الطبيعية ،والحقوق والعلوم التجارية والاقتصاد والمحاسبة والبيداغوجيا والرسم والموسيقى(2).

بحلولِ القرن العشرين ،أصبح لدى الأرمن 438 مدرسة في الدولة العثمانية ،تضمّ بين صفوفها36.839طالبًا،ففي قليقية وحدها نجد 90 مدرسة تضم 9182 طالبا وهذا حسب احصائيات البطريكية الأرمنية (3) .

وفي هذا الإطار نورد أسماءَ بعض المدارس الأرمنية، ومناطق تواجدها، ومستواها، وعددُ الطلبة فيها:

اللّواء	**القضاء**	**اسم المدرسة**	**الملّة التي تنتمي إليها المدارس**	**مستوى التعليم**	**عدد الطلبة**	
					ذكور	**إناث**
أرضروم	أرضروم	آزارنياق	الأرمن	رشدي	**405**	
أرضروم	أرضروم	آزاريان	الأرمن	ابتدائي	**105**	**110**
أرزنجان	أرزنجان	كاثوليك	الأرمن الكاثوليك	ابتدائي	/	/

(1) *Mohamet Deri, a.g.e, s. 81- 82.*
(2) *a.g.e, s. 83.*
(3) *Marcel Léart, Op.cit, p.13*.

أرزنجان[1]	أرزنجان	أرمني	الأرمن	رشدي	/	/
بلتليس[2]	بتليس	كارثران كليساسي	الأرمن	رشدي	**75**	/
دياربكر[3]	ديار بكر	المدرسة الأرمنية	الأرمن	رشدي	**215**	/
أماسيا	أماسيا	تشكوركيليسا	الأرمن	رشدي	**250**	**205**
أماسيا[4]	مرزيفون	سحاقيان	الأرمن	إعدادي	**600**	**440**

والملاحظاتُ التي يمكن أن نستشفّها من الأمثلة التي استقيناها من سالنامة نظارة المعارف العمومية، أنّه كان للأرمن مدارسُهم الخاصّة في مختلف المستويات، في كثيرٍ من ألوية وأقضية الولايات الستة، والأهمّ من هذا كان عددُ الطلبة الأرمن في هذه المدارس أحيانًا كثيرًا ،وأحيانًا أخرى متوسط، كما يلاحظ وجود مدارس فتحت دون أن يرتادها طالبٌ واحد ،ويمكن إيعازُ ذلك إلى أنّ بعض الأرمن، وخاصّة الأثرياء منهم ،كانوا يفضّلون إرسالَ أبنائهم إلى مدارس الإرساليات التبشيرية ،أو أنّهم يرسلون أبناءهم للدراسة في المدارس الأوروبية ،وخاصّة الفرنسية منها. بالإضافةِ إلى ذلك فإنّ الأرمن في كثير من المناطق ،كانوا يعتقدون أنّ التعليم خاصٌّ برجال الدّين فقط، وأنه غير نافع– التّعليم– وغير ضروريّ بالنسبة إليهم، فضلًا عن عدم إلزامية التعليم[5] ،لذلك نجد عددَ الطلبة الأرمن قليلًا في بعض المدارس الأرمنية.

كما نلمحُ من جهة أخرى أنّ المدارس الأرمنية كانت تمنح تعليمًا مختلطًا، وأحيانًا أخرى نجد مدارس خاصّة بالبنات، وفي حالِ إذا ما قارنّا عددَ الطّالبات بالطلبة؛ لا نجد اختلافًا كبيرًا، فهو متقارب في كثير من الأحيان. وهذا مؤشّرٌ على تغير الذّهنية الأرمنية التي لم تكنْ ترحّب بتعليم البنات، حيث كان من النادر مصادفة امرأةٍ أرمنية تحسن القراءة والكتابة، إلى درجة أنّ بعض الأرمن الذين أرادوا إرسال بناتهم إلى المدارس، هددوا بالحرمان الكنسي والإبعاد من المجتمع. فقد كان ظنُّهم أنّ تعليم المرأة سيفتح لها الطريق فقط لقراءة "الرسائل

(1) **سالنامة نظارة المعارف العمومية**، المطبعة العامرة، دار الخلافة العلية، 1317هـ، ص ص. 912– 913.

(2) نفسه، ص ص. 1052– 1053.

(3) نفسه, ص ص. 1202– 1203.

(4) نفسه، ص ص. 1266– 1267.

(5) *Murat Gökhan, a.g.e, s. 49.*

الغرامية" ولن تستفيد شيئًا[1]. لكنْ فيما بعد لم يرَ الأرمنُ مانعًا من إرسال البنات إلى المدارس على غرار الذكور، هذا الواقع الجديد- تعليم المرأة- قد كرّسته في البداية الإرساليات التبشيرية الأمريكية[2].

2- البرامجُ المقرّرة في المدارس الأرمنية:

الملفِتُ للانتباه أنّ البرامج الدراسيةَ المقرّرة في المدارس التي ذكرناها أعلاه، كلها تشترك في اللغة الأرمنية، وهذا مؤشّرٌ على رغبة هذه المدارس ربط الأرمن بجذورهم الأولى، وذلك بإعادة المكانة للغتهم الأمّ؛ فأصبحت لغة التّدريس هي اللّغةَ الأرمنية، فضلًا عن دراسة نحوها وأدبياتها، لأنّ الأرمن قد اعتادوا التكلم باللغة التركية أو الكردية. كما لم تهملْ هذه المدارس اللّغات الأجنبية وفي مقدمتها اللغة الفرنسية، التي كانت وقتئذ لغة الفكر والثّقافة ،بالإضافة إلى إدراج دروسٍ في التجارة والاقتصاد ؛لأنّ كثيرًا من الأرمن كانوا يزاولون- كما عرفنا في الفصل السّابق- مهنةَ الوسيط التجاري، كما اهتمّت هذه المدارس بالتاريخ الأرمني ،إلى درجة أنّ الأرمن قد ثاروا بشدّة عندما أراد السّلطان عبدُ الحميد II إلغاء مادّةِ التاريخ الأرمني من مقرّرات المدارس الأرمنية ،لكنه عدل عن هذا لشدة اعتراض الأرمن[3].

إذن، هذه البرامجُ الدراسية أصبحت أوسعَ وأشملَ، إذا ماقارناها مع البرامج التي كانت مقرّرة في مطلع القرن 19 م والتي كانت على النحو التالي:

أ. **الأرمنية**: الأبجدية، القراءة، القراءة الدينية.

ب. **الدين**: أسس المسيحية، الترانيم، اللاهوت.

ت. **الكتابة**: الأبجدية، كتابة وثيقة باللغة التركية والأرمنية.

ث. **حساب**: الأرقام، ضرب، قسمة، طرح[4].

أما إذا ما قارنّا بين المقرّرات الدراسية في المدارس الأرمنية والمكاتب العثمانية، فنلاحظ أنّ هناك فرقًا كبيرًا بينهما، فمِن البرامج التي نجدها في المدارس العثمانية على سبيل المثال: تجويد القرآن، وعلوم دينية، أخلاق، لغة عربية، فارسية، فرنسية، حساب، تاريخ، جغرافيا... إلخ. ومِن الملاحظات الهامّة التي نخرج بها في هذا الإطار هو

(1) *Murat Gökhan, a.g.e, s. 54.*
(2) *a.g.e, s. 59.*

(3) محمد رفعت الإمام ،**الأرمن في مصر**...مرجع سابق، ص 321.

(4) *Mehmet Deri, a.g.e, s.76.*

دور الدّين في المقرّرات الدراسية، ففي الوقت الذي نجد فيه المدارس الأرمنية أصبحت علمانية، متّبعة في ذلك التطورَ الحاصل في أوروبا، أمابالنسبة للمدارس العثمانية على النقيض من ذلك بقي للدّين مكانته. أمّا إذا انتقلنا إلى اللّغات التي يتمّ تدريسها ؛فنجد اللغة العربية والفارسية والفرنسية(1). أمّا فيما يخصّ التّاريخ يتركز أساسًا على تاريخ الأنبياء من آدم حتى ظهور الإسلامن بالإضافة إلى أهمّ الدول الإسلامية حتّى تأسيس الدولة العثمانية وأهمّ سلاطينها(2). والجديرُ بالتّنويه هنا أنّ الدولة العثمانية بالرغم من التنظيمات وما حملته من تياراتٍ تغريبية، إلّا أنّ الدين بقي أساسَ الدولة، وهو ما يتجلّى بوضوح في التعليم بمختلف مستوياته.

بالنسبة لميزانية المدارس الأرمنية فإنّها لم تكن ثابتة ،بل اعتمدتْ في تلبية متطلباتها المالية على الأوقاف التي يتركها الأثرياءُ من أجل المشروعات الخيرية ،فضلًا عن التبرعات(3) ،فعلى سبيل المثال تمّ تأسيس جمعية خيناماقال *Khinamagal* ولوسابير *Lusaper* الموجودة في سيواس ،من أجل تزويد الطلبة الفقراء مجانًا بالورق والكتب والأقلام والحبر... إلخ ،بالإضافة إلى ذلك كانت تصنع للطلبة الفقراء ملابس مرّة خلال السنة ،كما توفّر لهم الدعمَ المادي لضمانِ دراستهم، بالإضافة إلى هذه الجهود أصبحت في موسم كلّ خريف تجمع الأموال مِن أجل تغطية احتياجات المدارس بمساهمة الشعب والمنظمات المختلفة(4).

وفي نفس السياق ،حريٌّ بالتّسجيل أنّ بعض المدارس الأرمنية حصلت على مساعدات مالية من طرف الدّولة العلية، ويمكن أن نسوق مثالَ مدرسة الزراعة يدي كيليسة *Yedi Kilise* في فان *Van* ،والتي أنشئت في النّصف الثاني من القرن التّاسع عشر الميلادي، وبالتحديد سنة 1860م، وقد ساهمت هذه المدرسة بنصيبٍ وافر في تطوير الزّراعة في منطقة فان ،كما أنّها منحت للأطفال القرويين الفقراء إمكانية التعليم ،هذا ما دفع بالدولة العليّة للموافقة على منحها 11 ألف قرش من الخزينة العمومية ،مكافأة لها على النّفع الذي عادت به على المنطقة من جهة ،وبهدف مساعدتها من جهةٍ أخرى(5).

---

(1) **سلنامة نظارة المعارف العمومية**، المطبعة العامرة، دار الخلافة العلية، 1318هـ، ص 358.

(2) نفسه، ص ص .427– 429.

(3) رفعت الإمام, **الأرمن في مصر**... مرجع سابق، ص 320.

(4) *Murat Gökhan, a.g.e, s. 46.*

(5) *Mustafa Murat Öntuğ, "Ermeni mektepleri ve ulusal kimlik oluşumu," **Hoşgörüden yol ayrımına Ermeniler**, Cil 3, Erciyes Üniversitesi yayını, 2009, s. 275.*

يتّضح من كلّ ما سبق ،أنّ الأرمن كانوا مثلَ بقية المسيحيّين أكثر تأثرًا بحركة التنوير ، حيث بدأوا منذ القرنِ التاسع عشر بإنشاء المدارسِ التي تتبع المناهج التعليمية الحديثة ،بهدف تنمية الروح الوطنية ونشر ثقافتها بين الأرمن باعتبارهم مكوّنًا اجتماعيًّا يختلف دينيًّا وعرقيًّا عن بقية الشعوب ،التي تنضوى تحت لواء الدولة العثمانية، فاهتمامهم بالتّعليم لم يكن سوى وسيلةٍ للحفاظ على هويتهم ولغتهم وثقافتهم ،وإعادة الروح لعاداتهم وتقاليدهم، وهذا ما يتجلّى من خلال برامجهم التعليمية التي تركّز على اللغة والتاريخ ،وكذلك اهتموا بتوسيع خريطة المؤسّسات التعليمية في الأناضول ودار السعادة ،فضلًا عن نشرهم للتعليم بين شرائح الأرمن المختلفة ،وخاصّة الإناث، فلم يتوانوا في إنشاء مدارسَ خاصّة بهذه الفئة.

المطلبُ الثّالث: **دورُ الطّباعة والصحف**:

لعبتِ الطباعةُ دورًا كبيرًا في نشر الوعي القومي بين الأرمن ،فنشر كتب باللغة الأرمنية يعتبر عاملًا قويًّا للحفاظِ على الهوية الأرمنية ،ويحول دون اندثارها وزوالها[1] .وقد كان الأرمنُ من أوائل الشّعوب التي عرفت فنّ الطباعة بمجرّد مرور ثلاثة أرباع القرن تقريبًا على طبع إنجيل جوتنبرج الشهير، وكانت اللغةُ الأرمنية هي خامسَ لغة تطبع بها الكتبُ في العالم بعد اللغات: اللاتينية والإغريقية والعربية والعبرية، وقد بدأ هذا الاستخدام في بعض الدول الأوروبية، وتأخّر بعض الشيء في أرمينيا[2].

كان هاكوب ميغابارد أحدَ الأرمن السّاكنين فينيسيا، وكان فنّ الطباعة على ذلك العهد يتقدم يومًا بعد يوم، ولقد أعجب به هاكوب جدًّا، وقرّر عام 1512 طبع الكتب الأرمنية، وبالفعل حصل على موافقة دوق فينيسيا، وطبع أوّل خمسة كتبٍ أرمنية بمطبعة زوان أندريا *Zuan Andrea*. ومِن الذين اشتهروا في تاريخ الطباعة الأرمنية أبجار، وأنطونيوس، واراكيل، وهاكوب طبير، فقد أنشأوا عام 1567 دارَ الطّباعة في إستانبول، وطبعوا الكتب الأرمنية.. وعمّ استعمال المطابع بجهود الجاثليق الأرمني هاكوب جوغايتس.. ثمّ جاء الجاثليق سيمون بربواتتسي بآلة جوتنبرج إلى الأناضول عام 1771، وأنشأ إلى جانبها معملًا للورق[3].

(1) مروان المدور، مرجع سابق، ص. 502.

(2) أشرف محمود صالح ،**الأرمن في الطباعة والصحافة** ، دار الوزان للطباعة والنشر، القاهرة، 1990، ص. 15 .

(3) استارجيان، مرجع سابق, ص 69 – 72 .

أوّلُ كتاب يطبع باللغةِ الأرمنية أخرجته مطبعةٌ في مدينة أتشميادزين، وتذكر بعض المراجع أن تاريخ إنشاء هذه المطبعة يعودُ إلى عام 1771. وقد أشرف على إنشائها سيمون الأول الأيرفاني جاثليق الأرمن، وتحمّل تكاليفَها تاجرٌ أرمني يدعى جريجور تشاكيكيان. ويبدو أنّ القائمين على أمور المطبعتيْن الموجودتين في أتشميادزين كانوا يصادفون بعض الصعاب في الحصولِ على الورق اللّازم للطباعة، فأنشئ في المدينة نفسها أوّلُ مصنع للورق على الأناضول عام 1777م[1]. نشأت عدّةُ مطابع أرمنية أخرى خارج أتشميادزين، ففي عام 1857م أنشأ خريميان هايريك أول مطبعة أرمنية في وان، وأخرى في طارون عام 1864م، ثمّ أنشأ ناساك جانيان أول مطبعة في يريفان عام 1880،وأوّل كتابٍ صدر عنها يحمل اسم "جانتا خت" أي الطاعون[2].

كان المهاجرون إلى أوروبا بالذّات أكثرَ مساهمة في النشاط الفكري والثقافي في المهجر، من زملائهم المهاجرين إلى الشرق، وهناك قد نقلوا إلى بلادهم ماتعلموه عن الطباعة. فأنشأوا مطابع خاصّة بهم، طبعت الكتب بلغتهم الأرمنية، وبعدّة لغات أوروبية، في إحدى عشرة دولة، وعلى فترات متفاوتة، ابتداءً من منتصف القرن السادس عشر، وحتى أواخر القرن التاسع عشر[3].

وقد أحصت لنا سلنامة نظارة المعارف العائدة ل 1312 هـ، وجود حوالي 15 مطبعة أرمنية في اسطنبول وحدها، من بينها: مطبعة آرتين اصادوريان، ومطبعة جانيك آراميان، ومطبعة أونيك موقوسيان، ومطبعة باباسيان، ومطبعة آغوب بوياجيان. وكانت الدّولة العلية قد أعطت تراخيصَ لبعض الأرمن بفتح مطابعَ خاصّة بهم على غرار الملل الأخرى، بالرغم من أنّ الطّبْع فيها لم يكنْ باللغة الأرمنية فقط، بل كان متعدّدَ اللغات[4].

سمحت الدولةُ العثمانية للأرمن على غرار باقي الملل بإصدار جرائد خاصّة بهم، أي أنها كانت تصدر باللغة الأرمنية، إلّا أنّ هذه الجرائد المرخصة من طرف الدولة العثمانية كان دورُها باهتًا، فالإسهامُ الوحيد الذي قامت به– في نظرنا– هو توسيع استعمال اللغة الأرمنية ،مما ساهم في المحافظة على الأرمن ككيانٍ منفصل عن الدولة العثمانية، بالرغم من أن هذه الأخيرة لم تكنْ تسمح بصدور جرائدَ منافية لسياستها، لكن في المقابل كانت

(1) *Louise Nalbandian, **the Armenian Revolution Movement**, Barkley, 1967, P. 32 - 34.*

(2) فؤاد حسن حافظ ،مرجع سابق، ص. 229 .

(3) *Nejat Göyünç, **Osmanli Idaresinde Ermeniler**, Istandul, 1983, s. 54.*

(4) **سلنامة نظارة المعارف العمومية**، المطبعة العامرة, دار الخلافة العلية، 1312هـ، ص ص، 922 وما بعدها حتى 931.

هناك صحفٌ ممنوعة ،تدخل الدولة بطرقٍ غير شرعية، خاصّة الصّادرة عن اللجان الأرمنية التي كانت تحرض الأرمنَ على التمرد ضدّ الدولة العثمانية.

وفيما يلي جدولٌ يبيّن أهمّ الصّحف التي كانت تصدر باللغة الأرمنية(1):

أسماء الصحف	اللغة	صدورها
جريدة ماسيس	الأرمنية	كانت تصدر كلّ يوم
جريدة يوج	الأرمنية	كانت تصدر كلّ يوم
جريدة زاغيك	الأرمنية	تصدر في الأسبوع مرتين
جريدة يوراغين	الأرمنية	تصدر مرة كلّ 15 يوم
جريدة لويس	الأرمنية	تصدر مرة كلّ 15 يوم
جريدة مجموعة علوم	الأرمنية	تصدر مرتين في الأسبوع
جريدة بوزانتيون	الأرمنية	كان صدورها يوميًّا

بفضل حرية التعليم التي ضمّنتها الدولة العثمانية للتبعة غير المسلمة، قام الأرمن على غرار الملل الأخرى بفتح مدارس لهم في عدّة أماكن، وأصبحت هذه المؤسساتُ تقدّم تعليمًا حديثًا بدروس وبرامج مدرسية وكتب ومؤلّفات تستعمل اللّسان الأرمني، فساهمت في إيقاظِ الوعي القوميّ بينهم، لكن هذا الوعي لم يكن وليدَ هذه المدارس فقط؛ بل تضافرت عدّةُ عوامل أخرى أدّت إلى ظهوره، مما دفع بالأرمن للتفكير في تأسيس دولة مستقلة على غرارِ دول البلقان، بعد أنْ عاشوا مع المسلمين لقرون طويلة تربطهم علاقات طيبة، في ظلّ تلاحم اجتماعي وثقافي، لكنّ هذه الأوضاع لم تستمرّ بعد فتح المدارس؛ فحَلّ العداءُ بين الأرمن والعثمانيين ،ولعبت المدارس دورًا كبيرًا في شحنه.

(1) **سلنامة نظارة المعارف العمومية**، المطبعة العامرة، دار الخلافة العلية، سنة 1317 هـ، ص ص 862 وما بعدها.

المبحثُ الثّاني: دورُ الإرساليّاتِ التّبشيرية في ميلادِ المسألة الأرمنية

المطلبُ الأوّل: انقسامُ الكنيسةِ الأرمنية الغريغورية.

المطلبُ الثّاني: دور الإرساليات التبشيرية الأمريكية في بروز التيار الأرمني الإنفصالي.

المطلبُ الثّالث: موقف الكنيسة الأرمنية من نشاط الإرساليات التبشيرية الأمريكية.

لعبتِ الإرساليات التبشيرية في الدولة العثمانية دورًا كبيرًا في ظهور ما سيعرف بالمسألة الأرمنية، ويمكن أن نعتبرَ هذه الإرساليات وسيلةً من الوسائل الدعائية التي استعملتها أوروبا على الرعايا العثمانيين، وفي هذا الإطار جديرٌ بالملاحظة أنّ الإرساليات قد برزت في الدّولة العثمانية بمثابة سمةٍ كبرى ميزت الفترة الحديثة، خصوصًا على امتدادِ القرن التاسع عشر. وكانت الإرسالياتُ الفرنسية قد تشكّلت في تواريخ 1701 و 1702م، أمّا الإنجليزية فبدأتْ سنة 1817م، أمّا إرسالياتُ الولايات المتحدة الأمريكية فقد التحقت بالركب متأخّرة بعد سنة 1819م، وتنافست هذه الإرسالياتُ بمختلف مشاربها كاثوليكية(1)، وبروتستانتية(2) وأرثوذكسية(3) على التغلغل بين الرعايا العثمانيين ؛ واستمالة أكبر عددٍ من المسيحيين العثمانيين إلى جانبهم.

والجديرُ بالذّكر، أنّه لم يستثن من نشاطها أحدٌ حتّى المسلمين واليهود، وكان تركيز هذه الإرساليات على شرقِ الأناضول. ومن أجل إرساء موقع قدم لهم في الدّولة العثمانية أوْلوا اهتمامًا كبيرًا بالأرمن الذين كانوا–كما عرفنا– على المذهبِ الغريغوري القومي الخاصّ بهم، وكانت لهم كنيستان يتبعهما أغلب الأرمن في شرق الأناضول، الأولى في اتشميادزين التي كانت تقع تحتَ النّفوذ الإيراني ثم الروسي، أمّا الثانية فقد أسستها الدولة العثمانية في عهدِ محمد الفاتح ،الذي اعترف بهم بصفتهم ملّة– على غرار اليونانيين– لهم الحرية الكاملة في إدارة شئونهم الدّينية والاجتماعية ،ولقد كانت البطريركية الغريغورية بعيدةً مدةً زمنية طويلة عن الانقسام الديني والصّراعات ،بل كانوا

---

(1) **الكاثوليكية:** هي أكبر الكنائس النصرانية في العالم، وتدّعي أنها أمّ الكنائس ومعلمتهم، يزعم أن مؤسسها بطرس الرسول، وتتمثّل في عدّة كنائس تتبع كنيسة روما بسيادة بابا روما عليها، وقد سميت بالكنيسة الغربية أو اللاتينية لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتيني خاصّة، وأوّل مَن استعمل لفظ كاثوليك للدعوة لتأييد الكنيسة، هو أسقف أنطاكية القديس أغناطيوس الأنطاكي في القرن الثاني الميلادي، ومن معتقداتها الإيمان بإله الثالوث (الأب– الابن– الروح القدس)، كما تؤمن بأنّ للمسيح طبيعتيْن بعد الاتحاد؛ لاهوتية والأخرى ناسوتية، وتنتشر في أوروبا ولها دورٌ كبير في تاريخ أوروبا وأحداثها. أنظر: صانع حماد الجهني، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، ج2، الطبعة الثالثة، دار الندوة العالمية للطباعة، الرياض، 1418 هـ، ص. 610.

(2) **البروتستانتية:** هي فرقة من النصرانية تحتج على الكنيسة الغربية باسم الإنجيل والعقل، ويعترضون على كل أمر يخالف الكتاب, وخلاص أنفسهم باتّباع الإنجيل دون سواه، وهي مجموعة العقائد الدينية، والكنيسة المنبثقة عن حركة الإصلاح الديني في أوروبا، ومن أبرز مؤسّسيها مارتن لوثر كالفن، أمّا طوائفها فهم اللوثريون، الإصلاحيون، المنجيون، الإنجيليون، والقاسم المشترك بينهم هو كلّ الطوائف وأعيانها المطلق بأولوية الكتاب المقدس. أنظر: نفسه، ص 625.

(3) **أرثوذكسية:** (الروم الأرثوذكس): نظمها السلطان محمد الفاتح بعد فتح القسطنطينية في سنة 1453 م ، وأخضعها لسلطة البطريرك، اتبع القسم الأعظم من مسيحيّي الشام الأرثوذكسية ووجد لهم بها بطريركيتان الاولى في القدس وتشرف على مصالح الكنائس الشرقية من صور حتى الأناضول ويلحق بها أسقفيات الشام، بعلبك، وحلب. أنظر: جب هاملتون وهارولد وبارون، **المجتمع الإسلامي والغرب**، ترجمة، أحمد عبد الرحيم مصطفى، ج1، دار المعارف، القاهرة، 1970، ص 216.

يشكّلون وحدة، واستمرّوا على هذه الشاكلة مدّةً زمنية طويلة ضمن الخلافة العثمانية ،إلى أنْ دخلت الإرساليات التبشيرية. والسّؤال الذي يطرح نفسه: ما هي أهمّ الانقسامات التي تعرضت لها الكنيسة الغريغورية؟ وما هو الدّور الذي لعبته الإرساليات التبشيرية في ظهور المسألة الأرمنية؟

المطلبُ الأوّل: انقسامُ الكنيسة الأرمنية الغريغورية:

كان المذهبَ الغريغوري يمثّل مذهبًا مسيحيًّا قائمًا بذاته، ويختلف عن بقيّة المذاهب المسيحية الأخرى؛ حيث بقي الضامن الوحيد لوحدة الأرمن، إلى أن بدأ نشاطُ الإرساليات التبشيرية في أراضي الدولة العثمانية، وخاصّة في شرق الأناضول، فتسلل الانقسام إلى أوصال هذه الكنيسة العتيقة، وكان هذا إيذانًا ببداية مرحلةٍ جديدة بين الأرمن يشوبها الانقسام والصراع، بعد أن عاشوا تحت الحكمِ العثماني ردحًا من الزّمن اتّسم بالوحدة والتماسك بين جميع عناصره.

ويمكن أن نعزو هذا الانقسامَ بالدرجة الأولى إلى الفعاليات التي مارستها الإرساليات التبشيرية، حيث كان نشاطها– بادئ ذي بدْء– يتمَحْور حولَ الجانب الديني بالدرجة الأولى، ثمّ تحوّل شيئًا فشيئًا إلى الجانب السّياسي، فالدولُ الأوروبية بدأت تبحث عن وسيلةٍ تضمن لها موطئ قدمٍ في الدولة العثمانية فخلصت إلى نتيجة مَفادها أنّ الأرمن هُم أحسنُ وسيلة، ولن تتمكّن من توجيههم حسب مصالحها إلّا إذا نشرت بينهم مذاهبها الدّينية لتضمن ولاءهم الدّائم لها. أمّا السّببُ الثاني فيمكن أن نعزوه إلى هيمنة المذهب الغريغوري على حياة الأرمن مما دفع بهم إلى اعتناق المذهب الكاثوليكي والبروتستانتي[1]

1– تأسيسُ الكنيسةِ الكاثوليكية الأرمنية:

إنّ النشاطَ التبشيري الكاثوليكي في أرمينيا موغِلٌ في القدم، ولم يكن مرتبطًا بمختيار Migitar [2] وإنما هو سابقٌ له، فهو يعود بجذوره إلى ما قبل الفتح العثماني لأرمينيا بنحو قرنين من الزمن[1]. إلّا أن البداية الفعلية

(1) *Stanford j. Shaw Ezel Kural, Op. cit, p. 200.*

(2) مخيتيار *Migitar*: بهدف نشر الكاثوليكية بين الأرمن أرسل البابا الراهب ميختيار *Migitar* واسمه الأصلي مانوغ *Manug*، وقد ولد سنة 1676 في سيواس، ترعرع في طفولته في دير، وعندما أصبح راهبًا منح هذا اللقب للتقديس، وفي سنة 1700م حضر إلى اسطنبول وشكّل من 16 فردًا جمعيةً سنة 1701 والغاية من وراء تأسيس هذه الجمعية هو التّبشير, وهناك بدأ بنشر الكاثوليكية، إلّا أنّ نشاط هذا الأخير أدّى إلى ظهور استياء لدى المجتمع الأرمني مما دفعه إلى ترك اسطنبول والتوجّه إلى موره *Mora* التي كانت وقتذاك تابعة للبندقية وأخذت الجمعية التي أسسها اسمه الميختيارية. وفي سنة 1712 اعترف البابا كلامنسو *Klemanso*

كانت في القرن السابع عشر، فمن أجل نشر الكاثوليكية بين السكان غير المسلمين الذين عاشوا في الإمبراطورية العثمانية؛ تمّ القيامُ بنشاطٍ تبشيري كبير أرسلت من خلاله البابوية بعض الرهبان الذين غيروا هندامهم الديني، وأخذوا يطوفون من ولايةٍ إلى أخرى محاولين تحويل الناس من مذاهبهم الأصلية إلى الكاثوليكية، خاصّة بين الروم والأرمن وبين باقي المذاهب الأخرى[1] . توّج نشاط الطرق الكاثوليكية الفرانسيسكان[2] والجزويت[3] المطبق في الأراضي العثمانية؛ بظهور بوادر الانقسام في الكنيسة الغريغورية[4] .

كانت فرنسا من أولى الدّول حصولًا على الإمتيازات من الدولة العثمانية ،خاصّة في المجالين التّجاري والديني ،إذ نصّت إحدى إمتيازاتها في وقت مبكّر جدًّا (977هـ - 1569م) على: "السماح للإرساليات الكاثوليكية بسكنى أراضي الدولة" ،هذا فيما يتعلق بأولى الامتيازات الممنوحة للمنصرين ،وكانت بناءً على طلب السفير الفرنسي كلود دي بورج من السلطان سليم الثاني[5]، وكان ذلك إبّانَ العصر الذهبي للدولة العثمانية ، كأقوى دولةٍ في ذلك الوقت ،وكانت المنحُ السخيّة جدًّا تُعطَى للدول في شكل إمتيازات لم تتفطن الدولةُ لمدى خطورتها إلّا بعد أن بدأتْ عوامل الانهيار تتبدّى عليها بشكل واضح. إلّا أن المؤرخين يرصدون التّنصير بشكل

بالطريقة المختارية، وفي سنة 1715. استقر بالبندقية بعد توتر العلاقات بين العثمانيين والبنادقة, وفي سنة 1717 قام بإنشاء مركز ثانٍ في فيينا، وقام بأنشطة جديدة رغبة منه في ضمّ جميع الأرمن على طريقته فقام بنشر عدّة كتب في الغرب منها المعجم الأرمني للتوراة باللغة الأرمنية، والإنجيل باللغة الأرمنية، والدّليل الديني للأطفال، وكتب حول تاريخ الأرمن المسيحي المرتبط بالكاثوليكية، وقد كتب ومقالات ورسائل أرسلهم إلى المناطق التي كانت آهلة بالأرمن, وقام بجهود مكثفة من أجل توحيد الكنيسة الأرمنية بالكنيسة الكاثوليكية، وفتح حربًا ضدّ الكنيسة الأرمنية القديمة الغريغورية، وبعد وفاته سنة 1749م ترك خلفه الميختاريين، لتحقيق وتجسيد غايته، ومع الزمن حصلت حركته المعروفة المختارية على تقدير الأرمن. أنظر: *Sorularla Ermeni , a.g.e, s. 170*

(1) عبد العزيز محمد الشناوي، مرجع سابق، ص. 318.

(2) **الفرانسيسكان:** أو أتباع القديس فرانسوا داسيز، وقد ابتدأ التجمع حوله سنة 1209، وأعطى داسيز تصريحًا بالتبشير، وفي عام 1212 أسّس مع القديسة كيلرد اسبز الطائفة الفرنسيسكانية الثانية، وهي طائفة السيدات الفقيرات في سنة 1219 اتّجه إلى مصر وقد عرفت الطائفة نجاحًا كبيرًا في القرنين 16 و 17م، ج2. موسوعة الرسالة، 1989، ص. 770.

(3) **الجزويت:** وهي فرقة كاثوليكية يسوعية تنتشر في أوروبا بصفة عامة، وفي البرتغال وإسبانيا وفرنسا بصفةٍ خاصّة وهي جمعيّة دينية متعصبة ، وقد أنشأها قسيس فرنسي في القرون الوسطى، وأسهمت في القضاء على المسلمين في الأندلس من خلال محاكم التفتيش، ويقوم عليها الآن مجموعة كبيرة من القساوسة والرهبان، أنظر: مانع حماد الجهني، مرجع سابق، ص 442.

(4) **الغريغوريين:** استعمل هذا المصطلح من طرف القيصر الروسي سنة 1830 يقصد به رعيته من الأرمن الروس فهو تعبير سياسي أكثر منه ديني، أنظر: *Sorularla Ermeni meselesi, a.g.e, s. 53*.

(5) محمد جميل بيهم، **فلسفة التاريخ العثماني** ، شركة فرج الله للمطبوعات، بيروت، 1954م ، ص 92 .

قويّ ومؤثّر من القرن الثامن عشر حيث بدأ التنصير الكاثوليكي في الدولة العثمانية وفي إيران، ومن خلال الرعايا الأرمن انتشر في الأناضول(1).

إذا، يمكن القول إنّ الموقفَ المتساهل والمتسامح الذي أظهرته الدولةُ العثمانية، تجاه فرنسا بعد توقيعها لمعاهدة الامتيازات، سرّع كثيرًا نشاطها في سبيل نشر الكاثوليكية، وكانت نتيجة ذلك اعتناق أعداد كبيرة من الأرمن لهذا المذهب، إلّا أنّ الكنيسة الغريغورية لم تقفْ مكتوفة الأيدي أمام نشاط فرنسا الكاثوليكية، فرأت أنه من المفيد إطلاعُ الباب العالي بأهمّ التّطورات بخصوص هذا الشأن، وهذا ما دفع الدولة إلى اتّخاذ إجراءات جدُّ صارمة. فنذكرُ على سبيل المثال لا الحصر، نفي الأرمن الكاثوليك وإسكانهم في المناطق الداخلية للأناضول، ومصادرة ممتلكاتهم، كما حكم على قسمٍ منهم بالموت.

وفي هذا الجوّ المفْعم بالاضطهاد سجن الأرمن والسريان الذين كانوا يقومون بنشر الكاثوليكية ،وهدمت مطابعهم التي كانوا يقومون من خلالها بالدعاية لنشر الكاثوليكية ،وهذا ما دفع بفرنسا التي اعتبرت نفسها حاميةً للكاثوليك في الشرق- بناءً على معاهدات الامتيازات- بالتدخّل لدى الباب العالي من أجل الاعتراف بهذا المذهبِ كمذهب منفصل عن المذهب الغريغوري ،فقدّمت سنة 1830م طلبًا للباب العالي ،وبفضل الجهود الحثيثة للدّبلوماسية الفرنسية رضختِ الدولةُ العثمانية للأمر الواقع واعترفت بالكنيسة الأرمنية الكاثوليكية ؛فتمكن الأرمنُ الكاثوليك من الحصول على قانون خاصّ بهم ،وأصبحوا ملّةً منفصلة(2).

في ضوء ما تقدّم يمكن القول إنّ معاهدةَ الامتيازات التي تحصّلت عليها فرنسا كانت سندًا لها في القيام بالأنشطة التّبشيرية في الدولة العثمانية دونَ حسيب أو رقيب ،فازداد عددُ الأرمن العابرين إلى المذهب الكاثوليكي، تاركينَ بذلك مذهب آبائهم وأجدادهم ،فأصبحوا يشكّلون بذلك مركز قوةٍ جديد موازٍ للبطريركية الأرمنية ،وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدلّ على فقدان البطريركية الأرمنية الوطنية سلطتها ،التي كانت تتمتع بها لقرون ،فأصبحت هذه الأخيرة محلَّ انتقاد من طرفِ المبشّرين سواء رجال دين أو رهبان ميختياريين ،مما دفعها إلى

(1) *Nejat Göyünç, a. g. e. s. 54*.

(2) *Ahmet Yaramış, " Ermeni cemaati arasında yaşanan mezhep kavgasi ve bunda amerikan misyonerlerin rolu (1831-1855)," **Arayışlar insan bilimleri araştırmaları**, Yil 8, Sayı 16, s. 162.*

طلب المساعدة من الدّولة من أجل عرقلة الأنشطة الكاثوليكية ،وقامت بمعاقبة الكثير من الأرمن العابرين إلى الكاثوليكية بالنفي ومنع توزيع الكتب الهادفة للقيام بالدعاية للكاثوليكية(1).

2- تأسيسُ الكنيسةِ الأرمنية البروتستانتية:

بسطت فرنسا حمايتها على كاثوليك الدولة العثمانية، مما أدّى إلى ازدياد أعدادِ الأرمن المنْتسبين للكاثوليكية فيها ،إلّا أنّ إنجلترا لم تقفْ مكتوفة الأيدي أمام هذه الوضعية، المتمثّلة في ازدياد أعداد الكاثوليك ،فضلًا عن عدم وجود بروتستانت في الدولة العثمانية، لذلك بدأتْ تبذل جهودًا لخلق طائفة بروتستانتية ،فنجدها في سنة 1842م أنشأت أوّل كنيسة بروتستانتية في القدس بموافقة الباب العالي ،ثمّ بدأ البروتستانت بالظّهور بين المسيحيين الذين تحولوا عن مذاهبهم مقابل المنافع المادية ،التي كانوا يتحصّلون عليها من طرف الإرساليات التبشيرية القادمة من إنجلترا وأمريكا(2).

لم تكن إنجلترا تهدف من خلال نشرها البروتستانتية خدمة المذهب البروتستانتي، بقدر ما كانت تريد الوصولَ إلى تحقيق مصالحها الإمبريالية، والمتمثّلة في تأمين الطريق البري والبحري المؤدي إلى الهند، عن طريق حماية المحسوبين على مذهبها. شيئًا فشيئًا سوف يزداد نفوذا إنجلترا تلقائيًّا بانتشار البروتستانتية في الأراضي العثمانية، وبهذا أصبحت إنجلترا في نفس الكفّة مع فرنسا الكاثوليكية وروسيا الأرثوذكسية(3) ، وسارت إنجلترا على نفس خُطا فرنسا ؛فتدخّلت لدى الباب العالي، الذي بدوْره أقرّ لهم كيانًا دينيًّا وقانونيًّا ،ممّا أدّى إلى قيام ملة أرمنية بروتستانتية ،ويمكن أنْ نعزو أسبابَ اعتناق الأرمن المذهب البروتستانتي إلى أسباب سياسية أكثر منها دينية، حيث كانوا يرغبون في الحصول على حماية قناصل إنجلترا(4)، إضافةً للاستفادة من الخدمات والمساعدات الموجهة للمجتمع الأرمني(5).

---

(1) *Ramazan Erhan Güllü, **Ermeni sorunu ve Istanbul Ermeni patrikhanesi (1878-1923)**, Türk tarih kurumu, Ankara, 2015, ss. 25-26.*

(2) *Ali Arslan, Halil Bal, Hasan Demirhan, **Tarihi ve stratejik boyutlarıyla Ermeni meselesi,** Idil yayınları, Istanbul, 2012, s. 30.*

(3) *Davud Kılıç, **Tarihten günümüze Istanbul Ermeni patrikhanesi**, Atatürk arştırma most erkezi, Ankara, 2008, ss. 96-97.*

(4) عبد العزيز محمد الشناوي، مرجع سابق، ص. 320.

(5) *Ahmet Yaramış, a. m. s. 165.*

بالرّغم من الدّور الذي لعبته الإرساليات التبشيرية الإنجليزية ،والذي يمكن أن نلخصه في وضعها أرضية متينة لنشاطِ الإرساليات البروتستانتية الأخرى ،وفي مقدّمتها الإرساليات التبشيرية الأمريكية والتي تحمل اسم « *Amirican Board of Commissioners of Foreign Missions* » أو (*A.B.C.F.M*) فقد كان لهذه الإرسالية حصّةُ الأسد من حيث الأنشطة التي كانت تهدف من خلالها إلى نشر البروتستانتية في الدولة العثمانية، فنجد أنّهم توزّعوا في المناطق الداخلية للأناضول ،التي كانت منطقةً جاذبة لمثل هذا النوع من الأنشطة، وركّزوا نشاطهم على الملة الغريغورية الأرمنية بكلّ صبرٍ وعزيمة ،ودونَ تخاذل ،حيث بدأ هؤلاء المبشّرون بالتوافد على الأناضول منذُ سنة 1820م[1] ،وأولى المراكز التي قاموا بتأسيسها كانت في إزمير[2]، وهو أحد المراكز المهمّة التي كانت في الأناضول ،إلى غاية تأسيس مركز اسطنبول ،وفي سنة 1863 تمّ تأسيس مركز أضنة Adana [3].

ما يلفتُ الانتباه أنّ المبشّرين قد اتّبعوا في البداية سياسةَ التمويه ،وكانت هذه السياسة فعالة لأنها تهدف بالدّرجة الأولى إلى زرع الثّقة في أوساط الأرمن ،فعلى سبيل الذكر ،كان المبشّرون يلبسون ملابس محلية حتى لا يظْهروا بمظهر الأجانب ،فيعزّزوا إحساسَ الأرمن بالأمان ،وهكذا تمكّنوا من التواصل بسهولة مع الناس ،ثمّ شرعوا في عرض مساعداتِهم على الأعيان الذين كانوا يمثّلون قوّةً اجتماعية فاعلة ؛فنظر هؤلاء لمساعداتهم بعين الرضا، وحسب تخْميننا ،فإنّ الوضعية المزْرية التي كان يعيشها الأرمن– في الأناضول خصوصًا– جعلتهم ينقادون بسهولة ويُسْرٍ وراء هذه الإرساليات وإغراءاتها. وفي خطٍّ مواز ،أدّت هذه السياسة إلى إنشاء علاقات وطيدة مع السكان المحليّين أدّت إلى انْدماجهم في المحيط الأرمني ،فاستقبلوا في البداية بترحابٍ كبير ،خصوصًا وأنهم كانوا قد وعدوا البطريك بعدمِ فصل الأرمن عن كنيستهم ،إلّا أنّ هذه الوعود لم تكنْ سوى مزاعم وافتراءات ،فبدأت أعدادُ مُعتنقي البروتستانتية تتزايد ،فحَلّ محلّ الطمأنينة والامتنان اللّا أمن والخداع ومشاعر الغضب[4].

(1) *Ahmet Yaramış,* a.g.m. *s. 164.*

(2) **إزمير:** مدينة ساحلية تقع على سواحل الأناضول، وارتبطت بالدولة العثمانية سنة 1425م وقد تحوّلت شيئًا فشيئًا إلى ميناء مهمّ للحوض الشّرقي للبحر المتوسط وفي القرن 19 تحوّل إلى نقطة مهمّة لاتصال الدولة العثمانية بالاقتصاد الغربي وقد عرفت هذه المدينة في الوثائق الأرشيفية الفرنسية ب. *Symirne*أنظر: *Dictionnaire de. Op. Cit, p. 629.*

(3) *Ince Erdoğan Dilşen,* ***Amerikan misyonerlerinin faaliyetleri ve Van Ermeni isyanları (1896),*** *I Q Külür sanat yayıncılık, Istanbul, 2008, S. 87.*

(4) *Ahmed Yaramış, a.g.m, s. 165- 166.*

المطلبُ الثّاني: دور الإرسالياتِ التبشيرية الأمريكية في بروز التيار الأرمني الإنفصالي:

تعتبرُ الإرساليات التبشيرية الأمريكية المعروفة *« the American Board of Commissioners for Foreign Missions »* أكبر إرسالية تبشيرية بروتستانتية أسِّست في أمريكا والعالم خلال القرن التاسع عشر، كما كانت ذات إمكانيات مالية كبيرة[1]، وشرعت في أنشطتها التبشيرية في الدولة العثمانية سنة 1820م. وكانت فعالياتُهم موجّهةً للمسيحيّين دون اليهود أو المسلمين ،حيث نجد أنهم أرسلوا بعثات موجّهة للملة الأرثوذكسية ،والمعروفة بأنها أحدُ فروع الكنيسة الشرقيةإلّا أنّ أنشطة (*A.B.C.F.M*) الموجهة للأرمن كانت ذات حجمٍ كبير، فلقد ساهمت الإرسالياتُ التّبشيرية الأمريكية كثيرًا في نشر الوعي الوطني بين الأرمن، وفي تعريف المجتمع الأرمني بالأفكار الليبرالية، مِن خلال الأنشطة التي كانت تقوم بها في مجال التعليم والصحافة والنشر. وسنحاول من خلال هذا العرض أنْ نتطرّق إلى فعاليات الإرساليات التبشيرية الأمريكية في مختلف المجالات، بالإضافة إلى ردِّ فعلِ البطريركية الأرمنية على هذه الفعاليات الموجهة للأرمن.

وقبل ذلك ،آثرنا تتبّعُ مراحل مسيرة العمل التنصيري الأمريكي في داخل الأراضي العثمانية وهي ثلاث مراحل [2]: تبدأ المرحلةُ الأولى منه في عام 1821 ،حيث بدأ في القدس التي كانت إحدى المحطات الرئيسية للحجاج المسلمين والمسيحيّين، وكان هدفُها الأوّل هو نشرَ المذهب البروتستانتي، ولكنّهم لم يظفروا بشيء ،ثمّ تكررت المحاولات في بيروت ،ونجح الأمريكان في ضمّ اثنين من الأرمن ،وكان الأرمنُ وقتها معظمُهم من الجريجوريان ،و كان الدافعُ الأساسي للأرمن في تغيير مذهبهم هو العرضَ التعليمي المغْري الذي وجدوه لدى الأمريكان[3].

ثمّ تأتي المرحلةُ الثانية للتّنصير الأمريكي عندما أثبتت الدراساتُ التي أجراها المنصران سميث *Smith*، ودويت *Dwight* أنّ النموذج المطبّق على الأرمن في بيروت وسيمرنا هو الأفضل، فالأرمن راغبون في التعليم بصورةٍ كبيرة جدًّا، والتي قدّمتها لهم "المفوضية الأمريكية للتّنصير الأجنبي"، والتي افتتحت في إستانبول عام 1831م/ 1247هـ. وفي عام 1833م ،كثر عددُ الدّارسين الأرمن– الراغبين في التعليم والحريصين على المعرفة– فتحولوا إلى المذهبِ البروتستانتي ،بل يصل الأمرُ أنْ يظفر المنصّرون البروتستانت على أكثر من خمسة عشر من

---

(1) *Ali Arslan, Halil Bal, Hasan Demirhan, a.g.e, s. 22.*

(2) أحمد الشرقاوي ، **أبعاد المشكلة الأرمنية** ...مرجع سابق ،ص ص 291–294 .

(3) *L. J. Gordon, **American Relation with Turkey, 1830- 1930**, Philadlphia, 1932, P. 222.*

رجال الدين الأرمن ينضمّون إليهم، وامتدّت الموجة التبشيرية من العاصمة إلى الأقاليم، ففي عام 1834 قام بنيامين شنايدر *Benjamin Schneider* بافتتاح مركزٍ تنصيري في بورصة, وتبعه آخر في طرابزان[1].

ومنذُ ذلك الوقت أصبحت أعمالُ الإرساليات التنصيرية الأمريكية في اطّراد وتوسع، فلم يحلّ عام 1869م / 1286هـ إلّا وكان هناك 21 مركزًا تنصيريًّا أساسيًّا في الدولة العثمانية، يديره الأمريكان، ويعمل به عددٌ كبير من الأرمن[2].وفي أعماقِ الأناضول أيضًا ،وكذلك في الأركان القصية من الدولة العثمانية انتشرت المؤسسات التبشيرية ،ونجح المبشّرون في اكتساب أنصار و"مهتدين" معظمُهم من الأرمن ،وقليل من "النّسطوريين" في فان وفي هكارى ،ولكنْ سرعان ما تحوّلت هذه "الهداية" إلى نذير شؤم إذ استخدم الأرمنُ "المال الأمريكي" في التخابر والتعاون مع روسيا ،وفي النهاية انجرفوا إلى حركة التمرّد في مارس 1915م[3].

وتبدأ المرحلةُ الثالثة من مراحل التّنصير الأمريكي عام 1891م ،إذ أنه قبل عشرين عامًا من هذا التاريخ كان قد تمّ تقسيمُ العمل التنصيري ،بين المفوضية الأمريكية للتنصير الأجنبي وبين مجلس الإرساليات المسيحية، لكنّ المفوضيةَ الأمريكية كانت الأكثر نجاحًا وقوّة ؛إذ بلغتِ المراكز الرئيسية التابعة له 17 مركزًا رئيسيًّا تضمّ 256 مركزًا فرعيًّا ،وتمتلك 426 مدرسة ، وذلك عام 1914م[4].

1- دور الإرساليات التّبشيرية البروتستانتية الأمريكية في ظهور النهضة الأرمنية:

أدركت تلك الإرساليات أن أفضل ميادين العمل التبشيري، هو ميدان التعليم، لأن حاجة الناس إليه لا تنقطع؛ كما أن التعليم يضمن تنشئة أجيال تصبغ على أيدي معلميها بالصبغة التي يريدونها، فرصدت الأموال الكثيرة وأخذت في الإنتشار في أرجاء الدولة العثمانية[5].

---

(1) *Erich Feigle, **A Myth of Terror, Armenian Extremism: its Causes and its Historical Context**, Edition Zeitgeschte Salzburg, 1986, P.47.*

(2) سلوى سعد الغالبي ، **العلاقات العثمانية الأمريكية 1830- 1918م**، ط 1 ، مكتبة مدبولي، القاهرة،2002م ،ص 246.

(3) *Erich Feigle: Op. Cit., P. 48.*

(4) *J. A. Denova, **American Interests and Policies in the Middle east, 1900-1939**, U. S. A., The University of Minnesota, 1963, P. 96.*

(5) نيل عبد الحميد سيد أحمد، النشاط التبشيري الأمريكي في البلاد العربية حتى عام 1923م، **المجلة التاريخية المصرية**، ع 27، القاهرة ،1981 ،ص227

قبلَ الإرساليات التّبشيرية الأمريكية جاءت الإرساليات التبشيرية النمساوية والفرنسية والألمانية والإيطالية، وافتتحت مدارس في الإمبراطورية العثمانية ،فتأسيس المدارس الأمريكية وباقي المدارس الأجنبية كان يستند لإمتيازات(1) إضافيةٍ مُلحقة بالمعاهدات ،والتي كانت سارية المفعول على الأجانب دون المسلمين ،فعن طريق القانون الأساسي لنظارةِ المعارف العمومية المنشور سنة 1869 ،فإن السلطة العثمانية قامت بتنظيم الأعمال الثقافية والتعليمية ،وتركت موضوعَ تأسيس المدارس وتنظيمها للملّة ،سواء العائدة لملة ما أو لشخص. لكن تركت صلاحية مراقبتها بيدِها ،وهذا القانونُ الأساسي يتشكّل من 129 مادة ،وبمقتضاها يُعطى إذنُ فتح مدرسة لجماعةٍ دينية تابعة للدولة العثمانية ،أو حتى للأجانب ،بشرط الحصول على رخصة، وكلّ المصاريف المتعلقة بكلّ أنواع المدارس سوف تعود للجماعة ،أمّا التعليمُ في هذه المدارس سوف يتمّ وفقًا لبرامجها التعليمية- الملة- ولكتبها، لكن يبقى على الدولة مراقبتها(2).

لقد اعترفتِ الدولةُ العثمانية للأجانب سنة 1869 بحقّ فتح المدارس، إلّا أنّه يلاحَظ أنّ الإرساليات الأمريكية قد قامتْ بفتحها قبل هذا التاريخ بكثير؛ لأنّ إرساليات *(A.B.C.F.M)* رأت أنّ إنشاء المدارس هو السّبيل الأمثل لتحقيق أهدافِها بين الأرمن، فصبّوا كلّ اهتمامهم من أجل إقناعهم أنهم أحسن من بقية الإرساليات سواء الكاثوليكية أو الأرثوذكسية؛ من أجلِ استقطابهم إلى المدارس التي قاموا بفتحها في مناطق كثيرة مِن الأناضول، والتي انتشرت في كلّ مكانٍ حتى في القصبات. والملاحَظ أنّه بالرغم من أنّ هذه الإرساليات لم تتمكّن من تأسيس ملّةٍ بروتستانتية واسعة على غرار الكاثوليك كما كانوا يأملون تحقيقه ،إلّا أنهم نجحوا في أن يكونَ لهم تأثير سياسي وثقافي(3).

إنّ الأنشطة التعليمية التي قامتْ بها الإرساليات الأمريكية استفاد منها المجتمعُ الأرمني أكثر، فمثلًا خلال السّنة الدراسية (1888-1889م) درس ما مجموعه 84 طالبًا في معهد تركيا *Türkiye Koleji* والموجود في

---

(1) **الامتيازات:** إصطلاح يشير إلى المعاملة القضائية القانونية الخاصة، التي تقررت للأجانب الموجودين في الدولة وعهدًا بحماية أرواحهم وبضائعهم، لكنها كانت في واقع الأمر لتسوية أوضاع الأوروبيين المقيمين في الدولة، وعهدًا بحماية أرواحهم وبضائعهم ،لكنّها في واقع الأمر الباب الذي ولجت منه الدولُ الأوروبية لتحقيق أطماعها في الدولة العثمانية، فلم تكنِ المعاهدات تعاقديّة تبادلية، ثمّ مالبثت أن تحوّلت إلى حقوق مكتسبة. أنظر، علي حسون، **تاريخ الدولة العثمانية وعلاقتها الخارجية**، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، 1415 هـ، ص. 105.

(2) *Emine Dingeç,"Amerikan misyoner okullarının Ermeni ayrılıkçı hareketindeki yeri", **Hoşgörüden yol ayrımına Ermeniler**, Cil2, Erciyes üniversitesi yayını ,2008, ss.33_-34.*

(3) *Ramazan Erhan Güllü, a.g.e, s. 31-32.*

عنتاب *Antep*، من بين الطلبة نجد 3 يهود فقط ،أمّا الباقي كانوا من الأرمن، كذلك فتحت معهد خربوط المؤسّس سنة 1878 من أجل الأرمن[1]، بالإضافة إلى معهد روبيرت *Robert Koleji* الذي فتح من طرف الدّكتور سيروس هاملين *Syrus Hemlin*، وكان هذا المعهد يهدف للقضاء على العثمانيين ونشر المسيحية، حيث شرع لأوّل مرّةٍ في تدريس مصطلح "احتلال تركي"، ونتيجة لطبيعة التعليم الممنوح في هذا المعهد، يلاحظ أنّ أغلب الذين تخرّجوا منه شكّلوا نواةَ الأحزاب والجمعيات الأرمنية الثورية، وفي ذات السياق قام المعهد بفتح عدّة مدارس تابعة له في مرزيفون *(Merzifon)* وطالاس *(Talas)* وطرطوس *(Tortus)*، وبيتليس *(Bitlis)*. فالطلبةُ الأرمن الذين تخرّجوا من هذه المدارس أصبحوا ثوارًا، ينتمون إلى اللجان الأرمنية، ويظهرون العداء الشديد لكلّ ما هو عثمانيّ وإسلامي، ولم يتوقّف الأمرُ إلى غاية هنا؛ بل أقدمت المدارس الأمريكية على تعليمهم صنع السّلاح لتحضيرهم للتمرد والعصيان[2].

والسّؤالُ الذي يطرح نفسَه هنا: أين كانت السلطةُ العثمانية من كلّ ما يحدث في هذه المدارس؟ في واقع الأمرِ كانت الدولةُ تفرض على المدارس المفتَتحة مصادقة من نظارة المعارف على معلميها وبرامجها وكتب التدريس، لكي لا يقدموا على تدريس مواضيع تتعارضُ مع السياسية العثمانية[3]. لقد كانت نظارة المعارف العمومية تصادقُ على كشف برامج الدّروس وقائمة الكتب في مدارس الإرساليات. مما جعله سببًا في خلق عدّة مشاكل بين مسئولي الدّولة ومدارس الإرساليات، ومن أهمّ هذه المشاكل عادة المتعلقة منها بالكتب المدرسية، والنصوص، بالإضافةِ إلى الموضوعات المدرسية التي يجب أن تكون متناسبةً مع التعليم المعطى في مدارس الإمبراطورية، إلّا أن هذه المدارس من بين أهمّ المؤضوعات التي كانت تتطرّقُ إليها من خلال العملية التعليمية هو انتقاد الدولة العثمانية، وقد تمّ التوصل إلى هذا من خلال عملية المراقبة التي كان يقوم بها مسئولين عثمانيّين، مما أدّى إلى منع التدريس بهذه الكتب، لكنّ المعضلةَ الأساسية أنّ هؤلاء المسئولين لم يكونوا حاضرين في كلّ وقتٍ ،في هذه المدارس وباستمرار، وبالتالي لم يكن بإمكانهم متابعتهم بصرامة[4].

مهْما يكن من أمر، بالرّغم من قيام نظارة المعارف بإحصاء جميع المدارس المرخصة التابعة للإرساليات، وتعْيين إدارة مختصّة بتفتيش المكاتب (المدارس) غير المسلمة والأجنبية على الدّوام كما تبين لنا من خلال كتب

(1) *Emine Dingeç, a.g.m, s. 34.*
(2) *Ali Arslan, Halil Bal, Hasan Demirhan, a.g.e, s. 34.*
(3) *Emine Dingeç, a.g.m, s. 35-36.*
(4) *a.g.m, s. 37.*

السّالنامة(1)، إلّا أنّ هذه الرقابة لم تكن كافيةً أو صارمة، ولو كان الأمرُ كذلك ما وقعت تجاوزات أدت إلى خلق كياناتٍ أجنبية عن المجتمع العثماني. لقد لقيت مدارسُ الإرساليات البروتستانتية إقبالًا كبيرًا، خاصّة من طرف الأرمن الذين كانوا يرغبونَ في الحصول على تعليم جيّد لأبنائهم، وحتى بعض المسلمين أرسلوا أبناءهم للدراسة هناك، وهذا ما نوضّحه في الجداول التالية:

اللواء	**القضاء**	**اسم المدرسة**	**الدولة التي تنتمي إليها المدرسة**	**مستوى التعليم**	**عدد الطلبة**	
					ذكور	**إناث**
معمورة العزيز	**معمورة لعزيز**	فرات	أمريكا	إعدادية	**65**	**–**
معمورة العزيز	**معمورة العزيز**	فرات	أمريكا	رشدية	**125**	**–**
معمورة العزيز	**معمورة العزيز**	فرات	أمريكا	إعدادية	**–**	**47**
معمورة العزيز	**معمورة العزيز**	فرات	أمريكا	رشدية	**–**	**65**
معمورة العزيز	**معمورة العزيز**	فور	فرنسا	رشدية	**49**	**–**

مدارسُ الإرساليات التّبشيرية في ولاية معمورة العزيز(2)

اللواء	**القضاء**	**اسم المدرسة**	**الدولة التي تنتمي إليها المدرسة**	**مستوى التعليم**	**عدد الطلبة**	
					ذكور	**إناث**
أرضروم	**أرضروم**	بروتستانت	بروتستانت (أمريكا)	ابتدائي ورشدي	**172**	**258**
أرضروم	**أرضروم**	بروتستانت	بروتستانت (أمريكا)	ابتدائي ورشدي	**117**	**125**

مدارسُ البروتستانت الأمريكان في ولاية أرضروم(3)

(1) **سلنامة نظارة المعارف العمومية**، دار الخلافة العلية، المطبعة العامرة، 1318هـ، ص. 547.

(2) **سلنامة نظارة المعارف العمومية**، دار الخلافة العلية، مطبعة عصر، 1321هـ (1903) ، ص. 657.

(3) **سلنامة نظارة المعارف العمومية**، دار الخلافة العلية، المطبعة العامرة، (1318هـ) ، ص. 15-10.

يعتبر ما ذكرناه غيضًا من فيْض، حيث تعمّدنا التركيزَ على إعطاء أمثلةٍ من الولايات التي سبق وسميناها بالولايات السّت، والمعروفة بوجود كثافةٍ سكانية أرمنية مُعتبرة بالمقارنة مع ولايات الأناضول الأخرى.

ومما لاحظْناه على النّموذجين السّابقين، انتشار المدارس البروتستانتية في ولاية أرضروم ومعمورة العزيز، فضلًا عن ذلك إقبالُ الطلبة، سواء الذكور والإناث، وهذا ما يؤكّد ما ذهبنا إليه بخصوص نشاط الإرساليات التبشيرية الأمريكية، بين الأرمن دون باقي الملل الأخرى.

والسؤالُ الذي يبقى مطروحًا: ما الدّورُ الذي لعبته مدارسُ الإرساليات التبشيرية بصفة عامة، ومدارس الإرساليات البروتستانتية الأمريكية خاصّة، في ظهور المسألة الأرمنية أو الحركة الانفصالية الأرمنية؟

لعبتِ المدارسُ والتّعليم دورًا كبيرًا في ظهور المسألة الأرمنية، وكان هذا نتيجةً طبيعية لتلقّي الأرمن تعليمَهم في المدارس الأمريكية، وللتعرف على دور التعليم البروتستانتي في ظهور المسألة الأرمنية؛ ينبغي التوقّفُ بعضَ الشيء عند البرامج التي كانت تدرس في هذه المدارس. إنّ جودة التعليم المعْطَى في هذه المدارس كان سببًا في إرسال أطفال الأرمن غير المتحمسين للبروتستانية إلى المدارس الأمريكية، والتي كانت تقومُ بتدريس اللغة التركية إلى جانب اللغة الأرمنية والإنجليزية، فهذا التدريس المتنوّع للغات جعل الشبابَ مُنفتحين إلى حدٍّ كبير على تيارات العصرنة العالمية(1).

إذا ألْقَينا نظرةً على اللغات التي عكفت الإرساليات على تدريسها نجد في مقدمتها اللغة التركية، وحسبَ اعتقادنا فإنّ تعليم هذه اللّغة كان شكليًّا بالدّرجة الأولى؛ لأنّ هذا النوع من المدارس لم يفتح من أجل تقويةِ الرّوابط بين الأرمن والأتراك، بقدْر ما كان يبيت النيّة لإزالتها واستئصالها من جذورها. أمّا بالنسبة للغة الأرمنية فقد كانت على قدْرٍ كبير من الأهمية لأنّ اللغة ستعيد ربطَ الأرمن بتاريخ أجدادهم وبمقومات هويتهم، والهدف من هذا هو إكسابُ الأرمن وعيًّا وطنيًّا، ليترسّخ في أذهانهم أنهم أمّة تختلف عن العثمانيين، عن طريق التعليم، وبتعبير آخر تكوين شبابٍ أرمني مزوّد بأفكار القومية والانفصال، مما كان له دور في بروز الشخصية الوطنية الأرمنية.

---

(1) *Gürkan Pamukçu," <u>Ermeni sorunu `nun kökenleri ve 19 yüzyılın ikinci yarısında Kürt Ermeni siyasal, ve toplumsal ilişkileri</u>", **Erministan, tarih, hukuk, dişpolitika ve toplum**, Gazy kitabevi, eylül 2015, Ankara, 2015, s. 125.*

أمّا تعليمُ اللغة الإنجليزية الهدفُ منه هو إنشاءُ فئةٍ من الأرمن مرتبطة بأمريكا، وفي نفس الوقت وفية لها، ليكونوا أداةً طيّعة تستعملها- أمريكا- متى شاءت، وحيثما أرادت. وفي هذا الصّدد نشير إلى أنه بالرغم من كلّ الجهود التي بذلتها المدارسُ الأمريكية في مجال اللغة ،فإنّ اللغة الفرنسية كان لها وجود ثقافي كبير في الإمبراطورية العثمانية، حيث هيمَنَت على الدّبلوماسية فكانت اللغةُ الدبلوماسية آنذاك (أوراق وزارة الشئون الخارجية العُثمانية) معظمُها كانت تحرّر باللغة الفرنسية، وحتّى في مجال الأعمال فإنّ اللغة الفرنسية هي المستخدمة في مجلس الدّين العام ،وفي البنك العثماني... إلخ[1].

فضلًا عمّا ذكرناه، فقد تمكّنتِ الإرساليات التبشيرية من التقرّب من الأرمن، لكنّ الملاحَظ أنّ هذا التّقارب لم يكنْ لأهدافٍ دينية أو تعليمية فحسب، فكلّ ما قدّمته هذه الإرساليات يتلاءم مع سياسة حكومتها، مثْلما ذكر هنري جيسون *Henri Jesson* منظر الإرساليات: "المدارس هي الشرط الأساسي من أجل نجاح الإرساليات، فبواسطتها يمكن إدخالُ الإنجيل إلى الكثيرِ من الأماكن التي توجد فيها إمكانية إدخال الإنجيل بوسائل أخرى"؛ لذلك وجدنا أنّ إرساليات *(A.B.C.F.M)* قد عملت بشكل دقيق ومركّزٍ على الأنشطة التّعليمية. فإذا تحدّثنا عن آثارِ هذه المدارس من منظور قوميّ فإنّها أدّت إلى إكساب الأرمن وعيًّا وطنيًّا قوميًّا عن طريق التّعليم، فهذه المدارس أكسبت الشبابَ الأرمني إدراكًا ووعيًا بالأفكار القومية والانفصالية. وبتعبير آخر، لعبتْ دورًا كبيرًا في ظهور الشخصية الوطنية الأرمنية[2] .

لقد تلقّى كثيرٌ من الأرمن تعليمَهم في مدارس الإرساليات على الطراز الغربي، هذا أدى بالشباب الأرمني إلى التّأثر بالثقافة الغربية وتبنّيها، وتخلّيهم شيئًا فشيئًا عن عاداتهم وتقاليدهم الأرمنية، كما أحدثت هذه المدارس تغييراتٍ جذريةً لدى هؤلاء المتخرجين من هذه المدارس، حيث زودتهم بأفكارٍ ليبرالية جعلتهم ينتقدون ليس فقط البطريركية، بل حتى الدّولة العثمانية، فأرادوا أن تكونَ لهم كلمة في تسيير شئون الملة الأرمنية، وإنهاء حكم أقلية الصّيارفة ورجال الدين[3].

---

(1) روبيرت مانتران، مرجع سابق، ص. 126.

(2) *Neşe Tozkoparan, " Ermeni ayrılıkçı Hareketlerinde Amerikan protestan misyonerlerin eğitim sağlik faaliatlerin rolu",* ***Hoşgörüden yol ayrımına Ermeniler****, Cil 3, sayı 22-24 mayis, 2008, Istanbul, s. 388.*

(3) *Gürkan pamukçu, a.g.m, s. 127.*

كانت الإرسالياتُ التبشيرية الأمريكية سبّاقة لتعليم المرأة(1)، كما فتحت لهن أبواب العمل فعملنَ في ميدان التّعليم والتمريض، وقد نتجَ عن هذا ظهورُ روح المعارضة حتّى في أوساط النساء(2). ولم يتوقف الأمرُ عند هذا الحدّ، بل ساهمت المدارسُ البروتستانتية في النّهضة الأرمنية من خلال إحياء اللغة الأرمنية الدارجة واستعمالها في التّعليم، والابتعاد عن اللّغة الأرمنية الكلاسيكية. فضلًا عن كلّ ما ذكرناه فإنّ الشباب الذين درسوا في هذه المدارس أصبحوا متقوقعين حول الثقافة الأرمنية والغربية فقط ،وبعيدين كلَّ البعد عنِ الثقافة العثمانية الإسلامية، فأصبحوا يشْعرون أنّهم أجانب عن المجتمع الإسلامي الذي عاشوا ضمنه قرونًا عديدة إلى جانب المسلمين(3)، بالإضافة إلى هذا أصبحوا ينظرون للمسلمين نظرة ازدراء واستصغار(4).

2 –دورُ الإرسالياتِ التّبشيرية الأمريكية في هجرة الأرمن نحو أمريكا:

كان المسلمون والمسيحيون في شرق الأناضول يحيون في ظروفٍ معيشية واحدة، فاعتادوا العيش مع بعضهم البعض في سلام، لكنّ هذه الحياة البسيطة والعادية بدأت تتغيّر بمجيء الإرساليات التبشيرية البروتستانتية، حيث لعبت هذه الأخيرةُ دورًا كبيرًا في تأجيج الوضْع بين الأرمن والأتراك من جهة، كما كان لها دورٌ في إغراء الأرمن على الهجرة نحو العالم الجديد– الولايات المتحدة الأمريكية–، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: كيف ساهمت هذه الإرسالياتُ في هجرة الأرمن نحو أمريكا؟

مِن الأسباب التي دفعتِ الولايات المتحدةَ الأمريكية للاهتمام بالأرمن الذين يعيشون في الأراضي العُثمانية، بالرغم من أنّ الدولة العثمانية لم تكن ضمنَ إطار اهتماماتها، هو زيادة عدد السكان في بلادها، والحاجة إلى عناصر وظيفيّة عاملة رخيصة. لكنّنا نجدها في 23 ماي 1896 أصدرت قانونًا أبدت من خلاله اهتمامَها بالدّولة العثمانية، حيث سمحتْ للعثمانيين بالهجرة إليها، بشرط أن يحسنوا القراءة والكتابة باللغة الإنجليزية، وألّا يكونوا دون سنّ السادسة عشرة (5).

---

(1) *Anahide ter Minassian, a.g.e, s. 130.*
(2) *Neşe Tozkopakan, a.g.m, s. 388.*
(3) *Gürkan Pamukçu, a.g.m, s. 124- 125.*
(4) *Davut Kılıç, a.g., s. 102*.
(5) *Ahmet Akter*, ***Tehcir Öncesi Anadoludan Amerikaya Ermeni Göçü (1834-1915)***, *I Baskı, IQ kültür Sanat yayıncılık, Istanbul, 2007, s. 23.*

والملاحَظ، أنّه من خلال التّعليم الذي قدمته الإرساليات التبشيرية للأرمن، قد وجهوا أنظار الأطفال بشكلٍ مُلفت نحو أمريكا، فزرعوا فيهم رغبةً كبيرة للذهاب هناك ورؤية العالم الجديد. والجدير بالتسجيل أنّ أول مجموعةٍ أرسلتها الإرساليات إلى الولايات المتحدة الأمريكية كانت مجموعة من الرهبان الطلبة للدراسة في المدارس العليا للّاهوت هناك، وعندما ينهي هؤلاء الطلبةُ دراستهم فإنّهم سوف يقومون بمساعدة المبشرين في الأراضي العثمانية، وهكذا كانت هذه الإرسالياتُ المحرّضَ الأوّل للهجرة إلى أمريكا(1)، فهاجرت أعدادٌ كبيرة من الأرمن، فمنهم مَن هاجر من أجل البحث عن فرص العمل ، ومنهم مَن هاجر لإكمال دراسته العليا(2).

إنّ الأرمنَ الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية كانوا قبلَ هجرتهم مشحونين بمشاعر العداء والكراهية للأتراك والدّولة العثمانية على حدٍّ سواء، وفي ظلّ الجوّ المفْعم بالحرية في أمريكا دخل الأرمن المهاجرين في حملاتٍ دعائية ضدّ الدّولة العثمانية في الخارج، ولم يتوقّف الأمرُ عند هذا الحدّ ،بل بدأوا بشراء السلاح والذّخيرة وإرسالها للأناضول، فبعد سنوات 1890 أغلب الأعمال السياسية التي تحققت من طرف الأرمن الذين كانوا من شرق الأناضول من الذين يحملون الجنسية الأمريكية(3).

مِن خلال ما سبق يمكن القول إنّ الإرساليات التبشيريةَ كان لها نصيبٌ وافر في صقل المشاعر الأرمنية وشحنها بالكراهية والعداوة تجاه الأتراك.

لما كان الأرمنُ من أكثر التّبعة العثمانية تأثّرًا بالغرب، بفضل الأنشطة المكثفة التي قامت بها الإرساليات(4) بدأت تظهرُ بوادرُ نهضة وطنية أرمنية، لا سيّما في أوساط الأرمن الكاثوليك أو البروتستانت، فقد أنشئوا مراكز ثقافية خاصّة بهم، وقاموا بإحياء تعليم اللّغة الأرمنية الكلاسيكية، فضلًا عن قيامهم بطباعة الإنجيل باللّغة العامية التي يفهمها جميع الأرمن، كلّ هذا أثّرَ على الأرمن الغريغوريّين فظهرت بينهم صحوةٌ ثقافية. تجلّت هذه الصحوة في إنشاء مدارس علمانية، ومردُّ هذه العلمانية يرجع إلى قيامِ الأثرياء بإرسال أبنائهم للدّراسة في

(1) *Emine Dingeç, a .g.m, s. 42.*

(2) *Nil Sarı, " Amerikanli misyonerler ve Ermeni sorunu",* ***Uluslararasi Türk- Ermeni ilişkileri sempozyumu****, 24-25 Mayıs 2001, Istanbul, s. 288.*

(3) *Emine Dingeç, a.g.m, s. 43.*

(4) *Gürkan pamukçu, a.g.m, s. 126.*

أوروبا- خاصّة في فرنسا- حيث تأثّروا هناك بالثقافة الفرنسية وتشبّعوا بأفكار الثورة الفرنسية[1]، ولما عادوا إلى الدولة العثمانية لم يدافعوا فقط عن إدخال إصلاحات جذريّة على الملة الأرمنية، بل طالبوا بالعلمانية والاستقلال[2].

شعرتِ البطريركية الأرمنية بتهديدٍ جديّ لها، ينذر بفقدانها سلطتها ووضعها الذي طالما مارسته على الملة الأرمنية، ومردُّ هذا التّهديد هو الإرساليات التبشيرية التي أظهرت أنشطة في كثيرٍ من مناطق الدولة العثمانية، مما أدّى إلى تقزيم دورِ البطريركية الأرمنية؛ فكان سببًا في فقدانها لسلطتها. فأصبحت الكنائس البروتستانية والكاثوليكية الأرمنية تشكّل مراكز قوى جديدةً بالتوازي مع البطريركية الغريغورية الوطنية[3].

ووعيًا منها- البطريركية الأرمنية- أنّ الانقسام المذهبي الذي وقع بين الأرمن نابع كذلك من نظامها الداخلي، ومن ضعف الدّور الذي لعبته؛ لذلك حاولت إصلاحَ نفسها من خلال إعطاء أهمية للرقابة الداخلية. وأمامَ فعاليات الإرساليات التبشيرية فإنها قامت بتطبيق إجراءات صارمة ضدّ المقصّرين والمهملين من الإداريين، وكذلك كلّ القساوسة الذين تأثّروا بأفكار ومواقف المبشّرين، فحكمت بالنفي على المشتبه فيهم بالميل للمبشرين. إضافةً إلى ذلك المعلّمين الذين يقومون بمهامّهم في المدارس المرتبطة بالبطريركية؛ يتمّ قطعُ علاقتهم بهم في حالة تجاهلهم لنشاط نشر البروتستانتية[4].

المطلبُ الثّالث: موقف الكنيسة الأرمنية من نشاطِ الإرساليات الأمريكية:

لما كان المذهبُ البروتستانتي ينتشر بكثرةٍ من يومٍ لآخر في أوساط الأرمن، قامت الكنيسة الأرمنية الغريغورية بسلسلةٍ من الإجراءات للوقوف في وجْه انتشاره. وهذه الإجراءاتُ يمكن حصرها في إجراءات اتخذت

(1) **الثورة الفرنسية:** حدثت في نهاية القرن الثامن الميلادي، وكان حدثًا مهمًّا في التاريخ الفرنسي، وقامت على الدعوة إلى (الحرية- العدالة- المساواة) ، وجاءت لتعالج النظام الطبقي السائد في أوروبا، وكانت بمثابة المدرسة الرائدة في مجال التحرّر، وعالجت أيضًا الأوضاع السياسية والاجتماعية، ووجدت لها الحلول. وكشفت الثورة مطامع نابليون التوسيعية، ونشرت مبادئها في جميع أوروبا، ووصلت آثارها إلى اليونان، مما جعلها تهيج على الدولة العثمانية وافتتن شبابها بمبادئ هذه الثّورة الجديدة، وخاصة الذين درسوا في أوروبا. أنظر: عبد الكريم المشهداني، **العلمانية وآثارها على الأوضاع الإسلامية في تركيا**، المكتبة الدولية, 1983، ص. 13- 14.

(2) *Stanford j., Shaw Ezel, Kural Shaw, Op. cit, p. 201.*

(3) *Ramazan Erhan Güllü, a.g.e, s. 24- 25.*

(4) *Ahmet Yaramış, a.g.m, s. 170.*

ضدّ الإرساليات نفسها، وإجراءات أخرى اتّخذت ضدّ الأرمن، وفي هذا الإطار نبدأ بالإجراءاتِ التي اتخذت ضدّ الإرساليات:

- **منعُ الإرسالياتِ من الوعْظ والتّعليم الديني وسط الأرمن:**

لقد رأى الأرمنُ الغريغوريّون أنّ الإرساليات التبشيرية الأمريكية كانت سببًا في انقسامهم الديني، وتغذية شعور العَداء فيما بينهم. فاستمرارُ الإرساليات في نشْر مذهبها لا مناصَ سيؤدّي إلى الصدام فيما بينهم. ومن خلال ما ذكرناه تتّضح لنا معالمُ تلك الحقبة التّاريخية التي تكتنفها الصّدامات، إلى درجة أنْ وصل الأمر بالكنيسة الغريغورية مطالبةً الباب العالي باتّخاذ الإجراءات اللازمة ضدّ نشاط المبشرين[1].

- **عدمُ إرسال الطلبةِ إلى المدارس التي فتحتها الإرساليات الأمريكية:**

عملتِ البطريركية على منْع ذهاب الطلبةِ الأرمن إلى مدارس الإرساليات الأمريكية، إلّا أنّ إصرار البعض على الذّهاب إليها دفعَ بالبطريرك إلى الإعلان عن اتّخاذ إجراءات صارمةٍ ضدّ الأرمن الذين يرتادون هذه المدارس التي فُتحت في الظاهر لأهدافٍ تعليمية بحتة لكنّها في الواقع ارتكزتْ على تدريس الدين سواء في المرحلة الابتدائية أو المتوسطة[2].

- **مقاطعةُ الكتبِ والمقالات والنّشَرات وما شابَهَها من المنشورات التي توزّعها الإرساليات:**

بفضلِ المطبعة التي افتتحها المبشّرون في ازمير، قاموا بطبع الكثير من الكتب والمقالات والمنشورات، وكلّ ما يلزمهم لنشر مذهبهم؛ لذلك عملت البطريركية الأرمنية كلَّ ما في وسعها للحيلولة دون قيام المبشرين بتوزيع منشوراتهم[3].

بعدَ أن تطرقنا لردِّ فعلِ البطريركية تجاه المبشرين، الآن ننتقل إلى الإجراءات التي اتخذتها البطريركية ضد كلّ أرمنيّ تحوّل إلى المذهب البروتستانتي.

- **إرهابُ كلّ شخصٍ بصرْفِ النّظر عن كوْنه رجلًا أو امرأة، سواء بالهجوم الفعلي أو الكلامي:**

---

(1) *Ahmet Yaramış, a.g.m, s. 166.*
(2) *Ince Endoğan Dilşen, a.g.e, s. 199.*
(3) *Ahmet Yarmış, a.g.m, s. 167.*

بعدَ انتشار المذهب البروتستانتي بين الأرمن، هناك عدّةُ وقائع متعلقة بالهجوم الفعلي أو الكلامي، ونذكر على سبيل المثال: ما ورد في إحدى الوثائق أنّ الأرمن البروتستانت كانوا عرضةً للتحرّش والإزعاج، سواء في بيوتهم، أو أماكن عملهم، وحتى في قارعة الطريق. كلّ هذه المضايقات كانت سببًا في إخفاء الأرمن أمرَ تحوّلهم عن معتقدهم إلى البروتستانتية(1).

– **النّفيُ والقتل:**

كلّ أرمني في إسطنبول يَثْبُت أنّه يقوم بنشر المذهب البروتستانتي فإنّه يتمّ نفيُه خارج إسطنبول. كما كانت نتيجة بعض الهجومات الفعلية الموت ضدّ العابرين إلى المذهب البروتستانتي(2).

– **الحرمانُ الكنسي:**

طبّق الحرمانُ الكنسي على الأرمن العابرين إلى المذهب البروتستانتي، والحرمان الكنسي لا يقصد به الإخراج مِن عضوية الكنيسة فقط، فالشّخصُ الذي يعاقَب بالحرمان يخرج من زمرة الأرمن، فتكون بذلك ضربة كبيرة له من النّاحية الاجتماعية والاقتصادية، فمِن المعروف– حسب نظام الملل العثماني– أن البطريركية إلى جانبِ تولّيها الأمور الدينية لملتها فإنّها كذلك تسيطرُ على الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية؛ لذلك في اليوم الموالي لإعلان الحرمان الكنسي يشرع في إبعاد البروتستانت عن الحياة الاجتماعية ومن العائلة الأرمنية ككلّ، فيتمّ إخراجُهم من بيوتهم ،فيفقدون أعمالهم، كما يتمّ غلقُ محلاتهم، وفي حال تمكّنهم من إعادة فتح محلاتهم عن طريق الوساطة الأجنبية، فإنّهم سيكونون عرضةً للمُقاطعة. فالحرمانُ الكنسي يؤدّي إلى أضرار مادية ومعنوية على حدّ سواء. والحال هذه كانت تدفعُ بسفير إنجلترا لإرسال تقارير إلى الحكومة العثمانية، معتبرًا أنّ المسألة ليست روحانيةً بين البطريرك والأرمن العابرين إلى البروتستانتية ، بقدر ما هي حالة ظلمٍ يواجهها هؤلاء(3).

---

(1) *Ahmet Yarmış, a.g.m, s. 167.*

(2) *Ömer Turan," Amerikan misyonerlerine Ermeni Patrikhanesi`nin Tepkisi",* ***Hoşgörüden yol ayrımına Ermeniler****, cilt 3, 22-24 Mayıs, Istanbul, 2009, s. 408.*

(3) ***BOA, HR, SYS, 1774, 1, Osmanli belgelerinde Ermeni- Engliz ilişkileri (1845-1890), cil*** *1, Başbakanlık basımevi, Ankara .2004, ss. 3-4.*

– منعُ الأرمن البروتستانت من الدّفن في مقابر الأرمن:

إنّ التّوتر الذي كان موجودًا بين الطائفة الغريغورية والطائفة الأرمنية البروتستانتية الجديدة، وصل إلى ذروته حيث لم يكن يسمح للبروتستانت ولم يؤذَن لهم بالدّفن في مقابر الأرمن. هذا الوضع دفع بسفراء إنجلترا والدنمارك والولايات المتحدة الأمريكية، إلى إرسال تقريرٍ إلى الصدارة مؤرخ بـ 21 تموز 1860 يطلبون فيها تخصيص أماكن خاصّة لدفْن البروتستانت، وهذا الطلبُ جاء على خلفيّة المشاكل التي وقعت خلال مراسم دفن بروتستانت أرمن في اسطنبول في مقابر الأرمن الغريغوريين(1).

– منعُ التّجارة، وقطعُ المبادلات مع التّجار والحرفيّين البروتستانت:

كلّ الأرمن الذين يمارسون النشاطَ التّجاري ،أو أيّ حرفة ، وتحوّلوا إلى المذهب البروتستانتي ،فإن المجتمع الغريغوري يقاطعهم، فلا يشترون منهم ولا يبيعونهم ، فمثلًا لا يتمّ شراءُ حتّى الخبز من الفرانين البروتستانت(2).

أمّا ردُّ فعلِ الأرمن البروتستانت، فلم يتعدّ إرسالهم رسائلَ إلى سفراء إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية، يطلبون فيها حمايتهم من الهجماتِ التي كانوا يتعرّضون لها، مثل الرسالة التي أرسلها الأرمن البروتستانت المتواجدون في ديار بكر وقيصري وخربوط؛ إلى السّفير الإنجليزي حول المظالم التي كانوا يتعرضون لها من طرف الغريغوريّين(3)، هذا ما دفعَ بسفير إنجلترا في اسطنبول إلى إرسال رسالةٍ إلى الباب العالي، يطلب فيها ضرورةَ استفادةِ الأرمن البروتستانت من نفس الامتيازات التي يتمتّع بها باقي المسيحيّين بصفتهم ملّةً معترف بها(4). ولم يتوقّفِ الأمرُ عند هذا الحدّ؛ بل قام سفيرُ إنجلترا بإرسال طلب إلى نظارة الخارجية بخصوص تعيين وكيل عن الملة الأرمنية البروتستانتية لدى الحكومة المحلية ، والسّماح لهم بتحضير القانون الأساسي الخاص بهم(5).

وفي ذات السياق، فإنّه من الأهمية بمكانٍ تبيان موقف الدولة العثمانية إزاء الإرساليات البروتستانية، ففي ظلّ اشتداد النشاط الذي كانت تقومُ به هذه الأخيرةُ، سواء في مركز الحكم أو في الأناضول بين الأرمن، أدّى هذا إلى استياءِ الباب العالي، الذي يبدو أنّه كان على اطّلاع بالتّطورات من خلال العرائض والشكاوى التي كانت

(1) ***BOA, HR, SYS, 1774/16*, *Osmanli… Ermeni- Engliz***., *a.g.e, ss. 10- 12.*

(2) *Ahmet Yarmış, a.g.m, s .168.*

(3) ***BOA, HR, SYS, 1774/19*, *Osmanli… Ermeni- Engliz..*** *a.g.e,, ss. 12-14.*

(4) ***BOA, HR, SYS, 1774/22*, *Osmanli… Ermeni- Engliz...*** *a.g.e, s. 16-17.*

(5) ***BOA, HR. SYS, 1774/29.*, *Osmanli… Ermeni- Engliz...*** *a.g.e s. 18.*

تصلُه من الأرمن الذين انزعجوا كثيرًا من نشاط الإرساليات التبشيرية، فلم يجدوا أثناءها بدًّا من إرسال شكاويهم للبطريركية، والتي بدوْرها أبلغت البابَ العالي بهذا الاستياء. والجدير بالملاحظة أنّ هذا الموقف لم يكن خاصًّا بهم وحدهم؛ وإنّما شاركتهم فيه كذلك الدولةُ العثمانية، لذلك قامت هذه الأخيرة بإبلاغ استيائها للقائم بالأعمال في السفارة الأمريكية في اسطنبول حول نشاط إرسالياتهم، وتدعوه فيها إلى اتخاذ التدابير اللازمة(1). واستمرّتِ الدولةُ العثمانية في السّنوات اللاحقة بالإفصاح عن استيائها بواسطة نظارة الخارجية، وهذا إنْ دلّ على شيء فإنّه يدلّ على عدم استجابة السّفارة الأمريكية لطلب الباب العالي، لكنّنا لا نستغرب مثل هذا الموقف الذي كان تحصيلَ حاصلٍ لأوضاع الدولة العثمانية الضعيفة.

مما تقدّم يمكن القول إنّ الأرمنَ قد عاشوا مدّةً زمنية طويلة في ظلّ الدولة العثمانية، في جوٍّ يسوده الأمنُ والسّلام والتفاهم فيما بينهم، والأهمّ من ذلك كلّه الوحدة الدينية، إلّا أنّ مجيء الإرساليات التبشيرية بمختلف مشاربها كان بدايةَ تحوّل الأرمن إلى مذاهب مسيحيّة أخرى، ويمكن اعتبار هذا بداية مرحلة فارقة في تاريخ العلاقات بين الأرمن أنفسهم، حيث: كانت هذه الإرساليات من أهمّ العوامل التي رسمت ملامح مشهد جديدٍ مُفْعم بالصراع وسوء التفاهم بين الأرمن.

هذا التطوّرُ جعل الكنيسةَ في موقع الدّفاع عن كينونتها، فاتّخذت تدابيرَ صارمة ضدّ العابرين إلى الكاثوليكية أو البروتستانتية، والتّضييق عليهم عن طريق مقاطعتهم لأنّها أحسّت أنّ زمام سلطتها الدينية والدنيوية بدأ يفلتُ من بين يديها.

في النّصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ظهرت المسألة الأرمنية ،التي يمكن أنْ نعتبرها امتدادًا للمسألة الشرقية(2) نتيجة لعدّةِ أسباب ، وإذا جئنا لترتيب الأسباب حسب درجة التأثير نجد في مقدّمتها الإرساليات التبشيرية التي جعلت من الأناضول مركزًا مهمًّا من مراكز نشاطها، وما يلفت الانتباه أنّ الدّولة

(1) ***BOA, HR. SYS, 1774/29, Osmanli… Ermeni- Engliz..*** *a.g.e, s .11.*

(2) **المسألة الشرقية:** مصطلح عام يطلق على العلاقات السياسية بين بعض الدول الأوروبية والإمبراطورية العثمانية، إبّان القرنين الثامن عشر والتاسع وأوائل القرن العشرين، وهو يدلّ على بداية اضمحلال الدولة، ودخولها مرحلة الضعف والانهيار وتقسيم ممتلكات الرجل المريض. انظر: ليلى الصباغ، **دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، مطبعة ابن حيان، دمشق ،1984، ص 273.

العثمانية لم تدركْ في البداية تهديدَ الإرساليات، لكنّها عندما دخلت مرحلة الضعف السياسي والاقتصادي بدأت تدرك خطورة هذه الإرساليات(1).

لقد كانَ للإرساليات التبشيرية البروتستانتية الأمريكية تأثيرٌ كبير على الأرمن، حيث جاءت هذه الأخيرة إلى الأناضول باسْم نشر المسيحية في الظاهر، لكنْ في واقع الأمر جاءت خدمة لمصالح بلادها السياسية وحتى الاقتصادية، فكانت المدارسُ والمستشفيات والمطابع التي استعملتْها من الوسائل المؤثّرة، ففي مدارسها التي كانت مُنتشرةً في الأناضول كانت تشرح للشّباب الأرمني تاريخه، والأهمّ من هذا كلّه الثراء الجغرافي والثقافي الأرمني، فضْلًا عن أهميةِ التحدّث بلغتهم الأمّ ،وباللغة الإنجليزية، فهذه الدروسُ جعلت الشبابَ الأرمني يعتنق مفاهيم جديدة مثل الحرية والاستقلال.

---

(2) *Ince Erdoğan Dilşen, a.g.e, s. 382.*

المبحثُ الثّالث: تشكيل الأحزابِ واللّجانِ الثّورية الأرمنية ودورها في ميلادِ المسألة الأرمنية

المطلبُ الأوّل: تشكيلُ اللّجانِ الثّورية الأرمنية.

المطلبُ الثّاني: خلفيّاتُ العملِ الثّوْري لدى اللّجان الأرْمنية.

المطلبُ الثّالث: تأثيرُ الدّعاية الأرمنية داخليًّا وخارجيًّا.

إنّ التحوّلَ في العقلية الأرمنية لم يكنْ وليدَ العوامل الداخلية فحسب، وإنما تظافرت جملة من العوامل الخارجية كذلك، وفي مقدّمة هذه العوامل التي مهّدت لوصول الأرمن إلى مفهوم الاستقلال عن الدولة العثمانية تأتي فعالياتُ المبشّرين- التي سبق وتحدّثنا عنها-. حيث أعطت الدولة العثمانية للإرساليات الإذنَ بافتتاح المدارس في بداية القرن التاسع عشر، فقاموا بأنشطة مكثّفة في أراضيها.

وفي نفسِ الشّأن كان للإصلاحاتِ والتنظيمات تأثيراتٌ مهمّة على الأرمن قياسًا بباقي العناصر الأخرى التي كانت موجودة في الإمبراطورية، حيث سمحتْ لهم بالاستفادة من الحريات، فسارعوا من معدّلات تمرّدهم على الدّولة العثمانية. لذلك يمكن القول إنّ التّنظيمات كان لها دورٌ كبير كذلك في التحوّل في العقلية الأرمنية[1]. فقد أحدثت التّنظيماتُ تطوراتٍ هامّة، ولعلّ أهمّ هذه الإصلاحات نستشفّها في مجال الحقوق والدين، ففي مجال الحقوق أدت التّنظيمات إلى تبلور مفهوم "الشعب" بالمفهوم الحقيقي، أمّا من المنظور الديني فالسماح بدخول أعضاء من الشّعب إلى مجلس الكنيسة كان بداية العلمنة[2].

نجحَ الأرمن في أن يصبحوا مجموعةَ ضغطٍ جديدة، بعد مصادقة الدولة العثمانية على الـ "نظام نامه" الأرمني، حيث اعتبر من طرف المؤرّخين الأرمن مرحلةً فارقة في التاريخ الأرمني، لأنه ساهم في ترسيخ الوعي الوطني للأمّة الأرمنية، كما أنّه فتح الطريقَ نحو التطور الثقافي والاجتماعي. فحسب المؤرخين، ضمن للمجتمع الأرمني مزايا كثيرة، ففتحت مؤسسات ثقافية والكثير من المدارس في اسطنبول، وكذلك في الأناضول، كما أنه أحيا روحَ الثورة بين الأرمن، وضمن توحيدَ الأرمن الغريغوريين والأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت[3]. أمّا فيما يخصّ العوامل الخارجية، نجد في مقدّمتها مؤتمر برلين، الذي كان له دورٌ كبير في إخراج القضية الأرمنية نحو العالمية، وسنقفُ على هذا المؤتمر في الفصل القادم. لكنّ الشيء الوحيدَ الذي يمكن أن نذكره في هذا السياق، أنّه نتيجةً لخيبة أمل الأرمن من تدخّل أجنبي لحلّ قضيتهم فإنّهم وصلوا إلى حقيقةٍ مَفادها ضرورة الاعتماد على أنفسهم في تحقيق الاستقلال، أو على الأقلّ الحكم الذاتي[4]، لذلك لجأوا إلى العمل الثوري بتشكيل اللجان الأرمنية.

(1) *Fikrettin Yavuz, **Osmanli devletinde Ermeni terörü 1896 Osmanli bankası**, Türk tarih kurumu yayınları, Ankara, 2015, s. 34.*
(2) *Fikrettin Yavuz, a.g.e, s. 41.*
(3) *a.g.e, s. 42-43.*
(4) *a.g.e, s. 54.*

المطلبُ الأوّل: تشكيلُ اللجان الثورية الأرمنية:

يرى مؤرّخو الجمعيات السرية والمنظّمات الثورية، أنّ معظمها نشأ في فترات انعدام النظام الاجتماعي، والصّراع العقائدي والأيديولوجي، حين تنهار أساليب الحياة القديمة، أو تكون أساليب جديدة في الحياة آخذة في الظهور(1).وجميع الجمعيات السّرية القومية تقريبًا نشأت في فترات القلق والقلاقل الاجتماعية، ويصدق القول نفسه على معظم المؤامرات الانقلابية الثورية(2).هذه المناخات التي تظهر فيها الجمعيات السرية، قد توافرت عناصرها– إلى حدّ كبير– في الدولة العثمانية، بل الأكثر من ذلك أنّ فرمانات الإصلاح، والدستور، والامتيازات كانت بمثابة الغطاء الشرعي لعلنية هذه الجمعيات وأنشطتها (3).

لما لاحظ الأرمن التحيّزَ الأوروبي لمسيحيّي الإمبراطورية العثمانية، ظنوا أن أوروبا ستقف إلى جانبهم كما فعلت مع اليونان والبلقان ،لكنهم أساؤوا تقدير الاستعداد الأوروبي لتقديم المساعدة لهم؛ لذلك نلاحظُ أنّهم بقوا يعولون على الدّول الأوروبية الكبرى، لكنهم بعد مؤتمر برلين غيّروا استراتيجيّتهم حيث قاموا بتأسيس لجانٍ ثورية أرمنية، أخذت على عاقتها مهمّةَ القيام بالعمل الثوري لإيصال القضيةِ الأرمنية إلى العالم، وذلك أسوةً بالانتفاضة البلغارية الناجحة عام 1876م(4).

لكنْ قبلَ الخوض في الموضوع ارتأينا أنّه من الضروري التطرّق لنقطة حساسة صادفتنا في المصادر والمراجع سواء التركية أو الفرنسية أو العربية، وهذه النقطة تتمثّل في وصف اللجان الثورية التي نحن بصددها "بالمنظمات الإرهابية"، وهذا المصطلح نجدُه في المراجع التركية، حيث لا يوجد مرجعٌ واحد لا يصف هذه اللجان بهذا الوصْف. أمّا المراجع الفرنسية فتصفُها باللجان أو الأحزاب الثورية(5). أمّا المراجع العربية فتنقسم إلى قسمين، قسم من المؤرّخين الموالين للتّاريخ العثماني ،يصفها كذلك بالأحزاب الإرهابية والأنشطة التي قاموا بها بالإرهابية مثل محمد الشّناوي(6).

---

(1) نورمان ماكنزي، **الجمعيات السرية** ،ترجمة ،إبراهيم محمد إبراهيم ،دار الشروق،1999 ،ص.285 .

(2) نفسه ،ص 286 .

(3) أحمد الشرقاوي، **أبعاد المشكلة الأرمنية وأثرها في تركياالحديثة** ،رسالة دكتوراه ،جامعة الزقازيق، مصر ،2010،ص . 249.

(4) عبد العزيز محمد الشناوي ،المرجع السابق، ج3، ص. 334.

(5) *Mikaël Nichanian, **Detruire les Arméniens, Histoire d'un génocide**, CPI firmin didot, France, 2015.*

(6) عبد العزيز محمد الشناوي، المرجع السابق، الفصل الثالث عشر "عيوب الدولة العثمانية ، مذابح الأرمن وقضيتهم ".

أمّا القسمُ الثاني من المتعاطفين مع القضية الأرمنية مثل الدكتور رفعت محمد الإمام المختص في الشأن الأرمني؛ فيعتبرها لجانًا ثورية. ولم يقتصرِ الأمرُ على هذه اللجان فقط، حتّى الأشخاص المنظّوين تحت لوائها–الأحزاب– يوصفون في المراجع التركية بالإرهابيّين، بينما في المراجع الفرنسية والعربية المتعاطفة مع الأرمن فتصفهم بالثوار. أمّا بالنّسبة لنا فقد آثرنا استعمالَ مصطلح "الأحزاب الأرمنية" أو "اللجان الأرمنية" في كلّ المباحث، إلّا في حالة الاقتباس أبْقَينا على المصطلح المستعْمَل من طرف المؤرخ، أمّا بالنسبة للأرمن المنضوين تحت لواء اللجان الثورية فإننا آثرنا استخدامَ مصطلح "ثوار"، وأحيانًا "متمردين" لحيادية هذا المصطلح ،وابتعادًا عن التوجهات الإيديولوجية والسياسية.كما أعتقد أنّه يتوجّب علينا هنا إيرادُ بعض التعريفات المجرّدة لكلمات ومصطلحات تساعد في الفهم والحكم على الوقائع من خلال إعطاء "الحدث" الاسم والتعريف الذي يمكن أن يسمى به.

عصيان *Desobeissance*:

حركةُ مقاومة ضدّ دولةٍ أو سلطة صاحبة سيادة على أرض العصيان، وللعصيان أشكال متعددة، فمنها العصيان المدني والمسلح والعسكري ،وعصيان العصابات؛ حيث يحصل العصيان في إقليم أو في القوات المسلحة،أو في المصانع ،أو... والعصيان يتمثّل في الامتناع عن القيام بالأعمال والمهمات أو عدم السماح للسلطات ،بممارسة دوْرها ومهمّاتها كالجباية والأمن والإدارة... والعصيان بذلك أرفعُ درجة من الإضراب أو أدنى من الثورة(1).

تمرّد *Rebellion*:

الرّفضُ والمقاومة للسّلطة، ويتّخذ أشكالًا متنوّعة.. ويقترن باستخدام العنف بشكلٍ مباشر لمنع العناصر الممثلة للسّلطة من القيام بواجباتها الوظيفية، ومنها ما هو جماعيٌّ له نتائج خطيرة؛ لأنّه يؤثّر في النظام العام ،ولا سيّما إذا اقترنَ باستخدام السلاح، إذ يعرّض سلامةَ الدولة ونظامَها للخطر، وفي هذه الحالة تحدد القوانين الجزائية عقوبات صارمةً تصل إلى الحكم بالإعدام(2).

(1) عبد الوهاب الكيالي، **الموسوعة السياسية** ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 3، ج 4 ،بيروت ،1995، ص. 122 .
(2) نفسه ، ج 1، ص .785 .

ثورة *Revolution*:

يستخدم معظمُ المفكّرين المعاصرين اصطلاحَ الثّورة للدّلالة على تغييرات فجائية وجذرية تتمّ في الظروف الاجتماعية والسياسية، أي عندما يتمّ تغيير الحكم القائم، والنظام الاجتماعي والقانوني المصاحب له بصورة فجائية، وأحيانًا بصورة عنيفة ،واستبداله بحكمٍ آخر، ويذهب البعض إلى أنّه في وقت الثورة لا تكون هناك حكومة فعليّة؛ لأنّه لا يمكن الحديثُ عن وجود دولةٍ ،كما أوردوا- أيضًا- أنماطًا أخرى من الثورة "دينية"، أو "عرقية"، أو "قومية"[1]

بعدَ هذا التّوضيح نعود لجوهر موضوعنا. إن إنشاء اللجان الثورية الأرمنية قد سبقه إنشاءُ جمعيات أرمنية، وقد بدأت بالتشكّل لأهداف اجتماعية، وبناءً على هذا فإنّ هذه الجمعيات كانت النواةَ الأولى للجان الثورية والتي ستستعمل السلاحَ ضدّ الدولة. فقبل سنوات 1880 كانت الجمعياتُ في الظّاهر جمعيات مساعدة مثل جمعية محبي الخير *Hayirseverler*، والتي تشكّلت سنة 1860م في أضنة، وهي الجمعية الأرمنية الأولى المشكلة في الدولة العثمانية[2] ، أمّا بين سنة 1870 و 1880 تأسّست جمعياتٌ مشابهة لها في أماكنَ مختلفة من الأناضول، فتأسست جمعيات ذات أهداف اجتماعية كذلك مثل جمعية "نساء القومية" في أرضرم، و"محبي المدرسة" *Okul severler* في موش *Muş* وأراراتلي[3] في فان.

بالإضافةِ إلى ما ذكرناه، هناك جمعياتٌ أخرى مثلَ جمعية الوحدة تأسست في فان سنة 1872، وفي سنة 1882 تأسّست جمعيةُ الصّليب الأسود Kara haç في فان كذلك[4]. أمّا في اسطنبول تأسست جمعية محبّي الوطن الأرمنية، التي كانت تهدفُ لدعم الجهود من أجل الوطن وإدارة الشعب الأرمني نفسه بنفسه، فضلًا عنْ جمعية الأوفياء *Fedakarlar*، وفي سنة 1872 أسّست "جمعية الخلاص" و"الاتحاد" في فان بمساعدة روسيا، وهاتان الجمعيّتان كانتا بمثابة منظمةٍ سياسية مهمّة في المنطقة وما جاورها ،وفي عام 1890 م تأسست في اسطنبول جمعيات الصاعقة والقربان [5].

(1) عبد الوهاب الكيالي ،المرجع السابق، جـ 1، ص. 870 – 872 .

(2) *Ramazan Erhan Güllü, a.g.e, s. 83.*

(3) طاهر توفيق هوكر ، مرجع سابق ، ص. 188.

(4) *Ali Arslan, a.g.e, s. 72.*

(5) *Osman Karabek ,**Türk Ermeni Münesbetlerinin dünü bugün** ,İstanbul ,1984,s 58-89*

والشّيء الذي يمكن أنْ نلاحظه على هذه الجمعيات، أنّها كلّها تأسّست بعد الإعلان عن الدستور الأرمني سنة 1860، وكانت هذه الجمعياتُ التي تشكّلت خلال هذه المرحلة ذاتَ طابعٍ اجتماعي وتعليمي بالدرجة الأولى، لكنها فيما بعد غيّرت المسارَ الذي اتّبعته، فأصبحت ثوريةً بالدّرجة الأولى .فمع نهايات القرن التاسع عشر أصبحت المدارس والكنائس والجمعيات الخيرية الأرمنية ،بمثابة المكاتب السياسية التي تعد فيها التمردات، كما أصبحت كل واحدة منها بمثابة مخزن للسلاح أو المهمات أو ورشة لتصنيع السلاح (1).

بالإضافة إلى ذلك، كثيرٌ من الجمعيات التي تأسّست لأهدافٍ اجتماعية مع الوقت بدأتْ بتأسيس عصابات القرى، وعصابات تخريبية في شكل وحدات منفصلة، مثل: وحدة البريد ووحدة الذخيرة والسلاح ومكاتب سياسية للتحضير للعصيان والتمرد. بالإضافة إلى ما ذكرناه نورد مثالًا آخر لما نحن بصدده، حيث أفاد تقرير يعود لسنة 1880م لقناصل إنجلترا في فان وأرضروم ،والذين كانوا من المتابعين بدقّة لما يحدث في المنطقة من مستجدات، قد أشاروا فيه إلى أن منازل الأرمن قد بدأت تتحوّل إلى مخازنَ للسّلاح ،لتنفيذ تحرّكٍ أرمني يضمن مساعدة الأوروبيين من أجل تحقيق الحكم الذاتي(2).

إذًا، من خلال ما سبق يمكن القول إنّ الهدف الأساسي للجمعيات لم يكن القيام بالأنشطة الاجتماعية أو التعليمية فحسب، بل إنّها صرّحت علنًا أنّ هدفها تأسيس "أرمنستان المستقلة"، وهذا ما يمكن ملاحظته في شعارِ جمعية "مدافعي الوطن الأم" "الاستقلال أو الموت". علاوةً على ذلك، هذه الجمعيات رغم حجمها الصغير إلّا أنّها كانت قدوةً للتّنظيمات واللجان التي ستؤسس في مرحلة لاحقة(3).

إذن، الجمعياتِ التي ذكرناها ستمهّد الطريق لظهور الأحزاب الأرمنية، التي سيتبنى بعضها الأفكارَ القومية اللّيبرالية، والبعض الآخر الأفكار الاشتراكية(4). وقد وصل عددُ الأحزاب الأرمنية في بداية التّسعينيّات إلى ثلاثة أحزابٍ قومية واشتراكية، قادتِ النّضال ضدّ الدولة العثمانية، وفي مقدمة هذه الأحزاب أو اللجان نجدُ حزب الأرمينيكان *Armenakan*.

---

(1) *Louis Nalbandian,* ***The Armenian Revolution Movement****, Barkley, 1967, p. 229.*

(2) *Ali Arslan, a.g.e, s. 72.*

(3) *Nihat Karademir,* ***Korku ve Umut II Abdulhamid Dönemi Kürt – Ermeni İlişkileri****, Çıra yayınları, İstanbul, 2015, s. 230.*

(4) القضية الأرمنية في الصحافة العربية (1896-1923) ، **المذابح الحميدية (1894-1896)** ، المجلد 2، القسم الأول، ص. 9.

1- تشكيل حزبُ الأرمنيكان (**Armeni kan**) 1885:

يعتبر ميغيرديش بورتقاليان *Migirdiç Portakaliyan* بمثابة الأب الروحي للحزب، وكان هذا الأخير قد فتح مدرسةً في فان، وبدأ بنشْر أفكاره، لكن عندما اطّلعت الدولة العثمانية على أنشطته مُنع سنة 1885 من الإقامة في فان؛ لذلك ذهب إلى فرنسا، وبدأ بإصدار جريدةٍ تحمل اسم "أرمينيا" في مرسيليا. أمّا الحزب فقد تمّ تأسيسُه من طرف أحدِ تلامذته وهو أفاديسيان *Avadisyan*، الذي بدأ نشاطه بعودته مجدّدًا إلى فان Van ، حيث قام هناك بتأسيس لجنة الأرمنكان مع تسعة أشخاص من تلاميذ برتقاليان القدماء ،وهكذا بدأ هذا الحزب يشتغل ضدّ الدّولةِ العثمانية تحت حماية فرنسا[1].

وقد عملَ هذا الحزب على لفْت أنظار الدول الكبرى، من أجل تأسيس وطن قومي للأرمن عن طريق التمرّد والقتال، فضلًا عن سعْيه لضمان دعم أرمنِ الخارج لأرمن الداخل، وخصوصًا من الناحية المادية. وقد استوحى الحزبُ قانونَه الدّاخلي والتدريب العسكري، من التنظيمات الثورية التي كانت سائدة في القرن التاسع عشر. وقام بفتح فروعٍ محليّة له في مدنٍ ثانوية، ولم يتوقّف هذا الحزب عند هذا الحد، بل استحدث مكاتب خاصّة به في إيران لتسهيل تهريبِ الأسلحة إلى فان[2]. ويمكن تلخيصُ برنامج الحزب في:

- الحصول على حقّ إدارة الأرمن أنفسهم بأنفسهم باستعمال الطرق الثورية.
- يمكنُ للأرمن الالتحاق بالحزب من أجل تحقيقِ غاية الحزب، وذلك عن طريق التحضير لحركة شعبية عامّة.
- تأسيس قوّات حرب العصابات.
- تأمين المال والسلاح.
- نشر الأفكار الثورية.
- جمع الأرمن الوطنيين المؤمنين بنفس المثل[3].

(1) *Ali Arslan, a.g.e, s. 73.*

(2) هوكر طاهر توفيق, مرجع سابق ، ص. 185.

(3) *Ramazan Erhan Güllü, a.g.e, s. 83-84.*

مِن خلال ما سبق، يمكن القول إنّ حزب الأرمنيكان،كان أول تنظيم يقوم على توجهات سياسية ثورية وقد استوحى هذا الأخيرُ اسمَه من اسم جريدة أرمينيا التي أصْدرها برتقاليان في مرسيليا[1]، واتخذ من أراضي الدولة العثمانية ميدانًا لنشاطاته الثورية، مستعملًا أسلوبَ التّخويف والإرهاب للضغط على الأثرياء الأرمن، ليقدموا الدّعمَ لهم، كما عمل على إثارة النّزاعات مع المسلمين لدفعهم إلى المواجهة، عن طريق تشكيل ميشيليات مسلّحة في الشرق كانت تهاجم محصّلي الضرائب العثمانيين، وعمال البريد، والقضاة، وتبيدُ قرًى بأكملها، كما كانوا يرغمون القرويّين والتجار على التّستر عليهم وإطعامهم تحت التّهديد بالموت. إلّا أنّ أعدادهم كانت قليلة مقارنة بالعددِ الإجمالي لشرطة السّلطان عبد الحميد المتمركزة في الأقضية والألوية، مما صعّب على المجموعات المسلحة إحراز أيّ تقدّمٍ نوعي[2] ، بالرغم من ذلك لم يتمكّن من أن يصبح حزبًا ثوريًّا مهمًّا، حيث اقتصر نشاطه على بعضِ المعارك المحدودة ضدّ الجيش العثماني والكرد[3]. مما أدّى إلى فشله في تحقيق أهدافه، ما دفع بالثوار المتواجدين في الخارج لمواصلة نضالِه الثوري عن طريق تأسيس حزب الهنشاق.

2- الهنشاق *Hinchks* (الناقوس) :

يعتبر حزبُ الهنشاق أوّلَ حزبٍ أرمني يتمّ تأسيسُه خارج الأراضي العثمانية، وبالتحديد في مدينة جونيف السّويسرية، بمبادرة من أفديتس نزاربكيان *(Nazarbekian)*، الذي كان ثوريًّا ومعتنقًا للفكر الإشتراكي، والملفت للانْتباه أنّ هذا الأخير لم يكنْ من الأرمن العثمانيين، بل كان من الأرمن الذين يعيشون في روسيا[4]،إلى جانب مجموعةٍ من الشباب الأرمني الذين ينتمون بدوْرهم إلى أرمينيا الروسية. وتلقّوا تعليمهم في فرنسا وسويسرا، وهم ينزعون- بدورهم- نحْو التيار الاشتراكي، فضلًا عن تأثّرهم بجريدة أرمينيا « *Armenia* » التي كانت تصدر في فرنسا، فإنّهم ربطوا علاقاتٍ متينة بمشاهير الديمقراطية الاجتماعية الروسية من أمثال فيرا زاسوليتش Vera *Zasuliç* وجيورجي بليهانوف *Georgi Plehanov* [5] .

(1) *Ali Arslan, a.g.e, s. 73.*

(2) *Stanford j .Shaw, Ezel Kural Shaw, Op. cit, p. 203.*

(3) طاهر توفيق هوكر ، مرجع سابق ، ص. 189.

(4) نفسه، ص .190.

(5) *Ercan Karakoç, **Geçmişten günümüze, Ermeni Komiteleri ve terörü**, IQ Kültür sanat yayıncıkık, Istanbul, 2009, ss. 60-61.*

قام هؤلاء الشبابُ بإصدار جريدةٍ تحمل نفس اسم الحزب « *Hinçak* » وكان رئيسها ومدير تحريرها مزاربكيان، الذي تمّ تكليفه بالإقامةِ في جونيف بسويسرا حيث شرع هناك في إصدارها، ثمّ تمّ نقل إدارة الجريدة إلى أثينا حيث تتوفّر له الوسائل لإدخالها إلى الأقاليم العثمانية، نظرًا لقربها منها، ثمّ رفضت الحكومة العثمانية استمرارَه في اليونان مما اضطرّه للذّهاب إلى لندن حيث واصل إصدار الجريدة هناك (1) .

إنّ البرنامج الأساسي لحزب الهنشاق يتضمن مايلي :"الأرمن العثمانيون اليوم يعيشون مأساة كبيرة ،أكبر بكثير من أي معاناة تلقتها المجتمعات الأرمنية في الدول الأخرى ،ولهذا فإن الواجب الملح على كل الأرمن نحو هذه المأساة، هو مساعدة أرمن تركيا في تحقيق الإستقلال القومي والحرية السياسية هذا في المقام الأول ،أما ثانيا يجب تجميع جهود كل الأرمن لتحرير أرمن روسيا وإيران ،من أغلال القيد ،وثالثا : إنشاء حكومة فيدرالية كبيرة، هذه الحكومة ستستخدم كل الأرمن ، وتقودهم إلى هدفهم النهائي من أجل خلق مجتمع إشتراكي "(2).

ومِن المشروع أنْ نتساءل هنا، لماذا يتمّ إعلانُ الثورة في الدولة العثمانية فقط دون الأراضي الروسية بالرغم مِن وجود الأرمن هناك كذلك؟ في تقديرنا ربّما ذلك راجعٌ لأنّ معظم مؤسسي الحزب من الطلاب الأرمن الذين ينْحَدرون من منطقة القوقاز الروسية، والذين ارتبطوا بعلاقةٍ وثيقة بالأحزاب الثورية الروسية، هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى كانت أرمينيا العثمانية أكبرَ مساحة من أرمينيا الإيرانية والروسية، بالإضافة إلى أنّ عددَ سكانها كبير بالمقارنةِ مع الأقاليم سابقة الذّكر. إذًا، حزبُ الهنشاق لا يعترف بتحقيق آمال الحزب عن طريق التدخل الأجنبي، أو وساطة الحكوماتِ الأوروبية، فتعارضُ المصالح السياسية للقوى الكبرى لا يمكن أن يضمن تحقيقَ هذا، كما أنّهم يعتبرون هذا التدخل غيرَ مُجْدٍ، ولا طائل من ورائه(3).

ومِن الوسائل التي استعملها الهنشاقيون في نشاطاتهم:

- **الدّعاية**: عن طريق نشْرِ الأفكار الثورية للهنشاق في أوساط العمال خاصّة، وبين الشعب، بواسطة الكتبِ والصّحافة، وتنظيم مجموعات العصيان وإنشاء منظمات ثورية فيما بينهم.كما يقومون بمحاولة

(1) عبد العزيز الشناوي ، مرجع سابق ،ص. 337.

(2) *Leo, **the ideology of the Armenian revolution**, Paris, 1935, pp. 146-149.*
(3) *Adem Ölmez, a.g.e, s. 94.*

إقناعِ الرّأي العام في فرنسا وإنجلترا بتعرّض الأرمن للمذابح في الدولة العثمانية.[1] فضلًا عن القيام بالأعمال التّحريضية، ونتيجةً لذلك رفع العلم الأسود في مدرسة سان ساريان *San Saryan*، وبدأ العصيانُ في أرضروم[2].

- **الإرهاب**: تطبيقُ الإرهاب كجزاءٍ للخونة والوشاة والشّرطة السرية والإداريين الأتراك، والشعب يجب أن يكون مسلّحًا من أجل حمايته من أنشطةِ الأتراك، لكنّ هذا الإرهاب لم يكن ممارسًا فقط ضدّ المسلمين، بل لم يسلم منه حتّى أرمن اسطنبول الذين رفضوا تقديمَ الدعم لهم[3].

3-تشكيل حزب الطّشناق 1890 م:

صارتِ العلاقاتُ متوتّرةً بين أعضاء حزب الهينشاق بسبب الصّراع على الزعامة، وفي ظلّ هذا المناخ المفْعَم بالتوتّر كان قسمٌ من أعضاء الحزب قد أحْرزوا إدراكًا ووعيًا ناضجين إزاء هذا الصراع، وفي نفس الوقت لم يكونوا راضين عن الوضع، فدفعهم هذا الحالُ لإصدار جريدةٍ تحمل اسم توروشاك *(Turuşak)* والتي تعني "العلم" باللّغة الأرمنية، وتفعيلًا لهذه المبادرة أصبح هؤلاء جمعية تحمل نفسَ الاسم، وهكذا كانت هذه الأخيرة جوهرَ تشكيلٍ يحمل اسم الطاشناق *(Taşnaksyum)* ، وقد تشكّل هذا الحزب سنة 1890م لأوّل مرّةٍ في القوقاز[4]. وتشيرُ المراجعُ الإنجليزية له باسم *(The Armenian Revolutionary Federation)*، أي الاتحاد الثوري ويرمَز له بالأحرف الثلاثة *(A.R.F)*. وضمّ هذا الحزب جميعَ الأرمن الروس الذين تعرضوا للاضطهاد على يد قيصر روسيا ألكسندر الثالث (1881-1894) ،الذي ما انفكّ يتبع سياسةً تهدف إلى إبعاد مذهب الأحرار المتطرّفين من الإمبراطورية الروسية[5]. وفي هذا الشّأنِ جديرٌ بالملاحظة أنّ هذا الحزب قد تشكّل كذلك خارج أراضي الدّولة العثمانية، ومؤسّسوه كانوا كذلك من الأرمن الروس. ومهْما يكنْ مِن أمر ، يعتبر هذا الحزب الأكثر تأثيرًا في الأرمن، والأطول عمرًا بين الأحزاب الأرمنية المذكورة[6].

---

(1) *Sadık Tural, **Ermeni Meselesine dair**, Atatürk merkezi başkanliği yayınları, Ankara, 2001, s.12.*

(2) *Fırhat Fırat, **Abdülhamit döneminde Ermeniler**, Paradks, İstanbul, 2010, s. 57.*

(3) *a.g.e, s .57.*

(4) *Sadi Koçaş, a.g.e, s. 127.*

(5) محمد الشناوي، المرجع السابق، ص. 337.

(6) *Hikmet Özdemir," Çatışmalar", **Türk- Ermeni ihtilâfi makaleler,** TBMM basımevi, müdürlüğü, Ankara, 2007, s. 177.*

خلالَ السّنوات الأولى من تأسيس الطاشناق لم يكنْ لهم برنامج سياسي محدّد، فبالنسبة إليهم، أنْ يكونوا عصابةً تنقل السلاح أحسن مِن وضعهم برنامجًا لتنظيمهم، إلّا أنّهم فيما بعد سطّروا أهدافًا جعلوها نصب أعينهم، والملاحَظ أنّ هذه الأهداف هي تقريبًا الأهدافُ التي قام عليها حزبُ الهينشاق، ويمكن أن نجملها في نقطتيْن أساسيّتين:

- إمّا الحصول على الاستقلال السياسي من أجل تأسيس أرمينيا في الجانب العثماني، عن طريق القيام بعصيان.
- أو الحصول على استقلالٍ ذاتي، بعد القيام كذلك بعصيان، كما هو الحال في لبنان وبلغارستان[1]. وتعقيبًا على هذا الهدف نلاحظُ أنّ حزب الطاشناق، قد نسي أو تناسى أنّ أوضاع الأرمن الأناضول تختلف اختلافًا جذريًّا عنْ أوضاع هذه الدول المذكورة سالفا من جهة، وعدد سكانها من جهةٍ أخرى.

أمّا فيما يخصّ الأساليب، فقد تمّ تحديدُها في الاجتماع الذي عقد في تيفليس سنة 1892 لفيدرالية الطاشناق نوجزها في النقاط التالية:

- إنشاء العصابات والتحضير لنشاطهم[2].
- استعمال كلّ الطرق، وزيادة الأنشطة الثورية ورفع معنويات الشعب الأرمني.
- انتهاج كلّ الأساليب من أجل تسليح الشعب الأرمني.
- تشكيل لجان ثورية، وتأمين الارتباط الوثيق فيما بينهم.
- إرهاب "الخونة" و"الجواسيس" و"مسئولي الحكومة".
- ضمان المواصلات من أجل نقل السلاح والثوار.
- محاربة وسلب المؤسسات الحكومية[3].

إنّ بروزَ هذا التّنظيم سالفِ الذّكر، والذي يمكن أن نعتبره أحدَ لبنات التنظيمات الأرمنية الثورية، أدى إلى حالةٍ من اللّاإستقرار في الدّولة العثمانية، وأنْهَك قوّاتها المنهكة أصلًا.

(1) *Sadi Koçaş, a.g.e, s. 130.*
(2) *Ramazan Erhan Güllü, a.g.e, s.35.*
(3) *Halil Ersin Avcı, **Ermeni meselesine Objektif Bakış**, DK Doğan Kitap, Istanbul, 2014, s .114.*

المطلبُ الثّاني: خلفيّاتُ العملِ الثّوري لدى اللجان الأرمنية:

إنّ الجمعياتِ الأرمنيةَ لم تستمدّ نفوذها من التفاف الشعب الأرمني حولها، وإنما من تعاطيها الأسلوب الثّوري، والذي استلهمته من عصيان منطقة زيتون «*Zeytun*».

1- عصيانُ زيتون **Zeytun**:

قبلَ أن نتطرّق إلى هذا التمرّد، نلقي نظرةً سريعة على طبيعة المنطقة، زيتون منطقة سكنية مرتبطة بسنجق مرعش *Meraş* [1] التّابع لولاية حلب، وما يلفتُ الانتباه أنّ المنطقة تتمتّع بخصوصيات جغرافية وديمغرافية وإدارية، فبالنّسبة للعامل الجغرافي، فزيتون عبارة عنْ منطقةٍ جبليّة مُنحدرة، مما جعل الأرمنَ فيها منعزلينَ ومنغلقين على أنفسهم. أمّا فيما يخصّ الجانب الدّيمغرافي تعتبر زيتون من المناطق النادرة التي يوجد فيها عدد السكان الأرمن أكثر مِن المسلمين؛ حيث يبلغ مجموعُ عدد سكّانها خلال سنة 1895م حوالي 16.3724 نسمة منهم 8446 أرمنيًّا غريغوريًّا، و4443 أرمنيًّا كاثوليكيًّا، و261 أرمنيًّا بروستانتيًّا، أمّا عدد المسلمين فهو 753 مسلم، ومما تقدّم يتّضح لنا أنّ العاملَ الجغرافي والديمغرافي كان له الدورُ الفاصل في ترجيح الكفة للأرمن. أمّا من الناحية الإدارية فإنّ الأرمن قد توزّعوا في أربعة أحياء، كلّ حيّ يُدار من طرف عائلة أعطي لهم لقب إشاهن *(Ichehan)* أو الأمير، فالقرى المسلمة كانت تدفعُ لهؤلاء ضرائب، وقد استمرّ هذا النّمط الإداري لغاية 1895، حيث وضعت الحكومةُ العثمانية حدًّا لإدارة الأمراء ونظامهم. شهدت منطقة زيتون حركةَ عصيان قبل أن يعرف الأرمن في الولايات الستّ التمرّد ضدّ النّظامِ العثماني، وذلك في مراحل مختلفة، حيث قامت حركةُ تمردات في سنوات 1872، 1786، 1808، 1825، 1831، 1842، 1850 [2]، لكن أهمّ هذه

(1) **مرعش *Meraş*** : يقع هذا اللواء على شمال ولاية حلب، يحدّه غربًا أظنة, وشمالًا ولاية سيواس، وشرقًا لواء ملاطية، وجنوبًا قضاء عنتاب، الأقضية التابعة لهذا اللّواء المذكور، قضاء مرعش نفسه، قضاء البستان، وقضاء (الزيتون): وهو على شمال غرب مرعش على مسافة 9 ساعات، وعن حلب 51 ساعة، ويحتوي على 4 آلاف نفس وعلى ألف خانة، وهو مبنيّ في محلّ ضيق من أجل هذا بيوتُه وشوارعه غير منتظمة، بعضها فوق بعض وعلى شرق هذه البلدة يوجد معسكر لعساكر الدولة العثمانية. أنظر: أحمد الشرقاوي وآخرون، جغرافية الممالك.. مرجع سابق، ص 301 وما بعدها.

(2) ***Aspirations et Agissements révolutionnaires, des comités Arméniens avant et après la proclamation, de la constitution Ottomane***, *département des archives Ottomanes, Ankara, 2001, p. 21.*

التمرّدات كانت خلال سنوات 1860 و 1878، والتي تدخل ضمنَ الفترة الزمنية قيد الدراسة، والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا الصّدد: ما هي العواملُ التي ساهمت في تأجيج الوضع في منطقة زيتون؟

هناك عدّةُ أسبابٍ ساهمتْ في تأجيج الوضْع في منطقة زيتون، ولعلّ أهمّ أسباب تمرد الأرمن هذه المنطقة على الحكومةِ العثمانية هو رفضُهم المتواصل دفع الضريبة، فقد اعتاد أرمنُ زيتون عدمَ دفع الضرائب، حيث ادعى سكّانُها أنّ الضرائب المفروضة عليهم كانت مجحفةً حيث بلغت 15.000 قرش[1]، فاحتجّوا على هذا الوضع في شكل تمرّدٍ، ورفضوا الدّفع[2]. لكنّ الملاحظ أنّ الجغرافيا قد ساعدتهم في تكوين هذا الموقف، فقد سبق أن عرفْنا أعلاه أنّها- زيتون- منطقةٌ جبلية منْحَدرة يصعب على الجيش الوصولُ إليها. هذه الحال جعلت المنطقة تتمتّع بنوعٍ من الحكم الذاتي، إلّا أنّ هذا الوضع لم يقتصرْ عليهم، فكلُّ الأقليات كانت تتمتع بحكم ذاتي في إطارِ نظام الملل، الذي يكفلُ لهم إدارة شئونهم الاجتماعية والدينية من طرف زعمائهم الدّينيين مقابل أدائهم الجزئية.

2- **عصيان زيتون 1860م**:

قامتِ الإدارةُ العثمانية ممثّلةً في محافظة مرعش بإسكان مهاجري قافقاسيا والشركس في منطقة زيتون، مما أدّى لظهور حركةِ احتجاج لدى الأرمن، هذا الأمرُ دفع بخورشيد باشا متصرّف المنطقة للقيام بحركة ضدّ الأرمن سنة 1860 نتيجةً لرفضهم دفع الضّرائب، لكنّها لم تكن ناجحة، وفي هذه الأثناء تمّ تعيينُ عزيز باشا مكانه، لكنّ الأحداثَ تطوّرت لتصل إلى درجة دخولِ بعض الأرمن في صراع ضدّ عشائر تركمانية، فاضطرت بعضُ العشائر التي كانت تمتهنُ التّجارة للمغادرة باتّجاه أضنة[3]، واستمرّت الهجماتُ الموجّهة ضدّ قرى المسلمين، وأدى هذا الوضعُ إلى أسوأ العواقب في الحال والمآل، فقام المتصرّف عزيز باشا بتجميع جيش من المتطوعين، ساروا

(1) **القرش:** هي في الأصل عملة إيطالية (*Grosso*) (أي الضخم) كانت كبيرة الحجم وتساوي 25 سنتيم، نقلها عنهم الأتراك فسكّوها من البرونز في حجم كبير, وعرفوها باسم "غروس" كاسم لا مفرد له من لفظه، بينما أطلق هذا الاسم في مصرَ على الجمع، واشتقّت منه صيغة المفرد "القرش"، ويقسم القرش إلى أربعين جزءًا، يعرف الجزء منها بأسماء مختلفة، فتارةً يسمّى "فضة" وتارةً أخرى يسمّى "نصف فضة"، أو نصفًا فقط، وكان يسمى كذلك "ميدي" (تحريف كلمة "مؤيدي". انظر: محمد رفعت الإمام، **الأرمن في مصر القرن التاسع عشر**، ط2، جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة، القاهرة، مصر، 2015، ص. 380.

(2) ***Aspirations et Agissements*** *… Op.cit, p. 21.*

(3) **أضنة:** ولاية أظنة هي في جنوب آسيا الصغرى، واقعة بين بحر سفيد، وكورفر أسكندرون، غربًا قونية، وشمالًا سيواس، وشرقًا ولاية حلب، وجنوبًا البحر المتوسط. أنظر: أحمد الشرقاوي وآخرون، جغرافيةالممالك...مرجع سابق، ص. 203.

نحو زيتون، وعندما بدأتِ الاشتباكاتُ تراجع هذا الجيش؛ لأنّ معظم عساكره كانوا دونَ تنظيم وتدريب، لذلك تفوّق الأرمنُ في البداية، إلّا أنّ عزيز باشا قد هزمهم في آخر المطاف[1].

ومِن الأهميّة بمكان تبيينُ موقف النخبة الأرمنية من هذه الحركة، التي لقيت تشجيعًا من طرف أرمن الخارج، حيث منح الأرمني تاكفور أغوبيان *Takvor Agopian* من ازمير مبلغ 200 ليرة تركية لمدارس زيتون، وأرمني آخر يلقب ببغوس أرابغير *Bogos Arabguir* مقيم بالقاهرة، قام بإرسال 400 ليرة لنفس المؤسسات التّربوية السابقة، وفي سنة 1861 أرمني آخر من منطقة هاجين الواقعة في زيتون، والذي أعطى لقب أمير بعد تحريره عريضةً للإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث يناشدة فيها باسم 70.000 أرمني من زيتون الاستقلال الذاتي للمنطقةِ لدوافع سياسية أسوةً بجبل لبنان[2]. في البدايةِ أولى نابليّون بعضَ الاهتمام بالعريضة، إلّا أن المبالغة في أرقام أرمن المنطقة، جعلَ المبادرة دونَ نتيجة. لقد اكتسبَ هذا التمرّدُ شهرةً لدى الأرمن فأصبح هؤلاء أبطالًا في نظر أبناء جلدتهم، يتغنّى بهم وببطولاتهم في الملاحم والأشعار الوطنية الأرمنية[3].

أعقبتْ هذه الأحداث خسائرَ وخيمة متمثّلة في خسائر بشرية، حيث قتل عددٌ كبير من الأبرياء، وخصوصًا الأطفال. وفي سبيل إرساءِ دعائم سلطةِ الدّولة على هؤلاء الأرمن الذين تعودوا على عدم الامتثال والخضوع للدولة، اتّخذتِ الدولةُ مجموعةً من التّدابير الموجّهة لأرمن وعشائر المنطقة، حيث قامت بتشكيل فرقة سمّيت بالفرقة الإصلاحية. وفي خطٍّ مواز قامت بتشكيل شرطةٍ مكوّنة من المسلمين وغير المسلمين القاطنين في المنطقة بطبيعة الحال. وفي نفس السياق تمّ نفي رؤوس التمرّد إلى ولاية طونة[4]. وهكذا يبدو أنّ العلاقات التي كانت بين الدولة العثمانية وأرمن زيتون قد غلب عليها طابعُ الصّراع والنزاع المستمر، لذلك نجد أنّ الدولةَ من

(1) ***Aspirations et Agissements*** *... Op. Cit, p. 22.*

(2) **جبل لبنان:** وهو مشكلٌ في قطعة سورية على جبل لبنان، عن شماله طرابلس الشام، وشرقًا ألوية الشام, وغربًا البحر المتوسط، وولاية بيروت, وجنوبًا لواء بيروت, وساكن عن شماله المارونيون، وعلى جنوبه يقطر الدرور. أنظر: أحمد الشرقاوي وآخرون، مرجع سابق، ص. 33.

(3) ***Aspirations et Agissements*** *..., Op. Cit, p. 22.*

(4) **ولاية طونة:** يقع في القسم الشمالي لقارة أوروبا العثمانية، وشمالًا نهر طونة، جنوبًا جبال بلقان، ومن الشمال مملكة رومانيا، ومن الغرب بلاد الصرب, ومن الجنوب الروم إيلي, ومن الشرق البحر الأسود.أنظر: أحمد الشرقاوي وآخرون، جغرافية الممالك ...مرجع سابق، ص. 89.

أجل أن تتمكّن من التدخّل في حالة قيام أيّ حركةٍ تمرد أخرى؛ فإنّها قامت بإنشاء طريق ومدّ خطوط التلغراف(1).

3- عصيان زيتون 1878م:

انتهزَ الأرمنُ فرصةَ دخول الدولة العثمانية في حرب ضدّ روسيا في سنوات (1878-1879)، فقاموا بعصيانٍ آخر خلالَ هذه الفترة مدعومين من طرف قنصل إنجلترا في حلب(2). وللوقوف على الأعمال التي ارتكبَها الأرمنُ خلالَ عصيانهم من المفيد الرجوعُ إلى وثائق الأرشيف العثماني، التي نستشفّ من خلالها قيام جماعةٍ مسلّحة مكوّنة من 200 إلى 300 شخص مسلّح بالهجوم على قرى المسلمين، وتحطيم مسجد وتخريب مركزٍ حكومي، كما قاموا بعمليات السّلب والنّهب. لقد اتّخذ الأرمنُ قيامَ الحكومة بإسكان الشركس في مرعش ذريعةً للقيام بهذه الأعمال، إلّا أنّ الحكومة العثمانية لم تبقَ مكتوفةَ الأيدي؛ بل قامت بمعاقبة المتورطين، لكن بعض القوى الأوروبية- في مقدّمتها فرنسا وإنجلترا- استغلّت الصّلاحياتِ التي خوّلها لها مؤتمر برلين، فطالبت بإطلاقِ سراح الأرمن الذين ألقي القبضُ عليهم، وحتّى بعض رجال الدين الذين كانوا وراء تنظيم الفوضى في المنطقة. وبهذا لم تتمكّن الدولة من القيام بأيّ إجراء ضدهم(3).

استكمالًا لتدخّل فرنسا وإنجلترا فإنّهما اقترحتا تأسيسَ لجنةٍ مهمتها تحديد مواضيع الإصلاح الأرمني، والتّحقيق في الأحداث التي وقعتْ في زيتون، وفي هذا السياق كلّف كلّ من نوريان أفندي Nuryan Efendi عضو مجلس الشورى، ومظهر أفندي نائب متصرّف مرعش؛ بالبحث في الموضوع. وفيما بعد تمّ الاتفاق على تأسيسِ اللّجنة التي شارك في عضويّتها قنصل إنجلترا في حلب ،وجاثليق سيس (4)، ونتيجة لأعمال اللجنة تمّ تعيينُ طلبات الأرمن، لكنْ ما يجب الإشارةُ إليه أنّ المطمع الكبير للأرمن كان الاستقلال الذاتي ،وتعيين

(1) ***Aspirations et Agissements***..., *Op. cit, p* 22.

(2) **حلب:** حلب من ممالك الدولة العثمانية تقع في قارة آسيا، وهي من البلاد المشهورة المفضلة، بلد جسيم، ومركز تجارة كبير، كان عبارة عن لواء، ويتشكّل من عدّة أقضية أهمّها، قضاء حلب نفسه، قضاء عنتاب، قضاء أنطاكية، قضاء الاسكندرون .أنظر: أحمد الشرقاوي وآخرون، جغرافية الممالك ...مرجع السابق ذكر، ص. 292-296.

(3) ***HR, SYS ,78/6***, ***Osmanli Belgelerinde Ermeni Isyanları (1878-1895)***, *Cil 1, Başbakanlık Basımevi, Ankara, 2008, s. 15.*

(4) ***BOA. HR.SYS. 78.6/60***, ***Osmanli Belgelerinde Ermeni***, ***Fransiz Ilişkileri (1879-1918),*** *Başbakanlık Basımevi, Ankara, 2002, s. 3.4.5.*

قائمقام(1) مسيحيّ على المنطقة ،إلّا أنّ الحكومة العثمانية لم ترحّب بهذا المطلب، وفي المقابل قامت بإعادة تنظيم ضرائب الأرمن في زيتون، كما قامتْ بفرض التّجنيد بدلَ دفع ضريبة البدل، وقامت بتخفيض ديون الضرائب، وإطلاق سراح جميع الموقوفين فورًا ، إلّا أنّ زعماء التمرد تمّ نفيُهم للخارج، كما تمّ إعادة السلاح المجمع في زيتون، واتّخذ قرار يمنع استقدام العشائر التركمانية للمنطقة(2).

لم تعدِ الدّولةُ العثمانية تنظرُ لأرمن زيتون بعين الارتياح ، حيث أصبحت العلاقةُ بين الطرفين صورة نمطيّة يغلب عليها الصراعُ المستمرّ والنفور المتبادَل ، وخوفًا من تكرار العصيان رأت الحكومةُ ضرورة اتخاذ بعض التّدابير وفي مقدّمتها إرسال الشّركس لولاية قونية، كما قامت بإدخال إصلاحات إدارية جديدة، تمثّلت في تعيين قائمقام مسلم ،أمّا مساعدُه فهو مسيحي ،هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى كلّ الوحدات الإدارية والعدلية والأمنية سوف يتمّ إعادةُ تنظيمها من جديد لتتشكّل من مسيحيين ومسلمين(3)

مِن خلال ما سبق يمكن استخلاصُ بعض الأفكار، أهمّها:

- كان لطبيعة منطقة زيتون الجبلية والمنحدرة أثرٌ سلبيّ، على العلاقات التي كانت بين الأرمن والحكومة العثمانية؛ لأنّهم كانوا يرفضون باستمرارٍ دفعَ الضّرائب للحكومة، مما دفع بهذه الأخيرة للدخول معهم في صراعٍ مسلّح، نتيجة التمرّدات التي دأبوا على تنظيمها. وفي ظلّ اشتداد الأزمة الأرمنية في زيتون نتيجة تدخّل القوى الكبرى التي انْحازت انحيازًا كبيرًا للأرمن، وبإيعاز منها تمّ إطلاقُ سراح المساجين وإعادة العائلات الأرمنية المهجرة من ولاية طونة.
- لقد أدّى هذا التمردُ إلى انفراط عقد الثّقة بين الأرمن والعثمانيين، فالمطالب التي تقدم بها الأرمن– الاستقلالُ الذاتي، وتعيين قائمقام مسيحي– يدلّ دلالةً واضحة على ظهور ما يمكن أن نسميه بمفهوم الوعي الوطني والقومي، كما ساهمتْ في رأينا مساهمةً كبيرة في إلهام الجمعيات الأرمنية الهنشاق والطاشناق التي اقتبست واستلهمت من هذه الثورة الوسائل والأفكار.

(1) **قائمقام:** هو الشخص الذي يقوم مقام الغير في منصبه، مثل قائمقام الصدارة وقائمقام اسطنبول، وهو أعلى منصب إداري في الأقضية. انظر: سهيل سابان، مرجع سابق، ص.170.

(2)*Nejla Günay,″ Ermeni comitelerine ilham veren yer zeytun″,* ***19-20 yüzyıllarda türk- Ermeni ilişkileri- Kaynaşna- Kırgınlık-ayrılık-yeni arayışlar****, Cilt 1, Istanbul, 2015, s. 625.*
(3)Nejla Günay, a.g.m, s. 626.

المطلب الثالث: تأثيرُ الدّعايةِ الأرمنية داخليًّا وخارجيًّا:

الملفِتُ للانتباه أنّ الأحزاب الأرمنية الطانشاق والهينشاق، قد اتّبعت خلال نشاطها أسلوبين: الأسلوب الأوّل هو ثوريّ يتمحور حولَ الأنشطة العسكرية المسلحة. أمّا الأسلوب الثاني يتمثّل في الدعاية. ونحن في هذا المبحث سنقتصرُ- فقط- على الأسلوب الثّاني ، والمتمثّل في الدعاية الأرمنية ، وقبل الخوض في الموضوع كان لزامًا علينا الوقوفُ عند مصطلح الدّعاية، وتعريفه أنّه: "إيحاءٌ أو تأثيرٌ جماعيّ ينشأ من التلاعب بالرموز وبنفسية الأفراد، وتتضمّن الدعاية البراعة في استخدام الرموز والصّور والشعارات التي تؤثر على عواطفنا وعلى اتجاهاتنا، إنها عبارة عن إيصال إحدى وجهاتِ النّظر ،على أن يكون الهدفُ النهائي من هذا هو حملَ المتلقي على القبول طواعية كما لو أنّها وجهة نظره الخاصة "(1).

وفي هذا الإطارِ من المشروع، يجب أنْ نتساءل عن العوامل التي دفعت الأحزابَ الأرمنية إلى تبني هذا الأسلوب؛ أسلوب الدعاية(2) ؟ الذي يجسّد مثالًا في القدرة على المناورة والتحكم في لغة الأرقام والعواطف... إلخ. الحقيقة أنّ افتقارَ القضية الأرمنية لعوامل النّجاح، والتي يمكن أن نحصرها في عدم امتلاكهم الأغلبية السكانية في المناطق التي يسكنونها، فمِن المعلوم- كما سبق وأشرنا إليه في فصلٍ سابق- أنّ الأرمن لم يملكوا أغلبية سكانية في أيّ من الولايات السّتة ما عدا زيتون التي تقع في ولاية مرعش. كما أنّ هذه الأحزاب لم تكن مدعومة من قبل قاعدةٍ شعبيّة وجماهيرية كبيرة، فنخبةُ المجتمع الأرمني استطاعوا بفضل قدراتهم اللّغوية ،وزادهم المعرفي من الاضطلاع بمناصب مهمّة في البلاط، وفرض أنفسهم كعناصرَ لا يمكن الاستغناء عن خدماتهم في مختلف المجالات، فهذه الفئةُ من المجتمع الأرمني كانت تؤيّد النظام العثماني، وهذا إن دلّ على شيء فهو يدلّ على هشاشةِ القاعدة الشعبية للأحزاب الأرمنية، وحتى برامج هذه الأحزاب لم تكن تملك إيديولوجية لتقنع الجماهير بذلك؛ لهذا نجدُ أنّها ركّزت على الدعايةِ لكسب الأرمن في الدّاخل ،ولكسب الرأي العالمي في الخارج(3). الأحزاب الأرمنية مارسَتِ الدّعاية على صعيدين محلي وخارجي.

---

(1) أحمد عبد الوهاب الشرقاوي، **أمريكا والبروباجندا الأرمنية**، ، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، 1438هـ/2017 م ،ص. 23.

(2) وفقًا للقاموس السياسي فـ**البروباجندا** هي كلمة لاتينيّة، أوّلُ مَن استخدمها هو الأب جريجوري الخامس عشر 1622 حيث أسّس ما عرف بالدعاية الجماعية المقدسة ***Sacred Congregational propaganda***، وهي مفوضية– لجنة- صمّمت لنشر العقيدة الكاثوليكية في العالم، ومنذ ذلك أحدثت البروبجندا بمعنى التأثير على الرأي العام. نفسه، ص. 26.

(3) أحمد عبد الوهاب الشرقاوي ، **أمريكا والبروبجوندا**...مرجع سابق ، ص ص. 26-27.

1- على الصّعيدِ الخارجي:

لقد آثرنا هنا التطرّق للصّعيد الخارجي أوّلًا؛ لأنّه- كما سبق وأنْ عرفنا- أنّ معظم الأحزاب التي طالبت بتكوين دولة أرمينيا قد تشكّلت في الخارج، سواء في روسيا أو في أوروبا، لذلك نجد أنّ نشاطها الدعائي في الخارج كان كثيفًا، فالدولُ الأوروبية في مقدّمتها إنجلترا لم تدّخر أيَّ جهدٍ منذ القرن 19 م، في تلقين الأرمن الذين يعيشونَ في الإمبراطورية العثمانية فكرة التخلّص من نيْرِ المسلمين. وعلى كلٍّ ،الأرمن الذين تمّ تحريضهم من طرف الغربِ في هذه المرحلة شرعوا في تطبيق الأسلوبِ الدّعائي من أجل التخلّص من الحكم التركي الإسلامي، لكن تحسنُ الإشارة إلى أنّ الهدف الأساسي للغرب هو استعمالُ الأرمن كأداةٍ لتحقيق أهدافه الاقتصادية والسياسية في الدولة العثمانية(1).ومِن مظاهر الدّعاية الأرمنية في الخارج نذكر:

إصدارُ الصّحف

اجتمعت في كلية مراد رافائيليان في باريس، شخصياتٌ كثيرة من الميختاريين الدارسين في باريس ممّن حضروا الثورةَ الفرنسية، وشهدوا بأعينهم فعالياتها وتطوّراتها وتتلمذوا على يد وأفكار منظريها، ولقد تعاهد هؤلاء الشّباب على تطبيق ما تعلموه وتشبّعوا به على أمّتهم الأرمنية، وبدأوا عملهم بإصدار ثلاث جرائد أرمنية في باريس. كانت الأولى قاصرةً على الأدبِ والموضوعات التّعليمية، أمّا الأخرتان فقد ركزتا جهودهما على مسائل الإنقاذ الأرمنية، وفي أوّل عدد سنة 1855 وجّهت نقدًا لاذعًا لنفوذ الأغنياء، وكذلك لإدارة بطريركية إستانبول الأرمنية(2). وعادَ من باريس إلى إستانبول زمرةٌ من الشباب المثقّف على يد الأدباء الفرنسيين المشاهير، وبفاعلياتهم وتحريضاتهم الثّورية الانقلابية، نالَ الأرمنُ في أرمينيا التركية قانونًا داخليًّا عام 1860، يخوّلهم حقّ إدارة ثقافتهم القومية، وذلك بالبراءةِ الهمايونية التي أصدرها السّلطان عبد المجيد. وتعدّ هذه الحركة لدى المؤرخين الأرمن أولى الحركات الإنقاذية ويقظة سياسية أرمنية مجيدة(3).

---

(1) **المؤيد،** إنجلترا والإسلام، ع 1704، الخميس 24 أكتوبر 1895، ص .1، القاهرة، **المذابح الحميدية (1894-1896)**، المجلد الثاني، القسم الثاني، ص429

(2) أحمد عبد الوهاب الشرقاوي، **أبعاد المشكلة الأرمنية...** مرجع سابق ،ص .38 - 41 .

(3) استارجيان ، مرجع سابق ،ص 134- 135.

وتعدّ جريدة مسحاق *Mushak* أي (العامل) التي بدأ نشرها في تفليس عام 1872، هي أهمّ الصحف التي كانت تبثّ الروح الثورية ،ومؤسّس هذه الجريدة هو " *Grigor Ardzruin* " الذي ولد في موسكو وتعلم في المدارس الأرمنية في تفليس، وأكمل تعليمَه الجامعي في موسكو، ولقد لعب هو والمجموعة التي انضمّت إليه دورًا مهمًّا في إيقاظ الفكر الثوري، إنّ صفحات جريدة مسحاق التي يرأسها أردزروني كانت مليئة بدعايات الثورة والعصيان ،خاصّة في الفترة من عام 1877 حتى عام 1878 أثناء الحرب العثمانية الروسية، استمرت هذه الجريدةُ في كتابة المقالات المؤيّدة لروسيا ،والداعية الأرمن للحرب في صفوف الروس والثورة على الدولة العثمانية، وكان أردزروني يقول في مقاله ما يلي: "لو ضاعت ومحيَتْ تركيا كقوميةٍ من على وجه الأرض، فعلى أرمن تركيا العملُ بكلّ وسيلة لينضمّوا إلى روسيا، ولكن إذا وقعوا تحت نيْر الظّلم والاستبداد ،وأصبحوا معادين للسياسات الروسية؛ فعَلَى الأرمن السّعيُ بكلّ وسيلة كي لا يقعوا تحتَ سيطرة المستعمرين الخائنين الإنجليز، والشيء الوحيد الذي سيكون أمامَ أرمن تركيا السّعي من أجل الاستقلال، وبالنسبة لروسيا فأنْ تكون لها جارةٌ تسمّى أرمينيا المستقلة خيرٌ لها من أن تكون جارةً لعدوّ خائن وأناني مثل إنجلترا"[(1)].

واستمرّ جريجور أدرياني *Kricor Aedrraunei* محرّر صحيفة "العامل" في الهجوم على الدولة العثمانية ودعوة الأرمن صراحةً إلى الثّورة على "الكفّار"، ويعني بهم حكّامهم المسلمين العثمانيين ، كما يدعوهم إلى الاعتماد على روسيا[(2)]. وعلى صفحاتِ نفس الجريدة، والصّحف الأخرى، نجد مقالاتٍ تحمل التوقيع المستعار "رافي"، الذي ارتبط اسمه بأشدّ المقالات حماسة، ويصوّر "رافي" في مقالاته معاناةَ الشّعب الأرمني تحت الحكم العثماني، ويدعوه صراحة إلى تبنّي النموذج البلغاري؛ أي حمل السلاح واستخدام العنف للثّورة ضدّ الحكم

وكان مِن أهمّ الصحف التي بذلت جهودًا بالغة في الدفع نحو الثّورات وتأجيجها جريدةُ *Ardzvi Vaspurgan* أي نسر فاسبورجان ،والفاسبورجان أو البسفرجان كما يرد في كتب الجغرافيين العرب هو أحد الأقاليم التي يسكنها الأرمن ، وأكبرها مؤسّس هذه الجريدة "نسر فاسبورجان" هو القس خريميان ميجريدتش *Migrtitcher Khrimian* ، وهو معروف عند الأرمن باسم خريميان هايريج *Khrimian Hairig* (1820- 1907) ، وقد تأسّست الجريدة أوّلًا في استانبول عام 1858، واستمرّت هناك بشكل "أكثر

---

(1) *Louise Nalbadian, **the Armenian Revolutionary Movement**, Los Angeles, 1963, P. 55.*

(2) *Henry Fanshaw, **Turkish Armenia**, London, 1979, P. 91.*

عنصرية"، كما استخدم "هايريج" على الدّوام عبارات "مُتشائمة" في محاولةٍ لتشجيع الأرمن على الثورة التي هي طريق الخلاص الوحيد في وجهة نظره (1).

وربّما يزيل التعجّب من هذا الزخم الصّحفي الأرمني المعارض، وصمت الدولة العثمانية عنه ما صرح به الكاتب الأرمني برنس داديان *Prince Dadian* أنّ المطابع الأرمنية في الدولة العثمانية لم تكن خاضعة للرقابة- بخلاف مطابع المسلمين-، وكان في استطاعةِ أيّ جمعية أو حزب، أو حتّى شخص عادي أن يفتتح مطبعة أو يصدر صحيفة دون إجراءاتٍ إدارية أو أمنية. ولم تُفرَض قيودٌ على حرية الصحافة الداخلية ، كما لم يتم التصدّي بالمنع للصّحف الأرمنية الآتية من الخارج إلّا بعد أنْ نادى زعماءُ الأرمن بالانفصال عن الدولة العثمانية والمطالبة بالحكم الذّاتي(2).

إذًا، فقد لعبت الصحافةُ دورًا كبيرًا في الدعاية الأرمنية، وبالتحديد الصحافة التي صدرت في الخارج كان لها دور رياديّ في نشر أخبار عدائية عن الدولة العثمانية. فالأرمن الذين كانوا يعيشون في أوروبا، خاصّة الذين درسوا في مدارسها ومعاهدها، قاموا بإصدار كذلك صحفٍ بلغة البلدان التي كانوا يعيشون فيها، فعلى سبيل المثال – بالإضافة إلى ماذكرناه سابقا – أصدر جون بورصلي *Jean Broussali* جريدة هائيسدان *Haissadan* في باريس(3). أمّا في لندن فقد أصدر الأرمن الروس «*Haiasdan*» وكانت هذه الجريدة تنشر مقالاتٍ عدائيةً للدولة العثمانية. وقد استطاع الأرمن إدخالها بالرغم من منْع الحكومة العثمانية دخولَ صحفٍ على شاكلة هذه الصحيفة إلى أراضيها ، إلّا أنّها أدخلت عن طريق السّياح القادمين من باطوم إلى تركيا (4) ، كما أسهم الطلبةُ الأرمن الذين استقروا في باريس في نشر "المظالم المزعومة" التي قام بها الأتراكُ والكرد؛ لذلك أصدر الأرمني فانلي ميغيرديتش *Vanli Mighirditch* المقيم في مرسيليا صحيفة *Les Arméniens* "الأرمن" (5).

مِن خلال هذه الصّحف، وباستعمال صورة الأرمن المسيحيّين المظلومين، حاولوا لفتَ أنظار الشعوب الأوروبية المسيحية، وهذه الدعايةُ كانت تتمحور كلّها حول موضوع تعرّض الأرمن للأذى ولاعتداءات متعددة من

(1) *Nalbandian, Op. cit, P. 54*.

(2) *Kamuran Gurum, **the Armenian**, File, London, 1985, P. 97*.

(3) ***BOA. HR, SYS. 2781-1/12.1.3, Osmanli Belgelerinde Ermeni Fransiz, ilişkileri**, Başbakanlık Basımevi, Ankara, 2002, ss. 189-190.*

(4) ***BOA. HR, SYS. 1939/61, Osmanli Belgelerinde, Ermeni Engliz ....**, a.g.e, s. 189-190.*

(5) ***BOA. HR, SYS. 27.49/110**, a .g.e, s. 122- 124.*

طرف الأتراك والدولة العثمانية، لا لشيء سوى لأنّهم مسيحيّون فقط، وقد ركّزوا على الدعاية الدينية لاستقطاب تعاطفِ المسيحيّين الأوروبيّين، كونهم أوّل شعبٍ اعتنق المسيحية، واليوم هؤلاء الأرمن المسيحيّون يتعرضون للظلم والاعتداء في أراضي الدّولة العثمانية. فبسبب معتقدِهم يلقى عليهم القبضُ، ويزجّ بهم في السجون ،لكنّهم يخفون الحقيقةَ المتمثّلة في الأعمال التي يقومون بها ضدّ الدولة العثمانية(1).

إرسالُ عرائض إلى رجال الدّولة الأوروبيّين: استغلّ بعضُ الأرمن الذين يعيشون في أوروبا فرصة اهتمام الدّول الأوروبية بمسألتهم، فأرسوا لرجال الدّولة عرائضَ يرصدون لهم فيها أوضاعهم، وقد أدّى بهم هذا إلى تكوين صلاتٍ مباشرة بالحكومات الأوروبية، وفي هذا السّياق قام أرمني يدعى أغوبيان *agopyan* بتأسيس جمعية محبي الوطن *Vatanserver Komitesi* ، وكان هذا الأخيرُ يكتب مقالاتٍ في عدّة جرائد، ثمّ قام رفقة سكرتيره سيفاسلي Sivasly بإرسال لائحةٍ إلى رئيس الحكومة الإنجليزية *Lord Salisbery*، من أجل لفت أنظاره إلى الأوضاعِ التي كان يعيشها الأرمنُ في الدّولة العثمانية(2)، كما أنّه ألحق باللائحة قائمةً تظهر أسماء العديد من الأرمنِ الذين ألقي القبض عليهم، وعوملوا معاملةً غير قانونية- حسبه- وقد تمّ نشر هذه اللائحة من طرف جريدة تايمز *Times* الإنجليزية(3).

دخلت القضيةُ الأرمنية أروقةَ البرلمانات الأوروبية من الباب الواسع بعد مؤتمر برلين ، ففي سنة 1888 م حيث وجه سؤال من طرف البرلمانيّين لمستشار وزير الخارجية الإنجليزي حول الأوضاع التي ادّعى أنّ الأرمن يتعرضون لها في منطقة الأناضول(4)، كما أشارت المعلوماتُ المستقاة من الأرشيف العثماني أنّ حزب المعارضة في البرلمان الإنجليزي ،بحث التّقاريرَ التي أرسلها القنصلُ الإنجليزي بخصوص ولايات الأناضول(5) .

تنظيمُ المحاضراتِ والاجتماعات: لقد كان معظمُ الأرمن المقيمين في الدول الغربية من الطلبة ورجال الأعمال، عملوا هناك على تعريفِ الرأي العام الأوروبي بالقضية الأرمنية، فنظموا لقاءات واجتماعات ومحاضرات، في قاعات كبيرة، وفي المدارس والكنائس؛ حيث قام الأرمني بوغوس نوبار *Bogos Nubar* بإلقاء محاضرة في باريس بمعيّة الكاتب الفرنسي المشهور فيكتور بورار *Victor Borar* محورُها يدور- طبعًا- حول القضية الأرمنية.

(1) ***BOA. HR, SYS. 2802-4, 27 49/25 , Osmanlı belgerinde Ermeni-Fransiz .....,*** *a.g.e, s. 94 -116.*

(2) ***BOA. Y.A. HUS , 212/62 , Omanlı belgelerinde Ermeni Engliz...,*** *a.g.e, s. 107.*

(3) ***BOA. HR, SYS. 2822/32 , Ermeni Engiliz****....,a.g.e, s. 108.*

(4) ***BOA. HR, SYS. 2822/37,*** *a.g.e, s. 125-127.*

(5) ***BOA. Y. PRK. ESA. 11/66,*** *a.g.e, s. 223-225.*

فأشادَ بها بالأرمن الذين يعتبرون- حسبه- من العناصر المتفوّقة والمتقدمة في المنطقة، فقد كانوا ومازالوا يمسكون بزمامِ التّجارة الشرقية منذ القديم، وأنّهم لا يرومون الاستقلالَ عن الدولة العثمانية، وإنما كلّ مقصدهم هو الاستقلالُ الذاتي وتحقيق الإصلاحات(1).

فضلًا عمّا ذكرناه، فإنّهم قاموا بعقد اجتماعاتٍ بشأن آخر التّطورات التي كانت تشهدها القضية الأرمنية، فعقد أحد المنتسبين إلى اللّجان الأرمنية ميغيرديتش كابيان شوملة *Mighirdiktch Kabyan choumla* اجتماعًا في مدرسة أرمنية في العاصمة الفرنسية باريس حول المسألة الأرمنية(2).

ولعلّه من المفيد الإشارة إلى أنّ الأرمن، لم يفوتوا حتّى فرصة القيام بطقوس جنازة لأرمني متوفي في كنيسة سانت كلوتيلد *Sainte Clotilde* في فرنسا، والتي شارك فيها 150 شخصًا. وفي غضون مراسم التشييع قام القسّ بدعوة الفرنسيين لمساعدةِ الأرمن ، مذكرًا إيّاهم أنهم كانوا رفاقهم في السلاح خلال الحروب الصليبية(3).

2- على الصّعيد الداخلي:

لقد عرفْنا في الفصل السّابق أنّ العلاقاتِ بين الأرمن والأتراك كانت جيدةً إلى درجة أن الأرمنَ لقّبوا من طرف العثمانيين "بالملّة المخلصة"، نظرًا للمكانة التي تبوأتها- الملّة الأرمنية- في المناحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، حيث عرفنا أنّهم قد تواجدوا في مناصب حكومية مختلفة، وبشكلٍ كبير في السّلك الدبلوماسي، نظرًا لمهارتهم في الترجمة وإتقانهم اللغات، وقد نال بعضهم درجةَ الوزارة(4).

وفي الوقتِ الذي بدأت فيه رياحُ القومية، تعصف بالدّولة العثمانية كان الأرمن لا يزالون على عهدهم بالدّولة العثمانية، فإلى غاية سنوات 1890 لم تكن هناك مشاكل بين الأرمن والأتراك، لكن ظهرت مجموعة من "المتآمرين"، وبدعمٍ غربي قامت بالدعاية ضدّ الدولة العثمانية ،الأمرُ الذي أدّى إلى تعكير صفو العلاقات بينهما، ولو أنّهم تركوهم على وضعهم القديم لكانوا ربّما واصلوا العيش في هدوء، فالجمعيات والأحزاب الأرمنية قد لعبت

(1) **BOA. HR, SYS.** ***100.118-2817, Osmanli Belgelerinde, Ermeni- Fransiz****,a.g. e s. 195-197.*

(2) ***BOA. HR, SYS. 13/2749,*** *a.g.e, s. 58 - 61.*

(3) ***BOA. HR, SYS. 27 47/57*****,** ***Osmanli Belgelerinde, Ermeni- Fransiz****, s. 73.*

(4) أحمد الشرقاوي، **أمريكا والبروبجوندا**...المرجع السابق، ص. 15.

دورًا كبيرًا في إيقاظ الشّعور القومي عن طريق الدعاية، حيث كان للأدب الأرمني والصحافة من جرائد ومجلات دورٌ كبير في تقوية الشعور القومي، والنزعة الانفصالية لدى الأرمن.

المبحثُ الرّابع: تأثير الدّولِ الكبرى في ميلادِ المسألة الأرمنية

المطلبُ الأوّل: التأثير السياسي الفرنسي في ظهور القضية الأرمنية.

المطلبُ الثّاني: التأثير الإنجليزيّ في ظهور المسألةالأرمنية.

المطلبُ الثّالث: التأثير الرّوسي في ميلادِ المسألة الأرمنية.

المطلبُ الأوّل: التأثير السياسي الفرنسي في ظهور المسألةِ الأرمنية:

إنّ اهتمام فرنسا بالأرمن ليس نابعًا من شعورها بالتعاطف الديني معهم، باعتبارهم مسيحيّين كما يتبادر إلى أذهانِ البعض، بقدْر ما كان يستند بالدّرجةِ الأولى إلى مصالحها. فقد رأت هذه الأخيرةُ أنّ تغلغلها في الدولة العثمانية لن يتمّ إلّا بالاعتماد على سندٍ بشري، وهذا السندُ يجب أن يكون مسيحيًّا بطبيعة الحال. ففي بلاد الشّام كان تغلغلها عن طريق حمايتها للموارنة، أمّا في الأناضول لم تجدْ هي وإنجلترا وروسيا أفضل من الأرمن، والسّؤال الذي يطرح نفسَه هنا: ما الدّورُ الذي لعبته فرنسا في ظهور المسألة الأرمنية؟

1- فعالياتُ الدّبلوماسية الفرنسية في الدولة العثمانية:

نقصدُ بالدبلوماسية الفرنسية في الدّولة العثمانية السّلكَ الدبلوماسي الناشط في أراضي الدولة العثمانية، والمتمثّل في السّفارة الفرنسية في اسطنبول، وقنصلياتها الموجودة في عدّةِ أماكن من الدولة العثمانية، لكن نحن في هذا المبحث تهمّنا القنصليات الموجودة في شرق الأناضول، حيث توجد كثافة سكانية أرمنية معتبرة نوعا ما.

التدخّلُ في الشّئون الداخلية للدولة العثمانية:

توجد عدّةُ وثائق مهمّة تدور حول تدخّل السفارات والقناصل في الشّئون الداخلية للإمبراطورية العثمانية، فمثلًا إثر الأحداثِ التي وقعت في ديار بكر سنة 1896، وهي تكرارٌ للاضطرابات التي وقعت في السنة التي سبقتها، كان قناصلُ الدول الأجنبية في تلك المنطقة- ديار بكر-، قد قدّموا تحذيرات وتنبيهات متكررة للسلطات العثمانية تدعوها فيها لاتّخاذ التدابير اللازمة للحيلولة دون انتشارِ الفوضى، إلى بقية المناطق التي يسكنها الأرمن في شرق الأناضول. وفي ذات السّياق ،نجد أنّ السفارة الفرنسية قد اعتبرت والي المنطقة أنيس باشا سببًا في ظهور هذه الاضطرابات؛ فطالبت بعزله من منْصبه[1]. ويعتبر هذا المثالُ واحدًا من ملامح التدخل الفرنسي في الشّئون الدّاخلية للدولة العثمانية من خلال سفارتها في اسطنبول، وسياستها الخارجية التي اتخذت من الأرمن أداة لفرض طلباتها على الباب العالي.

لم يقتصرِ الأمرُ عند هذا الحدّ، بل اتّسع نطاق تدخلها ليشمل مجالاتٍ أرحب كما تشي به الوثائق محلّ الدّراسة والتمحيص، وفي هذا الإطار نسوق مثالًا على ذلك، حينما حكمتِ المحكمة الجزائية بأضنة بإعدام سبعة

(1) ***BOA. AMHM. 673/30, Osmanli Belgelerinde*, *Ermeni- Fransiz ilişkeleri (1879-1918)***, *Cil 1, Başbakanık Basımevi, Ankara 2002, s. 61-63.*

من الأرمن بسبب إخلالهم بالأمن الدّاخلي وانتمائهم لحزب الهنتشاق *Hinçak*، لكن نتيجة لتدخل السفير الفرنسي تمّ تحويلُ قضيّتهم إلى محكمة التّمييز حيث استأنف الحكم في هذه المحكمة(1). كذلك هذه الوثائق تجعلنا نقفُ على عدّةِ حقائق، مِن بينها قيامُ القنصل الفرنسي بحماية المتمرّدين الأرمن، ووصل الأمرُ لحدّ تدخل وزير الخارجية الفرنسي شخصيًّا في قضية الأرمني المدعو فارتاكس *Varteks* رئيس لجنة فان، والذي حُكم عليه بالإعدام للمرّة الثانية، فقامت فرنسا ممثّلةً في وزير خارجيتها بمساعٍ رسميةٍ في سبيل تخفيف الحكم(2).

وفي وقائعَ أخرى وجدنا الدبلوماسيةَ الفرنسية تتدخّل مجدّدًا، كما حدث مع الأخوين الأرمنيين عيسى وكرابي *Karabi* المنتميين لجمعية الهنشاق *Hinçak*، والتي تصفها الوثائق العثمانية بجمعية الفساد، فقد تمّ إلقاءُ القبضِ عليهما نتيجة قيامهم بإزعاج الأهالي الأرمن. والذي شدّ انتباهنا في هذا الصّدد قيامُ القنصل الإنجليزي في أنطاكية(3) وهو السيد سافوفيك *Safovik*، وقنصل فرنسا السابق لنفس المنطقة وهو السيد بوتون *Potun* بالبحث عنهما خفية، ووضعهما تحت حمايتهما ،بغرضِ إبعادهما عن المنطقة بعد أنْ ضمنا لهما الركوب في باخرة من أنطاكيا نحو اسكندرون(4). والأمرُ لم يتوقّف هنا؛ فقد كان السفير الفرنسي يقوم يتدخّل في الشّئون الدّاخلية للدولة العثمانية، من خلال مطالبتها بالقيام بإصلاحات لصالح الأرمن مستندًا في ذلك إلى بنود معاهدة برلين 1878م(5).

مِن خلال هذه الوثائق نستخلص عدّةَ نتائج، أهمّها: أنّ المستفيد الأوّل من هذه التدخلات هُم الأرمن بطبيعة الحال، وخاصّة المتمرّدين منهم، فتدخل القناصل من أجل الحيلولة دون إنزال أقصى العقوبات بهم كان لا يضعُ حدًّا للاضطرابات التي شهدتها المنطقة، فلا يتمّ القضاءُ على تمرد إلّا ويظهر تمردٌ آخر، بالإضافة إلى هذا لم يكنِ الأرمنُ إلّا وسيلة فقط تتذرّع بها فرنسا للتدخل في الشّئون الداخلية للدولة العثمانية.

---

(1) ***BOA. A.MKT. MHM. 617/9****, a.g.e, s. 85-87.*

(2) ***BOA. A.MKT. MHM. 673/13****, a .g.e, s. 154-155.*

(3) **أنطاكية:** تقع في الجهة الغربية لحلب، على مسافة 20 ساعة، فنهر العاصي يجري داخلها، وأنطاكية مركز انتشار بين النصارى، ومكان مولد حنا، لوقا أصحاب الأناجيل المشهورة، وفيها ضريح شمعون. أنظر: أحمد الشرقاوي وآخرون، مرجع سابق، ص ص. 296–296.

(4) ***BOA. Y.PRK.ASK. 133/9****, a.g.e, s. 120-121.*

(5) ***BOA. Y.PRK.HR. 28/4****, a.g.e, s. 131.*

هذا بالنّسبة لدور الدّبلوماسية الفرنسية في الأراضي العثمانية، أمّا إذا رجعنا للدبلوماسية الفرنسية في فرنسا نفسها، فالذي يمكن أن نستشفّه من خلال دور وزير خارجيتها *freyeiht* الذي قبل في سنة 1885م لقاء هيئة أرمنية مشكّلة من أربعة أرمن: من بينهم تاجران يلقبان أكنيان *Eknayan* وآخر يدعى اسكندر *Iskender*، أمّا رابعهم فكان راهبًا أرمنيًّا كاثوليكيًّا يدرس الطب في باريس، ويُعرَف بتيموثي تينغيرا أوغلو *Timothée tinghiraoglu* ، وقد قام هؤلاء الأرمن بمراجعة وزير الخارجية الفرنسي بهدف تحقيق تدخل فرنسا بخصوص المادة 61 الواردة في مؤتمر برلين(1). كما قام نفس الوزير سنة 1888 بقبول عريضة قدمت إليه من طرف هيئة أرمنية(2).

ولما بدأت حربُ الأرقام المتعلّقة بعددِ الأرمن في الدولة العثمانية، نجد وزير فرنسا وهو السيد *Hanotaux* يدلي بدلْوِه هو الآخر في هذا الموضوع، ففي التّصريح الذي أدْلى به سنة 1896- والذي قبل من طرفِ الصحف الفرنسية- أنّ عددَ الأرمن في الإمبراطورية العثمانية هو في حدود ثلاثة ملايين أرمنيّ ،أو أقلّ قليلًا ،يعني ما بين 2 و3 ملايين أرمني(3).

بسبب هذا الاهتمام الذي أبدتْه فرنسا بالأرمن، والذي كان في الظّاهر لصالح الأرمن باعتبارهم مسيحيّين، أمّا في الواقع لم يكنْ هذا إلّا خدمة لسياستها المتبعة في الشرق. فخلال بحثنا في هذه الوثائق استوقفتنا وثيقةٌ تتضمّن مطالبة الأرمن الحماية من فرنسا باعتبارها حامية للمسيحيين في الشرق منذ زمن بعيد، وهذه الحماية التي طالبوا بها كانت باسم المسيحية. فبالرغم من كوْن الحكومة الفرنسية علمانية، إلّا أنها كانت تستعمل ورقةَ الدين في الدولة العثمانية، فقام قناصلتها بتقديم المساعدة للأرمن كذلك باسم الدين(4).

2- العلاقاتُ الفرنسية الأرمنية:

هجرةُ الأرمن إلى فرنسا:

مِن العوامل التي دفعت الأرمنَ إلى الهجرة لفرنسا، نجد عامليْن رئيسيين :أوّلهما عامل الإرساليات التّبشيرية، أمّا العاملُ الثاني فتمثّل في الاضطرابات التي بدأت تشهدها المناطق المأهولة بالأرمن. فمن خلال

(1) ***BOA. HR, SYS. 2748/3, 4,*** *a.g.e., s. 7-11.*
(2) ***BOA. HR, SYS. 27 48/6****, a.g.e, s. 12-13.*
(3) ***BOA. Y.PRK. BSK. 48/60,*** *a.g.e, s. 74.*
(4) ***BOA. Y. PRK. AZJ. 28/23,*** *a.g.e, s. 26-27.*

استقرائنا للوثائق وجدنا أنّ الكثيرَ من المتمرّدين الأرمن استعملوا السفنَ الفرنسية خلال عملية هروبهم نحو الخارج. كما حدثَ مع الأرمن الذين قاموا بمهاجمة البنك العثماني سنة 1895م، حيث تمّ تهريبهم إلى مرسيليا على متن سفينةٍ فرنسية[1]. كذلك لاحظْنا من خلال الوثائق وجودَ أرمنيّ حُكم عليه بالإعدام من طرف محكمة أنقرة، هذا الأخيرُ توجّه إلى لندن، ومن لندن إلى باريس، والملفِتُ للانتباه أنّ هذا الأرمني قام بنشر عدة مقالات في جريدة « *Le Temps* » الفرنسية بخصوص القضية الأرمنية، وذلك برفقة قسّ بروتستانتي، ولا نعلم إن كان أرمنيًّا أو لا، فالوثيقة سكتت عن ذكر ذلك [2].

منحُ الجنسيّةِ الفرنسية للأرمن:

يلاحَظ في الوثائق محلّ الدّراسة أنّ بعضَ الأرمن الذين زاولوا أنشطةً سياسية داخل حدود الدولة العثمانية، قد هاجروا إلى فرنسا بطرقٍ غير شرعية، وهناك طلبوا من الإدارة الفرنسية منحهم جنسيتها، ففي وثيقة مؤرّخة بـ 1888م نجد معلوماتٍ حول تجنيس الأرمني المدعو جون بروصلي بالجنسية الفرنسية، وهذه الوثيقة على قدرٍ كبير من الأهمية لأنّها تظهر موقف السلطة الفرنسية من طلب التجنيس، فتلغراف أسد باشا الدبلوماسي العثماني- في تلك المرحلة في باريس- يبيّن موقف فرنسا المزدوج، حيث عبّر هذا الأخير عن دهشته من إقدام فرنسا على مثلِ هذه الخطوة؛ لأنّه كان من عادة الحكومة الفرنسية أن تضعَ عراقيل أمام هذا النوع من الطلبات للرّعايا العثمانيين، ومن تلك العراقيل ضرورةُ إبراز الإذن المأخوذ من السّلطات العثمانية ، وذلك حسب القانون التّأسيسي للجنسية لسنة 1863.[3]

أنشطةُ الأرمن في فرنسا:

قام الأرمن المتواجدون في فرنسا بعدة أنشطة بأنشطة ضدّ الدولة العثمانية، حيث يتبيّن لنا من خلال مراسلات سعيد باشا ناظر الشّئون الخارجية، أنّه طلب تقارير من السفارة العثمانية في باريس بخصوص الأرمن الذين دخلوا إلى فرنسا والأنشطة التي قاموا بها هناك، حيث طلب سعيد باشا من السفير العثماني بباريس أن يوافيه بقائمة تحتوي على أسماء أعضاء اللجان الدّاخلية الأرمنية، وهذا ما دفع بالسفير العثماني إلى أن يطلب من رئيس القناصلة في مرسيليا أن يعد له قائمة بهذا الخصوص، وهذا الأخيرُ طلب من والي مرسيليا *Bouches de*

(1) *Fikrettin yavuz, a.g.e, s. 130.*
(2) ***BOA. HR, SYS. 27 48/59**, a.g.e, s. 33 -34.*
(3) ***BOA. HR, SYS. 2781-1/12,** a.g.e, s. 14-15.*

Rhone أن يعطيه أسماء التبعة العثمانية المسيحيّين المسجلين في مصلحةِ البلدية، لكن كان جوابُ الوالي أنّه لا يوجد لجان أرمنية في باريس. ويتبين لنا من خلال ما سبق رفضُ السّلطات الفرنسية التعاون مع الدولة العثمانية في الشأن الأرمني[1].

انتهجَ الأرمنُ في فرنسا عدّة طرقٍ من أجل لفْتِ أنظار المسئولين الفرنسيّين، والرأي العام الفرنسي للقضية الأرمنية، ومن أهمّ هذه الأنشطة التي قاموا بها عقدُ اجتماعات وتنظيم ندوات، ففي وثائق الأرشيف العثماني نجد عدّةَ مراسلات بخصوص الاجتماعات التي نظّمها الأرمن في فرنسا، ومن الأمثلة على ذلك الاجتماع الذي عقده أحدُ أعضاء اللجان الأرمنية مغرديتش كابايان شوملا *Mighirditvh Kabayan Choumla* سنة 1896 في مدرسة أرمنية في فرنسا[2]. كما نجد أنّ الأرمن عقدوا اجتماعًا بباريس في 30 سبتمبر 1909 حضره 250 شخصًا، بهدف الاحتجاج على تحيّز الحكومة العثمانية بخصوص مسألة أضنة، وتناول جدول الأعمال ما يلي:

- الاحتجاجات على تحيز الحكومة العثمانية في التدابير القمعية المتخذة تجاه الأرمن.
- عرض شكاويهم بخصوص مذابح أضنة[3].

كما تمدّنا وثائقُ الأرشيفِ العثماني بمعلوماتٍ حول قيام مجموعةٍ من الأرمن مشكّلة من 17 شخصًا، يزاولون مهنًا متعدّدة، فمنهم التجار والموظّفون ورجال دين، بإنشاء جمعيةٍ تهدف لمساعدة اللاجئين في مرسيليا، وما لفت انتباهَنا أنّه يوجد بين الأعضاء الفرنسي جيرارد كورنيون *Girard Cornillon*، وهو رئيس المحكمة التجارية لمرسيليا، وحسب مراسلاتِ نظارة الخارجية والسفارة العثمانية في باريس، فإنّ هذه الجمعية لا تحمل أي صبغة سياسية ،وكلّ ما كانت تقوم به هو جمعُ التّبرعات لمساعدة الفقراء والمساكين الأرمن[4].

نتيجةً للجهود التي قام بها الأرمنُ في فرنسا، نجد أنّ بعض الشرائح الفرنسية- خاصّة السياسية- قد تفاعلتْ مع القضية الأرمنية، ويتجلّى ذلك من خلال الاجتماع الذي نظمته جمعيةُ محبي الوطن الأرمنية في شهر ديسمبر 1885م، وقد حضر الاجتماعَ مجموعةٌ من الفرنسيين خاصّة من التيار الاشتراكي ،مثل النائب الاشتراكي أرنيست روش *Ernest Roch*، وأدلى الأرمنُ خلال هذا الاجتماع بتصريحات عدائية لدولة

(1) ***BOA. HR, SYS. 2788/16*** *, a.g.e, s. 30-33.*
(2) ***BOA. HR, SYS. 2749/13*** *, a.g.e, s. 57-60.*
(3) ***BOA. HR, SYS. 2750/76*** *, a.g.e, s. 182-183.*
(4) ***BOA. HR, SYS. 2786-1/242,244,249,250,*** *a.g.e, s. 72-73.*

العثمانية، هذا ما دفعَ بالسّفير العثماني بباريس عند لقائه وزير الخارجية الفرنسي إلى مطالبته بتطبيق القانون المتعلق بالحركات ضدّ الحكومات الأجنبية[1]. ولعلّه من المفيد القول- بعد كلّ ما عرضناه من وثائق ووقائع- أنّ فرنسا كانت من الدول الأوروبية التي احتمى بها الأرمن؛ حيث وجدوا فيها خيرَ سندٍ لهم من خلال الغطاء القانوني والسياسي الذي وفّرته لهم.

دورُ رجالِ الدين الفرنسيّين في الدولةِ العثمانية:

إنّ الكنيسة الفرنسيةَ المتواجدة في الدّولة العثمانية أخذت على عاتقها مهمةَ حماية مسيحيي الشرق، وهي سياسةٌ نمطيّة اشتهرتْ بها فرنسا منذُ تاريخ حصولها على امتيازات في الدولة العثمانية، حيث نجدها في الشّرقِ تنتهج سياسةً قائمة على الدين، وتنبري كلَّ مرّة للدّفاع عن الأرمن، وإن كان هذا الدفاع ليس نابعًا من حبّها للأرمن، وإنّما رأت في الأرمن مجرّد أداةٍ طيّعة تستعملها للتدخّل في الدولة العثمانية. أمّا توجهها الحقيقي يمكن استخلاصُه من خلال سياستها المنتهجة في بلادها ،والمرتكزة على العلمانية بالدرجة الأولى[2].

لقد كان لرجال الدين الفرنسيّين- الكاثوليك- أنشطةٌ تحريضية في الدولة العثمانية، وانساق بعض الأرمن لتنفيذِ مخطّطاتهم، وهذا ما تبيّنه مراسلاتُ نظارة الخارجية مع السفارة العثمانية في باريس ،على خلفية إلقاء القبض على المترجم الأرمني أرتين كويلويان *Artin Koyluan* الذي كان يعمل لدى كبير رهبان جماعة الجزويت *Andere*، حيث تمّ إلقاءُ القبض عليه عندما كان يعبر ساسون *Sasun*، وعثر بحوزته على ثلاثِ رسائل تحتوي على عباراتٍ تحضيرية ضدّ الدولة العثمانية ضمن أوراقه[3].

المسألةُ الأرمنيّة في الصّحفِ الفرنسية:

حاولَ الأرمنُ الذين تواجدوا بكثرة في فرنسا، خصوصًا في باريس ومرسيليا، نقلَ قضيتهم من النطاق المحلّي إلى النطاق العالمي، عن طريق التّأثير في الرأي العام الفرنسي بشتى الطّرق سواء عن طريق الدين أو الصحف؛ حيث نجدُ أنّهم عملوا على نشر أخبارٍ كاذبة حول طبيعة الأحداث التي كانت تقع في الأناضول من أجل كسب تأييد الرّأي العام العالمي إلى جانبهم. والصحافة الفرنسية لم تلتزم الحيادَ؛ بل عكفت على إصدار جزءٍ

(1) ***BOA. HR, SYS. 2749/7.Y.PRK.ESA.21/1****, a.g .e, s. 53-54.*
(2) ***BOA. Y. PRK. AZJ. 28/23****, a.g.e, s. 26-27.*
(3) ***BOA. HR, SYS. 2748/48****, a.g.e, s. 27-29.*

لا يُستهان به من الأخبار الكاذبة، وهذه الأخبارُ الكاذبة كان مصدرُها إمّا الأرمن الذين اضطلعوا بوظيفةِ الترجمة في القنصليات الفرنسية، فزوّدوا القناصلَ بأخبارٍ كاذبة. أو أنّ الصحافة الفرنسية كانت تستقي أخبارَها من شركات التلغراف الإنجليزية، ومن فيينا[1].

وفي هذا الإطار، نوردُ مثالًا عنِ الأخبار الكاذبة التي كانت تصدرُ في الصحف الفرنسية، ففي تلغراف أرسلَه السّفيرُ العثماني في فرنسا أسعد باشا إلى ناظر الشّئون الخارجية سعيد باشا في 11 أكتوبر 1890، يخبره فيه عن قيام جريدة «*Le Matin*» الفرنسية بنشر معلوماتٍ حول مقتل عددٍ من العسكر، ووالي منطقة زيتون في تمرّد زيتون، وهذا الخبرُ استند إلى تلغرافٍ أُرسل من اسطنبول. وفي تلغرافٍ آخر أرسله ناظر الشّئون الخارجية إلى أسعد باشا يعلمه فيه بأنّ الأخبار التي نُشرَت في الجريدة المذكورة عاريةٌ عن الصحة، وأنّ عدد القتلى في هذه الأحداث لا يتجاوز نفرًا واحدًا من الجندرمة، والبحث جارٍ عن القتلة، والسلطات هناك تعمل على قدم وساق من أجل استتباب الأمن والهدوء[2].

يمكن القول في الأخير، إنّ فرنسا قد لعبت دورًا مهمًّا في ظهور المسألة الأرمنية، من خلال الفعاليات السّياسية الأرمنية، سواء في الدّولة العثمانية أو في فرنسا، أو من خلال تدخّلها في الشّئون الداخلية العثمانية ومطالبتها بإدخال إصلاحات في المناطق التي يسكن فيها الأرمن.

المطلبُ الثّاني: التأثير الإنجليزي في ظهورِ المسألة الأرمنية:

انتهجتِ إنجلترا نفسَ سياسية فرنسا وروسيا لإيجاد موطئ قدم لها في الدولة العثمانية، وكانت الوسيلة التي استخدمتها هذه الدولُ هي اتّخاذَ الطّوائف التي تقوم بحمايتها أداة فعالة للتدخل في الشأن الداخلي لدولة العثمانية، والتّغلغل فيها بسهولةٍ ويُسر. هذه الأقليات سوف تقومُ بتمرير مخططاتهم وسياستهم، وكان الأرمن أحدَ أكثر الطّوائف التي استعملت من طرف هذه الدول لحقبة زمنية طويلة.

إنّ الحيّزَ الجغرافي الذي يشغله الأرمنُ، والمعروف بالولايات السّت، يحتلّ موقعًا جيوستراتيجيًّا، ففي حال تمكّن إنجلترا من بسط نفوذِها على هذه المنطقة فإنّ هذا سيتيح لها إمكانية حماية الطريق المؤدي إلى مستعمراتها في الشّرق. وفي حال تمكّن روسيا من بسْط نفوذها على نفس المنطقة فإنّها سوف تتمكّن من الوصول إلى المياه

(1) ***BOA. Y. PRK, AZJ 22/ 23,*** *a.g.e, s. 25-26.*
(2) ***BOA. HR, SYS. 2748/12****, a.g.e, s. 17-18.*

الدّافئة، لذلك كان الصّراعُ محتدمًا بين هذه القوى الثّلاثة من أجل السيطرة على شرق الأناضول، والتي يمثل فيها الأرمن أقليّةً مسيحية معتبرة ذات وزنٍ اقتصادي واجتماعي لا يُستهان به، خاصة وأنهم قد تمكّنوا من تقسيمهم إلى ثلاثة مذاهب مسيحية: كاثوليكية وأرثوذكسية وبروتستانتية.

والإشكاليةُ التي بنيْنا عليها هذا الجزء: ما الدّورُ الذي لعبته إنجلترا في ظهور المسألة الأرمنية؟ وللإجابة على هذا التّساؤل يجب الوقوفُ على محطّات مهمّة، أبرزها دورُ السّفارة الإنجليزية في حماية الأرمن بصفة عامة، والأرمن البروتستانت بصفة خاصّة، والدّور الذي لعبته الصحافة الإنجليزية والأرمنية في إنجلترا بشأن القضية الأرمنية، فضلًا عن فعاليات الأرمن وجمعياتهم المتواجدة في إنجلترا.

1- العلاقاتُ الأرمنية الإنجليزية:

دور السّفارةُ الإنجليزية في حماية الأرمن البروتستانت:

لقد أصبح الأرمنُ مطيّةً في يدِ الإنجليز للتدخل في الشّئون الداخلية للدولة العثمانية، حيث كانت السفارة الإنجليزية المتواجدة في اسطنبول تتدخّل لصالح الأرمن البروتستانت بحجّة انتمائهم لنفس الفضاء الديني، فنجدها تارةً تتدخّل لدى الباب العالي بعد تعرّض الأرمن البروتستانت لمضايقات أثناء مراسم تشييع جنازة أحد الأرمن البروتستانت، والذي تمّ رفضُ دفنه في مقابر الأرمن، وهذا ما دفع بسفراء كلٍّ من إنجلترا والدانمارك والسويد والنّرويج للتدخّل لدى الباب العالي، فأرسلوا تقريرًا بخصوص هذا الموضوع(1). والملفت للانتباه أن المضايقات التي كان يتعرّض لها الأرمن البروتستانت كانت تتواترُ إلى السفارة الإنجليزية، والتي كان يرسلها رئيسُ الملة البروتستانتية(2) فتقوم إنجلترا بذلك بالضّغط على الباب العالي.

ولم تدّخرِ السّفارةُ الإنجليزية جهدًا من أجل مطالبة الدولة العثمانية ،بالاعتراف للجماعة التي تقوم بحمايتها بنفس الامتيازات التي تتمتّع بها بقية الطوائف المسيحية الأخرى(3)، هذا ما لاحظناه من خلال الطلب الذي أرسلتْه السفارةُ الإنجليزية لنظارة الخارجية العثمانية ،من أجل إعطاء البروتستانت إذنًا بإعداد نظام نامة خاصّ بطائفتهم، ولكنْ بالرغم من الطّلبات المتكررة لم يجدِ استجابة، وبقي أفرادُ هذه الطائفة محرومين من

(1) ***BOA. HR, SYS. 1774/16, Osmanli Belgelerinde*, *Ermeni − Engliz ilişkileri (1845-1890)***, *Cil 1, Başbakanlık basimevi, Ankara, 2004, ss. 10-12.*

(2) ***BOA. HR, SYS. 1774/19****, a.g.e, ss. 12-14.*

(3) ***BOA. HR, SYS. 1774/22****, a.g.e, ss. 16-17.*

الامتيازات الممنوحة لباقي الطوائف، فمثلًا لم يكن من بين أعضاء المجالس المحلية القروية أعضاء بروتستانت، فتقدموا بعدة عرائضَ للحكومة العثمانية بخصوص ذلك لكنْ لم تجد لها آذانًا صاغية[1]، بالرغم من ذلك لم تستلم السفارة الإنجليزية، ولم تنتظر حتّى تعطيها الدولةُ العثمانية الإذن، بل أخذت بزمام المبادرة، وأعدت نظام نامة خاصًّا بالجماعة البروتستنتانية ، يحتوي جميع احتياجات و طلبات البروتستانت، ويضمّ 12 جزءًا وملحقًا[2].

إنّ اهتمام إنجلترا بالأرمن بدأ يبرز بشكل جديّ، بعد الحرب الروسية العثمانية (1877-1878م)، عندما تمكّنت روسيا من احتلال شرق الأناضول، مما أثار مخاوفَ إنجلترا التي رأت أنّه في حال تمكّن روسيا من الوصول إلى المياه الدافئة؛ فإنّ هذا سيشكّل تهديدًا كبيرًا على مصالحتها. فهذه الظرفيةُ السياسية حتّمت عليها انتهاج أسلوبيْن لتقطع الطّريق في وجه الروس، الأسلوبُ الأوّل يتمثل في القيام بضغوطات دبلوماسية مكثفة من أجل تطبيق برنامج إصلاحٍ واسعِ النّطاق لصالح الأرمن، فحسب الوثائق قيْد الدراسة والتمحيص، صادفنا عدّةَ وثائق تتحدّث عن قيام السّفارة الإنجليزية في اسطنبول بممارسة ضغوطات على الحكومة العثمانية من أجل تطبيق المادة 61 من معاهدة برلين[3].

قام سفير إنجلترا *Goschen* بلقاءٍ مع السّلطان عبد الحميد ،بخصوص الإصلاحات التي وعد الدولَ الأوروبية المجتمعة في المؤتمر آنِفِ الذّكر[4]، ولم يتوقّف الأمرُ عند هذا الحد، بل قام سفيرها الجديد اللّورد دوفرين *Lord Dufferin* بمطالبة السلطان العثماني ،عند لقائه بضرورة تعيين والٍ مسلم قويّ على الولايات العثمانية التي يعيش فيها الأرمن، وهذا بعدَ أنْ فشلوا في تعيين والٍ مسيحي على المنطقة[5]، ولم يكتف هذا الأخيرُ بهذه الخطوات، بل عمل على الحصولِ على دعم سفراء الدّول الأجنبية لتحقيق هدفه[6]، وفي ظلّ مناخ المنافسة الإنجليزية الرّوسية على شرق الأناضول، بقيت إنجلترا تلحّ على الدولة العثمانية بخصوص القيام بإصلاحات في الولايات الستة [7].

(1) ***BOA. HR, SYS. 1774/29****, a.g.e, s. 19.*

(2) ***BOA. HR, SYS. 1774/34****,a.g. e, 42-52.*

(3) ***BOA. Y. A. HUS, 169/43-4****, a.g.e, s. 69-70.*

(4) ***BOA. Y. EE, 138/3****, a.g.e, s. 54-57.*

(5) ***BOA, HR .SYS, 2822/13****,a.g.e, s .90.*

(6) ***BOA. Y. PRK. BSk, 8/90****, a.g.e, s. 95-96.*

(7) ***BOA. HR, SYS. 2822/25****, a.g.e, s. 100-103.*

أمّا الأسلوبُ الثّاني فيمكن أن نعتبره سياسةً بعيدة المدى، تعتمد على تأسيس دولة أرمينستان في شرق الأناضول بالاتّحاد مع الأرمن لتكون حاجزًا في وجه روسيا، ومن أجل تحقيق هذا الهدف شرع القناصل الإنجليز في التنقّل بين الأرمن في الأناضول من أجل نشر فكرةِ استقلال أرمينستان، وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدلّ على أنّه إلى غاية هذا التاريخ– تاريخ الوثيقة 30 أغسطس 1880–[1] لم تكن فكرة تشكيل دولة أرمينيا منتشرة بين عامّة الأرمن، وإنّما كانت تقتصرُ على النخبة فقط، و لعب القناصلُ الإنجليز دورًا كبيرًا في تغذية الفكرة وإذكائها بين الأرمن.

ومما سبقَ يمكن القول إنّ السّفارة الإنجليزية لعبت دورًا كبيرًا في ظهور المسألة الأرمنية، كما نجح الأرمن البروتستانت في ربطِ علاقات متينةٍ مع السفارة الإنجليزية، حيث كانوا يطلعونهم أوّلًا بأوّل عن المضايقات التي كانوا يتعرّضون إليها.

دورُ الصّحافة الإنجليزية:

تتيح لنا وثائقُ الأرشيف العثماني المنشورة، والمتعلّقة بالعلاقات الإنجليزية الأرمنية؛ فرصةَ التعرف على دور الصّحافة الإنجليزية في ظهور المسألة الأرمنية، والملفتُ للانتباه أنّ هذه الصحافة كانت تشتغل في داخل الدولة العثمانية، وفي إنجلترا نفسها. حيث كانت تهدف بالدرجة الأولى لتحريض الأرمن ضد الدولة العثمانية، ومن هذه الصّحف الإنجليزية نجد صحيفة «*Levant Herald*» صاحبها الإنجليزي «*Whittker*»، هذه الصحيفة كانت تصدر منذ زمن طويل في إسطنبول، وتنشر مقالاتٍ مُعاديةً للدولة العثمانية، لذلك قامت هذه الأخيرة بإغلاقها عدّة مرّات، لكنها كانت تعاودُ النّشرَ بعد حصولها من جديدٍ على رخصةٍ من طرف السلطة العثمانية، بالرغم من هذا واصلت نهجها العدائي. إلّا أنّ القطرة التي أفاضت الكأس ،و كانت سببًا في إصدار قرار مصادرة الصحيفة ، هو قيامها بنشر مقال جاءَ فيه أنّ للأرمن الحقَّ في إنشاء دولتهم في الولايات الستة المعروفة ،وذلك في العدد الصادر في 24 أفريل 1880[2].

أما الصّحافة الصّادرة في إنجلترا يمكن تقسيمها إلى قسمين: القسم الأوّل هو الصّحافة الإنجليزية التي كانت تنشرُ مقالاتٍ عدائية للدّولة العثمانية، والهدف من هذه الصحافة هو تشكيلُ رأي عامّ إنجليزي متعاطف

(1) **BOA. Y.PRK. MYD, 1/58**, a.g.e, s. 57-58.
(2) ***BOA. Y.A. HUS. 164/53**, a.g.e, ss. 30-32.*

مع المسألة الأرمنية ،وإبراز قضيّتهم على أنّها قضية مسيحية بالدرجة الأولى، ومِن هذه الصّحف التي كانت تنشر مقالاتٍ متضامنةً مع القضية الأرمنية نجد جريدة « *post* » والتي نشرت مقالًا بعنوان أرمينستان « *Erministan* » تمّ التطرّق فيه إلى أوضاع الأرمن غير المريحة في الولايات السّت، حيث كانت- حسب المقال- أموالهم تتعرّض للاغتصاب من طرف الأكراد والشركس، فضلًا عن الظلم الممارس عليهم من طرفِ الإدارة العثمانية، التي لم تطبّق أيًّا من الإصلاحات المقررة في المادة 61 من معاهدة برلين، وقد اطّلع البابُ العالي على هذا المقال من خلال قيام سفارة ألمانيا بإرسال نسخةٍ منه لنظارة الخارجية العثمانية(1).

أمّا القسمُ الثّاني من الصّحافة الإنجليزية، هي التي كان الأرمن يقومون فيها بنشر مقالاتهم ورسائلهم فيها، مثل قيام الأرمني أغوبيان *Agopyan* رئيس جمعية محبي الوطن الأرمنية بنشر رسالة في جريدة *Manchester Quardian*، بتاريخ 27 تموز 1888 تحت عنوان "المسألة الأرمنية". والمواضيع التي تتطرق إليها هذه الصحف نمطيّة مثل الظّلم والقهر والممارس من طرفِ الإدارة العثمانية ضدّ الأرمن، والعمل على إفقارهم، علاوة على عدم تطبيق الإصلاحات التي جاءت في مؤتمر برلين(2).

ولم يكتفِ بهذه الرسالة، بل قام بإصدار مقالين في نفس الجريدة المذكورة. ففي المقال الأول أصدر مجموعةً من الاقتراحات ضدّ الدولة العثمانية، ومن خلالها وجه انتقادات لوزير الحكومة الإنجليزي *Lord Salisbury*، حيث ادّعى عدم اهتمام هذا الأخير بالمسألة الأرمنية في الخارج. أمّا في المقال الثاني فقد شرح فيه امتدادَ حدود دولة أرمينستان، والتي وصفتها الوثيقة بأنها حدود وهمية ،لأنها جعلت أرمينستان تمتد من البحر الأسود شمالًا إلى شبه الجزيرة العربية جنوبًا، ومن سواحل الأناضول غربًا إلى بحر الخزر شرقًا(3). إلا أنّ السّفارة العثمانية أعطت جوابًا على منشوراته في عدّة جرائد إنجليزية، مثل: *Advertiser, Morning, Mrning post, Manchester, Morning News*(4)

رحّب الأرمن الذين حطّوا رحالهم في إنجلترا بصدور قانون حرية الصحافة، فقامت جمعية محبي الوطن بإصدار جريدةٍ أرمنية تصدر باللغة الأرمنية والفرنسية تحمل اسم « *Haisdan* »، وهي جريدة تحريضية استعملتها

(1) ***BOA. Y.A. HUS. 174/4***, *a.g.e, ss. 91-94.*
(2) ***BOA. HR. SYS. 2822/42***, *a.g.e, ss. 113 -135.*
(3)***BOA. HR. SYS. 2822/43***, *a.g.e, ss .13-145.*
(4) ***BOA. HR. SYS. 1904/25-19***, *a.g.e, ss.145-146.*

الجمعيةُ كوسيلة في دعايتها، وقد منعتها السلطاتُ العثمانية من الدخول إلى أراضيها[1] لأنها تجرأت على نشر منشورات ضدّها وادّعاءات عارية عن الصّحة حسب الوثيقة[2]، وهذا ما دفع بسفارات الدولة العثمانية في لندن وفيينا للقيام بجهودٍ حثيثة لمنع صدورها[3]. لكن كان ردُّ وزير الحكومة الإنجليزية ساليسبوري *Salisbury* أنّه لن يتمّ منعُ هذه الجريدة من النشر لأنّ إنجلترا قد قبلت بصفةٍ كاملة قانونَ حرية الصحافة فيها[4].

مِن خلال ما سبق نستنتج أن الصّحافة الإنجليزية قد لعبت دورًا كبيرًا في التعريف بالقضية الأرمنية في إنجلترا، وتكوين رأي عام إنجليزي منحاز تمامًا للأرمن، هذا من جهة. ومن جهةٍ أخرى حرضت الأرمن ضدّ الدولة العثمانية، من خلال إعطائهم حقّ تشكيل دولتهم المستقلّة في شرق الأناضول، كما كانت إنجلترا دعمًا وسندًا للأرمن المقيمين فوق أراضيها عن طريق السماح لهم بإصدار صحفهم.

المطلبُ الثّالث: التأثير الروسي في ظهورِ المسألة الأرمنية:

رأى الأرمنُ أنّه يستحيل عليهم تشكيلُ دولةٍ مستقلّة دونَ دعم خارجي، لذلك اشرأبت أعناقهم نحو الخارج في محاولةٍ للحصول على هذا الدعم، وكانت روسيا مِن أولى الدول التي عوّل عليها الأرمن، وللتعرف على دورِ روسيا في ظهور المسألة الأرمنية يجب أن نقفَ عند بعض المحطّات، أهمها العلاقات الروسية الأرمنية.

1- العلاقاتُ الأرمنيّة الروسية: يمكن أن نصنفَ العلاقات الأرمنية الروسية كنموذج للعلاقات التي ربطتِ الأرمن بالقوى الأجنبية، وحتّى نفهم كنْهَ هذه العلاقة ونفسّرها؛ يجب أن نقسمها إلى مرحلتين أساسيتين حسبَ الحيّز الزمني الذي تغطّيه الدراسة، وكانت هذه العلاقة قد تأثرت بالعديد من العوامل التي ساهمت في تمتينها تارة، وفي إضعافها وإصابتها بالفتور تارةً أخرى.

مرحلةُ التّقاربِ والتّفاهم (1860-1881م):

شهدتْ هذه المرحلة تقاربًا روسيًّا أرمنيًّا، والملاحَظ أنّ هذا التقارب في البداية كان من جانب روسيا، لأنّ هذه الأخيرة كانت تودّ تكوينَ أقليّة تحميها أسوةً بفرنسا، ولما لم تكنْ هناك طائفة أرثوذكسية يسبغ القنصل الرّوسي حمايته عليها ،وجّهوا أنظارهم إلى الأرمن ،حيث قامت روسيا بفتح عدّةِ قنصليات لها في الأناضول، ومن

(1)***BOA. HR. SYS. 2761/2***, *a.g.e, ss. 146-147.*
(2) ***BOA. Y. PRK, ESA, 8/55***, *a.g.e, ss. 147-148.*
(3) ***BOA. Y.A. HUS, 219/61***, *a.g.e, ss. 148-149.*
(4) ***BOA. Y.A. HUS, 220/35,*** *a.g.e, ss. 152-153.*

بين القنصليات التي أنشأتها قنصلية فان « *Van* » التي أنشأت بطلب من الأرمن أنفسهم، لأنّهم لاحظوا أنّ هذه القنصليات كفيلةٌ بإعطاء الحماية لهم(1). وبالتالي أصبحت هذه القنصليات بمثابة دول صغيرة داخل الدولة العثمانية.

وقد سجّلت لنا الوثائق في كثيرٍ من الأحيان أمثلةً عن قيام الأرمن المتمردين بطلب المساعدة من القنصل الروسي في فان، بالرغم من إلقاء القبضِ عليهم وثبوت اضْطلاعهم في أعمال تمرّدية ضدّ الدولة ،فلم يدخر القنصلُ الروسي أيَّ جهدٍ من أجل حمايتهم(2). وهذا العملُ يعتبر تدخّلًا صارخًا في القانون العثماني، فبقاء هؤلاء الأشخاص دون عقابٍ سيُفرز أعمالًا تمرّدية أخرى ستنهك كاهلَ الدولة العثمانية.

أدركتْ روسيا أهمية كنيسة اتشميادزين بالنّسبة للأرمن حيث كان أوّلَ مركزٍ روحي لهم، لذلك عملت على ربط هذه المنطقةِ بروسيا، من أجل خلْقِ ولاءٍ آخر للأرمن خارجَ الدولة العثمانية، بالرغم من قيام الدولة العثمانية بإنشاء بطريركية أرمنية في اسطنبول إلّا أنّ اتشميادزين بقيت ذات مكانةٍ خاصّة في نفوس الأرمن، فعندما تمكّنت روسيا من الاستلاء على المنطقة سنة 1829 (3)، هذه الواقعة خلقت أجواءًا من التفاؤل لدى الروس لأنها منحت لهم إمكانية ربط الأرمن بهم.

الجاثليق الأرمني يتمّ انتخابُه على رأس الهيئة الدينية في اتشميادزين، وكان يتوجبُ على روسيا المصادقة على انتخابه لكي يباشر مهامّه. وفي هذا الصدد نورد مثالًا على ذلك، فعندما تمّ انتخابُ السيد ماتيوس أفندي *Matyos Efendi* الذي كان قبل انتخابه بطريرك اسطنبول القديم ،ومن أجل أن يلتحقَ بوظيفته أعطي إذن التخلي عن الجنسية العثمانية والدخول إلى اتشميادزين(4).

برزَ من خلال الوثائق بشكلٍ جليّ وواضحِ الأهمية التي أولتها روسيا لتعيين جاثليق مناصرًا لها على رأس هذه الهيئة الدينية(5)؛ لأنّ الجاثليق كان يتمتّع بمركز دينيّ مهمّ، فقد كان بمثابة الزعيم الذي يمكنه تعبئة الأرمن ضدّ الدّولة العثمانية متى شاء. لذلك فإنّ المشكِلَ الأكبر الذي واجهته الدولة العثمانية في أواخر القرن 19م هو تحوّلُ

(1) ***HR. SYS, 28197, Osmanli Belgelerinde, Ermeni- rus ilişkileri****, Cil I, Başbakanlık basımevi, Ankara 2006, ss. 11-14.*
(2) ***HR. SYS, 1342/3****, a.g.e, ss. 19-28.*
(3) *Ali Arslan , a.g.e, s. 45.*
(4) ***I. HR, 8449****, a.g.e, ss. 7-8.*
(5) ***Y. PRK, BSK, 7/35****, a.g.e, ss .33-34.*

ولاءِ مختلف القومياتِ العرقية والملل الدينية عنها، كنتيجةٍ للتنافس الغربي على حماية الأقليات، والذي لم تقْوَ آنذاك على اقتلاعه.

والسّؤالُ الذي يطرح نفسَه في هذا الصّدد: ما الدّورُ الذي لعبته هذه المؤسّسة الدينية في ظهور المسألة الأرمنية بعدَ استلاء روسيا عليها؟ باعتبار هذه المؤسسة أرمنية تقعُ ضمن الأراضي التي استولتْ عليها روسيا من الدّولة العثمانية، فقد كانت هذه الأخيرةُ تقوم بجمع الأموال، والقسم الأكبر من هذه الأموالِ المجموعة يتمّ إرسالُه لإنجلترا من أجل شراء السلاح استعدادًا للتمرّد على الدولة العثمانية، ثمّ يتمّ نقلُه إلى تفليس عن طريق إيران وروسيا ،ثمّ نحو الأراضي العثمانية[1]، كما عملت على ربط الأرمن الذين يعيشون في الأناضول بها ليصبحوا تحتَ حماية روسيا[2] ، أو بالأحرى تحت إمرة روسيا يتحركون وفق أوامرها. كما لفتَ انتباهنا في إحْدى الوثائق قيامُ الأرمن العثمانيّين بالإرسال لهيئة جاثليق إتشميادزين من أجل طلب حمايتهم من روسيا لدى الدولة العثمانية[3].

مِن مظاهر العلاقةِ الجيّدة التي كانت تربط روسيا بالأرمن كذلك، هو وقوف الأرمن إلى جانب روسيا خلال حروبها التي شنّتها ضدّ الدولة العثمانية، ومن أهمّ هذه الحروب حرب (1877- 1878م)، فالموقف الذي أبداه الأرمنُ جعل العثمانيّين يقفون موقفَ الحذر منهم- الأرمن- في حروبهم ضدّ روسيا كنتيجة لمشاركتهم في هذه الحرب. والملاحَظ أنّه بعد قيام الجنود الروس بتخلية الأراضي العثمانية التي احتلّوها بعد معاهدة سان استيفانو 1878 م ، نجد أنّ الأرمن الذين كانوا يعيشون في أرضروم والمناطق المجاورة لها، أرادوا الهجرة إلى روسيا خوفًا من انتقام الأهالي المسلمين منهم[4] .

والأرمنُ الذين هاجروا إلى روسيا كما تشير إحدى الوثائق قدّم لهم هناك تعليم عسكريّ في الجيش الروسي، وهذا ما صرّح به شخصٌ مسلم يدعى يوفان *Yovan* كان في روسيا، حيث اعترف أنّ الأرمن الذين فرّوا إلى روسيا أصبحوا جنودًا في جيشها الذي كان متواجدًا في منطقة قارص *Kars* [5].

ولسائلٍ أن يسأل هنا: ما الهدفُ الذي توخّته روسيا من تلقينِ هؤلاء الأرمن المهاجرين تعليمًا عسكريًّا؟ لربما تحسّبًا لحروبٍ مستقبلية بينها وبين الدّولة العثمانية، فاستعمالها لهؤلاء الأرمن يعتبر ورقةً رابحة؛ لأنّهم كانوا أدرى

(1) ***A. MKT. MHM, 729/8***, *a.g.e, ss. 128-130.*
(2) ***Y. PRK. AZJ, 11/89***, *a.g.e, ss. 39-40.*
(3) ***HR. SYS, 27 68/41***, *a.g.e, s. 57.*
(4)***Y. PRK. BSK, 1/43***, *a.g.e, ss.16-18.*
(5) ***HR. SYS, 2770***, *a.g.e, s. 113.*

بالمنطقة وشعابها، وبذلك يمكن أن يقدّموا لها خدماتٍ جليلة في الميدان، أو أنهم بعد تلقيهم التدريبات تعيدهم إلى أراضيهم تمهيدًا للتمرّد على الدولة العثمانية، أو لنشر الفوضى في المنطقة ،فاستعملت الأرمن كأداة لتحقيق مخطّطاتها في شرق الأناضول[1].

مرحلةُ تغيّر العلاقاتِ الأرمنية– الرّوسية (1881–1908م):

لقد عرفتِ العلاقاتُ الروسية الأرمنية تغييرًا جوهريًّا خلال هذه المرحلة، فانتقلت من التقارب إلى التنافر، ولعل العامل الأساسي وراء هذا التّطور هو مقتلُ القيصر الروسي، الذي ألقى بظلالٍ ثقيلة على هذه العلاقة التي دخلت حالة من التّوتر. إنّ اغتيال قيصر روسيا ألكسندر II من طرف أحد الثوار في شهر مارس 1881، أدى إلى حدوث تغييراتٍ هامّة في السّياسة الداخلية والخارجية لروسيا، حيث أخذت هذه الأخيرةُ موقفًا سلبيًّا تجاه كلّ أنواع الحركات الاستقلالية التي كانت في الخارج، أمّا في الداخل اتّبعت سياسة "الترويس". كانت السياسة التي اتّبعها القصرُ المغدور قد أجّجت كثيرًا المشاعر القومية لدى الأرمن المتواجدين في قفقاسيا، أمّا خليفته ألكسندر الثالث، سلك سياسةً مناقضة تمامًا لسياسة والده ألسكندرII [2]، فقد داسَ على المشاعر الوطنية لأرمن روسيا ووضع يدَه على كنائسهم، كما قام بإغلاق مدارسهم، بل أكثر من ذلك تخلى عن سياسة روسيا التقليدية والمتمثّلة في حماية مسيحيي الشرق[3].

وهناك شواهدُ تاريخيةٌ أخرى تدلّ على تغيير السياسة الروسية اتجاه الأرمن، حيث قامت روسيا بإلقاء القبضِ على العديد من المتنوّرين الأرمن ونفتهم إلى سيبريا، كما قامت بإغلاق الجمعيات الخيرية الأرمنية، وشرعت في مراقبة المطبوعات، علاوةً على ذلك وضعت نصبَ أعينها كلّ المنظّمات الأرمنية وأساليبها وأهدافها. وبعد غلقِ المدارس الأرمنية– كما أسْلفنا– اضطرّ آلافُ الأرمن للدراسة في المدارس الروسية، كما أنها وضعت يدَها

(1)***HR. SYS, 2824/26**, a.g.e, ss. 99-101.*

(2) **الإمبراطور ألكسندر الثاني: (1818–1881 م):** وهو ابن نيقولا الأول وإمبراطور روسيا، كان مصلحًا حرًّا، ألغى نظام الرقيق، وأدخل نظامًا جديدًا للقضاء عام 1864م، ومن الحوادث الهامة في عهده حرب القرم، والحرب الروسية العثمانية, خلفه ابنه ألكسندر الثالث. أنظر: محمد شفيق غربال، **الموسوعة العربية الميسرة**، المكتبة العربية، صيدا، بيروت، 2010، ص. 391.

(3) ***Sorularla Ermeni meselei…**, a.g.e, s. 189.*

على ممتلكاتِ الكنيسة الأرمنية[1]. هذه السياسةُ أدّت ببعض الأرمن الذين هاجروا إلى روسيا للتفكير في العودة إلى الأراضي العثمانية ،وإلى ممتلكاتهم، بعد صدورِ العفو العام من طرف الدولة العثمانية[2].

وفي نفس الشّأن عرض سفيرُ روسيا على الدّولة العلية تأسيس لجنةٍ متعلّقة بالأرمن الذين سوف يعادون إلى الأراضي العثمانية من روسيا[3]، إلّا أنّ شرط الدولة من أجل قبول عودتهم ألّا يكونوا من الأرمن المتمردين الذين يثيرون الاضطرابات[4].

إنّ طلبَ العودة لم يقتصرْ على الأرمن فحسب، بل تعدّاه ليشمل الحكومة الروسية حيث كانت هذه الأخيرةُ ترغب بدوْرها في إعادة الأرمن الذين هاجروا أو أبعدوا، أو تمّ نفيهم إلى أراضيها، وخاصة المتواجدين في المناطقِ الحدودية مع الدولة العثمانية[5]. وهذا يقودُنا للقول إنّ السياسة الروسية تجاه الأرمن قد تغيرت، حتى فيما يخصّ الهجرة الأرمنية، فبعد أنْ كان الأرمن مرحّبًا بهم فوق أراضيها، عملت على إخراجهم فيما بعد؛ لأنّ سياستها قد تغيّرت من دعم الحركات الاستقلالية إلى سياسة النّأي بالنفس عن كلّ ما يمتّ بصلةٍ للثّوار، فاعتبرت أماكن تواجد الأرمن بؤرًا ثورية تلقي بظلالٍ من الشكوك حولها، وقد سبق وأنْ دفعت روسيا ثمنَ ذلك بمقتل القيصر ألكسندر II.

لكن، رغم أنّ السّياسة الروسية اتّجاه الأرمن قد تغيّرت، إلّا أنّنا لما نتصفح الوثائق قيد الدّراسة يتبيّن لنا عكس ذلك تمامًا، حيث وجدُنا أنّ الحكومة الروسية قد واصلتْ تطبيق ضغوطات على الدولة العثمانية من أجل إجبارها على تطبيقِ الإصلاحات في الولايات الشرقية، ومن هذا المنطلق كلّف سفير روسيا في اسطنبول رجلًا يدْعى فازيلياف باسندا *Vasiliyef Pasanda* للتجول في الاناضول من أجل التحقيق في موضوع الإصلاحات، والقيام بلقاءاتٍ بخصوص ادّعاءات الأرمن، ومِن بين الإصلاحات التي طالبوا بها رفقة إنجلترا ما يلي:

- جعل ولايات: فان وبتليس وأرضروم وخربوط وديار بكر، ولاية واحدة.
- تعيين رئيس شرطة، وتعيين والٍ ومساعد متصرف.

(1) *Ali Arslan, a.g.e, s. 46.*
(2) ***HR. SYS, 2840/6**, a.g.e, s. 186.*
(3) ***Y. PRK. BSK, 5719**, a.g.e, s. 196.*
(4) ***Y. PRK. ESA, 31/53**, a.g.e, ss. 196-198.*
(5) ***Y. A. RES, 93/73**, a.g.e, ss. 188-193.*

- تعيين قسم من الشرطة من الأرمن(1).

وفي هذا الصّدد نلاحظ أنّ العلاقات بين القوى الكبرى بخصوص المسألة الأرمنية كانت بين مدٍّ وجزر، فأحيانًا نجدها متّفقة فيما بينها، وأحيانًا أخرى متنافرة فيما بينها إذا كانت مصالحها مهدّدةً في الدولة العثمانية.

2- سياسةُ روسيا تجاهَ اللّجان والعصابات الثورية الأرمنية:

بالرّغم من أنّ روسيا كانت قد تخلت على دعم الأرمن، إلّا أنّ الوثائق التي تغطي الفترة الزّمنية (1881-1908)، ، بينت أن السياسة الرّوسية لم تكن ثابتة، حيث كانت أحيانًا تقوم بدعم "لجان الفساد الأرمنية"-كما وصفتها الوثائق العثمانية-، والتي كان حيّز نشاطها ينحصرُ في الأراضي العثمانية(2) وليس الأراضي الروسية.

ولكي تكون الصورة أوضح في أذهاننا نورد مثالًا حول قيام القناصل الروس باستخدام نفوذهم في الدّفاع عن الأرمن، وخصوصًا إذا كانوا يحملون جنسيّتها فخيرُ دليل على ذلك هو قيامُ القنصلية الروسية بحماية "مشاغب" أرمني من أصول روسية والذي تمّ تسليمُه للقنصل شمافاند *Semavand*، وقد أراد هذا الأخير العودة لروسيا(3).

وبغضّ النّظر عمّا ذكرناه، فإنّنا في وثائق أخرى نجد روسيا خلاف ما ذكرناه تغير سياستها تجاه "العصابات الأرمنية"، حيث وجدنا إشاراتٍ في بعض الوثائق عن قيام الحكومة الروسية إعطاء تعليمات لمحافظ قفقاسيا لمنعِ العصابات الأرمنية من عبور الحدود نحو الأراضي العثمانية(4)، إلّا أنّ هذا لم يمنع من تحول شرق الأناضول لبؤرة توتر، حيث أشارت جريدة Le Siècle الصّادرة في باريس إلى التوترات التي قام بها الأرمن في الأناضول (1895- 1896م)، لكنّ روسيا هذه المرّة لم يكنْ لها يدٌ فيما حدث، حتى أنّها لم تسمح للأرمن المسلحين الذين أرادوا عبورَ الحدود العثمانية بالدخول إلى أراضيها، مما أدّى إلى قتل عددٍ كبير من العساكر الروس على يد الأرمن(5).

(1)***Y. PRK. ASK, 106/12***, *a.g.e, ss. 131-132.*
(2) ***A. MKT. MHM, 501/13***, *a.g.e, ss. 66- 69.*
(3)***Y. PRK, 19/37***, *a.g.e. ss. 111-112.*
(4) ***Y. PRK. BSK. 33/96***, *a.g.e, ss. 198-199.*
(5) ***Y. PRK.0 HR. 19/37***, *a.g.e, ss. 140-141.*

لعبتْ روسيا دورًا كبيرًا في إيقاظ الشّعور الوطني لدى الأرمن، والذي كان سببًا في ظهور ما عرف بالمسألة الأرمنية، وهذا الدورُ الذي قامت به روسيا كانت له عدّة تجليات سواء من خلال وضع المركز الرّوحي الأرمني اتشميادزين تحت رقابتها حتى تتمكّن من إحكام قبضتها عليهم، أو من خلال احتضان اللّجان والعصابات الأرمنية، أو من خلال الضغط على الدولة العثمانية من أجل تطبيق الإصلاحات في المنطقة ليسهل عليها فيما بعدُ الولوج إلى المياه الدافئة. وبالرغم من تغييرها لسياستها، إلّا أنّ هذا التغيير لم يستمرّ، إذ سرعان ما عادتْ روسيا لسياسة التفاهم والتحالف مع الأرمن بعد الإعلان عن المشروطية الثانية 1909م.

لقد أثمرَ عملُ الدّول الأجنبية المتواصل، من خلال التدخّل في شئون الدولة العثمانية والضغط عليها لتطبيق الإصلاحاتِ في الولايات الشرقية، واحتضان اللّجان والجمعيات الأرمنية، في ميلادالمسألة الأرمنية، والدّفع بها إلى الساحة الدولية، فقامت كلّ من فرنسا وإنجلترا وروسيا بالضغط على الدّولة العثمانية من أجل الاستزادة من الامتيازات، إلى درجة أنّهم بسطوا حمايتهم على الأرمن بعد أن قسّموهم إلى مذاهب مختلفة. ولم يكن ليتأتّى لها ذلك إلّا بعد انقلاب الوضعِ في الدولة العثمانية، التي تحوّلت من إمبراطوريةٍ قويّة إلى إمبراطورية تحاول القوى الكبرى اقتطاعَ أطرافها.

الفصلُ الثّالث

المسألةُ الأرمنية خلالَ عهد السّلطان عبد الحميد الثاني (1876–1909م) / (1293–1327هـ)

المبحثُ الأوّل: تدويلُ المسألة الأرمنية.

المبحثُ الثّاني: الأحداثُ الأرمنية (1894-1896م) /(1311-1312هـ)

المبحثُ الثّالث: الأحداثُ الأرمنية على ضوء المصادر الغربية.

المبحثُ الرّابع: التحالف التركي الأرمني وتداعياته.

المبحث الأول : تدويلُ المسألة الأرمنية1878م

المطلبُ الأوّل: نبْذَةٌ تاريخيّة عن السّلطان عبد الحميد الثاني.

المطلبُ الثّاني: خلفيّاتُ تدويلِ المسألة الأرمنية.

المطلبُ الثّالث: تداعياتُ تدويلِ المسألة الأرمنية.

شهدت الدولةُ العثمانية في نهاية القرن التّاسع عشر الميلادي – أي خلال فترةِ حكم السّلطان عبد الحميد الثاني – عدّةَ مشاكل ،ولعلّ أبرز هذه المشاكل هي الحركاتُ الاستقلالية في عدّة مناطق ،ومن بينها البلقان(1)، حيث ألهمتِ الحركاتُ الانفصالية التي ظهرت هناك – خاصّة بعد تمكّنها من تحقيق أهدافها المتمثلة في الانفصال – عدّةَ شعوبٍ في مقدّمتها الأرمن ،الذين حاولوا أن يسيروا على خطاها ،فطفتْ إلى السّطح القضيةُ الأرمينية ، التي يمكن أنْ نعتبرها مِن أبرز الأحداث التي تخلّلت هذه المرحلة ،فهي في تقديرنا قضيةٌ محورية .

كان للتنافسِ الأجنبي دورٌ كبير في بروز القضية الأرمينية، وتحوّلها من مسألةٍ داخلية إلى قضية دولية، مما أثر كثيرًا على الدّولة العثمانية التي كانت تمرّ بمرحلةِ الضّعف والانهيار، وقد توافقتْ هذه المرحلة كذلك مع فترةِ حُكم السّلطان العثماني عبد الحميد الثاني. ففي هذا الفصل سنحاولُ التطرّقَ للمسألة الأرمينية في عهد السلطان المذكور، حيث شهدتْ مرحلتُه تطوّرات مهمة فيما يخص المسألة الأرمينية، أدّت إلى حصول شقاقٍ خطير بين الأرمن والدولة العثمانية.

المطلبُ الأوّل: نبذة تاريخية عن السّلطان عبد الحميد الثاني:

فضّلنا التعرض للشّخصية الأكثر جدلًا في التاريخ العثماني، والتي أسالتِ الكثيرَ من الحبر، ألا وهي شخصيةُ عبد الحميد الثاني، وهو السّلطانُ الذي لم يتورّع الكثيرُ من المؤرخين الغربيّين على وصفِه بعدّة نُعوت، منها "السّلطان الأحمر"، لكنْ لماذا نتطرّق إليه دونَ غيره من السّلاطين؟ لأنّ القضيةُ الأرمينية في عهدِه دخلت مرحلةَ النّشاط الفعلي، لذلك رأينا أنّه لزامًا علينا التطرّقُ إلى هذه الشخصية المهمّة قبل الشروع في الحديثِ عن تدويل القضية الأرمينية. فمَن يكون هذا السلطان؟

1– مولده : ولدَ السّلطانُ عبد الحميد الثاني في 21 سبتمبر 1842 م ،واعتلى العرشَ يوم 21 اوت عام 1876 م ،بناءً على وعْدٍ بينه وبين مدحت باشا(2)، ورفاقه الذين كانوا يُطالبون بفتح مجلس المبعوثان

(1) **البلقان:** البلقان شبه جزيرةٍ تقع جنوب شرق أوروبا بين البحر الأسود في الشرق والبسفور والدردنيل، وبحر مرمرة في الجنوب، وبحر أيونيا والأدرياتيكي غربًا، ونهر الساف والدانوب شمالًا، وبذلك يدخل فيها ألبانيا وبلاد اليونان وجنوبًا رومانيا وبلغاريا وتركيا الأوروبية. أنظر: شفيق غربال، مرجع سابق، ص.762.

(2) **مدحت باشا: (1822–1883):** ولد في اسطنبول ،تعلم اللغة الفرنسية ،زار باريس ولندن وبلجيكا ،له سمعة كبيرة وأهميّة لدى مؤرّخي تاريخ العراق ،فضلًا على أنه شخصية لعبت دورًا كبيرًا في تاريخ الدولة العثمانية من النصف الثاني من القرن19 م ،فقد وصفه البعض بمصطلح أبو الدستور العثماني. أنظر: أحمد أمين، **زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مكتبة** النهضة المصرية، القاهرة، 1965، ص. 32.

وإعلان الدّستور ،وترسيخ حكمٍ دستوريّ يدْعمه القانون ،ولهذا السبب خلعوا كلًّا من السّلطان عبد العزيز[1] ومراد الخامس عن العرش[2].

الدّولةُ العثمانية في عهد السّلطان المذكور آنفًا ،كانت على شفا الانْهيار بعد حربها مع روسيا (1877-1878م) ،حيث كان الروسُ على بُعد عدّةِ كيلومترات من الأستانة ،لكنْ شاءت الأقدارُ أن يكون في سدّةِ الحكم سلطانٌ قويّ هو السلطان عبد الحميد الثاني الذي استطاع أن يمدّ عُمر الدولةِ إلى ثلاثة وثلاثين سنة .تلقّى السلطانُ عبد الحميد الثاني تعليمَه على يدِ أساتذة تمّ استقطابهم من الخارج ،فتعلّم قواعدَ اللغة الفارسية والعربية ، كما درس اللغةَ الفرنسية ،والتّاريخ العثماني ،فضلًا عن الموسيقى ،ويجدرُ التنويه هنا إلى أنّه قام بزيارةٍ لأوروبا عندما كان عبدُ العزيز سلطانًا ،هذه الزيارة سمحتْ له بتوسيع مداركه ،ومن ملامح شخصيته هو عزوفُه عن ملذّات الدنيا ،إلى لدرجةِ أنّه كان يوصف بالبُخل من جرّاء إفراطه في الاقتصاد ،كما كان ماهرًا سياسيًّا، حيث عُرف بذكاء لامع[3].

عندما تولّى مقاليد الحكمَ سنة 1876 كانت الدولةُ العثمانية تشهد تمرد البلغار والبوسنة والهرسك وحروب الجبل الأسود. ووعيًا منه بضرورةِ المحافظة على البقيّة الباقية من الإمبراطورية العثمانية، رسم طريقًا مناسبًا في غاية الحيْطة لسياستِه الخارجية. والملاحَظ أنّ تقلّبات السياسة الخارجية لفرنسا وإنجلترا تجاه الدولة العثمانية كانت من أسبابِ اتّخاذه قرارَ التقرّب من ألمانيا[4].لقد استطاع السّلطانُ عبد الحميد الثاني أن ينهض بالدولة على المستويات السياسيةِ والاقتصادية والثّقافية ،كما استطاع أن يكونَ محورًا أساسيًّا في السّياسة الأوروبية ،ويمكن إيعازُ هذا إلى الإنجازات التي حقّقها في عدّة مجالات.

---

(1) **السلطان عبد العزيز** : تولّى السلطة بعد وفاة أخيه عبد المجيد ،كان سلطانًا مهابًا جسورًا ،تولى الملك في 17 ذي القعدة 1277هـ، أظهر أهلُ الجبل الأسود العصيان ،فأرسل إليهم مَن أرجعهم إلى الطاعة ،تمّ خلعُه ووضعوا مكانه السّلطان مراد ابن أخيه السلطان عبد المجيد. أنظر: عبد الرزاق البيطار **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**، ج 1، حقّقه ونسّقه وعلّق عليه محمد بهجت البيطار، دار صادر، بيروت، 1993، ص. 854.

(2) سيف الدين أرباجي ،**السلطان عبد الحميد الثاني ،مشاريعه وإنجازاته الحضارية** ، دار النيل القاهرة ،2011، ص ص، 17-18.

(3) *Levon Panos Dabağyan,* ***Sultan Abdülhamid han ve Ermeniler****, kum Saat yayınları , Istanbul , 2011, s. 18.*

(4) *Levon Panos Dabağyan, a.g.e, s. 19.*

2- إنجازاتُ السّلطان عبد الحميد الثاني:

أمسك السلطانُ عبدُ الحميد الثاني بأمور الدولة بقبضةٍ من حديد، فأصبحت حكومتُه أكثرَ مركزية من أيّ وقتٍ مضى، وترأس بعضُ الوزراء دواوينَ وزاراتهم لفتراتٍ ليست بالقصيرة، وهذا ما أتاح فرصةً أكبر للحكومة مِن أجل الاستمرار في تطبيق السّياسات المرسومة. وقد أشيعَ أنّ حكمه كان فرديًّا استبداديًّا لأنه كان يتدخّل في شئون الحكومة أكثرَ من السّلاطين الذين سبقوه ،بل أكثرَ مِن هذا فقد قام بإنشاء جهازٍ شرطةٍ سريّة خاصٍّ به، وشبكة تجسّسٍ واسعة لتزويده بالمعلومات بصفةٍ مباشرة[1] .

أوْلَى السلطانُ عبد الحميد الثاني اهتمامًا كبيرًا بالتعليم ،فأدخل عدّةَ تطوّرات أصبحت أحد النماذج البارزة الدّالة على خدماته ،حيث قام بفتح مدارسَ للمرحلة المتوسّطة والثانوية في معظم ربوع الدولة العثمانية ،أمّا في مجال التّعليم العالي قامَ بتأسيس الجامعة (دار الفنون)[2] ، قامت هذه المدارس بتخريج عددٍ كبير من الطلبة الذين تمكّنوا من العلومِ الحديثة واللّغات الأجنبية ،فأصبحوا على اطّلاعٍ بالتّطورات الحاصلة في العالم.

والملاحَظ أنّ السّلطان العثماني عبدَ الحميد الثاني أدخل إصلاحاتٍ في عدّة مجالات ،حتى إصلاح "العدلية " عن طريق توفير القُضاة وتأهيل قانونيّين لتفعيل النّظام الموسّع لمحاكم الدولة،،وصياغة قانون مرافعات جديد[3] كما اهتمّ بتطويرِ وسائل الاتّصال بإنشاء شبكةِ التّلغراف ،فبفضلها يتمّ تأمينُ الاتصال بين كلّ ولايات وأقاليم الدّولة والمركز ،مما أتاح للسّلطان فرصةَ الاطّلاع على الأخبار أوّلًا بأوّل ،وإرسال الأوامرِ متى أراد[4].

وفي ذات الوقت ،أوْلى اهتمامًا بالمواصلات لضمان حمايةِ الدولة داخليًّا وخارجيا ،حيث أنشأ شبكة السكك الحديدية التي تُعتبر أهمَّ وأحدثَ اختراعات العصر ،ومن أهمّ هذه الخطوط خطّ سكّة حديد الحجاز[5], فضلًا عنْ خطوطٍ أخرى مثل :خط " إزمير – أيدن" ،وخط "حيدر باشا- إزميت" ،وخط "اسطنبول- أدرنة"[6].

أمّا في الميدان الدّيني الذي كان بمثابة الوترَ الحسّاس الذي استثمرَه السّلطانُ عبد الحميد الثاني ،قامت الكثيرِ من الدوائر بالتّرويج لصورة السّلطان عبد الحميد بصفته "خليفةً للمسلمين" ،من أجل حشد المسلمين

(1) محمد رفعت الإمام، **مسألة أضنة أبريل 1909**... مرجع سابق ،ص. 14.

(2) سيف الدين أرباجي ،مرجع سابق، ص. 37.

(3) محمد رفعت الإمام ،**مسألة أضنة**... مرجع سابق، ص. 12.

(4) سيف الدين أرباجي ،مرجع سابق ،ص. 49.

(5) محمد رفعت الإمام ،**مسألة أضنة** ... مرجع سابق ،ص. 12.

(6) سيف الدين أرباجي ،مرجع سابق ،ص. 47.

للدّفاع عن دولةِ الخلافة الإسلامية ،بل أكثر من ذلك ،أصبحت فكرةُ "الجامعة الإسلامية"(1) سلاحًا دبلوماسيًّا قويًّا ضدّ أوروبا – ولا سيّما بريطانيا وروسيا وفرنسا – الذين احتلّوا كثيرًا من الدول الإسلامية (2) .وهذا كلُّه إنْ دلّ على شيء فإنّه يدلّ على بروز الإسلام مجدّدًا في الدولة العثمانية كسمةٍ كبرى ميّزت الحقبة الحميدية ،وفي نفس الإطار قامَ السّلطانُ بمجهوداتٍ قيّمة من أجل التمكّن مِن نشْر الإسلام في العالم بأسْرِه، فأرسل المصاحفَ إلى جنوب إفريقيا والهند واليابان(3).

بالإضافة إلى ما ذكرناه مِن مناقب هذا السّلطان، فقد اتّسمت مرحلتُه بالاستبداد، فشكوكه وهوَسِه بجمع المعلومات الاستخباراتية، أعاقَ تفعيل برنامجِ الحكومة العثمانية على مدار ثلثِ قرنٍ من الزمن، إذْ لم يتحْ للنّظارات ولا مجلس المبعوثان أيّ سلطةٍ فعلية. ونتيجة لبثّه أجهزةٍ سرية انتشر الرعبُ في قلوبِ أتباعه(4) ، إلّا أنّ كلّ هذه الإجراءات لم تحُلْ دون خلْقِ معارضين لسياسته يتصيّدون له الفرصَ لعزله.

المطلبُ الثّاني: خلفياتُ تدويل القضية الأرمينية:

كنّا قد أشرنا في الفصل السّابق أنّ العلاقات الرّوسية الأرمينية كانت عرضةً لمدّ وجزْر، بكلّ ما كانت تحمله من تجاذباتٍ سياسية ودينية وتناقضات، ففي مرحلة التّقارب نجد أنّ الأرمنَ قد وضعوا جُلّ آمالهم في روسيا من أجل تأسيسِ دولتهم المستقلّة في شرق الأناضول، مما سيبذرُ في هذه القضية البذورَ الأولى للتدخّل الأجنبي، ومحلّ الشّاهد للتّعاون الروسي مع الأرمن هو الحربُ الروسية العثمانية (1877–1878 م).

(1) **الجامعة الإسلامية** : روّج البعضُ لفكرة الجامعة الإسلامية بعد الأحداث الدامية ،التي شهدها العالم الإسلامي في النّصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ،تلقّف السّلطان عبد الحميد الثاني الفكرة بعد أن هيأ لها الأذهان كل من نامق كمال في الوسط التركي الصّرف ،وجمال الدين الأفغاني في العالميْن العربي والإسلامي ،وأخذ السّلطانُ على عاتقه تنفيذ الفكرة عمليًّا ،فهو أقدرُ من هذين الدّاعييَن على زعامتها وقيادتها ،بصفته عاهلَ أكبر دولة إسلامية في العالم ،وخليفة المسلمين رأى عبد الحميد في الجامعة الإسلامية سياجًا يحمي الدولة من الأخطار التي كانت تحيط بها ،من كل جانب أمامَ أطماع روسيا والنمسا والمجر وفرنسا وبريطانيا. أنظر: عبد العزيز الشناوي، مرجع سابق، ص ص. 56 وما بعدها.

(2) محمد رفعت الإمام ،**مسألة أضنة**.... مرجع سابق، ص. 13.

(3) *Levon Panos Dabağyan ,a.g.e, s. 21.*

(4) محمد رفعت الإمام ،**مسألة أضنة**... مرجع سابق ،ص ص. 13 وما بعدها.

1- اتصالُ الأرمنِ بروسيا خلال حرب (1877-1878م):

بعد عامٍ فقط من تولّي السّلطان عبد الحميد الثاني مقاليدَ الحكم واجهتْه عدّةُ تحدّيات خارجية ،في مقدّمتها قيامُ روسيا بإعلان الحربِ على الدّولة العثمانية سنة 1877 ،على خلفيّة الاضطهاد التي تعرّض له البلغار[1]. فاندلعت الحربُ الروسية – العثمانية في 24 أفريل 1877 م على جبهتين ،هُما ،أوروبا الشرقية أو ما اصطلح على تسميتِه بتركيا الأوروبّية ،والجبهة الثّانية شرقُ الأناضول[2] ،والملاحَظ أنّ عدم تكافؤ القوى العسكرية بين الدولتين لا مِن حيث التنظيم ولا من حيث العدة ؛أفسحَ المجالَ للجيش الروسي الذي تمكّن من سحق الجيش العثماني حول أرضروم .ولما كانت طلائعُ الجيش الروسي على مقربةٍ من اسطنبول أدركتِ الدولةُ العثمانية عمقَ الأزمة التي وقعت فيها ،فلم يدّخرِ السّلطانُ عبد الحميد الثاني جهدًا في طلب الهدنة ،فاضطرّت روسيا إلى القبول تحت ضغط الدول الأوروبية – وعلى رأسها بريطانيا – لوضْع نهايةٍ للحرب وعقدِ هدنة أدرنة[3] ،التي أعقبتها مباشرة معاهدة "سان ستيفانو".

قبل أن نسترسلَ في الحديث عن أهمّ ما ورد في معاهدة سان ستيفانو، من الأهمية بمكان تبيانُ موقف الأرمن من الحرب الرّوسية — العثمانية، وأهمّ الفعاليات التي قاموا بها على إثرِ هزيمة الدّولة العثمانية، الملاحَظ أنّ موقفَ الأرمن من الحرب الروسية العثمانية كان موقفًا مُتعارضًا، ففي البداية أبدى الأرمنُ تحمّسَهم وتأييدهم المطلَق للدّولة العثمانية، لكنْ سرعان ما انساقوا وراء روسيا بعد أن تمكّنت من تحقيق بعض الانتصارات. فالموقف الأوّلُ تجلّى بوضوحٍ في موقف البطريكية الأرمينية في اسطنبول ،التي أكّدت لعدّة مرّاتٍ إخلاصَها للسلطان عبد الحميد الثاني ،عندما أعلنت الدولةُ العثمانية في مجلس مبعوثان العثماني[4] في 25 أفريل 1877 عنْ إعلان روسيا الحربَ عليها ،جميعُ النواب الأرمن الذين وصل عددُهم إلى تسعةِ نوّاب قد طالبوا بدعم السلطان العثماني ومقاومةِ الروس[5]. ولم يكن أحدٌ أكثر تحمّسًا من الأرمن كما قيل ،حيث أعلن النائبُ الأرمني عن ولاية حلب

(1) مروان المدور ،مرجع سابق ،ص. 396.

(2) محمد رفعت الإمام ،**القضية الأرمينية في الدولة العثمانية**... مرجع سابق ،ص. 23.

(3) **أدرنة** : تقع على جهة غرب ولاية اسطنبول ،وفي وسط أراضٍ تركية ،يحدّها جنوبًا بحر مرمرة ،وخليج البحر المتوسط، وبحر أكمه شمالًا ،وشرقًا البحر الأسود ،ومن ملحقاتها متصرفية جتالجة ،وغربًا سلانيك ،وشمال غرب روم إيلي الشرقي. أنظر: أحمد الشرقاوي وآخرون، مرجع سابق، ص. 35.

(4) **مجلس مبعوثان** : مبعوثان اسم الجمع على الطريقة الفارسية لكلّ مبعوث العربية ،وهو المندوب في مجلس البرلمان العثماني. أنظر: سهيل صابان، مرجع سابق، ص.199.

(5) *Firhat Fırat , a.g.e ,s. 96.*

مانون أفندي قائلًا :"نحن المسيحيّين الأرمن نرغبُ في أن نعلنَ بأنّنا لا نحتاج إلى حمايةِ روسيا ،ونحن لن نتخلّى مطلقًا عن أصدقائنا المسلمين ،فلم نهجرهم سابقًا ،ولن نهجرهم اليوم"[(1)].

فضلًا عن ذلك نوردُ تصريحَ البطريرك الأرمني نارسيس الذي يتمتّع بمكانةٍ هامّة بين الأرمن "إذا كتب لهذه الدّولة العظيمة أن تنهارَ فإنّنا نعتبر أنّه من واجبنا أنْ ندفَنَ تحت أنقاضها، ومن الأفضل أن نموتَ بشرف وكرامةٍ من أن نعيش في عار " . وفي نفس السياق نذكر مثالًا آخر لما نحن بصدده ،حيث عارضت الكنيسةُ الأرمينية في أرضروم التعاونَ مع القوّات الروسية ،فعندما طلب من رئيس الأساقفة فيها أوجكيليساه *Utchkilissh* إبداء تعاونه ،تمّ اختطافُه من طرف الروس لأنّه رفضَ دعوةَ مجموعة من الأرمن لتمرّد ضدّ السّلطان ،كما أحرقت كنيستُه ،وأتلِفَت الوثائقُ والكتبُ الدينية فيها[(2)].

وعندما اجتمعتِ الجمعيةُ العامّة للملّة الأرمينية برئاسة البطريرك نرسيس في 7 ديسمبر 1877 بناءً على طلب من السّلطان عبد الحميد الثاني لتجنيد مسيحيّين في الحرس المدني ،قرّرتْ بالإجماع انخراطَ الأرمن في الحرس المدني العثماني مِن أجل حماية حدودِ البلاد من الغزو الروسي ،وقد اجتمع خمسةُ آلاف أرمني حول نوابهم ،ولم تمضِ أيامٌ قليلة من الحرب حتّى ألغت الجمعيةُ قرارَها السّابق بالقتال إلى جانب الدولة العثمانية ،وأكّدت انحيازَها الصّارخ لروسيا القيصرية ،بعد اقترابِ جيوشها من الأستانة ،وهذا بطبيعة الحال طمعًا في تأسيس دولةٍ قومية مستقلّة في شرق الأناضول[(3)].

بمجرّد دخول روسيا إلى شرق الأناضول ،رحّب الأرمنُ بالقوات الروسية التي كانت تحتَ قيادة جنرالات أرمن[(4)]. هذا ما شجّع الأرمنَ للتطوّع في صفوف القوّات الروسية ،فأصبحوا يشكّلون وحداتٍ قتالية تشمل ضباطًا وجنودًا إداريّين[(5)]. إنّ الجنرالات الروس من الأصول الأرمينية قد أسهموا في التّأثير على الأرمن المحليين وكسبهم إلى جانبهم، حيث كان قائدُ الجيش الروسي في جبهة القوقاز من أصل أرمني، ويدْعَى *Loris Melkoff* لوريس ميلكوف. وفي ظلّ الاحتلالِ الرّوسي لشرق الأناضول انتشرت الفوضى في المنطقة ،فانتهزت بعضُ القبائل

---

(1) طاهر توفيق هوكر ، مرجع سابق ،ص. 110.

(2) نفسه ،ص. 110.

(3) نفسه،ص. 111.

(4) محمد رفعت الإمام ،**القضية الأرمنية في المعاهدات الدولية (1878–1923)** ،القاهرة ،2011 ، ص. 7.

(5) محمد عبد العزيز الشناوي, مرجع سابق, ص. 325.

الكردية هذه الأوضاع فقامت بمهاجمةِ الأرمن والاعتداء عليهم ،وسلبِهم أموالهم وممتلكاتهم(1) ،لكنْ في رأينا أنّ مشاركة الأرمن وانحيازَهم إلى الجانب الروسي هو الذي دفعَ بالأكراد إلى القيام بأعمالٍ انتقامية ضدّهم.

بعد أنْ وضعت الحربُ أوزارها، وقبلَ دخول الدّولة العثمانية في مفاوضات مع الجانب الروسي، بدأ الأرمنُ في التحرّك من أجل مطالبةِ روسيا مكافأتهم لقاءَ الخدمات التي قدّموها لهم أثناء الحرب، فقرّر البطريرك الأرمني في اسطنبول نارسيس *Nerses Barjebedyan* زيارةَ القائد الأعلى للجيش الروسي في سان ستيفانو وهو الدّوق نيقولا، كما قام بإرسال عريضةٍ إلى القيصر الروسي ألكسندر الثاني، وضمّنها مطالب الأرمن والمتمثلة في:

- عدم إرجاع المناطق الموجودة حتى نهر الفرات في الأناضول للعثمانيين وإلحاقها بروسيا.
- وفي حالة إخلاءِ الأراضي المحتلة تأخذ ضمانات مادية ،من أجل القيام بإصلاحات من الحكومة العثمانية، وأن يستمرّ الاحتلالُ إلى غاية تطبيق الإصلاحات(2) .

لقد أسفرت هذه الحربُ عن تغيير موازينِ القوى في شرق الأناضول؛ لأنّ المنطقة تتمتّع بموقعٍ استراتيجي مهمّ، فتمكّنُ روسيا من إيجاد موطئ قدَمٍ لها هناك سيسمح لها بالوصول إلى المياه الدافئة، ممّا سيعرّض المصالح الإنجليزية للخطر.

2- دخولُ المسألةِ الأرمينية في جدول أعمال معاهدة سان ستيفانو:

عندما وصلتِ الجيوشُ الروسية إلى أبوابِ الأستانة ،تمّ وقفُ إطلاق النار تحت ضغط الدّول الأوروبية، والدّخول فورًا في مفاوضاتٍ انتهت بتوقيع معاهدة أدرنة في يناير 1878م ،ثمّ وقعت مفاوضات سريّة كلّلت بعقدِ معاهدةٍ عُرفت بسان ستيفانو في 03 مارس 1878م ،وتمّ توقيع هذه المعاهدة في القصر الصيفي لثريّ أرمني وهو " هوداديان "(3) وأهمّ ما جاء في هذه المعاهدة نذكر :

- احتفاظ روسيا بمناطق باطوم وأردهان وقارص وألاشكيرد.
- كما تقرّر عدمُ إجلاء القوات الروسية عن سائر الأراضي المحتلّة في شرق الأناضول إلّا بعد تنفيذ الإصلاحاتِ المنصوص عليها في المادّة 16 ،ونصُّها يقول :"بما أنّ جلاءَ القوات الروسية عن المقاطعات التي تحتلّها في أرمينيا ،والتي ستُعاد إلى تركيا ،قد يؤدّي إلى نشوب نزاعات وتعقيداتٍ تضرّ بالعلاقات

(1)*Bayram Kodaman,**Türkler-Ermeniler ve Avrupa** ,Türk Tarih kurumu,Ankara,2015.s.34*
(2) *Gevdet Küçük , a.g.e , ss. 2-3.*
(3) مروان المدور ، مرجع سابق ،ص. 396.

الطيّبة القائمة بين الدّولتين ؛لذلك يتعهّد البابُ العالي دونَ تأخيرٍ بإجراء التحسينات والإصلاحات التي تقتضيها الظروفُ المحليّة في المقاطعات التي يقطنُها الأرمن ،وبضمان سلامتهم من خطر اعتداءات الشّراكسة والكرد" (1).

إذا جئنا لتحليل فحْوى المادّة 16 ،والتي قبلت روسيا إدراجَها لصالح الأرمن ،مع العلم أنّها لم تحقّق ما كان الأرمنُ ينشدونه في تأسيس دولةٍ مستقلّة ،أو على الأقلّ الحصول على حكمٍ ذاتي ،ورفض روسيا المطالب الأرمينية مردُّه كوْن هذه الأخيرة كانت تريدُ أن يبقى الأرمنُ ورقةَ ضغطٍ على الدولة العثمانية للتدخل في شئونها ،بدل إنشاءِ دولةٍ لهم تثير مشاعرَ الأرمن الروس فيطالبون بنفس ما طالبَ به أرمنُ الدولة العثمانية ،لذلك اكتفت بإدراجِ المادّة 16 من معاهدة سان ستيفانو(2) .

نلاحظُ أنّ هذه المادة 16 قد حطّمت آمالَ الأرمن في الاستقلال، أو الحكم الذاتي على غرار البلغار الذين تحرّكت روسيا من أجل حمايتهم فأعلنتِ الحربَ على الدولة العثمانية، والملفتُ للانتباه أنّ هذه الأخيرة– المادّة 16– قد طالبتْ بإصلاحاتٍ لصالح الأرمن تقتضيها الظروفُ المحلية، دون أن تحدّد طبيعةَ هذه الإصلاحات هل هي إدارية أو أمنيّة أم اقتصادية، إذًا على السّلطان أن يحدّد ذلك، إلّا أنها في المقابل ربطت جلاءها من شرق الأناضول بإجراءِ هذه الإصلاحات. يمكن القولُ إنّ معاهدة سان ستيفانو أوّلُ معاهدة تدرج القضية الأرمينية في جدْول أعمالها، وبذلك تكون قد أخرجت القضيةَ الأرمينية من حيزها المحلّي الضّيق إلى العالمية.

في هذا الإطار ،مِن الأهميّةِ بمكانٍ بيانُ موقف الدّول الأوروبية من هذه المعاهدة التي كانت سرية ،فإنجلترا قد اطّلعت على بنود معاهدةِ سان ستيفانو بعد ثلاثةِ أيام من توقيعها ؛حيث قام سفيرُها في اسطنبول لايارد « *Layard* » بإعلام حكومته بالوضْع الطارئ النّاجمِ عن قيام روسيا بالاستيلاء على النقاط الاستراتيجية في شرقِ الأناضول ،والطّرق التجارية التي تحمل أهميةً كبيرة للحياة التجارية الإنجليزية ،والتي دخلت تحتَ تهديد دولة منافسةٍ ،وهي روسيا(3).

كانت بريطانيا – منذُ البداية – تنظر بعيْنِ القلق للتوسّع الروسي في البلقان، ثمّ جاءت معاهدةُ سان ستيفانوا لتزيد من مخاوفها على مصالحها، والسّؤالُ الذي يطرح نفسَه في هذا الصدد: ما هي المخاوف التي انتابت إنجلترا من جرّاء توقيع معاهد سان ستيفانو؟ في الواقع خشيت إنجلترا أنْ تؤدّي المعاهدةُ السابقةُ الذّكر إلى زوالِ

---

(1) *Bayram Kodaman, a.g.e, ss. 35-36.*

(2) *Ferhat Fırat, a.g.e, s. 70.*

(3) *Cevdet Küçük , a.g.e , s. 5.*

الإمبراطورية العثمانية، وظهور روسيا كقوّةٍ جديدة ستعرّض مصالحها في الهندِ الشرقية للخطر؛ لذلك قامت بعدّةِ مساعٍ في سبيل إعادة النّظر في المعاهدة المذكورة آنفًا.

أولى المساعي التي قامت بها إنجلترا بخصوص تعديل بنودِ المعاهدة ،أنها عملت على تجنيدِ الدّول الأوروبية لدعمها، وإثارة مخاوف روسيا بالتّهديدات الحربية[1] ،حيث قامتْ بإرسال أسطولها إلى بحر مرمرة ،وزادت عددَ الجنود أو العساكر في مالطة ،كما عيّنت لورد ساليسبوري *Lord Salisbury* مكان الوزير لورد دربي *Lord Derby*، وكان الوزير المعيّن قد صرّح أنّه بإمكان إنجلترا الدخول في حربٍ ضدّ روسيا إذا لم يتمّ تعديلُ بنود المعاهدة ،وحتى النّمسا بدوْرها شرعتْ في حشد العساكر في منطقة طونة ،وأمامَ هذه الضغوطات رضخت روسيا للأمرِ الواقع وقبلَتْ بعقدِ مؤتمرٍ جديد ،وقبلَ المؤتمر عقد الطّرفان اتفاقيةً سريّة 30 ماي 1878 م في لندن وبموجبها قبلت روسيا إعادةَ منطقة بيازيد[2] إلى الأتراك.

كانت بريطانيا التي لا تزال إلى غايةِ هذه اللحظة متمسّكة بسياستها اتّجاه الدولة العثمانية والمتمثلة في المحافظةِ على وحدتها ؛قد عقدتْ – إلى جانبِ المعاهدة السريّة التي عقدتها مع روسيا– معاهدةً سرية أخرى مع الدّولة العثمانية تُعرَف بمعاهدة قبرص ،أو الحلف الدّفاعي بين بريطانيا والدولة العثمانية في 4 أفريل 1878، حيث تعهّدت إنجلترا فيها بالدّفاع عن الدّولة العثمانية ضدّ أيّ خطر يهدّدها مستقبلًا ،وإجبار روسيا على الانسحابِ من جميع الأراضي التي احتلّتها في شرق الأناضول ،بما فيها باطوم ،وأردهان وبيازيد ؛مقابلَ حصول بريطانيا على جزيرة قبرص[3] ،التي ستقوم بتحويلِها إلى قاعدةٍ عسكرية تكون بمثابة الخطّ الدّفاعي الأوّل ضدّ التوسّعِ الروسي في المنطقة ،لكنّ إنجلترا ربطتْ هذا الضمانَ بشرط القيام بإصلاحات لصالح الأرمن[4].

مِن خلال ما سبق يمكن أن نقول إنّ معاهدة سان ستيفانو، قد خيّبت آمال الأرمن في الحصول على دولة مستقلّةٍ في شرق الأناضول؛ لأنّ روسيا لم تكنْ على قدْر الآمال التي علّقها الأرمنُ فيها، حيث اعتقدوا أنهم

---

(1) رفعت محمد الإمام ،**القضية الأرمينية في المعاهدات** .... مرجع سابق، ص.8.

(2) **بيازيد :** لواء بيازيد هو يشكّل شرق ولاية أرضروم على مسافة 55 ساعة عن الولاية ،ويحتوي على 47 ألف ،تقع قلعة بيازيد على ربوةٍ مرتفعة على قرب حدود روسيا وإيران ،فبهذا موقعها مهمّ ،والأقضية التابعة لهذا اللواء المذكور ،قضاء بيازيد نفسه ،قضاء ديادين ،قضاء عنتاب وقضاء قرة كيليسة ،وقضاء الشكرد.أنظر : أحمد الشرقاوي وآخرون ،مرجع سابق، ص ص. 136– 137.

(3) **جزيرة قبرص :** ويطلق عليها في اللغات الأجنبية *CHIPRE*، وهي جزيرة ما بين آسيا الصغرى ،وولاية سورة ،وهي جزيرة مهمّة على شرق مياه البحر المتوسط ،مساحتها السطحية 8200 كلم² ،وهذه الجزيرة عبارة عن لواء ،تحت حكم الإنجليز. أنظر :أحمد الشرقاوي وآخرون، مرجع سابق، ص. 175.

(4) *Nihat Karademir, a.g.e, s. 128.*

إذا ما وقفوا إلى جانبها في حربها ضدّ الدّولة العثمانية، فإنها ستقفُ إلى جانبهم كما وقفتْ إلى جانبِ مسيحيّي البلقان. لكنّ روسيا في واقع الأمرِ لم تكن متحمّسةً لفكرة استقلال الأرمن ،لأنّهم أوّلًا لا يشكلون أغلبيةً حتى في الولايات السّتة ،فضلًا عن تخوّفها من إثارةِ الأرمن الروس فيطالبون بدوْرهم بدولةٍ مثلَ أقرانهم في الدولة العثمانية ، لذلك لم يكنِ الأرمنُ سوى أداةٍ تستعملها روسيا من أجل إثارة القلاقل للدّولة العثمانية ،والأهمّ من كلّ ما ذكرناه أنّ المعاهدة السابقةَ الذّكر لم تحصل على تأييدِ الدّول الأوروبية ،وفي مقدمتها إنجلترا التي قامت بعدّةِ تحرّكات من أجل الحصولِ على امتيازاتٍ في الدّولة العثمانية من خلال توقيعها على معاهدة الحلف الدفاعي ،وحصولها على قبرص التي تعتبر مفتاحَ القارة[1].

إذن ،تعد معاهدة سان ستيفانو "أول آلية دولية في التاريخ الحديث يرد فيها ذكر إرمنستان "،إلا أن هذه المعاهدة لم تنفذ لأن بريطانيا خشيت من تزايد النفوذ الروسي مما سيعرض مصالحها للخطر ،وبوساطة ألمانية دعا المستشار الألماني بسمارك لعقد مؤتمر جديد لإعادة النظر في بنود معاهدة سان ستيفانو[2] ،التي هددت السلام الأوروبي.

3- المسألةُ الأرمينية في مؤتمر برلين 1878 م:

عرفنا أنّ إنجلترا كانت من أكثر الدّول الأوروبية معارضةً لمعاهدة سان ستيفانو ،ممّا خلق جوًّا متأزّمًا بينها وبين وروسيا ،وفي خضمّ هذه الظروف نجح بسمارك في إقناع الطّرف الروسي والإنجليزي بعقد مؤتمرٍ دوليّ لحلّ هذه المعْضلة ومنعِ نشوب حربٍ بين الطرفين[3] ،من أجل ذلك عقد مؤتمرُ برلين بحضور الدّولة العثمانية وأغلبِ الدّول الأوروبية الكبرى ،وهي "ألمانيا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا وروسيا والنمسا والمجر". والسّؤال الذي يطرح نفسَه في هذا الإطار: ما هي الفعالياتُ التي قام بها الأرمنُ قبلَ وأثناءَ المؤتمرِ وبعدَه ؟لما سمع الأرمنُ أنّ بنود معاهدة سان ستيفانو ستُعاد مناقشتُها في مؤتمر برلين ؛استبشروا بتعديلِ وضعهم السّياسي على نحوٍ أفضلَ مما قرّرته لهم المعاهدةُ السابقةُ الذّكر[4].

---

(1) **النحلة**، شروط الصلح المزعوم والأقاليم الثائرة ،ع 20، 1 أبريل 1878، ص ص. 298-301، لندن ،**التدويل والإصلاحات (1876-1893)** ،المجلد 1 ،مطابع نوبار ،القاهرة ،2015 ،ص. 72.

(2) محمد رفعت الإمام ،**الأرمن والغرب والإسلام جناة وضحايا ومتهمون** ،مركز الدراسات الأرمينية ،جامعة القاهرة،2008،ص.23.

(3) **الأهرام**، الأرمن ، ع 113، 20 سبتمبر 1878، ص. 03، الإسكندرية، **التدويل والإصلاحات**... مرجع سابق ،ص. 80.

(4) محمد عبد العزيز الشناوي، مرجع سابق، ص. 326.

قرّر البطريرك الأرمني نارسيس[1] فارجابيديان تشكيلَ وفدٍ وإرسالَه إلى عواصم الدّول الأوروبية ،حيث زار هذا الوفدُ سان بطرسبورغ وروما وباريس ولندن ،ولقي استقبالًا رسميًّا في جميع هذه العواصم ،وتمّ الاستماعُ إليهم وأخذوا وعودًا بدعم قضيّتهم في المؤتمر المزمَع عقدُه في برلين ،وفي هذا السّياق نورد مثالًا لأهمّ النشاطات التي قام بها الأرمنُ في بريطانيا ،فعندَ وصول وفْدِهم إلى العاصمة لندن في 9 أفريل 1878 بقوا فيها حتّى أيام قليلة من عقدِ مؤتمر برلين ،وخلال مدّة تواجدهم هناك قاموا بكتابةِ المقالات في الصحف البريطانية ،وحاضروا في عدّة أماكنَ تعريفًا بالقضية الأرمنية ،وبمعاناةِ الأرمن ،وما يلاقيه هؤلاء من معاملةٍ سيّئة على يد الشركس والكرد ،كما تمّت مناقشةُ المسألة الأرمنية لأوّل مرّةٍ في مجلس العموم البريطاني في جلسات يونيو 1878م[2].

أمّا في مؤتمر برلين ،قدّم الأرمنُ إلى مندوبي مؤتمر برلين مشروعيْن بخصوص الحكْم الذاتي الأرمني في شرق الأناضول ،حيث نلاحظُ أنّهم تنازلوا عن مطلبِهم في إقامة دولةٍ مستقلّة ،وكان مطلبُهم الذي ناشدوا من خلاله الدولَ المجتمعة في المؤتمر حكمًا ذاتيًّا في نطاق الدّولة العثمانية[3] ، حيث قدّم خرميان هايريك[4] إلى مؤتمر برلين مشروعيْن للحكم الذاتي الأرمني.

---

(1) **نرسيس فارجابيديان (1837–1884)** : ولد بالأستانة. ترك الدراسةَ في سنّ الخامسة عشرة ،عندما توفي والده ،تعلم في مدرسة أهلية عام 1853 ثمّ في مدرسة بأدرنة عام 1855 ،ترسم قسيسًا عام 1858 ثمّ راهب بعد وقت وجيز ،أسهم في صياغة "نظام نامة الملة الأرمنية" عام 1863 ،رسم جاثليق قليقية في عام 1862 ،في السابعة والثلاثين من عمره، انتخب في 03 نوفمبر 1873 بطريركًا بالأستانة ،أصدر تعليماته للأرمن أن يمدّوا يد العون للمجهود الحربي العثماني أثناء اندلاع الحرب الروسية العثمانية عام 1877 ، لكن عندما سمع بالفظاعات التي ارتكبت ضدّ القرويين الأرمن ،سافر إلى سان ستيفانو ليطالب بالأمنِ للأرمن. أرسل وفدًا أرمينيًّا إلى برلين لكنّه عاد منكّسًا، نشط في تأسيس المدارس، طلب الاستقالة بسبب مرضه، لكنها رفضت، انتخب جاثليقا لكلّ الأرمن في مايو 1884 ولكن صحته ازدادت تدهورًا، استقال من منصبه البطريركي قبل 11 يومًا من وفاته بالأستانة في 26 أكتوبر 1884. متأثّرًا بمرض السكر. أنظر: محمد رفعت الإمام، القضية **الأرمنية** .مرجع سابق، ص. 184.

(2) الطاهر هوكر، مرجع سابق ،ص. 129.

(3) محمد عبد العزيز الشناوي ، مرجع سابق ،ص. 227.

(4) **خرميان هايريك** : ولدَ في فان ،تبنّاه عمّه الذي علّمه الحياكة ،سافر إلى ايتشميادزين عام 1841 ،ترسّم كاهنًا عام 1854 ،ترقّى أسقفًا في عام 1868 ،ثمّ البطريرك الأرمني الأستانة بين عامي 1869 – 1873. اضطر أن يستقيل بضغطٍ من الحكومة العثمانية، سافر إلى برلين في يونية 1878 م لعرض القضية الأرمنية على المؤتمرين. بعد المؤتمر، سافرَ إلى باريس ولندن، وألقى خطبةً شهيرة في كاتدرائية إسكودار، قارن فيها بين "المغارف الحديدية" للشعوب البلقانية و"المغارف الورقية" للأرمن. نفتْه السلطاتُ العثمانية إلى القدس عام 1889، انتخب جاثليقا لكلّ الأرمن في 17 مايو 1892، منعته السّلطات العثمانية من السّفر إلى ايتشميادزين عبرَ حدودها، لذا اضطرّ للسّفر عبر طريق حيفا الإسكندرية تريست فيينا باطوم تفليس نقى العلاقات بين بطريرك الأستانة والجاثليقية في

المشروعُ الأوّل يتكوّن من سبعة بنود، وهي:

1- حدّد هذا البند حدود (أرمينيا التركية) والتي تبدأ من ولايتي أرضروم ووان شرقًا لتصل إلى نهر الفرات غربًا، ومن ميناء ريزه *(Rize)* بين طرابزون وباطوم شمالًا، حتى خربوط جنوبًا، على أن يحكمها والٍ أو محافظٌ أرمنيّ يعيّنه البابُ العالي.

2- أكّد هذا البند أنّ عائداتِ الإقليم الأرمني المالية ستعود 80% منها إلى الإقليم نفسه، أمّا 20% فتقدم إلى اسطنبول.

3- تعيين مشرفٍ على مؤسّسة القضاء من قِبَل حكومة اسطنبول، كما يحقّ للوالي الأرمني تعيينُ قضاة حسبَ حاجة الإقليم.

4- إعطاء الحرياتِ الدينية وحرية المعتقد لكلّ الطوائف.

5- حفظ الأمنِ العام يوكَل إلى قوّةِ الأمن العام، ويجب أن تتشكّل من الجندرمة والمتطوعين (المليشيا)، ويجب أن تتشكّل من الأرمن والأفراد الذين عاشوا في المنطقة لمدّة خمس سنوات.

6- أمّا هذا البند فقد خصّص للجمعية العامّة للإقليم الأرمني، وكيفية انتخابها ونسبة الأرمن والمسلمين التي ستكون في الجمعية.

7- تقوم الدولُ الكبرى بتشكيل لجنةٍ دوليةٍ خلال ثلاثةِ أشهر من توقيع المعاهدة لتنفيذ الإصلاحات الواردة، كما أرفقَ الأرمن المشروع بإحصائية لسكان الإقليم(1).

أمّا المشروعُ الثّاني فقد تقدّم به نوبار باشا *(Nubar Pacha)* والذي كان أحدَ مستشاري خديوي مصر آنذاك ،كانت نصوصُه تشبِهُ – في مضمونها – أغلبَ فقرات مشروع خرميان للحُكم الذاتي الأرمني ،إلّا أنّ وجْهَ الاختلاف بين المشروعين يكمُنُ في أنّ نوبار باشا ذكر بوجوبِ مشاركة الجميع في القوّات التي ستتشكل لحفظ النّظام والأمن في هذا الكيانِ الجديد دون تفرقةٍ دينية أو عرقية ،لكنّ المؤتمرين مجدّدًا خيبوا آمالَ الأرمن بعدم إدراج المشروعيْن الأرمنيّين ضمن بنود معاهدة برلين(2).

لما لاحظَ الأرمنُ استحالةَ تشكيل دولةٍ مستقلّة خاصّة، بهم فإنّهم خفّضوا سقفَ مطالبهم واكتفوا بالحكم الذّاتي ضمن إطار الدّولة العثمانية، وأرفقوا هذا المشروعَ بإحصائية للسكان، والتي قد تطرّقنا لها في الفصل الأول،

عام 1907 مؤكّدًا على أصلية وعالمية ورسوليّة كرسي إيتشميادزين. أنظر: محمد رفعت الإمام، **القضية الأرمنية**.. المرجع السابق، ص ص. 182–183.

(1) Kiyong Lee, a.g.e, ss. 77-78.

(2) توفيق طاهر هوكر ، مرجع سابق ،ص. 134.

حيث جعلت هذه الإحصائيةُ عددَ السّكان الأرمن يصل إلى ثلاثة ملايين نسمة، لإثبات أحقيّتهم في الحكم الذّاتي. اكتفت الدولُ المشاركة في المؤتمر بإدراج بندٍ واحد فقط خاصّ بالمسألة الأرمنية وهو البند 61 والذي كانت فحْواه كالآتي: «يتعهّد البابُ العالي القيامَ – ودونَ إبطاء – بتحقيقِ الإصلاحات التي تقتضيها ظروفُ المقاطعات المحلية التي يقطنُها الأرمن ،وضمان سلامتهم ضدّ الشّركس والكرد ،وسيقدّم البابُ العالي إلى الدول التي كُلّفت بمراقبة عملية تنفيذِ هذه النصوص بياناتٍ دوريةً بالخطوات التي ستنفّذ بهذا الخصوص من حينٍ لآخر"[1].

إذا ألقينا نظرةً عامّة على البند الذي خصّصه المؤتمرون للأرمن ،فإنّنا نلاحظ أنّه لم يناقش الحكمَ الذاتي لأرمينيا الغربية ،كما تمّ إلغاءُ مصطلح القوّات الروسية وحلّت محلّها مسئولية أوروبية جماعيّة ،دون إشرافٍ مباشر أو ضماناتٍ دولية ومحلية من أجل تنفيذِ الإصلاحات ،أمّا إذا جئنا لتحليل فحوى هذا البند فإنّنا نلاحظ أنّ المادة 61 من معاهدة برلين ،التي عدّلت المادة 16 قد قلبتها أوّلًا رقميًا ،أمّا من حيث المضمون السياسي والعملي ،لم تجرَ تعديلاتٌ كبيرة على المادّة 16 من معاهدة سان ستيفانو ،حيث ركّزت على التزام الباب العالي نحو الأرمن بإدخالِ إصلاحات ،ومنعِ اعتداءات الشّراكسة والأكراد عليهم ،لكنْ في المقابل جاءت بفقرةٍ مزيدة هي الفقرة الأخيرة ،وتنصّ على تعهّد البابِ العالي بإبلاغ الدّولِ الكبرى بسيْر الإصلاحات المزمَع القيامُ بها، فضلًا عن منع الاعتداءاتِ على الأرمن[2] ،والجديرُ بالذّكر أنّ مؤتمر برلين لم يبحثْ في الخطوط العريضة والأساسية الخاصة ،بمرافق الحياةِ العامّة التي تحتاج إلى الإصلاحِ في المناطق التي يعيشُ فيها الأرمن[3]. إلّا أنّ الفائدة الوحيدة التي خرج بها الأرمنُ من هذا المؤتمر أنّه أسهمَ في إخراج المسألة الأرمنية من نطاقٍ محليّ إلى العالمية.

في هذا الإطار، نجد أنفسَنا هنا أمامَ سؤالٍ ملحّ: كيف كان موقفُ الوفد الأرمني من نتائج هذا المؤتمر الذي علّقوا عليه آمالًا كبيرة؟ لم يكنِ الوفدُ الأرمني الذي حضرَ فعاليات هذا المؤتمر راضيًا عن هذه النتيجة، فقد اعتبر أنّ المادّة 61 غير ملبّية لتطلّعاتهم القومية، ففي يوم توقيع المعاهدةِ ذاته في 13 يوليو نشروا احتجاجًا رسميًّا ضدّ مقرّرات المؤتمر بخصوص مسألتِهم، جاء فيه: «يعبّر الوفدُ الأرمني عن أسفِه بأنّ طلباته المشروعة بخصوص

(1) كسبارديردريان، **القضية الأرمنية في القانون الدولي والشهادات العربية لنصرة القضية الأرمنية** ،دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2013، ص. 18.

(2) محمد عبد العزيز الشناوي ،المرجع السابق ،ص ص. 328- 329.

(3) توفيق طاهر هوكر، مرجع سابق ،ص. 139.

مسألته، وبأنّ طلباته المشروعة المعتدلة.... لم يتمّ الموافقةُ عليها من قبَل المؤتمر، وقد أدرك الأرمنُ أنّهم خدعوا، وأنّ حقوقهم لم يتمّ الاعتراف بها لأنّهم كانوا مسالمين.... "[1].

عندما غادر رئيسُ الوفد الأرمني البطريرك "خريميان هايريك" المؤتمرَ خاطبَ الأرمن قائلًا: «لقد طبخت الحرية في برلين، لكنّنا لم نتمكّن من أكلِها بملعقةٍ من ورق، لا ترجون يا أولادي أيّ أملٍ من الأجانب. ودبروا أمورَكم بأنفسكم"[2] . إذًا نتائجُ مؤتمر برلين جعلتِ الأرمن يدركون ألّا جدوى من الاعتماد على القوى الكبرى في حلِّ مسألتهم، فقرّروا الاعتمادَ على أنفسهم في انتزاع مَطالبهم بأنفسهم، وهذا ما سيدفعُ بهم إلى العمل الثّوري؛ فكان هذا المؤتمرُ بمثابة الشّرارةِ الأولى لإشعال الثورة الأرمنية.

المطلبُ الثّالث: تداعياتُ تدويل القضية الأرمنية:

نجَمَ عن تدويل القضيةِ الأرمنية في مؤتمر برلين عدّةُ تداعياتٍ يمكن أن نجملها في النقاط التالية:

1- تدهورُ الأوضاع الأمنية في شرق الأناضول:

عندما اجتاحت القواتُ الروسية شرقَ الأناضول خلال الحرب الروسية العثمانية (1877-1878)، انتهز الأرمنُ الفرصةَ وبدأوا بالإساءةِ إلى المسلمين ،ولم يكن هناك مجالٌ للشكّ من قيام المسلمين بعمليات انتقامية ضدّهم بعدَ جلاء القوّات الروسية ،فتعرّض الأرمنُ للسلب والنّهب ،خاصّة من قِبَل الأكراد والشركس[3]. ويمكن أن نعْزو ذلك أوّلًا إلى مشاركةِ الأرمن إلى جانب القوّات الروسية خلال احتلالها لشرق الأناضول ،فضلًا عن موقف الخيانة الذي أبداه هؤلاء تجاهَ الدولة العثمانية ،فقد تمادوا في الإساءةِ إلى المسلمين ،أمّا الدافع الثاني فهو قديم ،حيث كان الأرمنُ في الريف تحت رحمةِ الأكراد وغاراتهم[4] ،لكنّ هذه الأوضاع - وحسب الوثائق العثمانية- لم تكن مقتصرةً عليهم ؛بل شاركهم فيها المسلمون[5] ،فالقبائلُ الكردية لم تفرّق بين مسلم ومسيحي أو بين تركي وأرمني ،وحتّى بين الأكراد ،بقدْرِ ما كانت تهدفُ إلى السّطو على الممتلكاتِ دونَ إعطاء أهمية للجانب الديني والعرقي.

وما يؤيد ما ذكرناه ،ما أوردته الصّحافة العربية الصّادرةَ خلال تلك المرحلة :"مسيحيّي آسيا التركية كانوا يكابدون كلّ أنواع العذابِ والاضطهاد من طرفِ الأكراد ،حيث كانوا يتعرّضون للضّرب والتسخير والقتل ،ثمّ سبي

(1) توفيق طاهر هوكر، مرجع سابق ،ص. 135.

(2) نقية حنا منصور ، مرجع سابق ،ص. 85.

(3) **الأهرام**، أرمينيا، عدد 21، 30 سبتمبر 1880، ص. 4، الإسكندرية، **التدويل والإصلاحات...** مرجع سابق، ص. 119.

(4) نقية حنا منصور، مرجع سابق، ص. 88.

(5) ***BOA, HR. SYS, 2752/37***.

النساء" ،وهذا ما دفعَ بهم للارتماء في أحضانِ الدّول الأوروبية بهدف تحسينِ أحوالهم على غرار مسيحيّي بلاد "الترك الأوروبية " ،والملاحَظ أنّ الأرمنَ لم يكتفوا بهذا ،بل كانوا يرسلون شكاوي للدّولة العلية ،ضمنوها الأعمال التي كان يقوم بها هؤلاء الأكراد الذين أضرّوا — حسبهم – كثيرًا بالخزينة العامة "لأنّهم حرموا الدولةَ من الاستفادة من أموال الأعشار في وقتٍ كانت فيه الدولةُ في أمَسّ الحاجة للأموال" [1].

والملفت للانتباه ، أنّ الحكومة الانجليزية قد قامت بتوثيق الأوضاع التي كان يعيشها الأرمنُ في شرق الأناضول ،في كتابٍ يُعرَف بـ "الكتاب الأزرق " ،والذي ظهر خلال سنة 1891 م ،وقد تمّ جمعُ وترتيب فحْواه من الكتابات الدّبلوماسية والتقارير التي كان يرسلها الجواسيس في الأناضول لسفراء إنجلترا في اسطنبول[2]. وقد أشار الكتابُ أنّ الإدارة العثمانية قد استطاعت استتباب الأمن في مناطق ،بينما فشلتْ في مناطقَ أخرى ،وذلك راجع لعدّةِ أسباب ،نجدُ في مقدّمتها الأزمةَ المالية التي كانت تعيشها جعلتها أحيانًا تتأخّر في جمع مرتّبات الجنود والدّرك ،وأحيانًا أخرى كانوا لا يستلمون مرتّباتهم أساسًا ،وقد انعكسَ هذا على أدائهم الوظيفي ،بالإضافةِ إلى ما ذكرناه من أنّ الدولة العثمانية خلال حروبها كانت تقوم باستدعاءِ هؤلاء الجنود أو الدّرك للمشاركة إلى جانبِ جيشها[3] ، فالأوضاعُ الأمنية حتّى أثناء تواجد الجنود كانت قابَ قوسيْن أو أدنى ،فما بالُك في حالة عدم وجودهم، فوضى عارمة.

وما زادَ هذه الأوضاعَ سوءًا هو مؤتمرُ برلين ،الذي حطّم آمالَ الأرمن في الحكم الذاتي مما أدّى بهم إلى انتهاجِ الأسلوب الثّوري[4] ،وقد مهّدوا لذلك باقتناء الأسلحة. وفي هذا الإطار نسوقُ مثالًا على ذلك ،حيث ذهبَ أرمنيان هما مِنْهَايْلُونْ من منطقة طرابزون مع أوهانجانيان من مدينة ألكساندروبول ،من قفقاسيا إلى برلين، فقدّمَا شكوى لألمانيا ثمّ توجّهَا إلى لندن بعد أنْ ضمنا حماية إنجلترا ،قامَا بشراء 1000 بندقية من إنجلترا و4000 بندقية من النّمسا ؛استعدادًا للعصيان في وقتٍ لاحق ،وقد مرّ هذا السلاحُ من خليجي بومباي والبصرة ووصل إلى أرمينيا عن طريق إيران[5] ،كما قام شخصٌ آخر يدعى ترزيان بشراء أسلحةٍ قديمة ،تتكون من 180

(1) **مرآة الأحوال،** المسألة الشرقية قبل المؤتمر وبعده ،عدد 17، 8 فبراير 1877، ص ص 1–2، لندن، **التدويل والإصلاحات...،** مرجع سابق، ص ص. 38–39.

(2) ***BOA, HR. SYS, 2752/37.***

(3) جستن مكارتي، **الطرد والإبادة مصير المسلمين العثمانيين (1821–1922)** ، ترجمة فريد الغزي، قدمس للنشر والتوزيع، دمشق، 2005، ص. 74.

(4) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق، ص ص. 139 – 140.

(5) ***BOA, Y. PRK. UM, 1/66.***

بندقية قديمة ،130 ألف طلقة نارية ،و500 سيف ،و 12 بندقية طويلة تستخدم في الحصون و 100 مسدّس عيار 12 ملم ،وعددٍ من الأسلحة القديمة ،وقد أخرجت من ميناء مرسيليا ثمّ وجّهت إلى شرق الأناضول(1).

2- إصلاحات الأناضول الأولى:

موضوعُ الإصلاحات الذي وردَ في مؤتمر برلين كان غامضًا، لم يبحثْ في الخطوط العريضة والأساسية الخاصّة بمرافق الحياة العامّة، التي تحتاجُ إلى الإصلاح في المناطق التي يعيشُ فيها الأرمن، وكأنّ الدول الأوروبية قد تعمّدت تركَ هذا الموضوع غامضًا ليبقى في يدِها ورقةَ ضغطٍ على الدولة العثمانية، فتتدخّل في شئونها الداخلية متى أرادتْ ذلك. إذًا مؤتمرُ برلين ترك موضوعَ الإصلاحات لاجتهاداتِ العثمانيّين ،وبمشورة الدول الكبرى وعلى رأسِها بريطانيا ،وهذا ما نصّت عليه معاهدة قبرص(2).

قبلَ أن يجفّ حبرُ مؤتمر برلين، قام وزيرُ خارجية بريطانيا بمطالبة الحكومة العثمانية أن تبدأ في تطبيق الاصلاحات الواردة في مؤتمر برلين، وقد جاء هذا الطّلب في مذكّرة أرسلها إلى لايارد السفير البريطاني في اسطنبول في 8 أغسطس 1878 تضمّنت:

3- تشكيل جندرمة في المحافظات الآسيوية، ينظمها ويقودها الأوروبيون.

4- إنشاء محاكم مركزية في عددٍ معيّن من المدن المهمة، تكون لها سلطة قضائية على المحاكم الدنيا، على أن يكون في كلّ واحدةٍ أوروبي متخصّص في القانون، والذي تعدّ موافقتُه ضروريةً في كلّ قرار.

5- يعيّن السلطانُ جامعًا للضّرائب في كلّ ولاية ،أي يعيّن موظّفًا يقوم بحساب العوائد للمحافظة ،ويقوم بإلغاءِ ضريبة العشْر ،وتقديم خطّة للبناء لمدّة عشْرِ سنوات ،ويجب أن يكون هذا الموظف من الأوروبيين(3).

انتهزتِ الدّولُ الكبرى الظّرفية السياسية، فقامت بتعيين قناصلَ لها يقومون بمراقبة الإصلاحات، وقد استقبلهم رجالُ الدين الأرمن وكأنّهم أصحابُ السلطة الإدارية، بل أكثر من ذلك أقاموا لهم حفلاتٍ قدّمت خلالها عروضٌ مسرحية ابتهاجًا بوصولهم، حتّى أنّ الأرمن اعتقدوا أنّ وصولَ هؤلاء سيكون بدايةً لإنشاء حكم أرمنيّ في المنطقة؛ فسادت مشاعرُ الفرح والغبطة بينهم. وعلى النّقيض من ذلك ،أفرزَ هذا الوضع الجديدُ مشاعرَ

(1) ***BOA, HR. SYS. 2828/15.***

(2) **الأهرام**، المسألة الأرمنية ،عدد 172، 20 نوفمبر 1879، ص. 3، الإسكندرية، **التدويل والإصلاح**... مرجع سابق، ص. 92.

(3) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق ،ص. 139.

القلقِ والتوجّس بين الأكراد[1]. أمّا بريطانيا كانت قد عيّنت هيئةً مشكّلة من قناصلَ عسكريّين، كلّهم من أركان حرب الجيش الإنجليزي، وعيّنتهم في مناطق متفرّقةٍ من الأناضول، وهي: سيواس، قونية، أضنة أيدين. مهمّتهم في الظاهر كانت لمراقبة الإصلاحات ،لكن في الواقعِ كانوا يسافرون في البلاد لاستطلاع أحوالها والبحثِ في عادات وتقاليد أهلها وملَلِهم وأديانهم ،ثمّ قاموا برسْم خرائط في غاية الدقة[2].

قرّرتِ الحكومةُ العثمانية – وبعدَ المشورة مع بريطانيا – إرسالَ لجنتين إلى شرق الأناضول للتحقيق في مظالم المسيحيّين وتطبيق الإصلاحات، لجنة توجّهت إلى: وان، أرضروم، بتليس. واللّجنة الثانية، توجّهت إلى ديار بكر وحلب. على أنْ يكون على رأسِ كلّ منهما الأتراكُ والأرمن ،على الدّرجة نفسها من الصلاحيات ،وكانت لجنة أرضروم برئاسة كلٍّ من المفوّضين يوسف باشا والأرمني سركيس أفندي *Serkis Efendi* [3]. أما لجنة ديار بكر فكانت برئاسةِ وزير الخارجية السّابق الألباني عابدين باشا ،والذي كان يعدُّ من رجال بريطانيا المخلصين ،وكذلك الأرمني ماناس أفندي *Manas Efendis* [4].

بخصوص لجنةِ أرضروم ،كان من المقرّر لها أنْ تزور مركزَ الولاية وتبقى فيها عدّةَ أشهر ،ثمّ تقوم بزيارة الألوية والأقضية التّابعة لها ،مثل قضاء خنس[5] وكيغي[6] والشكرد[7]، وتزور بعد ذلك وان وبتليس وأرزنجان[8].

وقد اتّفقت اللجنة على تطبيق البرنامج التّالي في أرضروم، وهو تشكيل مفوّضية فرعية في أرضروم بهدف رسم الإصلاحات، وتشكيل الجندرمة الحديثة، والاستماع إلى الشّكاوي، وردّ الحقوق، وتأسيس مجلسٍ محليّ في أرضروم يتكوّن عددُ أعضائه من 38 عضوًا: يتكوّن من المسلمين ومن الأرمن على اختلاف مذاهبهم[8] .

---

(1) طاهر توفيق هوكر ،مرجع سابق،ص. 140.

(2) **المقطم** ،<u>المسألة الأرمنية لمكاتب عثماني</u> ،ع 515 ،الإثنين 3 نوفمبر 1890، ص.1، **التدويل والإصلاحات** ...مرجع سابق، ص ص. 396-397.

(3) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق، ص.144.

(4) *Bayram Kodaman, a.g.e, s. 114.*

(5) **خنس:** قضاء يقع على جنوب لواء أرضروم على مسافة 17 ساعة عن اللواء من توابعه تكمان. أنظر: أحمد الشرقاوي وآخرون، مرجع سابق، ص. 135.

(6) **كيغي:** كان على جنوب غرب اللواء– أرضروم على مسافة 25 ساعة عن الولاية ولها اسم ثان (تمران) يجري فيها نهر (تمران)، نفسه، ص. 135.

(7) **الشكرد:** هو قضاء في منتهى غرب لواء بايزيد على مسافة 16 ساعة عن بايزيد في بلدة (طبراق، قلعة). أنظر: نفسه، ص. 137.

(8) **لواء أرزنجان** ،هو على ولاية أرضروم، هو مركز الجيش الرابع يحتوي على ثكنات عسكرية مستشفى، ومصنع أقمشة، وأرضه زراعية. انظر: نفسه، ص. 136.

بعدَ وصول التيار الليبرالي بقيادة غلادستون *Gladston* إلى سدّةِ الحكم في بريطانيا ،غيّر سياسته تجاه الدّولة العثمانية ،فبعدما كانت إنجلترا تعمل على المحافظةِ على وحدة الأراضي العثمانية ،أصبح هذا الأخير يرى أنّ أمنَ البحر المتوسط لا يكون بالمحافظة على وحدة الدّولة العثمانية ،وإنّما بتأسيس دولة أرمينستان ،وأن المصالح الإنجليزية في الشّرق ترتكز على تقديم الدّعم للعناصر المسيحيّة في الدولة العثمانية ،لذلك قام هذا الأخير بإرسال سفيرٍ فوق العادةِ إلى اسطنبول وهو غوشان *Goschen* [1]. وقام هذا الأخير بلقاء السلطان عبد الحميد الثاني، وأعلمَه بضرورة إدخال إصلاحاتٍ على التّبعة المسيحية التي تعيش تحت إدارته. لكنّ السلطان أجابه أنّ المشاكل المالية التي تعانيها دولتُه لا تسمح له بالقيام بالإصلاحات[2].

بالرّغم من الضّائقة المالية التي كانت تعانيها الدولةُ العثمانية ،فإنها أدخلتْ إصلاحات حسب ما كانت تراه، لأنّ السّلطان عبد الحميد الثاني الذي أصبحت القضية الأرمنية في عهده على قدرٍ كبير من الأهمية ،إلى درجةِ أنّها تحوّلت إلى شغله الشاغل ،وهمٍّ متثاقلٍ على عاتق حكومته كان يخشى أن يتحول شرق الأناضول إلى بلغاريا ثانية ،لذلك الإصلاحاتُ التي أدخلها كانت حسب ما كان يراه ضروريًّا ،فقام بإصدار أوامر لتنظيم الأحوال العدلية في شرق الأناضول عن طريق استبدال جميع القضاة "الذين لم يحسنوا القضاءَ بين الناس " بقضاةٍ يحملون شهادات ،وذلك لغلقِ الطّريق في وجه شكاوي الأرمن "ولا يترك للأكراد فرصةً لشنّ الغارة"[3].

بقيت هذه الإصلاحاتُ حبرًا على ورق ،أحيانًا تحوّلها الدول الكبرى إلى ورقة ضغط على الدولة العثمانية، وأحيانًا أخرى تغضّ الطّرفَ عنها ،وهذا حسب مصالحها ،فروسيا قد تخلّت عن استراتيجية حماية الشّعوب المسيحية العثمانية منذ بداية حكم القيصر ألكسندر الثالث (1881-1896) ،وحتى فرنسا انتهجت نفسَ الأسلوب الروسي، لأنّها كانت منشغلةً باحتلال تونس منذ عام 1881، حتى إنجلترا طلبت من سفيرها بالأستانة اللّورد جوشين في 10 فبراير 1881 عدم فتح ملفّ الإصلاحات وتفعيل المادة "61" ،وبسحب

(1) ***BOA, Y. EE, 138/3***, ***Osmanli belgelerinde Ermeni - Engliz ilişkileri (1845-1890)***, *Cil 1, .Başbakanlik Basımevi ,s. 54,55,56.*

(2) *Bültent Bakar ,* ***Ermeni tehciri*** *, Ankara, 2009, s. 26.*

(3) **المقطم** ،إصلاحان عثمانيان ،عدد 256، السبت 28 ديسمبر 1889، ص.1, القاهرة ، **التدويل والإصلاحات**... مرجع سابق ، ص ص .296-297-298-299.

قناصلها العسكريّين لأنّها كانت تريد إرضاءَ حليف الدّولة العثمانية ؛ألمانيا ،بُغية عدم اعتراضهما على تدخلها في مصر بدءًا من فبراير 1881، والذي انتهى إلى الاحتلال عام 1882[1].

3- إنشاءُ الفرق الحميدية:

أصدرَ السّلطان عبد الحميد الثاني في يناير 1890 مرسومًا ،ينصّ على تشكيل فرسان (خيالة) من الكرد في شرق الأناضول ،إلّا أنّ التّاريخ الفعلي لتنفيذ هذا المرسوم كان في يناير 1891 ،لذلك يعتبر هذا التاريخ الرّسمي الذي شكّلت فيه تلك الفرسان ،وقد سماها السّلطانُ عبد الحميد الثاني بالحميدية تيمّنًا باسمه[2]. فما هي الأسبابُ التي دفعت بالسّلطان لإنشاء هذا النوع من الفرق العسكرية؟

قبل أن نخوضَ في الأسباب التي أدّت إلى إنشاء مثل هذه الفرق، نلقي نظرةً على هذه الوحدات العسكرية. الحميدية قواتٌ من الفرسان ينحدرون من عدّة قبائل: أكراد، تركمان، شركس[3] ،وقد أنشأت على أساسٍ عشائري ،حيث شكّلت العشائر الصّغيرة فوجًا واحدًا ،فيما شكّلت العشائر الكبيرة أفواجًا عديدة[4]، وكانت تشكيلةُ هذه الفرقة تتكوّن من مائة ألف فارسٍ كردي ،و200 أورطة[5] ،وكانت كلّ أورطة تحتوي على 500 و 550 فارسٍ مسلّح ،وقد استعمل لمساعدة هذه الفرقة وحداتٌ خاصّة عرفت باسم "جان بيراز" أي قابضي الأرواح[6] ، وكان معظمُ هؤلاء من المجرمين والأشقياء وقطاع الطرق والقتلة خاصّة[7].

لمعرفة الدّافع وراء تشكيل فرسانِ الحميدية ،يجب أن نضعَ الفترة الزمنية التي ظهرت فيها هذه الفرق في سياقها التّاريخي ،فالدولة العثمانية كانت قد خرجتْ من حربٍ مع روسيا كلّفتها الكثير ،حيث فقدت العديد عن أراضيها في أوروبا ،فضلًا عن خسارتها مناطقَ أخرى في شرق الأناضول ،فأنشأ عبد الحميد الثاني هذه الفرق من

---

(1) محمد رفعت الإمام، رؤية الغرب لعلاقة الدين بمذابح الأرمن العثمانيين (1894–1986) ، **حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية** ، الحولية السابعة، ربيع الآخر 1426 هـ أبريل 2008، مركز البحوث والدراسات التاريخية، جامعة القاهرة، ص ص. 61 وما بعدها.

(2) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق، ص. 215.

(3) نقية حنة منصور، مرجع سابق، ص 116.

(4) جاستن ماكارتي، أسعد أرسلان، جمال الدين تاشكيران، عمر ثوران، **التمرد الأرمني في فان**، ترجمة الشبكة الدولية للترجمة، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2010، ص. 85.

(5) **أورطة:** تعني في المفهوم العسكري كتيبة جند، تقية منصور، مرجع سابق، ص. 116.

(6) نفسه، ص. 116.

(7) نفسه، الملحق رقم 4، ص. 256.

أجل درء العدوّ الروسي من حدوده ،وكانت روسيا قد قامتْ بزرع قوات (القوزاق) التي كانت تهاجم الحدود العثمانية[1] ،إذًا هناك مَن يُرجع تشكيل الحميدية إلى رغبةِ الدّولة العثمانية الدفاع عن نفسها من الخطر الروسي.

وهناك مَن أرجع سببَ تشكيلها إلى محاولة السيطرة على الكرد، لأنّ الدولة العثمانية وطوال العصر الحديث لم تستطعِ السّيطرة عليهم، فمن أجلِ منع المصادمات بين الأرمن والأكراد عمل السّلطان عبد الحميد الثّاني على تحقيق انضمامِ المقاتلين الأكراد الجبليّين – الذين يتّسمون بالشجاعة الفائقة – إلى الجيش النظامي، بهدف إخضاعهم للنّظام العسكري المنظّم، والإبقاء على قوتهم العسكرية تحت نظام مقنن. وقد تم أخذ الأكراد تحتَ إدارة مكوّنة من قادةٍ عسكريّين نظاميّين يحملون أعلى الرّتب ،وأخضعوا لنظامٍ صارم ،ولا ريب أنهم أحرزوا تقدّمًا كبيرًا في هذا المضمار[2]. وهناك مَن أرجع سبب تشكيلها لقمع الحركة التحريرية الأرمنية ،حيث لعبوا دورًا مهمًّا في درْءِ اجتياح الثوّار الأرمن من إيران عام 1896 [3].

منحت الدولةُ العثمانية الفرسان الحميدية امتيازاتٍ متنوّعة، حيث أعفتهم مع أفراد عائلتهم الذكور من الخدمة العسكرية في الجيش النظامي، كما أعفتهم من جميع الضرائب ما عدا ضريبة العشور وضريبة الأغنام، فضلًا عنْ ذلك إعطاؤهم أسلحةٍ عند استدعائهم للخدمة، بالرغم من أنّهم كانوا يحتفظون بأسلحتهم التقليدية. وكان يرأس الحميدية رؤساءُ القبائل[4] ،أمّا ضبّاط الجيش النظامي فقد كانوا يزورون هذه المجموعات لتدريب أفرادها والتأكّد من ارتفاع مستواهم الحربي ،حيث قام السّلطانُ عبد الحميد بإنشاء مكتب العشيرة لتدريب الضباط الأكراد والتركمان ،كما كان يرسل ضباطًا من البدو إلى المدارس الحربية ومدارس الفرسان للتدريب ،وبعد انتهاء دراستهم يعودون لمجموعاتهم في شرق الأناضول[5].

عُرفَ عن فرسان الحميدية عدمُ الانصياع للأوامر العسكرية ،بل كانوا يتبعون أوامرَ زعماء عشيرتهم ،إذن، هذه الوحداتُ كانت بقيادتيْن ،فبالرغم من تمكّن السّلطان عبد الحميد من جمْعهم عسكريًّا ،إلّا أنّ ولاءاتهم كانت شتّى، كلٌّ يدينُ بالولاء لعشيرته ،أمّا ولاؤهم للدولة العثمانية كان ثانويًّا ،وهذا ما جعل العشائرَ المنضوية تحت لواء

(1) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق، ص. 216.

(2) ***BOA, HR. SYS, 2851/59***.

(3) جاستن ماكارتي وآخرون، مرجع سابق، ص.85.

(4) **ثمرات**، الفنون، توجيهات ،ع 854، الاثنين 12 أكتوبر 1891، ص. 01، بيروت، التدويل والإصلاح, مرجع سابق، ص. 464.

(5) محمد عبد العزيز الشناوي ،مرجع سابق ،ص. 352.

الحميدية تتقاتل فيما بينها ،إلّا أنّه في هذه المرّة القتال أصبحَ بأسلحةٍ أحدث ،كما أنّهم قاموا بقتل الأبرياء والمذنبين على حدٍّ سواء خلال قمعهم لحركات التمرّد الأرمنية(1).

ورثَ السّلطان العثماني عبدُ الحميد الثاني تركةً ثقيلة عن أسلافه، بالرغم من المجهودات المبذولة من طرفه، والتي ساهمت كلّها في إطالة عُمْر الإمبراطورية عقودًا أخرى. إلّا أنّ المشكلَ الكبير الذي واجهه تمثّل في "المسألة الأرمنية" التي خرجتْ من نطاقها المحليّ إلى العالمية ،بعد أن منحها مؤتمرُ برلين 1878م المادة "61" ،هذه المادة التي أصبحت بمثابةِ ورقة ضغطٍ بيدِ الدّول الأوروبية للتدخّل في شئون الدولة العلية ،لذلك الأرمن لما لاحظوا سياسةَ التّسويف والمماطلة التي اتّبعها السلطان العثماني في تطبيق الإصلاحات ،اتّبعوا الأسلوب الثوري ،فبدءوا بشراءِ الأسلحة من أوروبا استعدادًا للعصيان والتمرد على الدولة العثمانية ،هذه الأخيرة حاولت كبحَ هذا التمرد بإنشاء فرقِ الحميدية ، التي كانت تقتلُ المذنبين والأبرياء على حدّ سواء ،ودونَ تمييز.

(1) جاستن ماكارتي وآخرون ، مرجع سابق ، ص. 86.

المبحث الثاني: الأحداثُ الأرمنية
(1894م-1896 م) / (1311-1313 هـ)

المطلبُ الأوّل: أحداثُ ساسون 1894م *(Sasun)*.

المطلبُ الثّاني: تأزم الأوضاع الأمنية في الأناضول واسطنبول.

المطلبُ الثّالث: تداعياتُ الأحداث الأرمنية(1894-1996م).

المطلبُ الرّابع: مسئوليةُ الأحداث الأرمنية (1894-1996م).

خيبةُ أملٍ كبيرة أصابت الأرمنَ نتيجة مؤتمر برلين 1878 م، فخروجهم خاليي الوفاض إلّا من برنامج إصلاحاتٍ غامضٍ لم يبيّن ماهيتها. بالرغمَ من أنّ الأرمن كانوا قد عوّلوا كثيرًا على هذه الإصلاحات، لكنّ سياسة التّسويف والمماطلة في تطبيقها من طرفِ الدولة العثمانية، بسبب المشاكل المالية التي كانت تتخبّط فيها من جهة، وإلى رفضِ السّلطان العثماني القيامَ بالإصلاح من الأساس خوفًا من تحوّل شرق الأناضول إلى بلقان أخرى من جهةٍ ثانية؛ لأنّ انفصال بعض المناطق من الدولة العثمانية قد مهّد له كذلك بإصلاحات. هذا ما دفعَ بالسّلطان عبد الحميد الثاني ،إلى القيام بتوطين القبائل الكردية لعرقلة الأرمن من الوصول إلى هدفِهم المتمثّل في إقامة دولةٍ مستقلّة ، مما أثارَ حفيظتهم(1).

لكنّ الملاحَظ أنّ سياسة التّوطين التي انتهجَها عبد الحميد الثاني لم تقتصرْ على القبائل الكردية ،بل شملتْ —كذلك – المسلمينَ الذين فرّوا من البلقان بعدَ هزيمة الدّولة العثمانية هناك ،وحتى المناطق التي احتفظت بها روسيا بعدَ معاهدةِ برلين ،أدّت إلى هجرة المسلمين منها نحو شرق الأناضول مثل الشركس والآذر ،وهُم عبارة عن قبائلُ لا تملك شيئًا ،لذلك سلكوا أسلوبَ السّلب والنّهب في سبيل بقائهم ،فقاموا بسلب ونهب قرًى مسلمة ومسيحية على حد سواء ،مما دفعَ بالمسلمين للاحتجاج لدى الموظّفين المحليّين ،أمّا الأرمنُ كانوا يقدمون احتجاجاتهم إلى القناصل و السفارات الأجنبية(2).

إذًا ،هذه الأوضاعُ المشحونة بعدم الأمن والفوضى ،فضلًا عن الأفقِ المسدود الذي لم تتّضح معالمه بعد ، دفعَ بالأرمن للقيام بعددٍ من التمرّدات بواسطة اللّجانِ الثّورية ،التي تأسّست بعد أن قرّر الأرمنُ الاعتماد على أنفسهم في تشكيل دولة "أرمينستان" ،فوجدت الدولةُ العثمانية نفسَها وجهًا لوجهٍ مع الأحزاب والمنظمات الثّورية الأرمنية ،وعلى رأسها الهنشاق والطاشناق ،وكان هذا الصراعُ على الصّعيدين الداخلي والخارجي ،ففي الدّاخل من خلال قيام تلك الأحزابِ والمنظمات بعملياتٍ نوعية ضدّ أهداف عثمانية ،قابلتها الحكومةُ العثمانية بردِّ فعلٍ عنيف ،أمّا خارجيًّا فمن خلال قيامِ تلك الجمعيات بنشر أخبارٍ كاذبة عن الدولة العثمانية ،في أوروبا وأمريكا ،مما جعل وزارةَ الخارجية تنشغل بتبرئةِ ساحتها ،من خلال الردّ على الاتهامات الأرمنية في الصحافة الأوروبية والأمريكية(3).

(1) يوسف إبراهيم الجهماني، مرجع سابق، ص. 25.

(2) جستن مكارثي، مرجع سابق، ص. 75.

(3) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق، ص. 273.

خلالَ الفترة الممتدّة من 1894 إلى 1896 م، شهدت القضيةُ الأرمنية تصعيدًا خطيرًا، حيث كان الأناضولُ – وخاصّة شرقه – مسرحًا لها. والسّؤال الذي يُطرَح في هذا الصّدد: ما هي أهمّ الأحداث التي شهدها شرقُ الأناضول؟ وما هو موقفُ الدّول الكبرى منها؟ ومَن يتحمّل مسئولية هذه الأحداث؟ وما تداعياتها؟

شهدت منطقةُ شرق الأناضول سلسلةً من الأحداث التي أدّت إلى خسائرَ ماديةٍ وبشرية كبيرة سواء في الجانب العثماني أو الأرمني ،وقد فضّلنا استعمالَ مصطلح أحداث ؛لنلتزم الموضوعية ،بالرغم من أنّنا نجد بعض المؤرّخين استعملوا مصطلح "المجازر الحميدية" ،خاصّة الفرنسيّين منهم ،"والمجازر الحميدية"[(1)] إشارةٌ إلى الألوية الحميدية ،التي قامت بارتكابها في حقّ الأرمن الأبرياء العزّل انتقامًا من العمليات التي كانت تقوم بها الأحزابُ الأرمنية ،والتي سنأتي على ذكرها تباعًا.

المطلبُ الأوّل: أحداثُ ساسون 1894 (*Sasun*):

تمرّد ساسون الأول (في أغسطس عام 1894) كانت بدايته مواجهة بين قبائل المنطقة وبين الأرمن، أو بمعنى أوضح عصابة من الأرمن يقودُها الثوري داماديان *Damadian*. وكان داماديان أحدَ منظّمي وقادة مظاهرة كوم قابي ،وقد هرب إلى أثينا بعد المظاهرة ،وهناك نظّم مظاهرة أخرى في يوليو 1891 ،وعندما عاد إلى ساسون نظّم عصابةً من الثوريين ،وعمل على تشجيع الأرمن على التمرّد ،وكانت أنشطتُه مهاجمة القرى والقبائل المسلمة المحيطة بالمنطقة ،وتعرّضت كذلك لبعض جنود الجندرمة في الطرقات ،ومات أحدُ هؤلاء الجنود [(2)].

في عام 1893 استفحل أمرُ هذه العصابة ،وقويت شوكتُها ،وكثرت مهاجماتُها للقبائل ،خاصّة قبائل بيكرانلو ناوانلو وتالوري ،ووصلت أخبارُ العصابة وهجماتها إلى استانبول ،فأرسلت إمداداتٍ إلى المنطقة، واستطاع الجنود السّيطرةَ على الموقف ،وفيما بعد تمّ القبضُ على داماديان بعد إصابته ،وأرسل إلى استانبول للمحاكمة ،إلّا أنّه أطلقَ سراحُه بعد فترة ،وهو ما يدعو للدّهشة والتّساؤل ،هل كان ذلك رضوخًا للتدخّلات الأجنبية من لدن السّفراء ،أو ضغوطات من الدّول الكبرى لتنفيذ الإصلاحات ،أو هو محاولة من السّلطات لاحتواء الثوار وفتحِ صفحةٍ جديدة ؟على أيّة حال كان هذا العفو المتكرّرُ عن الثوريين من أكبرِ الدوافع لمواصلة الأنشطة الثورية بشكل أقوى وأكثر جرأة. و هو ما يؤكّده الوثائق: "في منطقة ساسون– الموجودة في مقاطعة

(1) *Vincent Duclert*, ***La France face au génocide des Arméniens, du milieu de XIX**ème **siècle à nos jours** , Fayard Histoire, France, 2015, P. 93.*

(2) ***Turkey, No.: 1 (1895) 1, No. 252, P. 135.***

بتليس– ثوري اسمه داماديان ،وآخرون ،أثاروا مشاحناتٍ بين الأكراد والأرمن[1]، وفي أغسطس 1894 اندلع تمرّدٌ حقيقي مثل تمرد ساسون ،وهو واحدٌ من أكبر مجهوداتِ الحزب ضدّ الحكومة التركية والأكراد[2].

وبخلافِ لجنة تقصّي الحقائق التي تكوّنت من مجموعةٍ تضمّ عثمانيّين وإنجليز وفرنسيّين وروس، كان هناك المراسلون الصحفيّون الذين شاهدوا الوقائعَ وما نتج عنها، مِن هؤلاء الصّحفي الأمريكي مراسل جريدة نيويورك، والذي جمع مقالاته الخمسة التي أرسلها إلى جريدته، وأصدرها في كتيّبٍ صغير عام 1895م يحمل عنوان: "*The Armenian Troubles and where the responsibility lies*" أي: الاضطرابات الأرمنية ،وحيثما توجدُ القدرةُ على الأكاذيب، صدر في نيويورك عام 1895 عن: *J. J. Little and Company* ،ويضع فيه المسئوليةَ في الأحداث على العصابات الأرمنية التي يقودها قائد الهانشاق بويادجيان *Hambardsum Boyadjian* ،وكذلك عصابة داماديان *Damadian* ويصف الكتابات الدّعائية حول أحداث ساسون وضدّ العثمانيّين بأنّها قد تمّ تلويثُها بالأكاذيب والمبالغات. وثمّة مصدرٌ أمريكي آخر عن أحداث ساسون ؛يجمل فيها الوقائع والأحداث ،قام بنشره مترجمًا محمد رشيد رضا في مجلّته "المنار" عنْ جريدة نيويورك هيرالد ،تنسب أيضًا بدايةَ ظهور الأحداث وتفاقهما إلى تحركاتِ العصابات الأرمنية ،واعتداءاتها واستفزازاتها ،وتنفي أعمالَ القمع والتّعذيب ضدّ الأرمن التي نسبها البعضُ إلى الجنود الأتراك [3].

وقبلَ الحادثة المعنيّة، ظهر خطابٌ باسْم لجنة الهينشاق في العددِ الثّالث من جريدة الهينشاق، المؤرّخة 1894 والذي مهّد للعاصفةِ التي كانت على وشكِ الهبوب، كتب هذا الخطاب أرمنيّ من قرية كزلجاك *Kizilagac* في مقاطعة موش *Muş* ،وقد ذهب للتّحالف مع هارير نجوكه ،واستمرّ في العمل في هذه المنطقة حتى عام 1904 وممّا جاء هذا الخطاب:

"الإخوة الأرمن، أخيرًا نشهد اليومَ الذي انتظرناه لقرون، إنّ الأجراس تدقّ من تلال ساسون، والرايات الحمراء تتألّق فوقَ الجبال يحملها الناسُ الذي يحملون الروحَ الأرمنية، هُم اليوم منتصرون، فقد حانتْ ساعةُ النّصر، لقد

---

(1) ***Turkey, No.: 1 (1895) inc, No. 23.***

(2) أحمد عبد الوهاب الشرقاوي ،"الأنشطة الأرمنية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني "،بحث منشور ضمن كتاب: **السّلطان عبد الحميد الثاني في الذاكرة العربية** (مجموعة بحوث مؤتمر جامعة دوملو بينار– كوتاهية– تركيا) ،ج2 ، دار الأصول العلمية، استانبول، 2019م ، ص 667–668.

(3) محمد رشيد رضا، "قليل من الحقائق عن تركيا في عهد جلالة السلطان عبد الحميد الثاني.. الأرمن وفتنتهم"، **مجلة المنار**، (القاهرة)، المجلد 3، الجزء 7، 11 محرم 1318 / 10 مايو 1900)، ص 164.

جاءَ الوقتُ لاتّخاذ قرارٍ موت أو حياةِ الطاغية. اليوم تدخل القضيةُ الأرمنية مرحلةَ المجد ،وانتهى الخضوع والذلّ للأعداء ،انتهت آهاتُ وصمتُ الذين اكتووا من الاضطهاد ،وسيحلّ محلّها زئيرُ الأسود "[1].

1– ردود الفعل الأوروبية من أحداث ساسون 1894 م:

في هذا الإطار ،مِن الأهمية بمكانٍ بيانُ مواقف الدول الأوروبية المختلفة حول هذه الأحداث ،فبعد أزمة ساسون حاولَ رئيسُ الوزراء البريطاني إرسالَ سفينةٍ حربية إلى البحر الأسود ،بهدف التدخّل لحلّ هذه الأزمة ،إلّا أنّ هذه المبادرة لقيت معارضةً شديدة من طرف روسيا وفرنسا[2]. وفي أعقاب ذلك طالبت الحكومةُ البريطانية من البابِ العالي تشكيلَ لجنة دوليةٍ للتّحقيق في أحداث ساسون، ولم تجد الدولةُ العثمانية بدًّا من الاستجابة لهذا الطلبِ لتخفيف ضغوطات الدّول الأوروبية عليها، فتشكّلت هذه اللجنة بعضويةِ قناصل روسيا وفرنسا وإنجلترا من أجلِ إجراء تحقيقاتٍ عادلة وحيادية حول الأحداثِ التي وقعت في ساسون.

طاف أعضاءُ اللّجنة في منطقة الاضطرابات منذ 21 يناير 1895، ودامت التحقيقاتُ عدّةَ أسابيع، وأهمُّ ما جاء في تقرير هذه اللجنة ما يلي:

1. الأرمن كانوا أوّلَ مَن قام بإشعال فتيلِ هذه الاضطرابات، نتيجة تحريض من اللجان الأرمنية وأشخاص جاؤوا من الخارج، وزّعوا على الأرمن أسلحةً نارية متكرّرة الطلقات.
2. الحكومةُ العثمانية التي قامتْ بإرسال القواتِ العسكرية لإخماد الاضْطرابات الأرمنية، قد تصرّفت في حدود ما يسمحُ به القانون لها من حقوق.
3. الأرقامُ التي أذيعت عنْ عدد القتلى الأرمن مبالَغٌ فيها إلى حدٍّ بعيد ،كما برّأ التقرير زكي باشا من الاتّهامات التي وجّهها الأرمن إليه[3].

أمّا إذا جئنا لمعرفةِ مواقف باقي الدّول الأوروبية خلالَ هذه المرحلة من أحداث ساسون عامة، والقضية الأرمنية خصوصًا، رأينا أنّه من الضروري أنْ نبدأ بموقف روسيا التي شهدت تغييرًا جوهريًّا من النقيض إلى النقيض في مواقفها، فبعد أنْ ساندت الأرمنَ، وهُم بدورهم علّقوا عليها آمالًا كبيرة لتحقيق طموحاتهم، إلّا أنّها تشدّدت في مواقفها اتجاه الأرمن بعدَ وصول ألكسندر الثاني إلى سُدّة الحكم (1881–1897م). كما أنّ ظهور صراع بين المؤسّسة الدّينية الأرمنية وبين الأحزاب الأرمنية، والذي انتهى بتمكّن اللّجان من قيادة التيار القومي الأرمني،

(1) *M. Varandian, **History of the Dashnaksution**, Paris, 1932, P. 147.*

(2) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق، ص. 304.

(3) محمد عبد العزيز الشناوي، مرجع سابق، ص. 341.

الأمرُ الذي دفعَ بهم لتغيير مراكز قيادتِهم إلى لندن. إذًا هذه الأسبابُ مجتمعةً دفعت بالأرمن للارتماء في أحضان بريطانيا مُستفيدين من العلاقةِ التي ربطوها بوزراء ونوّاب في البرلمان البريطاني من أمثال غلادستون(1).

أمّا فرنسا فقد انتهجتْ سياسة النّأي بالنفس عندما رأتْ أنّ هذا الصّراع لا ناقةَ لها فيه ولا جمل، إلّا أنّ هذا الموقف تغيّر بعد أنْ دخلت في حلفٍ مشترك مع روسيا عام 1892م، وهذا ما دفع بها إلى تبني نفس موقف هذه الأخيرة، والمتمثّل في المحافظة على أمنِ وحماية وحدةِ أراضي الدولة العثمانية. "وبهذا الشّكل تحقّق سبل وطرق الدّفاع عن سواحل البحر الأسود ومضيق الدردنيل ،ولم يعدْ هناك أيّ قلق أو خوف على ناحية البحر المتوسط، إنّ هاتين الدّولتين الصّديقتين (روسيا وفرنسا) ستدعمان وتساعدان الدولةَ العثمانية كأصدقاء حقيقيّين ،وبشكل بعيدٍ عن الرياء والتباهي..."(2).

أمّا بالنسبة لألمانيا التي ظهرتْ على السّاحة الاستعمارية، ولكنْ بحذر شديدٍ محاولة الاستفادة من الظّروف السياسية الدوليّة، وخاصّة المحيطة بالدّولة العثمانية من أجل التقرّب منها، قد اختارت هذه الأخيرة أسلوبًا هادئًا ودبلوماسيًّا لتحقيق ذلك، على عكس المنهج العسكري الذي اتبعته الدولُ الاستعمارية الأخرى، ولقد نجح هذا الأمرُ في تقبّل الدولة العثمانية لألمانيا باعتبارها الأقلّ خطورة عليها حسب ظنّ القائمين عليها. فكانت الطريقُ ممهّدة بين الطّرفين العثماني والألماني في تلك المرحلة من أجل إقامة علاقات أخذتْ طابعَ الودّ والصداقة بين الطرفين ،ودعّمَ كلّ منهما الآخرَ في أزماته ،مع تحقيق الفائدة الاقتصادية بين الطّرفين(3). لذلك لم تكن ألمانيا لتقف مكتوفةَ اليد في حال نشوب حربٍ ضدّ الدولة العثمانية(4).

إذًا، من خلال ما سبقَ نلاحظُ أنّ المواقف الدّولية بخصوص القضية الأرمنية كانت متباينة، تتحكم فيها المصالحُ بين الدول، وكذلك مصالحها في الدولة العثمانية.

المطلبُ الثّاني: تأزّمُ الأوضاع الأمنية في الأناضول واسطنبول:

لم تهدأ الأوضاعُ في الأناضول بعد أزمة ساسون، بل لم تكنْ هذه الأخيرة إلّا مقدمةً لسلسلة من الأحداث التي بلغت ذروتها، وصارت أكثرَ عنفًا وتطرّفًا، ويمكن أن نعْزو السّببَ الأساسي الذي أجّج الوضعَ بشكلٍ كبير إلى الشّائعات التي كانت تنشرها كلٌّ مِن السّلطات العثمانية المحلية، والأحزاب الثورية، ومَفادها أنّ السّلطانَ

---

(1) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق، ص. 309.

(2) ***BOA, Y. PRK. ESA, 16/80.***

(3) سهام هنداوي، **التطور التاريخي للعلاقات الألمانية العثمانية، (1293هـ / 1909/1327م) وثائق سرية**، دار نينوي، دمشق، سوريا، 2015، ص ص. 73-74.

(4) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق، ص. 310.

العثماني والدّولَ الأوروبية قد توصّلوا إلى قرارٍ ينصّ على منح الحكم الذّاتي للأرمن في الولايات الست. لذلك بعدَ أحداث ساسون انتشرتِ الأحداثُ مثلَ النار في الهشيم لتشمل إسطنبول والأناضول.

1- مظاهرةُ الباب العالي:

قام حزبُ الهنشاق بتنظيم مظاهرة في يوم الاثنين 18 سبتمبر 1895 م ، واتجهت هذه المظاهرةُ إلى قصر السّلطان عبد الحميد الثاني، لذلك سميت "بمظاهرة الباب العالي"(1) ،وقد حدثتِ هذه المظاهرةُ بعد يوميْن من إعلام السفارات الأجنبية المتواجدة في اسطنبول ،اتّخذت الحكومةُ التركية خلالها تدابيرَ أمنية ،حيث تمركز الجنودُ في الشّوارع و حول المباني الإدارية ،وأنذرت الشرطة في القسطنطينية من احتمال وقوع أعمال احتجاجية .تمّ هذا تقريبًا في ظهيرة الاثنين عندما دخل قادةُ الهنشاق إلى البطريركية الأرمنية في اسطنبول ،ومن هناك قادوا آلافَ المتظاهرين للاحتجاج أمام قصر السّلطان. رئيسُ المظاهرة هو جارو، وقد قدم هذا الأخير التماسًا إلى السّلطان نيابةً عن الأرمن في القسطنطينية، وباقي الأرمن في المقاطعات الأرمنية الستة. وكتب العريضة مجلس الإدارة في الهنشاق اشتكت أولا: من المذابح المستمرة للأرمن على أيدي الحكومة العثمانية، ثانيا: التوقيف الظالم والعقوبات القاسية للسجناء، ثالثا: ظلم الأكراد، رابعا: فساد الأوضاع الضريبية، خامسا: مذبحة ساسون. وطالبت بالمساواة أمام القانون، حرية الصحافة، حرية التجمعات واللقاءات، حرية الكلام. وكلّ الأشخاص الموقوفين لهم حقّ الإشعار القضائي. ومنح الأرمن الإذنَ لحمل السلاح إذا لم يستطيعوا نزعَ سلاح الأكراد. وضع حدود سياسية جديدة للمقاطعات الأرمنية الست. وتعيين حاكم أوروبي لهذه المقاطعات. إجراء إصلاحات مالية وإصلاح زراعي. كما حذّروا إذا استمرّت الأمورُ على هذا الحال فإنّ الإمبراطورية العثمانية سوف تعاني(2).

2- الهجومُ على البنك العثماني 1896م:

شهدتِ العملياتُ الأرمنية تطوّرًا نوعيًّا ،فمن المعروف أنّ اللّجان الأرمنية المجسّدة في الطاشناق والهينشاق كلٌّ منهما استعمل أسلوبًا مختلفًا ،(3) بينما العمليةُ التي نحن بصدَدِها والمعروفة بواقعة البنك العثماني 1896 تختلف عمّا كان متعارفًا عليه بين الحزبين.

---

(1) *Yves Ternon , **Les Arméniens**, Editions du Seuil, paris, 1996, p. 109.*

(2) ***Turkey, No.: 2 (1896) No. 50, inc. 2***.

(3) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق، ص. 320.

إذا وضعنا هذه العمليةَ في سياقها الزمني، أي سنة 1896م، فالمرحلةَ الزمنية الممتدّة بين (1894-1896م)، هي المرحلةَ التي وصلت فيها الأحداثُ الأرمنية في الدولة العثمانية لذروتها، حيث عرفنا أنّه وقعت خلالها عدّةُ أحداث، منها ما تطرقنا إليه، ومنها ما لم نتطرّقْ إليه، مثل العصيانات التي تمركزت في شرق الأناضول خاصّة. أمّا المظاهراتُ فقد كانت شوارعُ اسطنبول مسرحًا لها. لكنّ الملفِتَ للانتباه أنّ وقْع هذه الأحداث كان يختلفُ حسب منطقةِ حدوثها، فالأحداثُ التي وقعتْ في اسطنبول كان لها أثرٌ كبير بالمقارنة مع الأحداث الأخرى التي وقعت خارجها. ومن أهمّ هذه الأحداث "حادثة البنك العثماني"، حيث لم يسبقْ لعاصمةِ الدولة العثمانية أنْ شهدت حدثًا مماثلًا خلال سنوات 1890م أو قبلها.

وقعَ هجومُ البنك العثماني في يوم الأربعاء من تاريخ 26 أوت 1896 ،في منطقة غالاطة *Galata*، حيث يوجد مقرُّ البنك العثماني ،وقد تمّ تنظيمُ هذا الهجوم من طرف الثّوار المنتمين للجنة الطاشناق الأرمنية التابعة لفرع اسطنبول ،والتي تعتبر جزءًا من تنظيمٍ أوسع في الواقع(1). هناك عدّةُ أسباب دفعت بلجنة الطاشناق لاختيار هذا الهدف: البنك العثماني(2).

كان السّوادُ الأعظم من الموظّفين الذين يشتغلون فيه ينتمون لجنسيات مختلفة، لذلك يعتبر هذا البنكُ المكانَ المناسب لإيصال صوتِ المسألة الأرمنية للرأي العام العالمي ،فالدّولُ التي لديها موظّفون فيه لن تقفَ مكتوفة الأيدي أمامَ العملية ؛فهي حسبَ تقدير الثّوار ستقوم بمساعدتهم في الحصول على ما يُريدونه من الدولة العثمانية مِن أجل تخليص مواطنيهم(3) .

هناك مصادر أكثر دقة تذكر لنا أحداث البنك العثماني ؛فبعدَ استسلام مهاجمي البنك العثماني ،وإنهاء المفاوضات ،والاتفاق على ترحيلهم إلى مارسيليا على يختِ سير إدجار فينسنت *Sir Edgar Vincent* رئيس البنك ،ظلّ سكرتيرُ الرئيس معهم على متن اليخت ،وعن الحوار الذي دارَ على ظهر اليخت كتبَ هذا

---

(1) *Fekrettin Yavuz,* ***Osmanli devletin`inde Ermeni terörü 1896 Osmanli bankası baskını, Türk*** *tarih kurumu, Ankara ,2015, s. 75.*

(2) **البنك العثماني:** تأسّس سنة 1836 برأس مال قدره 700 ألف ليرة إسترلينيه بفرمانٍ من طرف المملكة الإنجليزية، وفي 1863 اشترك في التّأسيس رأس مال فرنسي, وفي نفس السنة أي شباط 1863، أعطي لهذا البنك صلاحية صنع الأوراق النّقدية، التي هي وظيفة أساسيّة للبنك المركزي، تحت اسم البنك العثماني الفاخر أو الرائع، المدير العام والأعضاء كانوا من الفرنسيين والإنجليز, وله مراكز في باريس ولندن، وكانت الهيئة المكلفة بتطبيق القرارات المتخذة مشكلة كذلك من 7 أشخاص إنجليز وفرنسيّين، وكان هذا البنك بأتمّ معنى الكلمة بأيدٍ إنجليزية وفرنسية ،وبواسطته يتمّ القيام بالصرف الداخلي والخارجي للدولة العثمانية. *Fikrettin Yavuz, a.g.e,s.82*

(3) *Fikrettin Yavuz , a.g .e , s. 82.*

السّكرتير ف. أ. بيكر *F. A. Baker* التقرير الذي نلخّصه فيما يلي: "أحداثُ هذا اليوم تمّ التّخطيط لها لمدّة ثلاثة أشهر بواسطة اللّجان الثورية الأرمنية المنتشرة في الدول الأجنبية، ثمّ جاءَ رؤساء هذه الفرق إلى استانبول منذُ حوالي ثلاثةِ أسابيع ،كان الهجومُ على المصرف جزءًا من برنامجهم، أخبروني– والحديث لسكرتير رئيس البنك بيكر– أنّ هناك أهدافًا أخرى للهجوم هي: الباب العالي، البطريركية الأرمنية، حي باكير كوي، بنك الائتمان، مركز الشرطة في فايفودا، مركز الشرطة في جالاطه سراي، كنيسة آيا تريادا اليونانية (1).

قام المهاجمون بصنعِ القنابل بأنفسهم، وحصلوا على المتفجّرات من إستانبول، وتمّ الهجومُ أوّلًا على المصرف العثمانيّ، بالتزامن مع هجوم فرقةٍ أخرى على مركز شرطة فايفودا، حتّى لا يتمكّن من إرسال النجدة إلى البنك. وقد تمّ استخدامُ القنابل لأنها تحدث دمارًا كبيرا ،وتنشرُ الخوف في محيط واسع ،وكان أعضاءُ الفرق المهاجمة من الأرمن الأتراك ،عدا الرّؤساء الثلاثة فإنّهم جاءوا من القوقاز ،وكان بعضُهم من فان ،وأحدهم كان من استانبول أو عاشَ فيها فترةً طويلة لأنّه على درايةٍ كبيرة بالمكان، وكان منهم مَن تلقّى تعليمًا عاليًا وعلى معرفة باللغات الروسية والفرنسية والتركية واليونانية(2).

ويواصل بيكر تقريرَه قائلًا: وكان هؤلاء الثّوار ذوي حماسٍ شديد وعزيمة قوية، أخبروني مرارًا وتكرارًا أنهم لن يسلموا أنفسَهم أبدًا، لم يكونوا راغبين في العفو عنهم لأنّهم أرادوا إجبارَ الحكومة على تنفيذ الإصلاحات، وقالوا: إنّ محاولاتهم التّاليةَ ستكون أكثر فظاعةً من أيّ شيء عُرف حتى الآن...كانت كراهيتهم للأتراك فوق الوصف.. قالوا: إنّهم سيرجعون مرّةً أخرى إلى مقدونيا... وكانوا واثقين من نجاح عمليتهم القادمة.. كانوا متلهّفين لمعرفة مقدارِ الدّمار الذي حقّقته بقيّة الفرق، وأعداد القتلى الذين سقطوا، وما إذا كان الجنودُ يطلقون النار على الأرمن. أخبروني أنّ نيّتهم كانت قتلَ جميع الأتراك في المصرف قبل تفجيره، لكنّ العملية انتهت سريعًا على عكس توقّعاتهم(3).

ونقلًا عن مصدر أرمني نأخذ روايةَ أحد المشاركين في الهجوم على المصرف وهو *Hayik Tiryakain*، يقول: "26 أغسطس ،السّاعة السّادسة والنصف صباحًا ،كان 16 شخصًا يقفون لبدء احتلال البنك ،حملنا أكياسنا المليئة بالقنابل وأسلحتنا ،وبينما كنّا نقترب من المصرف ،سمعنا أصواتَ الأسلحة ،

---

(1) ***F. O. 424/188, No. : 174, inc.: 4***.

(2) ***F. O. 424/188, No. : 174, inc.: 4***.

(3) ***F. O. 424/188, No. : 174, inc.: 4***.

ألقى أصدقاؤنا القنابل ،أسرعنا إلى المصرف ،اعتقدوا أنّنا لصوص ،أخبرتهم ألّا يخافوا ،كانت القنابل تعطي نتائجَ مُدهشة ،لم يموتوا على الفور ،لكنْ تمزّق لحمهم إربًا إربًا ،وجعلهم يتلوّون من الألم والمعاناة ،ذهبنا إلى مكتب رئيس البنك برفقة جارو ،وأمْلَينا شروطنا. كانت مطالبُنا هي أنْ تنظر القوى الكبرى إلى قضيتنا وينجزوا مطالبنا، وألّا يعاقب المشاركون في هذا الأمر، وإذا لم ينفّذ ذلك سنفجّر البنك بمن فيه. كان عددُ المقاتلين 17 رجلًا ،مات منهم ثلاثة وجُرح ستة ،أمّا خسائرُ أعدائنا فكانت فادحة [1].

ويذكر المؤرخُ الأرمني فاراندیان: "إنّه في بداية العملية أرسلت اللجنة الثورية الطاشناق إلى القوى الكبرى مذكرة تحوي: "لقد شكونا كثيرًا من القهْر التركي، لكنّ كلَّ شكوانا رُفضت على الفور، واستجاب السُلطان عبد الحميد لهذا الأمر بانتقامٍ دموي. رأت أوروبا هذه المذبحة المروّعة، وظلّت صامتة. لم تترك أوروبا هذا الرجلَ الدّموي فحسب ،لكنها أجبرتنا على تنكيس رؤوسنا ،حاولت إسكاتَ أصواتنا بإغراقها في الدّماء ،كرامتنا القومية ذُبحت، لقد ذللنا لأنّهم رفضوا إعطاءنا الشيء الأساسي في حقوق الإنسان ؛الطموحات التي أريقت مع دمائنا تصاحبت اليوم مع الانتقام المخيف ،والذي أصبح خطرًا يحدق بنا في كلّ الأوقات [2]. نحن نطالب كما طالبنا دائمًا بما هو ضروري، وبكلمات أخرى:

1) تعيين أوروبي كرئيسٍ مُقيم للشرطة، ويختاره القوى الستة.
2) تعيينُ حكّام المقاطعات ورؤساء المناطق يقوم به الرئيس المقيم لشرطة مع موافقة السلطان.
3) يوظّف رجال الميليشيا والجندرمه والشرطة من السكان المحليين، ويرأسهم موظف أوروبي.
4) نظام قضائي يتواكب مع النظام الأوروبي.
5) حرية تامّة للدين، التعليم، الصحافة.
6) الإعفاء من الضرائب لمدّة خمس سنوات، والضّرائب المستحقّة في الخمس سنين التالية ستذهب من أجل إصلاح الضّرر الذي تسبب فيه العصيان الحالي.
7) الاسترجاع السريع للممتلكات المصادَرَة.
8) عفوٌ عامّ عن الأرمن المدانين من أجل الأسباب السياسية.
9) تشكيل لجنةٍ طارئة مع ممثلين من الدول الأوروبية، والتي قد تشرف على تطبيق وتنفيذ المطالب السابقة.

(1) *East Uras, Op. Cit.,P P. 509 – 511*

(2) *M. Varandian, Op. Cit.,P P. 160 – 163*.

ونحنُ نكرّر يجبُ أن نقوم بأيّ تضحية من أجل تحقيقنا لأهدافنا، لكنْ لن نتحمل مسئولية ما سوف يحدث. ونحن نأسفُ على الخسارة التي تحمّلها الأجانبُ وأبناءُ الوطن في تلك المشاغبات، نحن حزانى لكن لا ينفع الحداد.. سوف نموت ،نحن نعرف هذا ،لكنْ حتّى نحصل على حقوقنا ،وهي جزءٌ من حقوق البشرية ،روح الثورة والمتغلغلة في أعماقنا سوف تستمرّ مهدّدةً تاجَ السّلطان طالما بقي أرمنيّ واحدٌ على قيد الحياة(1).

ومِن ناحية أخرى، ذكرتِ المصادر والدراساتُ الموضوعية، وغير المتعاطفة مع أيّ من الجانبين أنّ الاضطرابات استمرّت بعد ذلك في إستانبول عدّةَ أيام، حيث واصل الأرمنُ هجماتهم. ففي 30 أغسطس كتب السفير البريطاني في برقيته أنّ بعض الأرمن ألقوا قنبلةً في جالاتا قرب المصرف العثماني ،وأجاب الجنودُ عليهم بفتح النّار... لا يمكن لأحدٍ أنْ ينكر أنّ القنبلة الثانية التي ألقاها الأرمنُ أثارت الأتراكَ بشكل جدّي، كما قام الأرمنُ كذلك بإلقاء قنبلةٍ أخرى في 3 سبتمبر(2).

بالنسبة لعدد الضحايا الهجوم على البنك العثماني، نجد إشارة له في إحدى الوثائقِ البريطانية أنّه قتل نحو 120 جنديًّا، وجرح حوالي 25، كما تمّ اعتقالُ حوالي 3000 مسلم بسبب الأحداث. وتعلّق الوثيقة أنّ الإجراءات التي اتّخذتها الحكومةُ مقنعة ،وقد تأسّست محكمةٌ خاصّة لمحاكمة المتهمين في هذه الأحداث ،حوكِمَ فيها المتّهمون من المسلمين والأرمن " (3).

3- تمرّدُ فان 1896:

قال القائدُ العسكري العثماني في فان– سعد الدين باشا– إنّه منذ أكتوبر 1895 ظلت الحوادث تتوالى في فان وتتصاعدُ الأحداث ،وقد سجّل هوَ في تقريره أنّه حتّى قيام التمرّد في فان كانت قد سجّلت 23 حادثة (4). ويمكنُنا تلخيصُ النّقاط الرّئيسية من تقريرِ القائد العسكريّ في فان كالتالي:

في 3 يونيو أطلقتْ مجموعة أرمنية النارَ على إحدى الفصائل العسكرية ،أثناء قيامهم بدورية وراء الحي الأرمني عند بساتين فان ،وقد أصيب قائدُ الدورية بإصاباتٍ خطيرة هو وأحد الجنود ،وعندما ذهب النائبُ العامّ والقاضي وقائدُ الجندرمة ،ومدير الشرطة في الصّباح إلى موقع الحادث للتحقيق ،لم يتمكّنوا من ذلك ؛إذ

---

(1) *M. Varandian, Op.cit, P. 160 – 163.*

(2) ***F. O. 424/188, No. : 144, 169***.

(3) ***F. O. 424/188, No. : 190, inc.: 1***.

(4) ***Hazine- I Evrak, Karton 313, dosey 69, 23 Jullet, 1896***.

إنّ الطريقَ الوحيد من منطقة البساتين إلى المدينة يسكنُ على جانبيه سكّان أرمن ،وقد قام هؤلاء السكان في مساءِ ذلك اليوم أيضًا بإطلاقِ النّار من منازلهم على المارّة المسلمين ،تدخّل الجنودُ لنصح الأرمن بعدم إطلاقِ النار ،وحاولوا منع الحادثة ،إلّا أنّ الرّد الأرمني كان الرفض التّام لاقتراب أيّ شخص من منازلهم ،بل قاموا بتحصين منازلهم ،واستعدّوا للمناوشات. وفي 6 يونيو أرسلت قناصلُ بريطانيا وإيران وروسيا تطلبُ من الأرمن تهدئة الأمور ،وإلقاءَ السلاح ،ورفَضَ الأرمن[1].

وفي 8 يونيو تبادل الجنودُ الثوار الأرمن إطلاق النار. وفي 9 يونيو توقّف إطلاقُ النّار من المنازل المحصنة، إذ إنّ الثوار فرّوا. هربَ حوالي 780 من الثوار، وأثناء هروبهم عبْرَ منطقة حميدي هاجموا قبيلة موزركي، وعند توجّه الجنود إلى هناك حاصروهم وطلبوا منهم الاستسلام؛ رفض الثوارُ وحاولوا الهربَ مرّة أخرى عبر قرية إسبستان إلى إيران، ولكن تمّ القبضُ عليهم. وكان منهم 286 عضوًا في حزب الطاشناق والهانشاق. حاولت مجموعة من الثّوار الهربَ عبر منطقة سالهاني، وأثناء هروبهم هاجموا قبيلة شيمسكي، وقد تبعهم الجنود، ووقع تبادلٌ لإطلاق النار حتّى قضي على جميع الثّوار عدا واحدٍ استطاع الهرب. استسلم بقيةُ المتمردين بعد انتهاء التمرد [2].

ووفقًا لنفس التقرير كان إجماليّ ضحايا الأحداث من الجانبين 878 ما بين قتيلٍ وجريح ،وفي تقريرٍ للقُنصل البريطاني في فان ميجور **وليامز** ***Major Williams*** مؤرخ في 28 يونيو 1896 ،يقدّر إجمالي عدد ضحايا التمرّد بـ 800 شخص ،منهم 500 أرمنيّ و300 مسلم[3] .

4- الحركةُ الأرمنية في زيتون(Zeytun):

عرفنا – سابقًا – أنّ منطقة زيتون من المناطق التي كانت تتمتّع بحكمٍ ذاتي ،وكثيرًا ما كانت تثورُ على الحكومة العثمانية ،وقد بدأت الحركةُ الأرمنية في زيتون بقيام ستّةِ أشخاص من الهنشاق ،بمهاجمة ثكنةٍ عسكرية عثمانية ،حيث يكفي أن يتمّ قطعُ خطّ الماء حتى يتمكّنوا من إجبار 400 عسكريّ عثماني من الحامية على الاستسلام ،ففي 31 أكتوبر بعد استسلام الحصن تمّ تشكيلُ حكومة مؤقّتة في زيتون تحت إدارة أربعِ عائلات أرمنية من المدينة التي كانت تضمّ ما بين عشرين وثلاثين ألف نسمة ،من بينهم أرمن لجئوا إلى زيتون خوفًا من

---

(1) ***Hazine- I Evrak, Karton 313, dosey 69, 23 Jullet, 1896***.

(2) ***Hazine- I Evrak, Karton 313, dosey 69, 23 Jullet, 1896.***

(3) ***Turkey, No. : 8, 1896, No. : 337, inc., 1.***

الموت بعدَ الأحداث التي شهدتها مناطقُ متفرّقةٌ من الأناضول ،فضلًا عن 2000 متمرّدٍ مسلّح بالبنادق ،في هذه الأثناء قامتِ الدّولةُ العثمانية بإرسال 20.000 عسكريّ مسلّحين جيدًا ،و 30.000 كرديّ وشركسي غير نظامي[1]. حاصروا بشكلٍ كامل زيتون، مما دفع بالهنشاقيّين الذين قادوا الحركةَ إلى الانسحاب منها واللّجوءِ إلى الكنائس الموجودة في المنطقة، إلّا أنّ هذه الحركة لم تنتهِ رسميًّا إلّا في 28 نوفمبر 1896، عندما تدخلت الدول الغربية، واقترحت مذكرةَ تفاهمٍ ترضي الطرفين، تضمّنت ما يلي:

3. يقوم أهالي زيتون بتسليم أسلحتهم[2].
4. نفي خمسةٍ من عناصر العصابات المسلحة الأرمنية إلى خارج الدولة العثمانية.
5. إصدار عفوٍ عامّ عن الأرمن المشاركين فيها.
6. تخفيض نسبة الضرائب الحكومية عليهم[3]

المطلبُ الثّالث: تداعياتُ الأحداث الأرمنية (1894م – 1896م):

لقد تمخّض عن هذه الأحداث عدّةُ نتائج، يمكن أن نجملها في النقاط التالية:

1- خسائرُ بشرية:

ذهبَ ضحيةَ هذه الأحداث آلافُ الأرمن ،لكنْ ليس هناك أرقامٌ ثابتة لعدد القتلى ،فالحصيلة تختلف من جهةٍ إلى أخرى ،فهناك مَن يُرجعها لحوالي مائة ألف ومائة وخمسين ألفًا[4] ، أمّا الكتاب الأصفر الفرنسي[5] فقد أرجع حصيلةَ الضحايا إلى غاية فيفري 1896 بحوالي 37.085 قتيلًا ،وذلك بالاعتماد على وثائق السفراء الإنجليز والفرنسيّين ،أمّا البطريركية الأرمنية فتؤكّد أنّ هناك على الأقلّ 300.000 قتيلٍ ،وهناك من أرجع حصيلة الضّحايا من (1894-1895) إلى 100 ألف قتيل[6]. وهو نفسُ العدد الذي صرّحت به بعضُ الصحف العربية الصّادرة خلال تلك الفترة ".... أفضت إلى ذبح مائةٍ إلى مائتي ألف مِن هؤلاء، عدا ما تبع هذا من تمزيق

---

(1) *Yves Teron, Op. cit, p. 130.*

(2) *Félix Charmetant* , ***Martyrologe Arménien tableau officiel des massacres d'Arménie****, dressé* ***après enquêtes****, Paris, 1896, p. 80.*

(3) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق، ص ص. 322-323.

(4) رفعت الإمام، **القضية الأرمنية**...مرجع سابق، ص: 30.

(5) **الكتاب الأصفر:** هو شبيهٌ بالكتاب الأزرق الإنجليزي، يحتوي مراسلات القناصل والسفراء الفرنسيين في الدولة العثمانية، مع وزارة خارجيتهم بخصوص المسألة الأرمنية.

(6) *Yves, Teron, Op. cit, p. 141.*

أعراضِ النّساء وتيْتيم الأطفال، وتخريبِ البلاد وتشْتيت الشّمل، وطرد الأرمن من المصالح الأميرية وخدمة الدوائر الخصوصية"[1].

2- إسلامُ بعضِ الأرمن :

نتيجةً للأحداث التي تعرّض لها الأرمنُ فإنّ بعض المصادر الغربية اتهمت الدولة العثمانيةَ بإجبار الأرمنِ على اعتناق الإسلام ،هذه المصادرُ أمعنت في اتّهام حكومة السلطان عبد الحميد الثاني "بالإكراه الدّيني"[2] ،في تقديرنا صحيحٌ أنّ الأرمن اعتنقوا الإسلامَ لاعتقادهم أنه بإسلامهم سيمتنع الأكرادُ والأتراك عن مهاجمتهم ؛لأنّ الأرمن كانوا في نظر هؤلاء كفّارًا يجوز قتلُهم .والذي فاجئنا أكثر أنّ الأرمن كانوا بينناريْن ؛إذا لم يسلموا هُم عرضةٌ للقتل والسلب والنّهب ،وإذا ما أسلموا وأرادوا الرجوعَ إلى دينهم الأصلي فإنّه يطبّق عليهم حدُّ المرتدّ فيُقتلون[3]. إلّا أنّ البابَ العالي "سمح للأرمن الذين دانوا بدين الإسلام نظرًا للاضطهاداتِ أن يرجعوا إلى دينهم الأوّل إذا أحبّوا...."[4].

3- هجرةُ الأرمن:

يعتبر بعضُ المؤرخين العرب أنّ السياسةَ التي انتهجها السلطانُ عبد الحميد الثاني ،والمتمثلة في "المذابح" والتي ذهب ضحيتَها الآلافُ من الأرمن خلال الفترة الممتدّة بين (1894-1896) ؛تعتبر بحقّ جريمةَ إبادةِ جنس ،الوسيلة الوحيدة — حسبهم – التي رآها هذا السّلطانُ ناجحةً للتخلّص من المسألة الأرمنية ،وهذا لا يتأتى إلّا بالتخلّص من الأرمن أنفسهم[5].وفكرةُ حلّ القضية الأرمنية عن طريق القضاء المبرَم على الأرمن —كما يدّعي المؤرّخون الأرمن –كانت من بناتِ أفكار رئيس وزراء عبد الحميد الثّاني كوتشوك سعيد (سعيد باشا الصغير)، ثمّ تبنّاها السلطان[6].

(1) **حوادث خارجية**، روايات الصحف، ع 97، الثلاثاء 12 فبراير 1897، القاهرة، ص.1، **الأرمن وتركيا الفتاة (1897-1908)** ...مرجع سابق، ص ص. 32-33.

(2) *Felix Charmetant, Op.cit, p. 58.*

(3) *Ibid, p. 43.*

(4) **حوادث خارجية**، روايات الصحف، ع 97، الثلاثاء 12 فبراير 1897، ص.1، القاهرة، **الأرمن وتركيا الفتاة...** مرجع السابق، ص. 32-33.

(5) مروان المدور، مرجع سابق، ص. 367.

(6) نيقولاي هوفهانيسيان، **الكتابات التاريخية عن الإبادة الأرمنية** ، ترجمة: سحر توفيق، الجمعية الخيرية الأرمنية العامة، القاهرة، 2011، ص ص. 69-70.

كنتيجةٍ طبيعية لما تعرّض له الأرمنُ في كامل الأناضول ،فقد هاجرتْ أعدادٌ كبيرة منهم إلى عدّة مناطق من العالم ،لذلك يمكن أن نعتبر الهجرةَ من أهمّ النّتائج التي يمكن الوقوفُ عليها ،حيث شكّلت العوامل الأمنية عاملًا أساسيًّا لهجرة الأرمن ،فضلًا عن تدهور الأوضاع في جميع مناحي الحياة ،لقد كانت روسيا من المناطق التي استقبلتْ أعدادًا كبيرة ،من المهاجرين الأرمن لقربها جغرافيًّا من شرق الأناضول ،هذا من جهة ،ومن جهةٍ أخرى كانت تضمّ في تخومها عددًا لا بأسَ به من الأرمن الذين يُعرفون بأرمن روسيا ،ولما كانت روسيا مَن تحمل العبء الأكبر من هذه الهجرة ؛قام سفيرُها في الأستانة بمطالبةِ الباب العالي بالسماح للأرمن الذين هاجروا إلى القوقاز بالعودة إلى أراضيهم ،إلّا أنّ الحكومة العثمانية كانت تماطل في إعطائهم الإذنَ بالعودة ،هذا ما دفع بروسيا للتّساهل مع السّلطان في أمرِ متأخّرات الغرامة مقابلَ الإذن لـ 60 ألفًا من أرمن الأناضول الذين كانوا قد هاجروا إلى القوقاز بالعودةِ إلى بلادهم ،وقد رضي السلطانُ إعطاءهم هذا الإذن بالرّغم من المعارضة الشديدة للوزراء[1]. لذلك "أرسل البابُ العالي إلى سفراء روسيا ليعطوا جوازاتِ السّفر للأرمن والأتراك الذين اشتركوا في الحوادث الأخيرة (أي الحوادث الأرمنية 1894–1896) ويعودوا إلى بلادهم ،فلا خوفٌ عليهم ولا هُم يحزنون"[2].

بالإضافةِ إلى روسيا ،هاجر الأرمنُ إلى عدّةِ بقاع أخرى مثل اليونان والصّرب ورومانيا ومصر ،فضلًا عن بلغاريا[3] التي هاجر إليها الكثيرُ من الأرمن إثرَ حوادث (1894–1896) ،حيث كان الأرمن– خاصّة الثوار منهم– يعتقدون أنّهم سيجدون فيها ملاذًا آمنًا لهم ،وكانت هذه الأخيرة قد تحصّلت على استقلالها عقب ثورة قامت بها، لكنّهم وجدوا عكسَ ما توقّعوه ،فقد تعرّضوا للتّضييق على أنشطتهم ،وقامت حكومةُ هذه الأخيرة بإبعاد الكثيرِ من الأرمن المشتبَه في أمرهم ،بناءً على طلبٍ من الباب العالي ،كما أوقفت جريدة ثورية كانت تنشر باللغة الأرمنية ،وفي ذات السّياق تعهّدتْ للباب العالي بأنها لن تتسامحَ مع أيّ أرمني يعمد إلى "تكدير الراحة"[4].

(1) **الأهرام**، روسيا والعثمانية، ع 6140، الثلاثاء 7 يونيو 1898، الإسكندرية، ص1، **الأرمن وتركيا الفتاة (1897–1908)** ... مرجع سابق ، ص. 133.

(2) **السيار**، بدون عنوان للمقال، عدد 5، الثلاثاء 2–فبراير 1897، القاهرة، ص. 1، نفسه، ص. 29.

(3) **التاريخ العمومي**، أخبار الأرمن في روسيا، ع 313، الإثنين 25 يناير 1897، القاهرة، ص.1، نفسه، 25.

(4) **الشتا**، حوادث خارجية ، ع 92، 22 سبتمبر 1897، القاهرة، ص.2 ، نفسه ، ص.100.

4- إصلاحاتُ الأناضول الثّانية :

موضوعُ الإصلاحات – الذي سبق وتطرّقنا إليه – تمّ إعادةُ إحيائه من جديدٍ بعد أزمة ساسون من طرف بريطانيا ،التي عجزتْ عن التدخّل عسكريًّا لحلّ الأزمة نتيجة معارضة كلّ مِن روسيا وفرنسا ،بعد إرسالها سفن حربية إلى البحر الأسود(1). لقد كان موضوعُ الإصلاحات حجرَ الزاوية في البند 61 والذي تحصل عليه الأرمن في معاهدة برلين 1878 (2). قدّم مشروع الاصلاحات الأرمنية إلى الحكومة العثمانية في 11 ماي 1895 من طرفِ سفراء: بريطانيا وفرنسا وروسيا في اسطنبول ،كما قدّم كذلك لسفراء ألمانيا والنمسا وإيطاليا(3). وتضمّن هذا المشروعُ أكثرَ من 90 مادّة ،شملت مختلفَ المجالات الإدارية والاقتصادية ،فضلًا عن الضرائب والقضاء ،وتنظيم الجيش والشّرطة ،وموادّ متعلّقة بالعشائر الكردية(4).

وأهمّ ما جاء فيه ما يلي:

7. إعادةُ تنظيم الولايات الست (أرضروم، بتليس، وان، سيواس، معمورة العزيز، وديار بكر) عن طريق توزيع سكّانهم حسب انتماءاتهم الإثنية.
8. ضرورةُ مصادقة سفراء الدول الكبرى على تعيين ولاة الولايات الست.
9. وجوبُ إصدار العفو العامّ على جميع الأرمن الذين شاركوا في أحداث ساسون، والذين تمّ الحكم عليهم، سواء فيما يتعلّق بمن ارتكبوا جرائم قتل أو دون ذلك.
10. يجبُ على الحكومة العثمانية أن تقوم بتأمينِ عودةِ جميع الأرمن الذين تركوا أراضيهم، إمّا نتيجة الخوف أو الذين هربوا بعد ارتكابهم عمليات القتل.
11. ضرورةُ إرسال هيئةٍ لكلّ ولايةٍ على حدة، من أجل القيام بتحديد القضايا المتعلّقة بجرائم القتل أو التهم العادية، يترأس هذه الهيئة مسلمٌ ومسيحي، كما تتشكّل من عضويْن أحدهما قاضي الحكم والآخر مدّعٍ عام.
12. إرسالُ موظّفين رفيعي المستوى من اسطنبول من أجل مراقبةِ أوضاع السجون، يساعدهم أفرادٌ مسيحيّون في حالةِ ما إذا كان السّجناءُ مسلمين، أو مسيحيّون في حالة ما إذا كان السّجناء مسلمين.

---

(1) الطاهر هوكر، مرجع سابق، ص. 308.

(2) نفسه، ص. 310.

(3) *Cevdet Küçük, a.g.e, s. 116.*

(4) طاهر هوكر، مرجع سابق، ص. 311.

13. تعيينُ مفتّش عامّ لمراقبة تطبيق الإصلاحات، يعيّن له مساعدٌ مسيحيّ إذا كان السّكان مسلمين، ومساعد مسلمٌ إذا كان السّكان مسيحيّين.

14. تشكيلُ "هيئة المعاينة" في البابِ العالي من أجل مراقبة إجراء الإصلاحات كاملة.

15. المحافظةُ على كلّ الامتيازات، والحقوق التي منحت للأرمن وتطبيقها كلها.

16. تعيينُ موظّف مسيحي خاصّ بمعيّة الولاة من أجل المحافظة على مصالح الأرمن الذين يسكنون خارج الولايات الست(1).

يمكنُ أن نلاحظ على الإصلاحات التي تقدّمت بها الدولُ الثلاثة آنفة الذّكر، هو تركيزها على إصلاح أوضاعِ الأرمن فقط، وكأنّ الأرمن هُم وحدهم مَن يسكن الولايات الست.

إذًا، بناءً على ما أوردناه: ما موقفُ السّلطان عبد الحميد الثاني من مشروع الإصلاحات الأوروبية المقدَّمة له؟

قدّم السّلطان عبد الحميد الثاني عدّةَ اعتراضات على الإصلاحات، وكانت نقاطُ الاختلاف مع المشروع الأوروبي للإصلاح تنحصر في النقاط التالية:

- إنّ المسيحيّين في الولايات الستّ سيعيّنون في الوظائف هناك حسبَ نسبتهم السكانية.
- ستعيّن حكومةُ السلطان الموظّفين من ذوي المراتب العليا، مثل الولاة ونوابهم، ولن تكون عن طريق عمليةٍ انتخابية يقوم بها سكان الولاية.
- إلغاءُ المواد القضائية المتعارضة مع القضاء العثماني.

اتّبعت الدولةُ العثمانية – كعادتها كلّ مرّة – سياسةَ التّسويف والمماطلة ،لأنّ خبرتها الطويلة في مجال الإصلاحاتِ جعلتها على وعيٍ كبير ،بأنّ مجرّد التوقيع على خطّة الإصلاحات الأوروبية ستؤدّي إلى زعزعة مكانتها في الأناضول(2). إلّا أنّنا نجدها بعد تجدّد أعمال القتل والسلب والنهب ،في الأناضول اضطرت للموافقة على اللّائحة النهائية لمشروع الإصلاحات في 17 أكتوبر 1895 ،لذلك تمّ تعيينُ لجنة للإشراف على الإصلاحات برئاسة "شاكر باشا" ،الذي لم تنظرْ إليه بريطانيا بعين الرّضا بسبب ميوله لروسيا ،كما عيّن كلّ من "دانش بك" رئيس القسم القنصلي في الباب العالي ،و"إحسان بك" وهو دبلوماسيّ في السفارة العثمانية في

(1) *Cevdet Küçük, a.g.e, ss. 117-118.*

(2) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق، ص ص. 314-315.

طهران ؛مُعاونين لشاكر باشا[1]. إلّا أنّ اللجنة لم تحرزْ أيّ تقدّم مذكور بسبب تجدّد الاضطرابات في شرق الأناضول من جهة، وكذلك دخول شاكر باشا في صراعٍ ضدّ الولاة والمسئولين العسكريين في المنطقة، وضدّ "زكي باشا" نفسه المشرف على الخيالة الحميدية من جهةٍ أخرى. كما أهملت الدولةُ العثمانية أمرَ الإصلاحات لنشوب حربٍ بينها وبين اليونان عام 1897 [2].

تندرجُ الإصلاحاتُ التي ذكرناها أعلاه، ضمنَ التدخّل الأوروبي الصّريح في شئون الدولة العثمانية، لذلك كانت هذه الأخيرةُ كلَّ مرّة تلجأ إلى سياسة المماطلة في تنفيذها، لكنّ هذا لم يمنع السّلطانَ عبد الحميد الثاني مِن الاهتمام بنفسِه بالإصلاحات المقتضى إجراؤها لطائفةِ الأرمن، وفق ما كان يراه، وذلك حسب ما جاء في مؤتمرِ برلين؛ لذلك أمرَ بإنشاء لجنةٍ مهمَّتُها الوقوفُ على الإصلاحات، ثمّ إعداد تقرير مطوّلٍ للسلطان لبيان تلك الإصلاحات، التي نذكر منها:

إلغاءُ الإجراءات غير الاعتيادية التي أجريت لمنعِ الأرمن من الانتقال في الممالك المحروسة، ما عدا الذين يُشتبه فيهم.

إنّ الحكومة العثمانية تساعد الأرمنَ على تشييد الكنائس والمدارس والأديرة التي هدمت في أثناء الحوادثِ الأرمنية الأخيرة، ثمّ إصلاح ما يقتضي إصلاحُه منها.

إنّ الحكومة السّنية تدفع لمستخدميها الأرمن الذين قُتلوا أو أبعدوا في أثناء الحوادث جميعَ الأموال التي لهم عندها.

العفو عن الأربعة والخمسين أرمينيًّا ،وتخفيض الحكم الذي صدرَ بالإعدام على اثنين منهم ،واستبداله بالسّجن المؤبد[3].

إذا جئنا للمقارنةِ بين مشروعي الإصلاحات، يمكن أنْ نقول إنّ المشروعَ الأوّل حمل بين طيّاته صبغةً متنوّعة شملت معظمَ المجالات كما أسلفنا، مما جعله يمثّل فرصةً للقوى الأجنبية، ولاسيّما إنجلترا، للتدخّل في الشئون الدّاخلية للدولة العثمانية، أمّا إصلاحاتُ الدولة العثمانية فكانت تهدفُ بالدّرجة الأولى للتخفيف من

(1) *Cevdet Küçük, a.g.e, ss. 143- 144.*

(2) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق، ص. 316.

(3) **الإخلاص**، حوادث خارجية المسألة الأرمنية، ع 334، الإثنين 23-أكتوبر 1899، القاهرة، ص.1، **الأرمن وتركيا الفتاة 1897-1908**...مرجع سابق، ص ص. 167-168.

مخلّفات الأحداث التي وقعتْ في شرق الأناضول، وتحسين الأوضاع العامّة للأرمن؛ لدرْءِ البلاد من الوقوع في دوّامة المجازر مجدّدًا.

المطلبُ الرّابع: مسئوليةُ الأحداث الأرمنية (1894م–1896م):

شهدتِ القضيةُ الأرمنية خلالَ الفترة الممتدّة من (1894–1896) منعرجًا خطيرًا، نتيجة اتّباعها الوسائل الثّورية، مما أثّر سلبًا على العلاقة التي كانت تربطُ الدّولةَ العثمانية بالأرمن الذين ما فتئت تلقّبهم بالملة الصادقة، فتحوّل الأرمنُ من أمّةٍ مسالمة إلى أمّةٍ تسعى بكلّ الوسائل والطرق للانفصال عنِ الدّولة العثمانية وتشكيل كيانها المنفصل. فانتشرَ خلالَ هذه المرحلة القتل والسّلب والنهب الذي طال حيزًا جغرافيًّا واسعًا من الأناضول، وفئات اجتماعية مختلفة الأعراق والأديان، وفي هذا الإطار السّؤال الملحّ الذي يطرح نفسَه في هذا الصّدد: مَن يقف وراءَ هذه الأحداث؟ أو بتعبيرٍ آخر مَن يتحمّل مسئولية هذه الأحداث الدموية التي عصفتْ بإسطنبول والأناضول نهاية القرن التاسع عشر الميلادي؟

1– مسؤولية الأحزابُ الأرمنية:

حزبُ الأرمينكان والطاشناق والهينشاق ،تندرج ضمنَ الأحزاب الأرمنية التي حملت شعارَ الثورة ،من أجل انفصال ما أسموه بـ "أرمينيا الغربية" عن الدّولة العثمانية ،وبغية تحقيق هذا الهدف المنشود استعملوا الإرهابَ والعصيان ،فشرعوا في شراء الأسلحة وتخزينها في المدارس والكنائس ،وفي نفس الوقت قاموا بأعمالٍ دعائية عن طريقِ توزيع مناشير تحرّض الأرمنَ الذين كان أغلبهم حتّى تلك اللحظة بمنأى عن السياسة[1].

أشارت بعضُ الوثائق العثمانية إلى أنّ الأرمن كانوا يقومون بارتكاب العديد من الجرائم ،ويتحرّكون وفقًا للتّعليمات التي تصدرُ إليهم من الجمعيّات الثورية في الدولةِ الأجنبية ،فمثلًا كانت عصابات قطع الطريق الأرمنية ترتدي الملابسَ الكردية ،وتقوم بقتل أرمنٍ آخرين ؛حتّى توجّه أصابع الاتّهام إلى الكرد .كما كانت الأحزابُ الأرمنية تسعى بكلِّ ما أوتيت من قوّةٍ لإثارة القلاقل ،وتنظيم الخدع المتنوعة[2].

إذًا، كانت الأحزابُ الأرمنية منذُ البداية تبيّت النيّةَ للثّورة ونشر الاضطرابات والقلاقل في شرق الأناضول، ولم يكنْ هذا راجعًا إلى أنّ الأرمن كانوا يتعرّضون للقتل والسّلب والنهب بسبب كوْنهم نصارى فقط، كما ذهب إليه العديدُ من الأرمن المدعومين من الصّحافة الغربية. ولو فرضنا — جدلًا – أنّ هذا القول صحيح لماذا لم يتعرّض الأرمنُ قبل هذا التّاريخ للاضطهاد ؟ولماذا لم يتعرّض باقي النصارى للأذى ؟وفي هذا الإطار نسوق

(1) أنظر: الفصل الثاني، المبحث المتعلق بالأحزاب والجمعيات الأرمنية.

(2) ***BOA, HR.SYS, 2851/59***

مثالًا لما نحن بصدَدِه ،فخلالَ مظاهرة اسطنبول لم تتعرّض ممتلكاتُ اليونانيّين – الذين كانوا بدوْرهم من النصارى – إلى الأذى ،ما عدا ممتلكات الأرمنِ في الأستانة[1] .هذا من جهة ،ومن جهةٍ أخرى عرف عنِ الدّولة العثمانية عبْرَ تاريخها الطويل أنّها تميّزت بالتّسامح الديني ؛لأنّها كانت دولةً أممية ضمّت عدّة أعراق ،فعلى سبيل المثال لا الحصر ،اليهودُ الذين طردوا من روسيا "على نحوٍ يصيب جميعَ الأمم المتحضرة بالأسى والحزن ،لجئوا إلى ترابِ الأرض العثمانية ،وسرعان ما وجدوا فيها الرّاحةَ والأمن"[2].

إذا جئنا لنقيمَ الحجّةَ على أنّ الأرمن كانوا أوّلَ مَن بادر بالهجوم على المسلمين واستفزازهم ،بإيعاز من الجمعيّاتِ الأرمنية ،بدءًا من أحداث ساسون إلى أحداثِ زيتون ،يجب أن نتطرّقَ إلى التقرير الذين أعدّته الحكومةُ العثمانية عنْ نتائج تحقيقاتِها عن أسبابِ تلك الأزمة وتطوّرها في 2 فبراير 1896 ،حيث تعرض التقريرُ لكلّ ولايةٍ وقعت فيها الأحداثُ على حدة ،فتطرّق المحقّقون لولاية طرابزون أوّلًا لكونها الولاية الأولى التي ظهرت فيها الأحداث ،بعدَ مظاهرة اسطنبول أو الباب العالي سبتمبر 1895 م ،وانطلاقًا من طرابزون بدأ فتيلُ الاضطرابات بالانتشارِ في معظم ولايات الأناضول ،حيث جاء في التّقرير أنّ الأحداث بدأت فيها حتى قبل تظاهرةِ الباب العالي ،ففي 1895/09/20 تعرّض "بحري باشا " و"حمدي باشا " لمحاولةِ اغتيال هناك من جانب اللّجان الثورية ،ثمّ تلتْها أحداثٌ أخرى ،ولكنْ هدأت بعضَ الشيء حتى وصول أخبار تظاهرة الباب العالي[3].

على النّقيض من ذلك وجدنا تيارًا آخر يذكر عكسَ ما أوردناه ،والمتمثّل في أنّ اللجان الأرمنية كانت بصدد الدفاع عن النفس ،أو بالأحرى عن الشّعب الأرمني من "المذابح التي قام بها السلطان عبدُ الحميد الثاني وذهب ضحيّتَها ما يقرب من 200.000 أرمنيّ في الأعوام (1894-1896 م) ،هذه الجرائمُ – حسبهم – كانت لها طبيعةٌ منظّمة ،وكان البابُ العالي متورّطًا فيها على نحوٍ مباشر ،واستهدفت خفضَ عددِ السّكان الأرمن بشكل عام ،وإضعافهم على المستويين الاقتصادي والاجتماعي"[4].

2– مسؤولية الدّولةُ العثمانية:

في هذا الإطار ،نجد أنفسَنا بين سرديّتين مُتناقضتين :فالسردية الأرمنية والعربية تحمّل الدولةَ العثمانية مسئولية الفظائع التي تعرّض لها الأرمن ؛فهي حسبهم تدخلُ ضمنَ ممارسات نظامِ عبد الحميد الثاني ،كما أنها

(1) *Victor Bérard,* ***La politique du Sultan, Les massacres des Arméniens (1844-1896),*** *préface de Martin Melkonian, Edition de Felin, Paris, 2005, p.27.*
(2) ***BOA, HR. SYS, 2851/59****.*

(3) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق، ص. 327.

(4) *Raymond Kévorkian, Le Génocide des Arméniens, Odile Jacob, Paris, 2006, p. 19.*

تعتبرُ من أساليبه في التّعامل مع المشكلاتِ السّياسية ،وخاصّة القومية منها ،وفي ظلّ هذا فإنّ هؤلاء المؤرخين[1] قد اختزلوا تاريخَ الإمبراطورية العثمانية في القرن التاسع عشر الميلادي والقرن العشرين ،في تاريخ مذابح متعاقبة واضطهادِ متواصل ،وانتهاكٍ للكرامة القومية للأممِ غير التركية ،مثل :العرب والأرمن واليونانيين والبلغاريين والآشوريّين وغيرهم ،وهكذا فإنّ المذابح لم تمسّ الأرمن فقط ،بل طالتْ عدّة شعوب مثل مذبحة اليونانيين 1821 في اسطنبول ،ومذابح البلغاريين والقوميات البلقانية الأخرى (1875-1876)[2].

إنّ القضية الأرمنية بجميع تفْصيلاتها تعتبر لبّ القضايا ومحلّ الاهتمام[3] ،لماذا ؟لأنّ الأرمن كانوا يطالبون بإقامةِ دوْلتهم في شرق الأناضول ،التي تعتبر قلبَ الأراضي العثمانية النّابض ،ففي حالة ما إذا تمكنوا من الحصول على ما أراده الأرمن فإنّه يعتبر ضربةً قاصمة في ظهر الدّولة العثمانية ،ولتفادي هذه المعضلة لجأت – حسب نفس السّردية – للقضاءِ على الأرمن في عهد السّلطان عبد الحميد الثاني ،الذي لقّب "بالسلطان الأحمر " بسبب إراقته لدماء الأرمن[4].

أمّا حسب السّردية العثمانية ،لا مناصَ من القول بأنّ اللجان الثّورية الأرمنية كانت أوّلَ مَن قام بالاعتداء على المسلمين وابتزازهم وقتلهم ،لكي يلاقوا ردَّ فعلٍ قويّ من قِبَلهم ،يصل إلى حدّ تدخّل الدول الأوروبية لحلّ المسألة الأرمنية ،على غرار ما وقعَ في المسألة البلغارية في سبعينيّات القرن التاسع عشر الميلادي[5]. إلّا أنّ ردّ فعل الحكومة العثمانية كان عنيفًا وقاسيًا في التعامل مع الأحداث التي افتعلها الأرمن، بحيث تركت بصماتها واضحة في تلك الأحداث، ولا يمكن بأيّ حال من الأحوال غضُّ الطّرف عنها واعتبارها بريئة، فالأرمن فعلًا بادروا بالهجوم، والدّولة العثمانية ضربتْ بيدٍ من حديد.

3– مسؤولية الدّولُ الكبرى:

لا يمكن أن نهمل دورَ الدّول الكبرى في تأجيج الأوضاع في الأناضول، وفي هذا السياق هناك دولتان يُشار إليهما بالبَنان في لعب دورٍ كبير في نشر الاضْطرابات في المنطقة سالفة الذّكر، وهما روسيا وإنجلترا، لكن كلٌّ قام بدوْره خلال فترتين زمنيّتين منفصلتين، فروسيا اقتصر دورُها في ثمانينيّات القرن التاسع عشر الميلادي، أمّا إنجلترا فكان خلال التسعينيّات من نفس القرن.

---

(1) من المؤرخين العرب فؤاد حسن حافظ، مروان المدور، عثمان الترك.... وغيرهم.

(2) نيقولاي هوفهانيسان، مرجع سابق، ص ص. 64–65.

(3) ***BOA, HR. SYS, 2851/59.***

(4) نيقولاي هوفهانسيان ، مرجع سابق، ص ص. 66–67.

(5) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق، ص. 333.

بالعودةِ لمسئولية روسيا، فهذه الأخيرة ساهمت –كما سبق وذكرنا في فصلٍ سابق- في خلقِ التوتر في المنطقة، حيث قدّمت الدعمَ للأرمن عسكريًّا، كما كانت أراضيها على الدّوام ملاذًا آمنًا للّجان الثورية الأرمنية، قبلَ أن تقوم بتغيير اسْتراتيجيّاتها تجاههم. أمّا بالنّسبة للمسئولية الملقاةِ على عاتق إنجلترا أكبر من مسئولية روسيا، فعندما كانت هذه الأخيرةُ تدعم الأرمنَ في إقامة دولتهم في شرق الأناضول، كانت إنجلترا لا تزال متمسّكة بشعار "وحدة الأراضي العثمانية"، لكنّ نتيجة التخوّفَ الإنجليزي من الأطماع الروسية في المنطقة جعلها تقرب منها اللّجان الأرمنية، وتدعمها ماديًّا ومعنويًّا، حتّى أنّنا وجدناها في كثيرٍ من الأحيان تلوح بالتدخل العسكري لحلّ القضية الأرمنية، لولا وقوف روسيا وفرنسا في وجهها.

وفي هذا الإطار ،لا يسعُنا إلا أنْ نقتبس هذه الأسطر من صحيفة الرائد المصري "... وهذا كان نصيب الأرمن وغيرهم مِن الذين خدعهم الإنجليزُ بدسائسهم ،فإنّهم يبشّون بوجوههم بشاشةَ إغراء حتى يدفعوهم إلى ميدان النّزال ،وإذا لعبت برؤوسهم سيوفُ الإسلام زاد الإنجليز مصابهم بقوارص كلامهم، وشديد انتقادهم ولوْمهم فماذا جنى الأرمنُ من انقيادهم للمنشورات الإنجليزية غير أكل أناملهم ندمًا.."[1] .

مما سبقَ يمكن القول إنّ مسئولية الدول الكبرى ،لا تقلّ عن مسئولية الأحزاب الأرمنية والحكومة العثمانية، إلّا أنّنا تفاجئنا أثناء بحثنا من أنّ الدول الأوروبية ،ممثلة في سفرائها في الأستانة طلبوا من الباب العالي تعويضًا لرعاياهم بسبب ما لحقهم من الخسائر أثناءَ الاضطرابات الأرمنية في الأناضول والأستانة[2].

4- مسؤولية الأكراد:

لا مفرّ مِن الإقرار أنّه ترد أسماء عدّةِ شعوب في الأحداث، التي وقعت للأرمن خلال هذه المرحلة مثل: الكرد والشركس والآذر والعرب، لكنّ اسمَ الكرد كان أكثرَ ورودًا في الوثائق والكتب، وحتى في المعاهدات الدولية وعلى رأسها معاهدة برلين 1878. وفي ذات السّياق ،يجدر التّنويه إلى أنّ الأذر والشركس كان لهم دورٌ في المظالم التي تعرّض لها الأرمن ،حيث كان هؤلاء قد هجروا قسرًا من موطنهم الأصلي على يد المسيحيين الروس ،الذين استوْلوا على أراضيهم في منتصف القرن التّاسع عشر الميلادي ،وعند هجرتهم إلى أراضي الدولة العثمانية هذه

(1) **الرائد المصري**، بدون عنوان للمقال، ع 90، الجمعة 30 يوليو 1897، القاهرة، ص. 790، **الأرمن وتركيا الفتاة...**، مرجع سابق، ص. 79.

(2) **التاريخ اليومي**، بدون عنوان للمقال، الجزء الثاني عشر، السنة الأولى، ديسمبر 1897، الإسكندرية، ص.1، نفسه، ص. 116.

الأخيرة ،قامت بتوْطينهم في أغلب الأناضول بالقرب من التجمّعات المسيحية ،فانتهزت هذه القوميّات الفرصة للانتقام مِن كلّ ما يمتّ بصلةٍ للمسيحيّين ،وعلى رأسهم الأرمن[1].

تُجمع العديدُ من الدّراسات أنّ الأكراد كان لهم دورٌ كبير في الأحداث السابقة الذكر ،وللأمانة التّاريخية رأينا أنّه من الضروري تقسيمُ الكرد إلى قسمين :قسم قد شاركَ بالفعل في الأحداث التي وقعت للأرمن، وفي ذاتِ القسم يمكن أن نميّز بين فئتين ،الفئة الأولى تتمثّل في العشائر الكردية الرحّالة ،أمّا الثانية فتتمثّل في الألويةِ الحميدية ،فبالنسبة للعشائر الكردية ،فإنّهم اتّهموا الأرمنَ بالمبادرة للقيام بالمذابح ضدّهم ،مِن ذبحٍ للأطفال ، واغتصابٍ للنساء ،وتهجيرهم — الكرد – ومحاولة اغتصاب أرضهم بإنشاء وطنٍ قوميّ أرمني عليها ،ولقد كان الطاشناق والهنشاق أوّلَ مَن قام بقتل الأكراد والأتراك على حدٍّ سواء ،ثمّ يقومون بحرق قراهم وبعد ذلك يهربون إلى الجبال ،ثم يقوم الأكرادُ المنفعلون فيها بمهاجمة السّكان الأرمن العزّل ويقتلونهم بطرق وحشية[2] .إذًا الأرمن كانوا المحرّكَ الحقيقي للأحداث وليس الأكراد[3].

أمّا فيما يخصّ الفئةَ الثانية ،والمتمثّلة في الألوية الحميدية ،فإنّنا نجد أنّ المصادر الغربية قد أطلقت على هذه الأحداث التي تعرّض لها الأرمنُ ب "المجازر الحميدية"[4] ؛لأنّ الألوية الحميدية قد لعبت دورًا بارزًا فيها ، لذلك نجدُ أنّهم قد اعتبروا تشكيلَ هذه الألوية "صفحة سوداء في تاريخ الكرد" ؛لأنّها لطّخت أيديهم من خلال هذه الألوية بدماءِ الأرمن ،وهذا ما أضرّ بالمصالح الكردية ،وحكم على الكرد من خلال هذا العمل بأنهم (برابرة) و"سفاكو الدّماء"[5] إلّا أنّ الألوية الحميدية ،لم تكنْ تقوم إلّا بواجبها من خلال اتّباع أوامر السلطان وتنفيذها. أمّا القسم الثّاني من الكرد فيتمثّل في الغالبيةِ العظمى من الشّعب الكردي الذين لم يشاركوا في تلك الأحداث ،بل إنّ التّجارب قد دلّت على أنّهم عملوا على إنقاذ الأرمن من جميع الشعوب الأخرى[6].

---

(1) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق، ص ص. 337– 338.

(2) محمد زكي البرواري، **الكورد والدولة العثمانية موقف علماء كردستان من الخلافة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني**، الطبعة 1، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2002، ص. 409.

(3) **البريد**، الأرمن وفتنتهم، ع 253، الخميس 17 مايو 1900، القاهرة، ص. 3، **الأرمن وتركيا الفتاة...** ، مرجع سابق، ص. 199.

(4) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق ، ص. 338.

(5) محمد زكي البرواري، مرجع سابق، ص 411.

(6) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق، ص. 339.

تأسيسًا على ما سبق، نقول إنّ الأطراف الأربعة المذكورة آنفًا، كلٌّ له قدرٌ لا يستهان به من المسئولية، مهْما كان صغيرًا أو كبيرًا، في الأحداث التي وقعتْ في شرق الأناضول (1894-1896)، فكلٌّ لعبَ دورًا في إشعال فتيل الأحداث.

المبحث الثالث: الأحداثُ الأرمنية على ضوءالمصادر الغربية

المطلبُ الأوّل: الأحداثُ الأرمنية من خلال كتاب سياسةِ السلطان.

المطلبُ الثّاني: المظالمُ التي تعرّض لها الأرمنُ خلال الأحداث.

المطلبُ الثّالث: موقفُ الكاتب من الكرد والفرسان الحميدية.

المطلبُ الرّابع: الأحداثُ الأرمنية من وجهة نظر قنصل فرنسي.

المطلبُ الخامس: الأحداثُ الأرمنية من وجهة نظر كاتب أرمني.

هناك الكثيرُ من المؤلفات التي احتلّ فيها موضوعُ "المذابح الأرمنية" نهاية القرن التاسع عشر الميلادي جانبًا مهمًّا ،وقد كتبتْ هذه الأعمالُ بلغاتٍ مختلفة ،وخاصّة ما كتبَ منها باللّغة الفرنسية ،حيث ألّفت كتبٌ من طرفِ سفراء وقناصلَ قاموا بتدْوين مشاهداتهم أو شهاداتٍ لآخرين ،من أمثال هؤلاء نجد القنصلَ الفرنسي بطرابزون ألفونس سيليار *Alphonse Cillière* والذي سنتناول كتابَه خلالَ هذا المبحث ،فضلًا عن الكتاب الموسوم بـ "سياسة السلطان" « *La politique du Sultan* » لبرار فيكتور *Victor Bérard* ، وهو من المؤلَّفات الغربية التي تطرّقت للمذابح (1894- 1896) ،والتي عُرفت في كتاباتهم "بالمجازر الحميدية" ،نسبة إلى الأكرادُ المنضوون تحتَ لواء الفرق الحميدية .

والجديرُ بالملاحظة أنّ هذه الأعمال قد تناولتِ " المذابح " من منظورٍ دينيّ غربي ،بعضها متحاملٌ على الإسلام ؛اعتبر الدينَ عاملٍ أساسي حرّك هذه المذابحَ ضدّ أقليّة مسيحية ،لم يحرّك الغرب ساكنًا لمساعدتها كما تحرّك لمساعدة البلغار ،وكلّ ما قاموا به هو إدخالُ القضية الأرمنية في الدّبلوماسية الدولية بعدَ مؤتمر برلين لا أكثر ولا أقلّ وفي هذا الإطار نلفتُ الانتباه إلى أنّ الدافعَ الأساسي الذي حفّزنا على تناول هذيْن المؤلَّفيْن ،هو التعرّفُ على وجهةِ نظرِ الطّرف الآخر – أي الغرب- إزاءَ الأحداث التي تطرّقنا لها في المبحث السابق.

المبحثُ الأوّل: الأحداثُ الأرمنية من خلال كتاب "سياسة السلطان " :

يقع الكتابُ الموسوم "بسياسة السّلطان" *La politique Sultan* في ثلاثة أجزاء ،الجزء الأوّل عنوانه "المجازر" ،أمّا الجزءُ الثّاني هو "السّلطان وأرمينيا" ،أمّا الجزء الأخير "المسلمون وأوروبا" ، وهذا الكتابُ حسبَ تقديري يحمل أهميةً كبيرة ،وأهميته لم يكتسبْها من حيث جودة المعلومات التي ساقها بين دفّتيه ،وإنما تكمن أهميتُه في أنّه مِن أولى الكتب التي انصبّ محتواها على موضوع المجازر التي شهدتها حاضرةُ الدّولةِ العثمانية اسطنبول وكذا شرق الأناضول في حقّ الجالية الأرمنية ،وذلك خلالَ الفترة الزمنية المتراوحة بين (1894-1896 م) ،فهو يحملُ خاصيةَ مصدرٍ بالنسبة للأحداث التي ذكرناها آنفًا ،ويُثري الدراسات التاريخية الأرمنية.

في هذا الكتاب ،ساقَ لنا الكاتب أحداثًا رآها رأيَ العين أحيانا ،وأحيانًا أخرى ضمّنه أحداثًا يستند فيها لشهاداتٍ جمعها من عدّةِ أطرافٍ أرمنية ،أو من المبشّرين الكاثوليك ،وباختصارٍ أغلبُهم كانوا مسيحيين ،لكن هذا الأخير لكي لا يشتّت ذهنَ القارئ طمأنَه لمصداقية كلّ ما كتبه ،سواء أكان شاهدَ عيانٍ على الأحداث أم لا، وعزا السّبب إلى كوْنه قد راقبَ بنفسه الشّهاداتِ المدلى بها، ومحلّ الشّاهد بالنّسبة له هو تطابق ما أورده من أحداثٍ مع التّقارير التي كانت تبعثُ بها السفارةُ الفرنسية في الأستانة إلى وزارة خارجيتها في باريس(1).

(1)*Victor Bérard, Op.cit , p. 42.*

1- مجازرُ اسطنبول:

أقرّ المؤلفُ أنّ الأرمن في العاصمة اسطنبول – أو القسطنطينية كما درجَ على تسميتها على امتداد مؤلَّفه– قد شهدوا مجازرَ في نفس الفترةِ الزمنية التي وقعتْ فيها المذابحُ في آسيا الصغرى ،وأرجعَ مسئولية هذه الأحداث بالدّرجة الأولى للسّلطان العثماني عبد الحميد الثاني ،عندما ساقَ لنا في عدّة مواضع جملةً تردّدت كثيرًا على ألسن الجنود "السيد يسمح بقتل الأرمن " والسيد قصدَ به السّلطان العثماني السّالف الذكر ،وقد ساعده في ارتكابِ هذه المجازر عدّةُ أجهزة تابعة له، مثل توفاكتشي *Tufekçi* ،وهُم أفرادٌ يحملون البنادق ،ومعظمهم ينحدرون من شمال ألبانيا[1].

أشار المؤلفُ إلى حقائقَ تاريخيةٍ مهمّة، مِن بينها أنّ المجتمع التركي "قد انقسم إلى قسمين: قسم تعاون مع النّظام العثماني، وقسم آخر تعاونَ مع الأرمن، فبالنسبةِ للقسم الأوّل فقد جسّدته بعضُ أطياف المجتمع العثماني، ممن تواطأ مع الأجهزةِ الأمنية في الإفشاء عنْ أماكن اختباء الأرمن المطارَدين، حتّى النساء كنّ يبلّغن عنِ الأرمن عندما يحاول هؤلاء الفرارَ من على أسطح المنازل. أمّا بالنّسبة للقسم الثاني كانوا ممّن تعاطف مع الأرمن، وقاموا بحمايتهم من القتل. وفي ذاتِ السياق أورد لنا مثالَ شخصٍ يدْعى "فهمي باشا" ،والذي كان رجلًا طاعنًا في السّن شديد التّقوى والصلاح ،يقيمُ بالقرب من مسجد أيوب لأنّه كان يريد أنْ توافيه المنيّة هناك ليدفَن بالقرب من المسجد ،في أتون المذابح لجأ إليه الكثيرُ من الأرمن إلّا أنّ بيته كان صغيرًا وممتلئًا عن آخره ،لذلك قادهم إلى ساحةِ المسجد ،وقد كان عددُهم حوالي 100 أرمنيّ ،قام بعضُ الأتراك بإطعامهم ،ولما جاء جنود السلطان مُطالبين بتسليمهم ،انبرى لهم إمامُ المسجد ورفَضَ تسليمهم ،لأنّهم أهلُ كتاب ،والرسولُ قد نهى عن قتلهم[2]

والجدير بالتسجيل أن الأرمن لم يتلقّوا المساعدةَ من طرف الأتراك فقط ،بل حتى السّفارات الأوروبية وقفت إلى جانبهم عن طريقِ تقديم مساعداتٍ لهم ،متمثّلة في أغطية وأغذية ،فضلًا عن ذلك فإنّ معظمَ الأرمن الذين نجوا من القتل كانوا قد لجئوا إلى بيرا *Pera*[3]. لماذا بيرا بالتّحديد؟ لأنّ هذه المنطقة كانت مأهولةً من طرف الأوروبيّين خاصّة الذين يشتغلون في السفارات الأوروبية ،فالسّلطاتُ التركية لن تتجرأ على الفتك بهم.

لم يهملِ المؤلفُ تسليطَ الضوء على الممارسات التي تعرّض لها الأرمن خلال هذه المجازر ،فكلّ شخص تحدّد هويّته أنّه أرمني يتمّ تصفيتُه في الحين ،بينما يتمّ إخلاءُ سبيل الأتراك[4]. ولقد تفاجئ المؤلف من دقّة تحديد ممتلكاتِ

(1)*Victor Bérard, Op.cit., p. 38*
(2)*Ibid, pp. 28-29.*
(3)*Ibid, p. 38.*
(4)*Ibid, pp. 37-38.*

الأرمن دونَ المساس بممتلكات اليونانيّين ؛لأنّ العصابات التي كانت تقوم بمهاجمة الأرمن كانت قد وضعتْ إشارات بالطبْشور على منازلهم مسبقا ،لذلك لم يتمّ الاعتداء على ممتلكات أقليات مسيحية أخرى عدا الأرمن(1)

ولكي تكون الصورةُ واضحةً في ذهن القارئ ،نقلَ لنا ممارساتٍ أخرى تعرض لها الأرمنُ إلى جانب التّقتيل الذي لا مناصَ منه ،لا لسببٍ إلّا لكوْنهم أرمنًا ،بالرغم من أنّهم لم يشاركوا في أية أعمال معادية للدولة العثمانية ، حيث كان يلقى بالقتْلى في البوسفور ليحملهم التيارُ إلى بحر مرمرة ،أمّا قتلى آخرون فيحملون في عرباتٍ ليلقى بهم في مقبرةِ شيشلي Şişli، فضلًا عن أعمال سلبٍ ونهبٍ لم ينجُ منها الأرمن كذلك(2).لقد أشار المؤلفُ – عندما كان بصدد استحضار المذابح – إلى ملاحظةٍ بالغة الأهمية ذاتِ قيمة تاريخية ،والمتمثّلة في أنّ التعصب الديني لم يكن وحده دافعًا شديدَ الإقناع بالنسبة له ؛لأنّ هذه المذابح – حسبه – كانت مدبّرة ،تمّ الإعدادُ لها مسبقًا ،فكلّ شيء انطلق وتوقّف من أوّل إشارة ،فالجميعُ اتبع التعليمات(3).

وقد شاطر موقفِ المؤلف عدّةُ مؤرّخين عرب(4) ،بحثوا في تاريخ الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر الميلادي ،وتحدّثوا عن هذه المجازر التي وقعتْ بين عامي (1894–1896) ،سواء في شرق الأناضول أو في اسطنبول ،حيث رأوا أنّ هذه المذابح لم تحدثْ مُصادفة ،فسياسةُ السّلطان عبد الحميد الثاني تجاه الأرمن هي جزءٌ لا يتجزأ من سياستِه الدّاخلية ،فالمجازر التي وقعت كانت مدبّرةً بالكامل(5).

وفي آخر مذابح اسطنبول التي كان لها وقعٌ كبيرٌ ؛لأنّها وقعت في عاصمة الإمبراطورية ،أعطى تفاصيل بأعداد ضحايا المذابح ،والتي بلغت بين خمسة آلاف و ستة آلاف أرمنيّ على أقلّ تقدير ،وذلك بالاستنادِ إلى الإحصاء الذي قام به أطباءُ السّفارات الأوروبية ،والذين حضروا عمليات الدّفن تحت مراقبة السفراء ،حيث أحْصوا حوالي ثلاثة آلاف جثة تمّ دفنُها في مقبرة شيشلي وحدها ،فضلًا عن جثث أرمن آخرين ألقي بهم في البوسفور(6).

2- مذابحُ آسيا الصغرى:

في هذا الجزء ،حاول الكاتبُ أن يتطرق للمجازر التي شهدها الأرمنُ في شرق الأناضول ؛في محاولةٍ منه لنقل الحقيقةِ للرأي العام الفرنسي ،الذي لا يزال إلى غايةِ تلك اللحظة يجهلُ تمامًا ما كان يحدث خارج حدوده ، حتى الصّحافة الفرنسية كانت تجهلُ حقيقة ما يحدثُ في "تركيا" ،ففي تقديره من المتعذّر أن تجدَ في فرنسا شخصًا

(1)*Victor Bérard, Op. cit, pp. 26-27.*
(2) *Ibid, p. 39.*
(3)*Ibid, p. 42.*

(4) من أمثال هؤلاء المؤرخين نجد فؤاد حسن حافظ، عثمان الترك، مروان المدور.... إلخ.

(5) نيقولاي هوفهانيسيان، مرجع سابق، ص. 70.

(6)*Victor Bérard, Op. cit, p. 42.*

يحمل فكرةً صحيحة عن القضية الأرمنية ،فالمذابحُ التي وقعت في آسيا الصغرى – على حدّ علم الفرنسيين – دافعُها الأساسي هو التطرف الديني فقط(1).

لقد تناولت الكتاباتُ التاريخية الغربية "المذابح الأرمنية" في صورةٍ نمطية ،مَفادها أنّ أغلبية مسلمة تذبح أقليةً مسيحية ،حيث اختصرت الأكراد والأتراك والجراكسة والآذر في كلمةٍ واحدة هي "مسلمين" ،أمّا الأرمن في كلمة "مسيحيّين" ،وتكاد تتّفق الرؤيةُ الرسمية وغيرُ الرسمية على رسم هذه الصورة جملةً وتفصيلًا ،وتتأكد هذه الحقيقةُ بجلاءٍ من متابعة العناوين الرسمية للصّحافة الغربية ،وقتَ ذروة المذابح الأرمنية إبّان خريف 1895(2).

على المستوى الأمنيّ حاول برار فيكتور(3) أن يلفتَ انتباهَنا للأوضاع التي كانت سائدةً في الأناضول خلالَ سنوات 1888–1890 ،والتي كانت جيدةً حسبه ،ومحلّ الشّاهد في ذلك ليس الشهادات التي جمعها وتأكّد من مصداقيتها ،وإنّما الرحلة التي قام بها من إزمير حتّى حلب ،ومن جزيرة قبرص حتى بروسة ،لكن منذ ذلك التّاريخ بدأت الأوضاعُ تتغير(4) ،وأرجع ذلك للقبائل شبه المتنقّلة ،كردية كانت أو شركسية ،كانت تعيش على حساب السكان المستقرّين سواء مسلمين أو مسيحيين ،ليس في أرمينيا فحسب ؛بل حتى في آسيا الصغرى، إلّا أنّ الأرمن كانوا أكثر عرضةً لمظالمهم(5).

أمّا بالنّسبة للحيز الجغرافي الذي ظهرت فيه المذابحُ في الأناضول فقد حدّده أوّلًا في المناطق التالية: ساسون، وديار بكر، وأرضروم، وحلب، وخربوط، ومرسين، وسيواس. وهي مناطقُ معروفة بهيمنة أرمنية نسبيًّا، فضلًا عن مناطقَ أخرى مثل: قيصري طرابزون، وهذا إن دلّ على شيء فإنّه يدلّ على أنّ المذابح قد تجاوزت ما عُرف بالولايات السّت التي كانت مأهولةً بالأرمن ؛لأنّ الأرمن –كما هو معلوم– قد تمركزوا في شرق الأناضول، كما سكنوا مناطقَ أخرى من الأناضول ،والتي كان سكّانها مزيجًا من أعراق مختلفة(6).

---

(1)*Victor Bèrard, Op .cit , p. 45.*

(2) محمد رفعت الإمام، **رؤية الغرب لعلاقة...** مرجع سابق، ص. 31.

(3) برار فيكتور، ولد في 10 أوت 1864 في موراز Morez في باريس، وتوفي في باريس في 13نوفمبر 1931، دبلوماسي, ورجلُ سياسةٍ فرنسي، قام بعدّة رحلات إلى الإمبراطورية العثمانية، كان مهتمًّا بأوضاع الأرمن بصفة خاصة والأقليات المسيحية بصفة عامّة في الدولة العثمانية التي كانت تحت حكم السلطان عبد الحميد الثاني.

(4)*Victor Bérard, Op. cit, p. 46.*

(5)*Ibid, p. 45.*

(6)*Ibid, p.50.*

3- أسبابُ المذابح من وجهة نظر المؤلف:

إلى جانب التطرّق للسياقِ الجغرافي للمذابح ،حاول المؤلفُ أن يسلط الضوءَ على الأسباب التي كانت تقفُ وراء المجازر ،حيث ألقى باللّومِ في وقوع هذه المجازر على الطّرف الرسمي العثماني ،فمثلًا في مذابح ساسون، أراد محافظُ الولاية جمعَ الضرائب سنة 1892 ،فتوجّه إلى قرى الأرمن مثل شنيك *Chenik* وسمال *Semal* وغيليياغوزان *Gueliéguzan* ،لكنّهم رفضوا دفعَ الضّرائب ،وهو ردٌّ عادل – حسب الكاتب – ؛لأنّه وبكلّ بساطةٍ لا يمكنهم دفعُ الضّرائب للسلطات العثمانية وللأكراد في آنٍ واحد ،فإنْ أرادت السلطات العثمانية أن يدفعَ لها الأرمنُ ،فيجب عليها أنْ تحميهم من الأكراد الذين أثقلوا كاهلَهم بالضّرائب ،فقرر المحافظُ الانتقامَ منهم(1).

وتجسيدًا لذلك ،قام المحافظُ بالسّماح للقبائل الكردية شبه المتنقّلة بالدّخول إلى سهل ساسون المسيحي في سنة 1892م ،وقد كانت هذه القبائلُ الأخيرة قدِ اعتادت الذهابَ في كلّ سنةٍ إلى ديار بكر ،كما أنهم اعتادوا الصّعود إلى المراعي العليا ،إلّا أنّهم هذه المرّة غيّروا وجهتهم ،فكانوا غيرَ مرحّبٍ بهم هناك ،مما أدى إلى وقوعِ مناوشات تمثّلت في إطلاق النار ،وسرقاتٍ للمحاصيل الزراعية ،و"قتل للرجال" ،ثمّ عاد الأكراد أدراجهم مِن حيث جاءوا ، إلّا أنّ الأرمن كانوا متيقّنين أنّ هذه الأحداث لن تمرّ بسلام(2).

إذًا، الكاتب وضعنا أمام صورةً مَفادها أنّ الإدارة العثمانية مجسّدة في شخصِ محافظ ساسون كانت لها يدٌ في هذه المذابح ؛لأنّ المحافظ عملَ على إثارة النّعرات العرقية بين الأرمنِ والأكراد ،فالدولةُ العثمانية لم تكن بمنأى عن هذه الأحداثِ التي خرجتْ عن نطاق سيطرتها.

أمّا بالنّسبة لمذابح ديار بكر(3) ،كذلك كان سببُها هو إثارةَ النّعرات الدينية والعرقية بين الأكراد والأرمن، وبتشجيعٍ من الحكومة العثمانية التي كانت ممثّلةً في المحافظ "أنيس باشا" ،حيث كان هذا الأخير يحمل حقدًا دفينًا للمسيحيّين .فنتيجةً للتجاوزات التي كان يرتكبُها – على حدّ ادّعاء سفراء الدول الأجنبية – فإنّهم طالبوا بتغييره، إلّا أنّ الحكومة العثمانية قامتْ بتعيينه بصفةٍ رسمية في منصبه بعدما كان مجرّد والٍ مؤقّت ،فاستنادًا للمؤلف قام أنيس باشا بإثارة المسلمين ضدّ المسيحيّين في محاولةٍ منه لإيقاظ النّعرات بين المجموعتين ،ففي المرحلة الأولى اتجه إلى

(1) *Victor Bérard ,Op.cit, p. 51.*

(2) *Ibid, p.52.*

(3) **ديار بكر:** هي قطعةٌ من كردستان، وهي عبارة عن تيار ربيعة قسم من شمال الجزيرة شمالًا رسم، وشرقًا بتليس، وغربًا معمورة العزيز، وجنوبًا الموصل، مساحتها السطحية: 50 ألف كيلومتر مربّع, وعموم نفوسها 420 ألف نسمة، شمالًا وشرقًا نهر دجلة, ،وجنوب غرب نهر الفرات، في شمالها تلال متعدّدة ، وجنوبًا بادية واسعة. أنظر: أحمد الشرقاوي وآخرون، **جغرافية الممالك** ...مرجع سابق، ص .217.

إقناعِ المسلمين بأنّ المسيحيّين سوف يستولون على المسجد ،أمّا في المرحلة الثانية حاول إقناعهم بأنّ الإصلاحات – التي طالب بها الأرمن ،ووعَدَ بها السلطان عبد الحميد الثاني – كانت تحتَ ضغط الدول الأوروبية، والمسلمون الذين فهموا فحْوى الإصلاحات "بطريقة خاطئة" قد تجشّموا عناءَ إرسال تلغراف للسلطان، يبيّنون فيه عنْ نيّتهم في الانتقام من المسيحيّين ،حتّى ولو كان جوابُه غيرَ مُرْض بالنّسبة لهم ،إذ أنهم أصرّوا أن يدفع الأرمن الثّمن ،وكان القنصلُ الفرنسي قد لاحظَ وجود إثارةٍ غير عادية بين المسلمين الذين شرعوا في شراء أسلحةٍ معتبرة وذخيرة[1] ،كلّ هذا كان من المؤشّرات التي تنذرُ بقرب حدوث مذابح.

مِن المفيد التّعقيب على ما ذكره المؤلف، الذي ركّز جلَّ كلامه على الجانب العثماني مجسّدًا في الإدارة العثمانية، وكأنّه يريد بذلك أن يرسّخ فكرةَ تواطؤ الدولة العثمانية وتورّطها في هذه المذابح، بينما أهمل الحديثَ عن الاستفزازات التي كان يقومُ بها الأرمنُ ضدّ المسلمين عن طريق مهاجمة قراهم وقتلِ العديد من الأشخاص لكي يقوموا فيما بعدُ بالانتقام من الأرمن ،وبطبيعة الحال جلُّ الضحايا سيكونون من الأبرياء العزّل الذين لا ناقة لهم ولا جَمل فيما يحدث. هذا ما أشارتْ إليه الكثيرُ من المراجع والوثائق العثمانية. حمّل الكاتبُ المسئولية للمسلمين الذين قاموا بشراء الأسلحةِ والذخيرة، بينما لم يُشرْ إلى أنّ الأرمن بدورهم، كانوا مسلّحين. وهذا ما استنتجناه لاحقًا؛ عندما ذكر أنّ الحكومة العثمانية بعدَ هذه المذابح قامتْ بنزعِ السّلاح للمسيحيين، بينما المسلمين بقوا مسلّحين.

المعلوماتُ التي ساقها توحي لنا أنّ الأتراك كانوا في موقع الهجوم ،أمّا الأرمن فكانوا في موضع الدفاع عن النّفْس ،كما لاحظنا تغافلَه عنْ ذكر الجمعيات الثّورية الأرمنية التي لم يجرؤ على الإشارة إليها من قريب أو من بعيد ،فكلّ مهتمّ بالشّأن الأرمني يعرف دورها خلالَ هذه المرحلة ،حتى ولو كان متحاملًا على الدولة العثمانية، ونحنُ هنا لسنا في معرض الدّفاع عن الدولة العثمانية ،وإنّما حاولنا التعرفَ على مدى التزام المؤلّف بالحيادية التي كان بعيدًا عنها بتحيّزه الصّارخ للأرمن الذين صوّرهم في ثوبٍ ملائكي ،فهم فقط مَن تعرّضوا للتقتيل والسلب والنهب.

المطلبُ الثّاني: المظالمُ التي تعرّض لها الأرمنُ خلال الأحداث:

نقرأ بين ثنايا الجزءِ الأوّل من الكتاب وصفًا دقيقًا لما سمعه من شهاداتٍ حول المظالم التي شهدها الأرمن خلالَ المذابح ،والتي تدخل ضمن "سياسة المجازر" التي تعتبر بالنّسبة للكثير من المؤرخين العرب[2] من السياساتِ التي درجتِ الدولةُ العثمانية على تطبيقها ؛للقضاء على الثورات القومية ،مثل مذبحة اليونانيين عام 1821م،

(1)*Victor Bérard, Op. cit, pp. 61-32.*

(2) مثل: فؤاد حافظ، مروان المدور، عثمان الترك، محمد رفعت الإمام.... إلخ.

ومذابح البلغاريين والقوميات البلقانية الأخرى في (1875-1896) ،والإخماد الدموي لحركات التحرر العربية في إقليم جبل الدّروز في سوريا عام 1886 ،وعام 1896 ،وفي حلب 1896[1] .

وصفَ لنا المؤلف الواقعَ التاريخي الذي عاشه الأرمنُ خلال هذه المرحلة، حيث أورد حقائقَ جديرةً بالثقة – في تقديرنا – مأخوذةً من شهاداتٍ لجنود أكراد أمامَ لجنة التحقيق الدّولية التي تشكّلت للتحقيق في مجازر ساسون، هؤلاء رووا ما شاهدوه بأمّ أعينهم من فضائحَ مروّعة، ارتُكبت في حقّ الأرمن، ولم يسلم منها أحدٌ، لا النساء ولا الرجال ولا حتى الأطفال والشيوخ. ومن الشّهادات التي أوردها شهادةٌ لأحد جنود الجيش العثماني، حول شيخٍ بلغ من الكبر عتيًّا حيث تجاوز العقدَ العاشر من عمره ،والذي رغم توسّلاته للجنود الأتراك لكي لا يجهزوا عليه "لأنّه من المفروض يُعتبر من الأموات " ،لكنْ بعد إعطائه الأمان لقي حتفَه على أيديهم ،فأيّ شخصٍ يقع بين يدي الجيش النّظامي يكون مصيرُه القتل المحتوم ،حسب شهادة الدركي إسماعيل من منطقة ماريدفان *Mardivan*[2].

أمّا عندما عصفت المذابحُ بديار بكر ،لجأ كثيرٌ من الأرمن إلى القنصلية الفرنسية التي لم تدّخر جهدًا في فتْح أبوابها لهم ،حيث بلغ عددُ اللاجئين إليها حوالي 700 شخص ،وألف آخرين لجئوا إلى ديرٍ كاثوليكي ،ومن منظورٍ مسيحي حاول أن يلفتَ الانتباه لدور المساجدِ عبر المآذن ،فالمؤذنون كانوا يعملون على إثارة المسلمين ضدّ المسيحيين عبر المآذن ،وحتى الجنود كانوا يصعدون إلى المآذن ويطلقون النارَ على كلّ مسيحي[3]، إذن ربط بين مواقيت الصلاة واندلاع المذابح ،وما يواكبها من سلب ونهب واغتصاب وقتل[4].

أعطى لنا المؤلف حصيلةَ للخسائر المادية والبشرية من خلال جدول ،حيث يتبين لنا أنّ أغلب القتلى كانوا من المسيحيين على اختلاف مذاهبهم ،إلّا أنّ الأرمن الغريغوريين يتصدّرون القائمة بـ 1000 قتيل ،و 250 جريحًا و 1500 منزلٍ مهدّم ،و 2000 محلّ محترق[5].

تداعياتُ المذابح الأرمنية لم تتوقّف عند هذا الحد ،فيمكن التدليلُ على عمق الأزمة بوقوع هجرة الأرمن مِن أراضيهم التاريخية نحو ميناء إسكندرون ،دون أن يحدّد لنا الوجهة التي سوف يأخذونها فيما بعد ،والتي قد تكونُ مرسيليا الفرنسية أو مصر حسب تخميننا ،وفي ذات السياق نوردُ مثالًا عن ذلك ،بحلول الربيع عندما فتحت الطرق

(1) نيقولاي هوفهانيسيان، مرجع سابق، ص. 65.

(2)*Victor Bérard, Op. cit, p. 64.*

(3)*Ibid, p. 66.*

(4) رفعت الإمام، **رؤية الغرب**، مرجع سابق، ص. 41.

(5)*Victor Bérard, Op .cit, p. 66.*

جاءَ 300 مسيحي أرمني يطلبون من القنصل الفرنسي في ديار بكر أن يرافقهم إلى الساحل ،إلّا أنّ هذا الطلب رُفض من طرفه ؛لأنّه كان يخشى أن يستغلّ غيابه ،لكن زوجة هذا الأخير لم تدّخر جهدًا في قبول مرافقتهم ،فقادتْ قافلةَ الأرمن التي سوف تستغرق 15 يومًا على ظهر الأحصنة للوصول إلى الميناء المذكور، وبالرغم من أنّ المسار الذي اتّبعته هذه القافلة اتّسم بالخطورة ،إلّا أنّ زوجة القنصل استطاعت أن توصلهم إلى وجْهتهم[1] ،وبذلك يكون الأرمنُ قد وجدوا في القنصلية الفرنسية خيرَ سندٍ لهم.

المطلب الثالث :موقفُ الكاتب من الأكراد والفرسان الحميدية:

1– الأكراد:

يتقاسم الأكراد و الأرمنُ نفس الحيز الجغرافي، أي شرق الأناضول، بحيث كانت المجموعتان البشريتان على احتكاكٍ مباشر بينهما، فجمعت بينهما عواملُ مشتركة جعلتهما يتقاسمان مصيرًا مشتركًا، فقد تعرضَا للقمع على يدِ الشاهات الصفويّين والسلاطين العثمانيّين ،بالرغم من ذلك فرقت بينهما عوامل أخرى ،مثل الدين ،فوفقَ الشريعةِ الإسلامية الأرمن مسيحيّون ،وبتعبير أكثر دقّة كانوا "كفارًا" مما جعل العنف ضدّهم أمرًا مشروعًا. فضلًا عن نقاط اختلافٍ أخرى، تتمثل في المستوى الحضاري، والنزاعات بين كبار الإقطاع الكردي، والبرجوازية الأرمنية الفتية[2].

العلاقةُ التي كانت تربط بين المكونين – حسب المؤلف – كانت جيدة ،حيث كانوا يعيشون مثل "إخوة الأرض والماء " بعيدين كلّ البُعد عن التطرف الديني ،لكنّ هذا لم يمنع من وقوع المناوشات حول المراعي ،والتي كانت تنتهي غالبًا بإطلاق النار ،لكنها سرعان ما تخمدُ بتدخل الكبار في السنّ والوجهاء من المجتمعين[3].

لكن في عهد السلطان عبد الحميد الثاني توتّرت العلاقة بينهما ،حيث كان سادةُ الإقطاع الأكراد يلجئون إلى وضع ضغوطٍ هائلة على القرى الأرمنية ،فكانوا يجبرونهم على دفع الضرائب الباهضة ،والتي تشمل "الجزية" ،وكان يجمعها شيوخُ الإقطاع والأغوات من الأرمن ،وكانت الإمبراطورية العثمانية لا تشجع هؤلاء على هذا السلوك فحسب؛ بل كان السّلطان الآنف الذكر يدعمهم ماليًّا وقانونيًّا للاستيلاء على أراضي الأرمن[4]، فتوترت العلاقاتُ بين الطرفين وتعقّدت بفعل تواطؤ السّلطات العثمانية من جهة ،ومشاركة الأكراد ضمن الفرسان الحميدية من جهة أخرى.

(1) *Victor Bérard, p. 68.*

(2) نيقولاي هوفها نيسيان، مرجع سابق، ص ص. 110– 112.

(3)*Victor Bérard, Op. cit, p. 42.*

(4) نيقولاي هوفها نيسيان، مرجع سابق، ص. 112.

2- الفرسانُ الحميدية:

شرع السّلطانُ العثماني عبد الحميد الثاني باستخدام الأكراد والشراكسة بكثافة ضمن قوات سميت بـ "الحميدية" لتحقيق سياسته ضدّ الأرمن ،فبدل قيامِه بالإصلاحات التي أوصى بها مؤتمر برلين 1878م ،والتي منحته حريةَ التصرف ؛فإنه أسرع بالتحرك مستفيدًا من هذه المواد ،فقام باستخدام الأكراد وتوريطهم بشكل كبير في المذابح الأرمنية (1).

ويتّضح لنا من خلال ما أورده "برار فيكتور" أنّ المذابح في آسيا الصغرى لا تعود لحراك شعبي أو لتطرف، ولا تعود فقط لأذى القبائل والعصابات الكردية التي كانت معروفةً خلال السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر؛ وإنما ترجع أكثرَ إلى الأكراد الذين تمّ تجنيدهم ضمن "جيش غير نظامي" في كلّ آسيا الصغرى، والذي أعطى له السّلطان اسمه "الحميدية" ،وقد استحقّوا بالفعل اسمه(2).

سواء أكان هذا الجيش نظاميًّا أو غير نظامي، فإنه كان تابعًا للجيش الإمبراطوري، وحتى مصطلح غير نظامي لا يجب أن يُطلق عليه البتّة؛ لأنّ السلطان في ملاحظاته للقوى العظمى كان يحتجّ دائمًا على مصطلح غير نظامي على "جنود الحميدية المنظّمين والمنضبطين على مثال القوزاق الروس". إذًا الحميدية- حسب المؤلف- لم يكونوا سوى جنودِ السلطان، لم يعملوا أبدًا لمصالحهم، بل يتبعون السلطات سواء المدنية أو العسكرية، فهُم لم يتجاوزا التعليماتِ التي قُدمت لهم، وهذا ما تؤكّده الشهادات والتقارير، فلم يكونوا سوى عمالٍ للنظام يقتلون باسْم السلطان. وفي هذا الإطار أورد لنا المؤلف مثالًا للتعرف على هذا الجيش عن كثب من خلال أحداث مرعش ،وبالاستناد إلى شهادة الملحق العسكري الفرنسي الذي رافق لجنة تركية بقيت هناك شهرين ،حيث كشف عنْ قيام فرسان الحميدية باحتلال مدرسةٍ فرنسية ،ثمّ تمّ احتجاز الأستاذ والتلاميذ الذين لقوا حتفهم جميعًا ،ولم يتمّ الاكتفاءُ بذلك بل أُحرقوا إذًا هذه الفرقُ كانت تقوم بأعمال رهيبة حسب المؤلف(3).

مِن خلال ما سبق، يمكن أن نقول إنّ موقف الكاتب من الفرسان الحميدية بخصوص اتباعهم تعليمات السّلطات العثمانية؛ يختلف عمّا ذكرناه آنفًا عندما تناولنا موضوع الفرسان الحميدية ،حيث قلنا إنهم كانوا يتبعون أوامرَ زعماء قبائلهم.

---

(1) نيقولاي هوفهانيسيان ، مرجع سابق ، ص. 102.

(2)*Victor Bérard, op. cit, p. 72.*
(3)*Ibid , p. 72.*

المطلبُ الرّابع: المذابحُ الأرمنية من وجهة نظر قنصلٍ فرنسي:

قبل أن نتطرّق لوجهة نظر القنصلِ الفرنسي ألفونس سيليار Alphonse Cillière[1] ،من خلال كتابه الموسوم بـ "1895 مذابح الأرمن" « *1895 Massacres d'Arméniens* » ،رأينا أنه من الضرورية الإشارة إلى أنّ صاحب هذا الكتاب ،والكتابِ الذي سبقَ وتطرّقنا إليه ،قدِ اسْتعملَا مصطلح "المذابح" « *Les massacres* » وهو ما يتوافقُ مع بعض الكتابات العربية التي استعملت نفسَ المصطلح ،حيث اعتبروا أنّ المذابح التي كانت تجري للشّعوب غير التركية واحدةٌ من أهمّ الملامح المميزة للإمبراطورية العثمانية ،فبالنسبة لهم فإنّ تاريخ الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين ،هو تاريخُ مذابح متعاقبة واضطهادٍ متواصل، وانتهاكٍ للكرامة القومية للأمم غير التركية :العرب والأرمن واليونانيين والبلغار والآشورية ،وغيرهم[2].

وفي ذات الإطار ،رأينا أنّه من المفيد أنْ نورد ما كتبه عبد العزيز الشناوي حول محاولته إزاحةِ الغبار عن هذه المذابح ،التي أصبحت ظاهرةً تعرّضت لها الشعوبُ المسيحية في أراضي الدولة العثمانية ،حيث رأى هذا الأخيرُ أنّ عامل القومية هو الذي يقف وراءَ هذه المذابح ،فالعالم بصفةٍ عامّة ،والشعوب المسيحية وحتّى العربية المسلمة ، قد اجتاحتها موجةُ القومية فأصبحت ترومُ الانسلاخَ عن الدولة العلية ،وقد باركت الدولُ الكبرى – لا سيّما روسيا والنمسا– هذه الحركات ،خاصّةً في البلقان ،فأمدّوا الثّوار بالأسلحة والعتاد ،فكانوا يهاجمون أفراد الحاميات العثمانية والجالية العثمانية المسلمة ، فيبيدونهم عن بَكْرة أبيهم ،ثمّ تقوم الدولة العثمانية بردّ فعلٍ مماثل، وتجرى المذابح العامّة من المسيحيين والمسلمين في عنف وضراوة[3].

وفي هذا الإطار ،لا مفرّ من الإقرار بوجاهةِ السّبب الذي تقدّم به في تقديرنا ؛لأنّ الدولة العثمانية لم تعرفْ قبل القرن التاسع عشر مذابحَ ضدّ المسيحيين ،فكلّ الشعوب كانت تعيش في سلام ووئام كما كان يبدو، لكنْ بظهور الحركات القومية التي كانت تهدفُ إلى الانسلاخ عن الدولة العثمانية ،فدغدغت الشعوب المسيحية أماني إنشاءِ دولةٍ قومية مستقلّة ،ونحن لا نعاتبُ هذه الشعوب على ذلك لأنّ العالم خلال نفس المرحلة بدأ يشهدُ معنى

(1)هذا الكتاب يؤرّخ للمجازر التي تعرّض لها الأرمنُ في الأناضول بصفة عامة، وفي منطقة طرابزون بصفة خاصّة، والباعث الذي دفعه لكتابة هذه الملاحظات هو أصدقاؤه، الذين نصحوه بنشر ملاحظاته التي خطّها حول المذابح، ثمّ احتفظ بها دون أن ترى النّور، لتسلط الضوءَ على جانبٍ مهمّ من تاريخ الأرمن في العهد العثماني، وهذا الكتاب يحمل خاصيةً تتمثّل في أن صاحبه كان شاهًا ومراقبًا للأحداث التي وقعت قبلَ وأثناء وبعد المذابح دون اختيار منه ،لأنّ منصبه كقنصلٍ لفرنسا في طرابزون سمح له بالوقوف على كثيرٍ من الحقائق الدقيقة والمتصلة التي تلقّاها في عين المكان.

(2) نيقولاي هوفها نيسيان، مرجع سابق، ص. 64.

(3) محمد الشناوي، مرجع سابق، ص. 302.

جديدًا للدولة ،التي أصبح لها شكلٌ قومي أكثر بدلَ الدولة التي تضمّ عدّة أقليات ؛لا تربطها لا أواصرُ الدّين ولا اللغة ،وخير مثال على ذلك الدولة العثمانية التي كانت أممية.

اعترض محمد الشناوي على مصطلح مجازر « *Massacres* » واعتبره غير صحيح ،ومبالَغًا فيه ،فهذا المصطلحُ عند سماعه يعطي انطباعًا في الأذهان "أنّ العثمانيين كانوا يأخذون المسيحيين ،رجالًا ونساء ،ويوثقون أيديهم وأرجلهم بأحبال ،ثمّ يطحونهم أرضًا ويفصلون رؤوسهم عن أجسامهم" ؛لذلك بالنسبة إليه من المستحسن استخدامُ مصطلح "الصّدام المسلح" أو "مقتلة" أو "أهوال" ،أو غيرها من المصطلحات ،عدا مصطلح مذابح(1).

1- أوضاعُ الأرمن في الأناضول قبل المجازر:

رأينا أنّه لزامًا علينا أن نخوض في المميّزات الجغرافية والسكانية، لطرابزون قبل التطرق للوضع الأمني في المنطقة فطرابزون ولايةٌ تقعُ خارج حدود الولايات السّتة – المعروفة بأنّ السواد الأعظم من السكان الأرمن في الدّولة العثمانية يتركزون بها– وبالتّحديد في النصف الشمالي الغربي من آسيا الصغرى ،تطلّ على البحر الأسود، يحدّها من الجهة الشرقية والجنوبية ولاية أرضروم وأماسيا ،وتمتاز المنطقة بتعدّد الأجناس البشرية ،وقد قدر القنصل العددَ الإجمالي للسكان بين 35 ألف نسمة و40 ألف نسمة ،في ظلّ غياب إحصاء رسمي ،نصف السكان كانوا مِن الأتراك المسلمين ،أمّا النصف الثاني كانوا مسيحيّين يتوزّعون بين 8000 نسمة من اليونان الأرثوذكس، و8000 نسمة من الأرمن الغريغوريين، و1000 من الأرمن الكاثوليك ،أمّا الأوروبيون فكان عددهم قليلًا، أغلبُهم موظفون يشتغلون إمّا في الدين العام العثماني أو البنك العثماني(2).

لتكون الصورةُ أوضحَ في أذهاننا عن طرابزون ،يجب أن نعرج على الأوضاع الأمنية التي كانت سائدةً هناك فحسب القنصل فإنّ طرابزون كانت من المدن الهادئة في تركيا الآسيوية ،عندما تولّى مهامّه بها في خريف 1894م . فالأمنُ في منطقة مماثلة – تمتاز بتعدّد الأجناس والأديان – غيرُ مضمون ،لكنّ واقعَ الحال خلاف ذلك تمامًا فقد كانت طرابزون خلال سنة 1894 والفصول الثلاثة الأولى من سنة 1895 تتمتّع بالهدوء ،وخيرُ دليل على ذلك – حسب القنصل – هو القافلةُ التي كانت تعبر حدودَ الولاية دون أن تتعرّض لأخطار(3)، والملاحظة التي نخرج بها من خلال ما أورده القنصلُ والمؤلفُ السابق الذكر ،أنّ منطقة الأناضول وطرابزون بصفة عامة ،كانت تمتازُ بالهدوء

(1) محمد الشناوي ،مرجع سابق، ص ص. 277– 278.

(2) *Alphonse Cillière, **1895 Massacres d'Arméniens**, texte présenté par Gérard Dédéyan, Claire Mouradian, Yves Ternon, Edition privat, Paris, 2010, pp. 41 – 42- 43.*

(3) *Alphonse Cillière, Op. cit, p. 52.*

والاستقرار ،بالرغم من وجود بعض الاضطرابات التي لا تحمل أهمية ووزن على الصعيد السياسي. إذًا مرحلة التوتر يمكن أن نحدّد سياقها الزمني من 1894 – 1896 أي على امتداد سنتين.

2- المذابحُ الأرمنية وسيلةٌ للانتقام:

لاحظَ القنصلُ أنّ الأحداث التي شهدتها ساسون الواقعة في ولاية بتليس في شهر أوت 1894 ،وما صاحبَها من أعمال قمْع ،مورسَت على هذه الحركة التي اعتبرت تمرّدًا ؛لأنّ السكان الأرمن رفضوا دفع الضرائب، فقاموا بطرد عمّال مصلحة الضرائب بعد أن أساؤوا معاملتهم "قليلًا "- حسبه- ،تطوّرت هذه الأحداث إلى مذابح في مدن مسكونة من أغلبية أرمنية .وفي ذات الوقت وجّه أصابع الاتهام في ارتكاب أعمال فظيعة في حقّ الأرمن للأفواج الحميدية والمشكلة من الكرد "غير النظاميّين" ،مُعتبرًا إيّاهم "عدوًّا للأرمن في كلّ وقت" ،فهذه الأحداث كانت لها تداعيات على ولاياتٍ أخرى يسكنها الأرمن ويشكّلون فيها الأقلية ،كما هو واقع الحال في طرابزون[1] التي ظهرت فيها مخاوف من طرف المسيحيين.

كانت مشكلةُ توطين المسلمين الذين هاجروا ،سواء من البلقان أو من روسيا ،من أهمّ العقبات التي واجهتِ الدولةَ العثمانية ،حيث وصلت موجات من المهاجرين إلى إسطنبول ،ولم تجد الدولةُ مفرًّا من إسكانهم في المناطق المعروفة بأنّها مأهولة بالأرمن ،أو بالأحرى الولايات السّت ،وهذا ما دفع بعضَ المؤرخين لاتهام الدولة العثمانية بأنّها كانت تحاول ترجيح كفّة السكان لصالح المسلمين على حساب المسيحيّين[2] ،بصفة عامّة- والأرمن بصفةٍ خاصّة – سوف يتمتّع هؤلاء المهاجرون بوضعٍ ممتاز بالمقارنة مع الأرمن ،مما سيؤدّى إلى ظهور مشاعر الكراهية والحقد بين المسلمين والأرمن ،وسوف تتفاقم هذه المشاعرُ خاصّة بعد أحداث ساسون ،والتي سيكون لها تأثيرٌ حاسم في الأحداث المروّعة التي شهدتها طرابزون في 08 أكتوبر 1895م[3].

إذا ما بحثْنا عنْ جذور الكراهية بين المسلمين والمسيحيين، فإنّنا نلاحظ أنّها كانت موجودة قبل عصر التّنظيمات، إلّا أنّ فرمان الإصلاحات الذي قضى بالمساواةِ بين الجميع قد أجّج هذه المشاعر لدى المسلمين الذين كانوا يرْفضون مساواتهم "بالفئات الدّنيا دينيًّا". أمّا الأقليات المسيحية المدعومة من قبل الدول الغربية، فتحصّلت على امتيازات هيّأت لها وضعًا اقتصاديًّا أفضل[4] ،فمشاعرُ الكراهية التي استفْحلت بين المسلمين والمسيحيّين قد

(1) *Alphonse Cillière, Op. cit,* p. 69.
(2)*Remond Kévorkian, Op. cit, p. 19.*
(3) *Alphonse Cillière, Op.cit, p. 70.*

(4) محمد رفعت الإمام، **رؤية الغربة لعلاقة الدين...**، مرجع سابق، ص. 74.

تحوّلت بعدَ مذابح ساسون إلى مشاعر تخوّف وحذرٍ بين الطرفين، فيكفي وقوع حادثٍ عابر حتى يتحوّل إلى "مذابح".

وما يؤكّد هذا الطّرحَ هو السببُ المباشر الذي أدّى إلى انقلاب الوضع في طرابزون من الهدوء إلى المذابح، فحسب القنصلِ يعود إلى تاريخ 02 أكتوبر 1895، حيث تعرّض القائدُ العام ومحافظ ولاية فان "بحري باشا" إلى محاولةِ اغتيال، حيث كان هذا الأخيرُ من المفترض أنْ يُبحر باتجاه القسطنطينية عن طريق ميناء طرابزون، إلّا أنّه أجّل هذه الرحلة نظرًا لازدحام الباخرة، فقرّر أنْ يقضي تلك الليلة في منزل والديه. لكن تمّت متابعته في الطّريق العام حيث كان برفقة القائد "حميد باشا" قائدِ مقاطعة طرابزون، فأطلق عليه النار، الطّلقة النارية أصابت مقبضَ سيفِه، كما أصابت رفيقَه في رجْله. لم يتمّ التعرفُ على الفاعلين لأنهم استطاعوا الفرار ،لكن انتشرت إشاعةٌ أنّ الأرمن هُم مَن يقفون وراء هذا الهجوم ،بالرّغم من عدم توفّر الأدلة(1). الأوضاع لم تتوقّف عند هذا الحدّ، بل ازدادت تأزّمًا بعدَ قيام أرمني بجرحِ مُسلم في "مقهى"، مما أدّى إلى تأجيج مشاعر الغضب لدى المسلمين الذين كانوا مسلّحين، وعلى أهْبَة الاستعداد للدّخول إلى الأحياء الأرمنية، إذًا الأوضاعُ في المنطقة أصبحت على صفيحٍ ساخن.

3– مذابحُ طرابزون من خلال وجهة نظر القنصل الفرنسي:

بدأتِ المجازر التي وقعتْ في طرابزون في تاريخ 1895 م ،والتي كان القنصلُ الفرنسي شاهدَ عيانٍ عليها، فيذكر أنّ المحلات الأرمنية كانت مفتوحةً عندما سُمعت فجأة أولى طلقاتِ النار ،فبدأ التّجار المسيحيّون في إغلاق دكاكينهم(2). وقد سبق عملية القتل السّلب والنهب ،وتحطيم واجهاتِ المحلّات التي تمّ سلبُها من طرف جماعات مسلّحة كان أفرادُها يحملون سيوفًا ،ممّا ترك لدى القنصل انطباعًا بالعنف والوحشية(3)، واعتبره الوجه الآخر للأتراك وبتعبيرٍ أكثر دقّة المسلمين ،فمصطلحُ تركيّ في القاموس الغربي أو الأدبيات الغربية أصبح مرادفًا لمصطلح مُسْلم، والمسلم ارتبط ذكرُه بالسّلب والنهب والتدمير والاغتصاب وإراقة الدماء.

وفي هذا الصّدد ،لا مناصَ من ذكر حقيقةٍ تاريخية وردت بين ثنايا الكتاب ،والمتمثّلة في إقدام المسيحيين عامّة ،والأرمن خاصّة ،باللّجوء إلى القنصليات الأوروبية ،أو المؤسّسات التّابعة لها والمتمثلة في المدارس والمؤسسات الدّينية التي كانت تحتَ إشراف الإرساليات التبشيرية ،كما هو الحال للقنصلية الفرنسية التي كانت ملاذًا آمنًا للكثير من الأرمن الذين لجئوا إليها ،كما لجأ حوالي ثلاثة آلاف أرمنيّ إلى مدرسة الإخوة الفرنسية « *Les frères* » وقد كان القنصلُ الفرنسي يعمل على تأمين المئونة لهم ،إلّا أنّه بعد أن عادت المياه لمجاريها حاول إقناعَ اللاجئين بضرورةِ

(1) *Alphonse Cillière, Op.cit, p. 77.*
(2) *Ibid, p. 71*
(3)*Ibid, p. 78.*

الالتحاق بمنازلهم حفاظًا على صحتهم ؛لأنّ النظافة في هذه المدرسة بدأت تتدهور ،فخشي أن تظهرَ الأمراض والأوبئة بينهم[1].

يمكن أن نستشفّ – من خلال ما أورده القنصل – أنّ المذابح الأرمنية لم تحدثْ فقط في الولايات الست كما يتبادرُ إلى الأذهان؛ بل كانت شاملةً لكلّ الأناضول، فهذه طرابزون التي تقع خارجَ الحيز الجغرافي "لأرمينيا الغربية"، ومسكونة من أقليّة أرمنية ،شملتها بدوْرها المذابحُ التي ذهب ضحيتها الأرمنُ على يدِ الأذر ،الذين هاجروا إلى الدّولة العثمانية ،وبدؤوا بالانتقام من المسيحيين بعد أنْ ضاعت أراضيهم على يد المسيحيين ،فأصبح الأرمنُ لقمة سائغةً لهم.

شاطر القنصلُ المؤلّف السّابق الذكر ،في أنّ المذابح التي شهدتها الأقليةُ الأرمنية مدبّرة ومخطط لها ،وتمّ القيام بها مع سبْقِ الإصرار والترصّد ،فهذه المذابحُ ارتكبت بناءً على خطّة مدبّرة مسْبقًا ،حيث ذكر حادثة كانت تنذرُ بمذابحَ وشيكة ،تتمثّل في العثورِ على إشارات مُريبة على منازل المسيحيين ،إلّا أنّه لما قدّم شكوى لدى الدرك ،فإنّ الموظّف قد أجابه بأنّ تلك الإشارات تعودُ إلى زمن الكوليرا ،حيث تمّ وضعُ إشارات على المنازل الموبوءة ،في حين أنّ الوباء – حسب القنصل – لم يمسّ المدينة ،وأنّ الإشارات جديدة ،ويسهل مسحُها[2].

ومِن تداعيات هذه المذابح – حسب القنصل – هو ظهور موجةٍ من الأرمن الذين هاجروا أراضيهم بحثًا عنِ الأمن والاستقرار ،وهروبًا من التّقتيل[3]. فمنهم مَن هاجر إلى أوروبا ،ومنهم مَن شقّ طريقه نحو المناطق العربية باعتبارها مناطق قريبة جغرافيًّا منهم ،وذلك خلال المرحلة الممتدّة من (1894-1896) ،إلّا أنّ هؤلاء الأرمن لم يتركوا وطنهم ،واستقرّوا في المناطق العربية بمحْض إرادتهم ،لكن كان الدافعُ الأساسي السياسةَ التي اتبعتها الحكومة العثمانية مِن اضطهاد وعنفٍ ومذابح ضدهم[4].

مِن خلال ما سبق يمكن أن نخرجَ بالملاحظات التالية:

- الكاتبان قد ركّزَا على المذابح الأرمنية ،أو بالأحرى التي مسّت الأقلية المسيحية ،بيْدَ أنّهما تغافلَا عن المجازر التي تعرّض لها المسلمون ،وهذا ما أشارت إليه الكثيرُ من وثائق الأرشيف العثماني[5]. المجازر كانت نتيجةَ

(1)*Alphonse Cillière,Op.cit, pp 92-93.*
(2) *Ibid, p. 115.*
(3)*Ibid, p.116*

(4) نيقولاي هوفها نيسيان، مرجع سابق، ص. 29.

(5) من الكتب التي تطرقت للمجازر التي تعرض لها الأرمن، كتاب: أحمد الشرقاوي، **مذابح الأرمن ضد الأتراك في الوثائق العثمانية والروسية والأمريكية**، دار البشير، مصر، 2016.

انتقام المسلمين الذين تعرّضوا للقتل والتهجير من البلقان وروسيا ،وقد استقرّ معظمُ النّاجين منهم في الأناضول ،وبالذّات في المناطق التي يسكنُها الأرمن ؛"لذا غدوا جلّادين متطوّعين لإفناء الأقليات الأخرى بشكلٍ جماعي ،وعلى رأسهم الأرمن"[1].

- الغربُ تعامل مع هذه المجازر من منظورٍ دينيّ خالص ،فاعتبرها عمليةً لذبح أقلية مسيحية على يد أغلبية مسلمة ،بينما تجاهلوا الحقيقة التي مفادها أن اللجان الأرمنيةُ كانت تستفز المسلمين ،فتقوم بمهاجمة قراهم وقتلهم ،ثمّ يأتي الردُّ من طرف المسلمين الذين لن يقفوا مكتوفي الأيدي ،فيصبّون جامَ غضبهم على الأرمن الأبرياء العزّل ،وهذا الأسلوب الذي اتّبعته الأحزابُ الأرمنية[2] ،كانت ترومُ من خلاله تحقيقَ تدخّل أجنبي لصالح قضيتهم ،إلّا أنّ اللجان الأرمنية لم يدركوا بعدُ أنّ الغرب لن يتحرّك إلّا وفقًا لمصالحه.

المطلبُ الخامس: الأحداثُ الأرمنية من وجهة نظر كاتبٍ أرمني:

يمكنُنا أنْ نعتبر بعضَ المصادر الأرمنية – أيضًا– ضمنَ المصادر الغربية؛ لأنّ كتّابها قد كتبوها باللغة الإنجليزية، ونشَروها في بلدانٍ غربية مثل الولايات المتحدة الأمريكية؛ وهي ذاتُ قيمةٍ كبيرة، ومصداقيةٍ عالية إذْ كانت تنتقدُ أوضاعَ الأحزاب والأنشطة الأرمنية في إطار النتائج المترتّبة عليها، بغضّ النظر عن موقفها من الدولة العثمانية، وفيما يلي نعرض كتابًا لمؤلّف أرمنيّ، هو:ك.س. بابازيان ،وعنوان كتابه :الوطنية المنحرفة.مؤلّف كتاب الوطنية المنحرفة.

"كابريل سيروب بابازيان" ، هو من مواليد 30 أكتوبر 1887 ،في قرية بالاجيسي Balagesi التي تقع على بُعد 19 كيلومترًا شمال شرق مدينة قيصري في الأناضول بتركيا ،وهي من القرى المسيحيّة التي يقطنها الأرمن ،وكانت ضمنَ ما يسمّى في كتابات الأرمن بـ "أرمينيا التركية", ثمّ هاجر إلى الولايات المتّحدة الأمريكية ،وأقام أوّلًا في ويندسور رود في سمرفيل بولاية أوريغون[3].

عملَ بابازيان كصحفيّ وكاتب بصحيفة "بايكار برس" لفترةٍ طويلة، وأنتج كتابَه الوحيد وهو "الوطنية المنحرفة" الذي طُبع في مايو 1934، وفي عام 1979 نشر كاتبٌ يدْعى "بيتر دير مانوليان" كتابًا من مقالات وأعمال "بابازيان" بعنوان "تاجر من أرارات"، وقام مانوليان بعمل التحرير والمراجعة للكتاب.ناشرُ كتاب الوطنية المنحرفة هي بايكار برس *Baikar Press* ،وكلمة بايكار باللغة الأرمنية تعني النضال أو الكفاح. وتعتبر بايكار برس هيئةً رسمية تابعةً للحزب الديمقراطي الليبرالي الأرمني *Armenian Democratic Liberal Party (ADL)* والمشهور

---

(1) محمد رفعت الإمام، **رؤية الغرب لعلاقة...** ، مرجع سابق، ص. 74.

(2) نفسه، ص. 75.

(3) ك. س. بابازيان، **الوطنية المنحرفة**، ترجمة محمد علي ثابت، مركز التاريخ العربي للنشر، إستانبول/القاهرة،2020، ص.30.

باسم حزب رامجافار *Ramgavar Party* . وأصدرتْ صحيفة يومية باللّغة الأرمنية بنفس الاسم (بايكار برس)، تأسّست عام 1922. وبعد عقود من نشر الصّحيفة يوميًّا تحوّلت إلى مجلة أسبوعية، وبعد توقّفها لفترة عادت للظّهور مرّةً أخرى بداية من يناير 2018. ومقرّها الرئيسي الآن في ووتر تاون بولاية ماساتشوستس الأمريكية. وتنشر مؤسسة بايكار أيضًا الصحيفة التوأم باللّغة الإنجليزية *Armenian Mirror-Spectator* والتي بدأ نشرها عام 1931.[1]

وجديرٌ بالذكر تأكيدُ بابازيان في كتابه على تبنّيه لموقف الحزب الليبرالي، وتوضيح ذلك الموقف من معارضة أعمال الاتّحاد الثوري الأرمني بقوله :"عارض الحزب الليبرالي الديمقراطي الأرمني هذه السياسةَ بشدّة وأحبطها ،هذا الحزب وبرغم أنّه معادٍ لمبادئ الاشتراكية أو البلشفية ؛إلّا أنّه دافع عن قضية أرمينيا السوفيتية باعتبارها الأملَ السياسي الوحيد للأمّة ".هذه المعارضةُ من الحزب الليبرالي جعلته هدفًا لانتقام الاتحاد الثوري الأرمني، وهو ما يذكره بابازيان في كتابه بذكر إعلان الطاشناق علنًا "أنّ العقبة الوحيدة أمام هيمنتهم على الشّتات الأرمني كانت هي الحزب الليبرالي الديمقراطي الأرمني؛ لذلك يجبُ قتالهم بكلّ الوسائل وعلى كلّ الجبهات"[2] .

وحتّى لا نبالغ، ونلتزم الحياد، في تحليل المسألة أو قراءة الأحداث؛ لذا سوف نكتفي هنا بنقل نصوص من الكاتب الأرمني "بابازيان"، والذي اعتمدَ بدوْره على مشاهداته ومعاصرته للأحداث وشخصياتها، ونقل أيضًا عن مؤرّخين أرمن مُنحازين بالطبع لقضيتهم ،وما قالوه هنا ليس اعترافاتٍ بالحقيقة ولا انحيازًا للموضوعية ،بل هو نقدٌ ذاتي داخلي ناشئ من تبادلِ الاتّهامات ،ومحاولةُ التخلّص من التبعات والنتائج الوخيمة التي جرّتها عليهم الخيانة خيانة الدولة العثمانية التي كانت وطنهم وموطنهم لقرون عديدة.

- عنوان الكتاب نفسه –كما اختاره المؤلف– دلالة واضحة على محتواه:

(الوطنية المنحرفة.. استعراض لأفعال وآثام الاتحاد الثوري الأرمني، أو ما يسمى بـ "حزب الطاشناق")

- وإهداء الكتاب أيضًا دليلٌ كبير على الخيانة المزدوجة:

"إهداء.. في ذكرى شهداء الأرمن الذين قادهم إخلاصُهم لشعبهم وولائهم لبلدهم الأمّ أن يلقوا حتفهم على يدِ أشقّائهم."

(1) ك. س. بابازيان ، مرجع سابق، ص ص.30–31.

(2) نفسه، ص.31.

- وعن ازدواجية الولاء أو الانفصام في شخصية هؤلاء "الثوريين" الذي لا نجد له تفسيرًا سوى النفعية المطلقة، يقول:"كانت تكتيكاتُ الاتحاد الثوري الأرمني الاستراتيجية هي: الهرب مع الفريسة والصيد مع الكلاب *(To run with the hare and hunt with the hound)*.[(1)]
- وأمّا الدليلُ القاطع على خيانتهم وإرهابهم فهو برنامجُ الحزب المعتمد لديهم والمطبوع والمعلَن في مؤتمرهم العام: "لقد اعتمد الإرهاب، من البداية، كسياسة أو وسيلة لتحقيق غاياتها""تمّ اللجوء إلى هذه الأساليب الإرهابية من أجل الحصول على المال لتمويل الحركات الثورية في الأراضي التركية"[(2)].
- وتحت عنوان "الوسائل" *(Means)* ، في برنامجهم المعتمد في عام 1882، نقرأ التالي: "إخضاع المؤسسات الحكومية للتدمير والنهب"[(3)] .
- ويواصل بابازيان إيرادَ مُقتطفات من مؤرّخين أرمن حول إرهاب كلّ المنظّمات والجمعيات والأحزاب الأرمنية، فيقول :"تأسيسًا على محتوى تاريخ الاتحاد الثوري الأرمني الذي كتبه فارانديان ،فإنّ منظمة الطاشناق كانت غزيرةَ الإنتاج فيما يتعلّق بتنظيم وتنفيذ الأعمال الإرهابية ،ويبدو أنّ الإرهاب ضدّ رعاياهم كان جزءًا بارزًا من الأنشطة الثورية لقادة الطاشناق"لقد جرّب حزب الهانشاك نفسَ الأسلوب في الأعمال المثيرة والمعارك المتفرقة في القسطنطينية وساسون وزيتون ،وأماكن أخرى ،وفشل أيضًا في تحقيق التدخل الأوروبي ؛لذلك تخلّى (الهانشاك) عن هذه الأساليب باعتبارها عقيمة ومضرّة".[(4)]
- وهو هنا يضيف اتّهامًا آخر إلى أكبر فصيلٍ في الحركات الأرمنية (الاتحاد الثوري الأرمني)، وهو الغباء الشّديد، أو ربما التبعية مدفوعة الأجر:"لكنّ الاتّحاد الثوري الأرمني اعتقد أنّه سينجح حيث فشل الآخرون. وتبعًا لذلك قرّر الطاشناق أن يحملوا المعركةَ إلى العاصمة التركية، وعملَ تحركاتٍ يكون من شأنها أن تهزّ عرش السلطان، وأن تتسبّب في تدخل القوى الأوروبية وإجبار الحكومة التركية على تنفيذ الإصلاحات الموعودة للمحافظات الأرمنية، بموجب المادة 61 من معاهدة برلين."[(5)]
- فحقيقةُ المذابح الأرمنية أنّ الجماعات الأرمنية هي التي دبّرتها ونفّذتها في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وبعد ذلك أيضًا:"لم يكنِ الطاشناق ليتعلّموا أيّ دروس من تجارب الآخرين. كان مذهبهم هو أنّ الحرية يتمّ

(1) ك. س. بابازيان، المرجع السابق، ص.43.

(2) نفسه، ص.50.

(3) نفسه، ص.50.

(4) نفسه ص.57،

(5)) نفسه.ص.57.

كسبها عن طريق إراقة الدّماء فقط، وأنّه كلّما استُفزّ السّلطان لعمل مذابح للشعب الأرمني، كلّما كانت مطالباتنا بالحكم الذاتي أقوى، وكلّما أصبح الأمل في التدخل الأوروبي أكبر"[1]

- ورغم أنّ هؤلاء القادة والثوّار قد ثابوا إلى رشدهم بعضَ الوقت في عهد حكم (الاتحاد والترقي)، إلّا أنّ الخيانة والتّبعية دمّرت كلّ أملٍ لهم في الاستقلال أو الإصلاح، أو حتى بقاء دولتهم العثمانية بعيدة عن مخاطر الاحتلال والانهيار:"رغم أنّ حزب الطاشناق كان مكرّسًا نفسه من أجل التحرير الأرمني فإنه نبذَ المبادرات التي طرحها عليه القادةُ الأتراك الشباب في أوروبا كي يتعاون في الإطاحة بطغيان عبد الحميد. ثمّ بعد أن بدءوا في ممارسة السّياسة الرفيعة، توصلوا إلى تفاهم مع الثوار الأتراك"[2] .

(1) ك. س. بابازيان، المرجع السابق، ص63.

(2) نفسه، ص.72،

المبحث الرابع :التحالف الأرمني التركي وتداعياته

المطلبُ الأوّل: علاقةُ الأحزاب الأرمنية بالاتحاديين.

المطلبُ الثّاني: مؤامرةُ يلديز1905(yıldız) .

المطلبُ الثّالث: تأثير الانقلابُ العثماني (1908م/ 1326هـ) على المسألة الأرمنية.

المطلبُ الرّابع: أحداثُ أضنة(1909م/1327هـ) وتداعياتها.

بعدَ الأحداث الدّموية التي شهدتها منطقةُ شرق الأناضول، خلالَ الفترة الممتدة من (1894-1896)، كانت الأحزابُ الأرمنية تنتظر تدخّلَ الدول الأوروبية على غرار ما حصل في البلقان، لكنْ خابت آمالهم مجدّدًا في الدّول الكبرى التي لم تلتقِ مصالحُها مع مصالح الأرمن. هذا ما دفع بهم إلى تبنّي سياسة جديدة مناقضة تمامًا لتوجّهاتهم الأيديولوجية ،والمتمثلة في التّقارب مع جمعية تركيا الفتاة[1] وذلك منذ تسعينيات القرن التاسع عشر فأصبحوا يعلّقون عليها آمالًا كبيرة هذه المرّة في حلّ مسألتهم[2] ،حيث رأوا أنّ الحلّ الوحيد الذي بقي لهم هو الاتّفاقُ مع تيار الأغلبية الذي بدأ في تنظيم نفسه في الخارج[3].

وقد حاولنا – من خلال هذا المبحث – الإجابةَ عنِ الاستفسارات التّالية: ما مظاهرُ التقارب الأرمني التركي؟ وما أهمّ تطوّرات القضية الأرمنية مطلع القرن العشرين؟

المطلبُ الأوّل: علاقةُ الأحزاب الأرمنية بالاتحاديين:

تميّزت علاقة الأحزاب الأرمنية مع جمعية تركيا الفتاة بالتّقارب في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، هذا التقارب يمكن أن نصفَه كذلك بالتحالف ومن مظاهرِه ما يلي:

1- مشاركةُ الأرمن في مؤتمر باريس الأول 1902:

شاركَ الأرمنُ في مؤتمر تركيا الفتاة الذي عُقد في 4 أبريل 1902 ،ممثّلين في 47 لاجئًا سياسيًّا جاؤوا من مصر وبلغاريا و جونيف[4]. افتتح الأمير صباح الدين المؤتمر ،حيث عقدت ستّ جلساتٍ متّصلة باللغة الفرنسية ،بالإضافةِ إلى اللغة التركية بناءً على الطّلب الأرمني ،إلى جانب الوفد الأرمني شارك أعضاء قليلون للوفود اليونانية والألبانية والكردية ،أمّا المقدونيّون لم توجّه لهم الدعوة ،وبذلك تكون معظمُ الأقليات التي تمثل أطيافَ المجتمع العثماني قد شاركتْ في مؤتمر المعارضة العثمانية ،لكن الملفِتَ للانتباه أنّ المؤتمر لم يخرج بنتيجةٍ ملموسة ،بل ظهر الشّقاق بسبب الاختلاف حول مبدأ التدخّل الأجنبي ،واللامركزية ،والحوار مع القوميات ،وقد تبنّاه الأمير

(1) **تركيا الفتاة** : أسّس هذه الجمعية محمد مصطفى باشا ابن إبراهيم باشا المصري ،وقدّم السلطان عبد العزيز قائمةَ الإصلاحات ،وبعد الحرب ذهبَ إلى باريس عام 1865 ،والتقى هناك بالشّبان الأتراك المنفيين مثل آمق كمال شاعر الحزب ،والأمير محمد علي والأميرة نازلي ،وكانوا ينشرون المقالاتِ التي تهدف إلى إجراء الإصلاحات في الدولة العثمانية، وأطلق اسم (جون تورك) باللّغة الفرنسية على هذه الحركة ،ومعناها تركيا الفتاة ،وكان من أعضائها مدحت باشا ،تولّى فيها بعد منصب الصدر الأعظم ،والذي أصدر دستور عام 1876 م. أنظر: مروان المدور، مرجع سابق، ص 402.

(2) *Vincent Duclert, Op. cit, p. 189.*

(3) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق، ص. 449.

(4) *Yves Ternon, Op.cit, pp. 161-162.*

صباح الدين ،فضلًا عن بعضِ المشاركين الذين تعاطفوا مع هذا المبدأ ،أمّا الباقي فقد رفضوه ؛فتمسّك كلّ طرفٍ بمبدئه(1).

أمّا بالنسبة للأرمن فضمّوا صوتهم إلى صوت الأمير صباح الدين(2) ،بعد المؤتمر قام هذا الأخيرُ بتأسيس رابطة المبادرة الشّخصية واللامركزية(3) ،التي كانت تهدفُ إلى إنقاذ الدّولة العثمانية من الأزمة التي كانت تتخبّط فيها ،حيث رأى أنّه من الشروط الأساسية لبقاءِ الدّولة هو خلقُ نظامٍ إداري غير مركزي ،يضمن حقوق وحريات جميعِ الأعراق التي تعيش في الدّولة العثمانية(4) ،وتجسيدًا لذلك شكّل الأمير صباح الدين مجلسَ إدارةٍ للحزب، وفتح عدّةَ فروع له في كلٍّ من أرضروم وطرابزون و إزمير ودمشق واللاذقية وعالية في جبل لبنان ،ومعظمها ضمّ تجمّعاتٍ أرمنية ،وكانت هذه الفروعُ تتّصل بعضها بالبعض ،وتتّصل مع المركز العام للحزب في باريس ،أمّا فرعُ اسطنبول فقد تولّته الجمعيةُ الانقلابية التي تأسّست في سنة 1904م ،من طرفِ مجموعةٍ من طلبة الكليات والمعاهد والمدارس(5).

أمّا بالنّسبة لبرنامج الجمعية فهو قائمٌ على أساسِ اللامركزية، ويتضمّن ما يلي:

- إعطاء حكومات الولايات صلاحياتٍ واسعة.
- تقوم مجالسُ الإدارة العمومية والبلديات المنتخَبَة انتخابًا سريًّا، بالنظر في أمور ومصالح الولايات والنواحي وتشترك في إدارتها ونظمها.
- تشترك كلُّ ولايةٍ في مجلس المبعوثان في إسطنبول بنوّاب تنتخبهم المجالسُ العمومية؛ لتقوية الروابط بين الولايات بعضها ببعض، وبينها وبين الحكومة المركزية في إسطنبول.
- إنشاءُ قوّة من الشرطة المحلية، تعيّن الولاة والمتصرفين ورؤساء المالية ومديري العدلية ورؤساء محاكم الاستئناف والمحاكم الابتدائية والمدّعين العامين، أمّا بقية الموظفين فيختارهم الولاةُ، ويعيّنهم من أفراد مختلف القوميات في الولاية حسب النّسبة العددية لكلّ من هذه القوميات.

(1) *Rymond Kévorkian, Op. cit, p. 29.*

(2) **الأمير صباح الدين (1877-1948)** : وهو من الأحرار ،وابن الداماد محمود جلال الدين ،الذي هرب إلى باريس سنة 1899 م مع ولديْه الأمير صباح الدين ولطف الله، كان الأمير ضد الحكم الفردي ،الذي يمارسه السلطان عبد الحميد الثاني ،قاد مع مجموعةٍ من الأحرار العثمانيّين حركةَ المقاومة ضدّ عبد الحميد ،ووجّه نداءً إلى العثمانيين الأحرار في أوروبا يدعوهم إلى مؤتمرٍ يعقد في باريس لبحث الوسائل التي تؤدّي إلى الحياة الدستورية للبلاد. أنظر: محمد عبد العزيز الشناوي ، مرجع سابق، ص. 355.

(3)*Yves Ternon, Op.cit, p .161.*

(4) *Raymond Kévorkian, Op. cit, p. 38.*

(5) عبد العزيز محمد الشناوي، مرجع سابق، ص. 359.

- إجراءُ إصلاحٍ سياسي يعتمد على مبدأ تداول السّلطة ،وفكرة أنّ نظام اللامركزية في الإدارة لا بدّ وأن يتمّ تأسيسه في الولايات(1).

أسّس الأمير صلاح الدين جريدةَ الترقي سنة 1906م وهي لسانُ حال جمعيته ،"وكانت تدعو إلى تعزيز الحريات الفردية ،والازدهار الاجتماعي ،والعلاقات الطيبة بين جماعات الإمبراطورية المختلفة ،ورفع مستوى حقوق العثمانيّين في مواجهة عدوان الدول المتقدمة(2)".

2- مشاركة الأرمن في مؤتمر باريس الثاني 1907:

عقدَ حزبُ الطاشناق المؤتمرَ الرّابع لهم في فيينا في تاريخ 22 فبراير 1907 م ،في مبنى تابع للحزب الاشتراكي النمساوي ،بهدف دراسةِ الأحداث التي استجدت على السّاحة ،وتقييم التقدّم الحاصل لحركة تركيا الفتاة، وقد شارك في المؤتمر مجموعةٌ من المفكّرين والمقاتلين النّشطين على المستوى العالمي ،وعقدوا أكثر من مائة جلسةٍ تمّ خلالها دراسةُ قضايا كثيرة دراسةً معمّقة ،أبرزها التعاون مع المعارضة العثمانية(3).

وفي 29 ديسمبر سنة 1907 ،وبطلبٍ من لجنة الطاشناق ،عقدت جمعية تركيا الفتاة مؤتمرَها الثاني في باريس من أجل توحيدِ صفوف المعارضين للسّلطان عبد الحميد الثاني ،وتنسيق الجهود فيما بينهم ،واشترك في رئاسةِ المؤتمر الأمير صباح الدين ،وأحمد رضا بك(4) ،وك. مالوميان *Maloumian* الأرمني ممثّلًا لجمعية

(1) عبد العزيز محمد الشناوي ، مرجع سابق ، ص. 360.

(2) *Raymond Kévorkian, Op. cit, p. 48.*

(3) *Ibid , p. 49.*

(4) **أحمد رضا بك** : من الأعضاء البارزين في جمعية تركيا الفتاة ،ولد في إسطنبول ،واشتهر والدُه علي رضا بك باسم "إنجليز علي" أي علي الإنجليزي ؛لصداقته مع الإنجليز في أثناء حرب القرم ،وكانت والدتُه سيدة نمساوية أو مجرية اعتنقت الإسلام ،وقد تلقّى أحمد رضا علومَه في غالاطة سراي ،ثمّ أوفد إلى فرنسا لتلقّي العلوم الزراعية ،وعيّن بعد عودته مديرًا للتعليم في بورصة ،وفي سنة 1899 حصل على إذنٍ بالسّفر إلى باريس لزيارة المعرض العالمي ،الذي أقيم في فرنسا ضمنَ الاحتفالات والمهرجانات والنّدوات التي نظمتها بمناسبة مرور مائة عام على قيام الثورة الفرنسية سنة 1889 ،لكن استقرّ أحمد رضا بك في باريس لأنّه كان قد ضاق ذرعًا بالحُكم الفردي الذي كان يمارسه السلطان عبد الحميد الثاني ،وفي سنة 1895 أصدر رضا بك مستعينًا بثرائه العريض بالتّعاون مع خليل غانم ،وهو من الأحرار العثمانيين المنفيّين ؛جريدة نصفِ شهرية باللّغتين التركية والفرنسية باسم "مشورت" أي المشورة ،كانت تطالب السلطانَ بإقامة حياةٍ دستورية ،وقد قدر له أنْ يكون رئيسًا لأوّل مجلس نيابي ،ل"مجلس المبعوثان" في سنة 1908 ،بعد أن أعيد العمل بالدستور .عبد العزيز محمد الشناوي، مرجع سابق، ص. 356.

الطاشناق ورئيسًا للوفد الأرمني في المؤتمر ،فضلًا عن أعضاء تركيا الفتاة من أتراك وأرمن وأكراد وبلغاريين ويهود[1] ويونان ،وقد خرجَ بقرارات مهمّة ،أبرزها:

- أوّلًا: عزل السلطان عبد الحميد الثاني.
- ثانيًا: تغيير الوزارة.
- ثالثًا: تأسيس البرلمان.

ومِن أجل إتمام هذا؛ قرّروا اتّخاذ الأهداف التالية:

- أوّلًا: التسلّح التّام.
- ثانيًا: الإيعاز إلى الجيش أنْ لا يطلق النارَ، لا على الثوريين ولا على الأهالي.
- ثالثًا: عدمُ دفع الأموال الأميرية والأعشار.
- رابعًا: ثورة عمومية.
- خامسًا : ذرائع أخرى بحسب ما تقتضيه الأحوال[2].

ما يمكنُ أن نلاحظه على هذه القرارات أنّها كانت ذات صبغةٍ ثورية، ولم تكن عرضية، بل كانت تعبّر عن عزم الاتحاد والترقي أكثرَ من أيّ وقتٍ مضى على خلع السّلطان، وإعادة تفعيل دستور 1876 م الذي قام السّلطانُ بتعطيله، بالرّغم من أنّه كان قد وعَدَ به، عندما تولى زمامَ الحكم سنة 1876 م. أمّا الأرمن بالرّغم من أنهم لم يحصلوا على أيّ قرار لصالحهم؛ إلّا أنّهم لم يعترضوا على ذلك، فقرار عزل السّلطان جعلهم يعتقدون – في تقديرنا – أنّه كافٍ لتجد القضية الأرمنية طريقَها نحو الحل.

كما يتجلّى لنا من خلال هذه القرارات أنّ جمعية تركيا الفتاة والطاشناق، أظهرَا تعاونًا بهدف إعادة الحياة الدّستورية من جديدٍ وإعلان المشروطية، والقضاء على نظامِ عبد الحميد الثاني، وهذا كلّه من أجل إنقاذ الإمبراطورية من الانهيار، فالأرمنُ بالنسبة لهم سيسْتفيدون من المناخِ الدّستوري أوّلًا، ثمّ يؤسّسون حكمًا ذاتيًّا كمرحلةٍ أولى، وبعد ذلك يؤسّسون دولة أرمنستان الحرة.

وفي نفس الإطار، نقتبس ما قاله السلطان عبد الحميد الثاني حول العلاقة بين "تركيا الفتاة" وبين المنظّمات الأرمنية يقول: "لم أكن أدهشُ لهيام الأرمن بحبّ الاستقلال، وخاصّة بعد معرفة إثارة الدولِ الكبرى لهم

(1) **الجامعة**، من هم الأحرار الذين جاهدوا الجهاد الحسن تاريخ تركيا الفتاة، ع 222، السبت 22 أغسطس 1908، ص1، 2، نيويورك، **الأرمن وتركيا الفتاة...** ، مرجع سابق، ص.713.

(2) نفس المقال، ص. 714.

بلا توقّف. لكنّي أدهش لأن بعض أفراد تركيا الفتاة، الذين هربوا إلى أوروبا، وأصدروا هناك صحفًا ضدّي، كانوا يتعاونون مع أعضاء المنظمات والجمعيات الأرمنية، كما أدهش لأنّهم كانوا يأخذون منهم أموالًا أيضًا كانوا يقولون إنّهم يريدون إنقاذ الدولة العثمانية من التمزّق، ثمّ يتعاونون مع الذين يعملونَ على تفتيت الدولة، ويتعاهدون معهم. فهل قيام دولة أرمنية في بطْنِ الأناضول شاهدٌ على إثبات وطنيتهم؟"[1].

المطلبُ الثّاني: مؤامرة يلديز(yıldız) 1905 م:

بالرّغم من تحالف الطاشناق مع جمعية تركيا الفتاة إلّا أنّهم لم يوقفوا أنشطتهم الثورية، ومن أهمّ الأعمال التي قاموا بها خلالَ هذه الفترة حادثةُ القنبلة، أو مؤامرة يلديز، والتي مهْما اختلفت تسمياتها فهي تشير إلى حادثة واحدة، وهي الحادثةُ المعروفة في التاريخ بمحاولة اغتيال السّلطان عبد الحميد الثاني في 21 جويلية 1905. وفي هذا الإطار ،يمكن أن نقول إنّ اسطنبول لم تشهدْ ما بين (1902 و 1907) أهمّ من هذه الحادثة[2] ،بالرغم من أنّ العمليات الثورية التي كان يقوم بها حزبُ الطاشناق والهنشاق قد تراجعتْ مقارنةً بأواخر القرن التاسع عشر، ويمكن أن نعزو ذلك إلى احتمالِ وجود صراعاتٍ وشقاقات في صفوفِ الحزبين ،فحتى هذا التاريخ لم نسجّل قيام الحزبين الأرمينيّين ،بتوحيدِ جهودهما من أجل تحقيق الهدف الذي تأسّسَا من أجله ،وهو تأسيس دولةِ أرمنستان في شرقِ الأناضول ،فلا نستبعدُ أن تكون الصّراعاتُ الشخصية قد حالت دون ذلك.

1- تحضيراتُ مؤامرة 1905 م:

خلالَ مؤتمر الطاشناق المنعقد بصوفيا جانفي 1904 م، خرج المؤتمرون بعدّة قرارات في غاية الأهمية، والتي يمكن أن نحصرها فيما يلي:

- إدخال منطقة اسطنبول وإزمير في إطار حركاتٍ ثورية واسعة النطاق ،وفي حال ما أحسّوا بالحاجة إلى لجانٍ ثورية إضافية فإنّهم سيتّحدون مع مقدونيا[3].
- أمّا القرارُ الثاني البالغ الأهمية فيتمثّل في التّخطيط لاغتيال السلطان عبد الحميد الثاني، بعد ذلك يتمّ تفجير مؤسّسات هامّة في إسطنبول، وهي: مركز الحكومة، وجسر غالاطة، والبنك العثماني، فضلًا عن عدّة سفارات أجنبية، وبعض المؤسّسات الرسمية الأخرى. وهكذا سوف يتمكّنون من خلق جوّ من

(1) مذكرات السلطان عبد الحميد، ترجمة وتحقيق، محمد حرب، ط4، دار القلم، دمشق،1988، ص ص 128 – 129.
(2) *Levon Panos Dabağyan, a.g.e, s. 127.*
(3) *a.g.e s. 127.*

الفوضى العارمة التي سوف تترك اسطنبول في النّار والدّم ،وهكذا- حسب اعتقادهم- سيضمنون تدخّلَ الدّول الأوروبية لحلّ المسألة الأرمنية[1].

أحاطت بهذه الواقعة ظروفٌ مختلفة عاشتها الدولة العثمانية ،من بينها انتصارها على اليونان عام 1897 [2] ،مما أعادَ للدولة ثقتها بنفسها بعدَ سلسلةٍ من الهزائم. وكنتيجة للسّياسة التي اتبعها السلطان عبد الحميد II تجاه القضية الأرمنية ،أدّى هذا لتشكّل قناعة لدى الأرمن بوجوب الإطاحةِ به ؛لأنّ هذا الأخير وقف حجرَ عثرةٍ في وجه تشكيل دولتهم المستقلّة ؛لذلك سيتعاونون مع الحركةِ الصهيونية بعد رفض السلطان عرضَ زعيم الحركة الصهيونية ثيودور هرتزال بخصوص منح الدولة العثمانية الملايين ،وحلّ المسألة الأرمنية مقابلَ منحه فلسطين وطنًا لليهود ،لذلك سيقوم الثوارُ الأرمن مع اليهود بالتخطيط لقتل السلطان[3].

بعد المؤتمر شرعَ في التحضير لاغتيال السّلطان عبد الحميد الثاني، لكن منذ البداية لم يتمّ الاتفاقُ حول كيفية اغتياله، وبعد أخذٍ وردّ اتّفقوا على استعمال القنبلة، الأمرُ توقّف عند هذا الحدّ إذ لم يتمّ وضع الخطة النّهائية. شارك في التّخطيط للمؤامرة عدّةُ أشخاص ،وعلى رأسهم ممثلُ فرع اسطنبول كريستافور ميكائليان *Kristafor Mikaelyan,* ،وابنته روبينا فائين *Robina Fain* ،والأرمني الروسي المسمى قسطنطين كاندريان واسمه المستعار ليباريبس *Liparips* ،واستعانوا بالفوضوي البلجيكي إدوارد جوريس[4].

وقّع الأرمن اتفاقًا مع جوريس[5] ،وبناءً على هذا الاتفاق حضر إلى اسطنبول ،حيث تمّ وضع عدّة مخطّطات لتنفيذ المؤامرة ،فلاحظوا أنّ السّلطان عبد الحميد الثاني لا يخرجُ من قصر يلديز إلّا لأداء صلاة الجمعة، وما عدا ذلك لا يمكن رؤيتُه أبدًا خارج القصر ،لذلك اتّفقوا على تعقّب تحركات السلطان خلال مراسم ذهابه للمسجد ،لكنْ ظهرت لهم إشكاليةٌ أخرى حول كيفية اغتياله ،هل عنْ طريق إلقاءِ قنبلة على السلطان نفسه

---

(1)*Turan Akıncı,* ***Suikast: Osmanli`da son dönem suikastlar****, Birinci Baskı, Remzi kitabevi, Istanbul, 2017, s. 22.*

(2) **الحرب العثمانية اليونانية** : تهيّأ المناخ لاشتعال الحربِ بين الدولتين ،حتى أصبحت عمليات الاعتداء والتحريض التي تقوم بها العصاباتُ اليونانية ووحدات الجيش ؛أمرًا لا يمكن تحمّلُه من جانب السلطان ،المعروف بتردده وتريثه فأعلن الحربَ على اليونان في 18 أفريل 1897. أنظر: أكمل الدين إحسان أغلو، مرجع سابق، جI، ص. 121.

(3) *Sadi Koçaş,a.g.e, s. 162.*

(4)*Turan Akıncı , a.g.e, s . 22.*

(5) **جوريس إدوارد** : هو بلجيكي الجنسية ،ولد في مدينة أنفارس Anvers في سنة 1876 ،بعد المدرسة بدأت حياته المهنيّة في شركة نقل ،لكن كان يمتاز بروحٍ فوضوية ،فتورّط بسرعة في عدّة أحداث وقعت في بلجيكا ،دخل السجن نتيجة لقيامه بعدّة أحداث ،فرع حزب الطاشناق أراد الاستفادة منه ومعلوماته الكمياوية في صناعة القنابل، *Turan Akıncı,a.g.e, s . 25*

عندما يكون في عربته لحظة مرور موكبه ،أو عن طريق إطلاق النّار على السلطان ،وفي آخر المطاف تمّ الاتفاق على وضع قنبلة موقوتةٍ في عربة تنفجرُ عندما يمرّ موكبُ السّلطان بعد أدائه شعائر صلاة الجمعة[1].

بدأ المتآمرون – وعلى رأسهم ميكائيليان –كلّ أسبوع بتعقّب تحرّكات السلطان بدءًا من خروجه من قصر يلديز ،ثمّ خروجه نحو عربته ،فقاسَ المسافةَ إلى المسجد[2] ،كما تمكّن من تحديدِ الزمن الذي يستغرقه من خروجه من المسجد حتّى ركوبه عربته بدقيقةٍ كاملة و 42 ثانية ،من دون أن يتوجّه لمكانٍ آخر[3] ،وفي إطار الاستعدادات لتنفيذ المخطّط ذهب ميكائليان إلى صوفيا من أجل تجربةِ القنابل التي سوف تستعمَل ،وبدأ بالتمرّن على رمي القنابل مع مساعدِه فرام كانديريان *Vran Kendiryan* بالقرب من جبل فيتوشا الذي يوجد خارج صوفيا ،والجدير بالتّسجيل أنّه خلال أحدِ التجارب التي أجريت في يوم الجمعة 17 مارس 1905 انفجرت القنبلةُ التي كانتْ في يد كاندريان مما أدّى إلى مقتلهما[4].

بالرّغم مِن مقتل الزعيميْن لم يتمّ التخلّي عن مخطط الاغتيال السّالف الذكر ،لذلك تمّ تصميم العربة التي سوف توضَع فيها القنبلة في بلجيكا ،وبالتّحديد من مصنع عربات نازال دوفار *Nesel Dofer* ،ثمّ أحضرت إلى اسطنبول مجزأة بواسطة سفينة دلما تشيا *Dalmaçya* [5]،بعد ذلك تمّ تركيبها ووضع القنبلة الموقوتة بساعةٍ شديدةِ الدقّة ،تحمل 80 كيلوغرام من المتفجرات و 20 كيلوغرام من القطع المعدنية ،وفي اليوم المتّفق عليه لتنفيذ المؤامرة– أي يوم الجمعة 21 جويلية 1905 – كلّ شيء تمّ الإعداد له بإحكام ،حتّى بالنسبة للعربة تحصلوا على وثيقة من سفيرِ روسيا تسمح لهم بإدخالِ العربة إلى السّاحة ،التي يضع فيها السفراءُ عرباتهم من أجل مشاهدة موكب السّلطان[6].

2- تنفيذُ المؤامرة:

ركبَ المتآمرون السيارةَ في هيئة متفرّجين أوروبيّين ،وتوجّهوا إلى المسجد ،وبينما كان السلطان يؤدي الصّلاة في جامع يلديز ،تركوا السّيارة ورحلوا ،كان هناك زحامٌ كبير وشديدٌ أمام الجامع ،حيث كان من المعتاد أن يكونَ بهذا المكان العديدُ من المواطنين والأجانب ،والعديد من رجال الدولة ،وموظّفو السفارات ،وحتى السياح

---

(1)*Nurşen Mazıc,* ***Uluslararası rekabette Ermeni sorunu' nun kökeni****, 2 Baskı, pozitif, yayınları, Istanbul, 2005, s. 67.*

(2) *Turan Akıncı, a.g.e, s. 24.*

(3)*Vahdettin Engin, <u>Sultan ll,Abdülhamid'e düzenlenen ,ve Ermeni suikasti bu sebeple</u> <u>Belçika ile yaşaman diplomatik kriz</u> ,**Emeni meselesi üzerine araştırmalar** ,ikinci baski ,İstanbul,2001, s. 134.*

(4)*Turan Akıncı, a.g.e, s.24.*

(5)*Ercan Karakoç, a.g.e, s. 115.*

(6)*Turan Akıncı, a.g.e, s. 29.*

كانوا يجتمعون لمشاهدة السّلطان ورجاله يؤدّون شعائر صلاة الجمعة ،القنبلة التي وضعت في السيارة كانت ستنفجرُ أثناءَ سيْرِ السّلطان عبد الحميد من الجامع إلى عربته السّلطانية ،لكنّ الأقدارَ حالفت السلطان ،حيث وقعَ شيء لم يكنْ في الحسبان ،ففي اللحظة التي همّ فيها السلطان بالخروج استوقفه شيخُ الإسلام جمال الدين أفندي ،وعرض عليه مسألةً ما ،وأجاب السلطان بعدّة جُمل ،واستغرق هذا الأمرُ لحظات قصيرة ،هذه اللّحظاتُ كانت كافيةً لإبطال المؤامرة ،فبينما كان السّلطانُ ينهي حديثه ،ويبدأ في وضع أولى خطواتِه على سلّم الجامع انفجرتِ العربةُ المفخّخة بشكل مُذهل ،وتحوّلت المنطقة في لحظةٍ إلى ساحة حرب غارقة في دخان من الغبار ، وانتشرت الشظايا المعدنية في كلّ مكان(1).

لقي 24 شخصًا حتْفهم نتيجة الانفجار ،من بينهم المشير محمد جركس باشا ،وفتان باشا ،وضابط من قادة السّفارة الألمانية ،وبهاء الدين بك أحد مدرّسي أنجال السّلطان ،ومن بين القتلى كذلك عددٌ من الحوذيين والجنود ،وتحطّمت 24 عربة ،وقتل وجرح 57 حصانًا(2). لكنّ الملاحَظ أنّ الحصيلة النهائية لانفجار القنبلة تختلفُ من مرجعٍ لآخر ،فهناك مَن يُرجعها إلى 26 قتيلًا و 58 جريحًا(3).

التّحقيقاتُ التي أجريت بعدَ الحادثة لم تتمكّن من تحديد مَن يقف وراء هذه المؤامرة ،فظهرت عدّة فرضيّات ،فبعضهم وجّه أصابعَ الاتهام للثّوار البلغار ،أمّا البعض الآخر فقد رأى أنّ جمعية تركيا الفتاة "لما سئم من الحالةِ الحاضرة ويئسَ من الإصلاح لم يجدْ وجهًا للفْتِ أنظار جلالة السّلطان إلّا بإلقاء تلك القنبلة الجهنمية في الجامع الحميدية" ،كما حامت الشّكوكُ كذلك حول الأرمن ،وذلك بالاستناد إلى ما وردَ لسفراء الدول قبل الحادثة من المنشورات التّهديدية من زعماء الثورة الأرمنية(4).

في أعقاب الحادثة أسّست لجنةُ تحقيق برئاسة نجيب ملهامة باشا *Nacib Melhame* ،للشروع في التّحقيقات التي كانت صعبةً للغاية في البداية بسبب غيابِ القرائن الضّرورية ،ولأنّ الانفجار لم يخلف آثارًا يعتدّ بها إلّا قطعة مطّاط وجِدَت في منحدر يلديز ،وقد حملت هذه الأخيرة أهميةً كبيرة في إماطة اللّثام عن خيوط المؤامرة ،ولو بشكلٍ جزئي ،لأنّ العربات في اسطنبول لا تستعمل عجلاتٍ مطّاطية ،وكدليلٍ جديد عثر عليه بين

(1) سيف الدين أرباجي، مرجع سابق، ص ص. 109-110.

(2) **العصر الجديد** ، القنبلة الجهنمية ، ع 5، الأحد 113 أغسطس 1905، ص2، القاهرة، **الأرمن وتركيا الفتاة ...**، مرجع سابق، ص. 530.

(3)*Turan Akıncı, a.g.e, s. 37.*

(4) العصر الجديد . المقال السابق، ص111 .

حطامِ العربة قطعةٌ معدنية كتب عليها رقم 11123 وكتابة *NESEL DOFER* ،وبهذا توصّلت لجنة التّحقيق إلى حقيقة مَفادها أنّ هذه العربة قد صُنعت في فيينا ،وبعد هذا بدأت أدلّةُ الجريمة تتجلّى واحدة بعد الأخرى ،حيث ألقي القبضُ على أحد المخطّطين للمؤامرة ،وهو البلجيكي إدوارد جوريس ،وبعض المتّهمين ،أمّا الرّؤوس المدبّرة كلّها نجحت في الهروب إلى للخارج[1].

بعد أنْ حُكم على منفّذ العملية "جوريس" بالإعدام ،قام السّلطان بموقفٍ غير متوقّع ،ويتمثّل في العفو عن "جوريس" ،عاقدًا معه اتّفاقًا مقابل تزويده بمعلوماتٍ سريّة خاصّة بقضايا الفوضى والإرهاب في أوروبا ،كما أحسنَ إليه بأنْ أهداه 500 قطعة ذهبية ،وهذا مقابل تجْنيده للقيام بمهامّ سريّة للسّلطان ،بحيث كان يرسل تقارير مهمّة جدًّا عن أوروبا ،حسب ما ذكره الباش كاتب تحسين باشا ،واستطاعَ السّلطان في ظلّ تلك المعلومات التي تضمّنتها تقاريره إحباطَ الكثير من مخططات أعدائه[2].

3- نتائجُ مؤامرة يلديز:

تعتبر مؤامرةُ يلديز تحصيلُ حاصلٍ للحركات الاستقلالية القومية ،التي شهدتها الدولةُ بصفة مستمرّةٍ وطويلة الأمد[3]،إنّ وصولهم للتّخطيط لاغتيال السّلطان لدليل قاطع - في تقديرنا- على نفادِ كلّ الوسائل التي كانت بحْوزتهم ،فكلّ السُّبل التي اتبعوها لم تؤتِ أكلَها ،بل زادتِ القضية تعقيدًا. كما يمكن أنْ نعتبر أنّ استهداف السّلطان مباشرة لدليلٌ قويّ كذلك على يقينهم بأنّ السّلطان أصبح منبوذًا من عدّة أطراف من المجتمع العثماني، فكثر معارضوه الذين أصبحوا يريدون الإطاحةَ به؛ لذلك فإنّ اغتياله سيفتح آفاقًا لعدّة أطراف تركية وغير تركية.

ويبدو أنّ محاولة اغتيال السّلطان عبد الحميد تلك لم تكن الأولى؛ إذْ يذكر أحدُ الكتّاب- اعتمادًا على مصادر أرمنية روسية -، أنّ اللّجانَ الثورية الأرمنية السريّة أعدّت خطّةً للقيام بهجومٍ مسلّح على سراي السلطان عبد الحميد الثاني في يلدز بالعاصمة إستانبول، أثناءَ الاحتفالات في يوم 31 أغسطس سنة 1896 بالذكرى العشرين لتولّيه العرش انتقامًا منه. ولكنّ الحكومة الروسية القيصرية تناهى إليها خبرُ هذه الخطّة إجمالًا ،فأبلغت بها الحكومة العثمانية كما أبلغها بها جواسيسُها تفصيلًا ،ولهذا أعدّت الحكومةُ العثمانية من جانبها هي خطّةً مضادة وبلغ اللّجان الثورية الأرمنية السرية اكتشاف خطّتها ؛فأعدت هذه اللجان خطّةً جديدة أخرى للاستيلاء بالقوة

(1)*Vahdettin Engin,a.g. m, s.138.*

(2) سيف الدين أرباجي، مرجع سابق، ص.111

(3) *Turan Akıncı, a.g.e, s. 37.*

المسلّحة على البنك العثماني في العاصمة والتّهديد بنسفِه للفْتِ أنظار الدّول الأوربية من جديدٍ إلى مطالب الأرمن العثمانيّين ،وما حلّ بهم(1).

وهكذا يمكننا أن نقول إنّ كلّ الأحداث الأرمنية التي سبقت حادثةَ الهجوم على البنك العثماني– والتي مرّ عليها تسعُ سنوات لتأتي مؤامرةُ اغتيال السّلطان – لم يكنْ لها صدًى كبيرٌ بالمقارنة مع الحدثين السابقين، وخاصّة اغتيال السلطان، فهذا إنْ دلّ على شيء فإنّه يدلّ على أنهم أصبحوا يخطّطون لأعمالٍ لها صدى أكبر سواء داخليًّا أو خارجيًّا، بهدف لفْتِ أنظار الدّول الأوروبية، التي لم تقمْ بأيّ عملٍ ملموس لصالح القضية الأرمنية، فجلّ تحركاتهم كانت حسبَ ما تقتضيه مصالحُ بلدانهم بالدرجة الأولى.

المطلبُ الثّالث: تأثير الانقلابُ العثماني1908 م على المسألة الأرمنية:

1– أسبابُ الانقلاب العثماني 1908 م:

اتّسمت الفترةُ التي أعقبت مؤتمرَ المعارضة الأخير سنة 1907 م بعدم الاستقرار ،حيث تسارعت الأحداث، فوقعتْ عدّة اغتيالاتٍ للقادة الموالين للسّلطان عبد الحميد الثاني ،وخصوصًا في مركز شرطة سلانيك،(2) بالإضافة إلى عناصر من الشّرطة والاستخبارات(3) ،بغضّ النظر عن هذا ازدادتْ موجةُ التذمّر لدى صغار ضباط الجيش العثماني ،فالترقياتُ لم تكن خاضعةً لقاعدة الكفاءات بقدْر ما كان يتحكّم فيها رصيدُ الضابط ،والذي يستند بالأساس للتقاريرِ التي قدّمها عن زملائه ،فضلًا عن تردّي مستويات المعيشة لهم نتيجة تأخّر رواتبهم ،ولم يتوقّف الأمرُ عند هذا الحدّ ؛بل كان هؤلاء الضّباط يشعرون بالخجل عندما يقارنون ملابسهم وأوضاعهم بنظرائهم الأوروبيّين ،وللتنويه — أيضًا – فإنّ أوضاع الجنود كانت أسوأ من أوضاع الضّباط "إذْ قلّما تسلّموا رواتبهم المخصصة لهم ،طعامهم رديء ،وملابسهم متواضعة ،وبصفة عامّة لم يكنْ مستواهم المعيشي العام أفضلَ حالًا من مستوى معيشة الحيوان"(4).

---

(1) فؤاد حسن حافظ، تاريخ **الشعب الأرمني منذ البداية حتى اليوم**، د. ن، القاهرة، 1986، ص. 213.

(2) **سلانيك:** تقع ولاية سلانيك في الطرف الغربي من ولاية تراكي بين بحر آطة ومتشكلة بين أراضي ماقدونيا شرقًا وأدرنة وغربًا وشمالًا قوصوه بلغارستان والشمال الشرقي روم إيلي الشرقي ،وجنوبًا بحر آطة والمضيق المتشكّل منه ،محاطة ومحدودة بهذه المذكورات ،ويتشكّل من عدّة ألوية ؛لواء سلانيك نفسه ولواء سيروز ،ولواء درامه ولواء قوصوه ،ولواء برشتنة. أنظر: أحمد الشرقاوي وآخرون، مرجع سابق، ص. 423 وما بعدها.

(3) نقية حنة منصور، مرجع سابق، ص. 138.

(4) محمد رفعت الإمام، **مسألة أضنة**...مرجع سابق، ص. 138.

إنّ تدهورَ الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ،والذي أصبح بارزًا بشكلٍ واضح وجليّ في الدولة العثمانية، أدّى إلى حدوث عدّةِ مظاهرات شعبيّة في الأناضول ،زيادة على التّمردات عبر الإمبراطورية ،فواقع الحال هذا أقنعَ جمعية تركيا الفتاة خاصّة عندما شعروا أنّ الدولة مهدّدةٌ بفقدان المزيد من أراضيها ،حيث أثار لقاء نيقولا الثاني قيصر روسيا بإدوارد السّابع ملك بريطانيا في ريفال Reval في جوان 1908 ،بالرغم من أنّ محتوى اللقاء كان سريًّا ،إلّا أنّ الدعاية العثمانية روّجت إلى أنّ هذا التقارب الهدفُ منه هو التحضير لاستقلال مقدونيا ،مما سيعطي للقضية المقدونية بعدًا جديدًا ،هذا كلّه دفعَ بجمعية تركيا الفتاة للبحث عن مدى صدق ما يروّج له ،لكن الخوف من الإقرار دفعَهم للإسراع باتّخاذ التدابير اللازمة ،ففي 2 جويلية 1908 قام عضوٌ ألباني من فرع الجمعية في سلانيك ،وهو الضّابط نيازي بك ،بالاختفاء في جبال مقدونيا بمعيّة مجموعةٍ من أنصاره ،وقد تكرّر هذا المشهدُ عندما قام الضّابط المشهور والمتخرّجُ من مدرسة الحرب في اسطنبول أنور باشا ؛بالاعتصام رفقة 150 من أنصاره ،وأعلن عن قيام الثورة(1).

وأمامَ هذه التطوّرات المتسارعة ،لم يكن أمامَ السّلطان بدٌّ من إرسال الجيش الأناضولي لإخماد الحركة التّمردية للجيش الثالث ،لكن يبدو أنّ هذا الأخير قد انتقلتْ إليه العدوى(2) ،فرفض الجنود بشكل قطعي الهجومَ على نظرائهم ،وقتل قادتهم المتمثّلين في القائد شوقي باشا ونائبه القائد عثمان باشا. وفي مقدونيا أعلن الجميعُ تضامنَه مع الثّوار ،وحتى سكّان الريف الألبان التحقوا بهم ،وبدأت تلغرافاتُ قادة الجيوش تنهالُ على قصر يلديز، تطالبُ السّلطان بإعادة الحياةِ الدستورية من 19 جويلية إلى 22 من نفس الشّهر ،تواصلت مسيرةُ الثورة بقيام اللّجنة المركزية لجمعية تركيا الفتاة بالاستيلاء على مركز التلغراف في ليلة 22 إلى 23 جويلية ،في اليوم الموالي صباحًا توافد ممثلو المسيحيّين والمسلمين في القرى ،ازدادت الحشود حول القصر الحكومي ،وعلى السّاعة العاشرة توافدت القياداتُ المدنية والدينية ،حتّى عامّة الشعب من أتراك ويونانيين وبلغار ،كلٌّ ارتمى في أحضان الآخر إيذانًا بالمصالحة بين الأديان والشعوب(3).

أخذت وحداتُ الجيش تهدّد السّلطانَ بتفعيل الدّستور في أجلٍ أقْصاه 24 ساعة ،وإلّا فإنّ الجيش الثاني والثّالث سيزحف على إسطنبول ،وهنا ربّما السّلطان لم يستوعب الوضعَ جيّدًا ،أو أنّه قلّل من شأن هذه الحركة، فطلبَ من الصّدر الأعظم حلمي باشا إيقافَ أعضاء الجمعية ،لكن هذا الأخير وضعه أمامَ الأمر الواقع ،وأنّ

(1)*Yves Ternon , Op. cit, pp 170-171.*

(2) محمد رفعت الإمام، **مسألة أضنة** ...مرجع سابق، ص. 20.

(3)*Yves Ternon, Op. cit, p. 171.*

المسألةَ لا تتعلّق بثلّة من المتمردين ؛بل بثورةٍ شعبية ،فرضخ السّلطان عبد الحميد الثاني لمطلبهم ،وأعاد دستور 1876 م الذي قام بتعطيله لعدّة اعتبارات [1]. اضطرّ السّلطانُ تحت ضغط القوى التقدمية، والتذمّر الشعبي إلى إعلانِ الدستور العثماني من جديد عام 1908.

2- موقفُ الأرمن من المشروطية1908 م:

خيّم على الدولة العثمانية أجواءٌ من السّرور والغبطة والابتهاج ،وكأنّ مشاكل هذه الدولة قد اختصرت في دستور 1876 ،وبمجرّد تفعيله ستسير كلُّ الأمور على ما يُرام ،فساد اعتقادٌ أنّ المشروطية ستكون بداية التقدم وحياة جديدة بالنسبة للإمبراطورية[2] ،التي بدأت تشهدُ تباشير عهدٍ جديد تفوح منه رائحةُ الحرية بعدَ عقودٍ من الكبت ،فأطلق سراح المساجين السياسيّين ،وعاد المبعَدون إلى بلدانهم[3]. والسؤالُ الملحّ الذي يطرح نفسه في هذا الصّدد: ما موقفُ الأرمن من إعلان المشروطية؟.

استقبل الأرمنُ خبرَ إعادة الحياة الدستورية – على غرار شعوب الإمبراطورية – بترحيبٍ كبير ،حيث اعتبروه فاتحةَ عهدٍ جديد طالَ انتظاره ،فنظّموا احتفالية إحياء ذكرى الأرمن الذين قتلوا خلال الفترة (1894-1896) ،وقد حضر الاحتفاليةَ عددٌ غفير من العثمانيين ،بما فيهم المسلمون ،وقد خطب أحدُ المسلمين : "فذكر ما كان بينَ المسلمين والأرمن من المودّة قبل حوادث الأرمن المشئومة المعروفة ،حتّى كان ما قاله إنّ المسلم كان يدعى إلى الخدمةِ العسكرية فيذهب إليها تاركًا امرأته وأولاده وأملاكَه إلى جاره الأرمني يتعهّدها في غيبته بما يجب، كما كان الأرمنيُّ يفعل ذلك إذا احتاج إلى مغادرةِ مكانه لأمرٍ ما ،ثمّ ألمّ بذكر ما جرّ إليه الاستبدادُ من تلك الحوادث المشئومة ،واستطردَ منها إلى ذكر الإصلاحِ الذي ناشده الأحرارُ فأصابوه[4]" ،فخلال هذه الاحتفالية تجلّت مظاهرُ المحبّة والتلاحم بين المسلمين والأرمن.

كما استفاد الأرمنُ من تغيير الأوضاع في الإمبراطورية التي تحوّلت إلى الحرية ،وخيرُ دليلٍ على ذلك هو السّماحُ للأرمن بالكتابة في جرائدهم ما يروْنه بعد سنواتٍ من المراقبة ،حيث قام "ثريا بك" مراقب الجرائد الأرمنية في الأستانة بزيارةِ جريدة "منظومة الأفكار الأرمنية" ،وبشّرهم بإلغاء جميعِ القيود التي كانت مفروضةً عليهم فيما

(1) *Yves Ternon, Op. cit ,p. 171.*
(2) *Sadi Koçaş , a.g.e, s. 166.*

(3) عبد العزيز محمد الشناوي، مرجع سابق، ص 364.

(4) **المنار**، احتفال الأرمن بذكرى شهداء الحرية العثمانيين، الجزء الثامن، المجلد الحادي عشر، الجمعة 25 سبتمبر 1908، ص ، القاهرة ، **الأرمن وتركيا الفتاة...**، مرجع سابق، ص. 722.

مضى ،وقال لهم : "أنتم السّاعة أحرار ،فاكتبوا ما تريدون ،ثمّ خطب فيهم خطبةً طويلة أثنى فيها على الأحرار من كلّ أمّة ،ثمّ قال : وإنّني آملُ أن نعيش إخوانًا بعدَ اليوم ،فلا أعاد اللهُ تلك الأيام السوداء [1] ".

3– نتائجُ إعلان المشروطية الثانية:

تمخّض عنِ الانقلاب العثماني عدّةُ نتائج ألقت بظلالها على عدّةِ مجالات سياسية واجتماعية واقتصادية، فعلى الصّعيد السياسي تمّ إجراءُ انتخابات .فإعادة الحياة الدستورية في الدّولة العثمانية يرتبط ارتباطًا وثيقًا بإعادةِ مجلس مبعوثان للعملِ بعد عطلةٍ رسمية طويلة استمرّت أكثرَ من ثلاثة عقود ،ولكي يعاود نشاطَه يجب إجراءُ انتخابات لاختيار نوابه[2].

قامت الأحزابُ الأرمنية الهنشاق والطانشاق بتوحيد قوائمهما الانتخابية ،ثمّ تحالفت مع جمعية الاتحاد والتّرقي في محاولةٍ منها للحصول على أكبر قدرٍ مُمكن من المقاعد في مجلس مبعوثان العثماني ،ووعيًا من الأرمن بقلّة نسبهم في جميعِ أنحاء الدولة العثمانية كانوا قد اقترحوا على الاتحاديّين منحهم عشرين مقعدًا في مجلس المبعوثان ،حتّى وإن لم يتمكّنوا من الحصول على هذا العدد من المقاعد ،إلّا أنّ الاتّحاديين رفضوا ذلك ،وبعد مفاوضاتٍ بين الطّرفين توصّلا إلى الاتّفاق على أن يمنح الأرمن 14 مقعدً ،استفاد الأرمنُ من النتائج السياسية للمشروطية. [3]

جرتْ أولى الانتخاباتِ في العهد العثماني ،حيث تحصّلت جمعية الاتحاد والترقي على حصة الأسد من المقاعدِ في مجلس مبعوثان[4] ،وكان الأعضاءُ الذين يمثّلون المسلمين 147 تركيًّا ،و60 عربيًّا ،و 27 ألبانيًّا ،أمّا النوّاب غير المسلمين فهم 26 يونانيًّا ،و14 أرمنيًّا ،و4 يهود ،و10 سلاف ،وكلّف "كامل باشا" بتشكيل أوّلِ حكومةٍ للمجلس الجديد في 13 يناير 1909 [5].

أمّا إذا تتبّعنا النتائجَ الاجتماعية التي تمخّضت عن الانقلاب العثماني ،تتّضح لنا صورة حقبة تاريخية جديدةٍ شهدت انجذابَ الأرمن للأتراك ،وهذا ما ألقى بظلالٍ ثقيلة على موازين القوى خاصة في شرق الأناضول،

---

(1) **الجامعة** ، بيت القصيد ، 12 سبتمبر 1908، ص.4 نيويورك **الأرمن وتركيا الفتاة**...مرجع سابق ، ص. 713.

(2) *Recep Karacakaya, Seçin ittifaklari,* ***Türk – Ermeni ihtilafi makaleler,*** *TBMM Basımevi, Ankara, 2007, s. 19.*

(3) *Yusuf Ziya Bildirici,* ***Adana`da Ermenilerin yaptığı katliamlar veFransiz-Ermeni İlişkileri****, Ankara ,1999, s.42.*

(4) مبعوثان Mebusan: اسم الجمع على الطريقة الفارسية لكلمة مبعوث العربية، وهو المندوب في مجلس البرلمان العثماني، انظر: سهيل صابان، مرجع سابق، ص. 199.

(5) أكمل الدين إحسان أغلو، مرجع سابق، المجلد I، ص. 218.

فبعدما كان الإقطاعيّون الأكراد لهم اليدُ الطولى في المنطقة ،طوالَ فترة حكم السّلطان عبد الحميد II لالتقاء مصالح الطرفين ،والمتمثّلة خصوصًا في المسألة الأرمنية بالنسبة للسلطان ،أمّا بالنسبة للأكراد عدم التدخّل في شئون عشائرهم ،وما وطّد العلاقة بين الطرفين بشكلٍ لم يكن البتّة موجودًا هو تشكيلُ الألوية الحميدية ،التي كان الأكرادُ العنصرَ الغالب فيها ،لكن ما يتعيّن الإشارةُ إليه في هذا الصّدد هو تغيّر التحالفات بمجرد إعلان المشْروطية ،فبعدما كان الأكرادُ على وفاقٍ مع السلطان ،أصبح الأرمنُ على وفاقٍ مع جمعية الاتحاد والترقي التي اعتبرها الأكرادُ غيرَ شرعية ،لذلك لم يكونوا راضينَ عن نتائجها(1).

يمكن أن نستشفّ مما أوردناه، أنّ الأرمن الممثلين في حزب الطاشناق قد وطدوا علاقتهم مع جمعية الاتحاد والترقي أكثر، وهذا تجسَّدَ في توقيع اتفاقيةٍ مشتركة بين الطرفين في 03 سبتمبر 1909 وجاء فيها "من أجل بناء دولةٍ ديمقراطية والحفاظِ على وحدة الشّعب وتبديدِ مخاوف بعض الجهات العثمانية؛ توصلتْ جماعةُ الاتحاد الترقي مع جماعةٍ ومنظمات الطاشناق إلى اتّفاقٍ كامل تمثّل في النقاط التالية:

- العمل على تقويةِ النّظام الدستوري الجديد، وبناءِ ثقافةٍ سلمية تقوم على التّفاهم بين شعوب المجتمع.
- العمل بكلّ وضوحٍ وصرامة ضدّ كلّ الحركات والعقليات الرجعية.
- العمل على المحافظةِ على هيبة الدولة العثمانية ووحدتها، مع احترام توجّهات وآراء كلا الحزبيْن في الدعوة إلى الحرية والاستقلال داخلَ خيمة الدولة، والعمل على توْعية الجماهير والرأي العام على الابتعاد عن التّفكير الاستبدادي والرجعي.
- العمل متّحدين على تقدّم الدّولة وازدهارها وتطوّرها ،وفي نفس الوقت الدعوة إلى إعطاء صلاحيات أوْسَع للإدارات المحليّة في كلّ محافظات الدولة (2).

لذلك نجد أن أحدُ أقطاب الاتحاد والترقي – جمال باشا –، تحدّث عن أولويات الحكم الدستوري قائلًا: "أمّا من جهة السياسة الدّاخلية فقط كان أهمّ ما شغل بالنَا تقريرُ حقوق الأقليّات.. ولكنّ المسألة الأرمنية كانت أهمَّ مشاكلنا الداخلية ، ووددتُ لو أستطيع إقناعَ القرّاء بكلّ ما لديّ من الأدلّة بأنها كانت المشكلةَ التي رغبت جمعية الاتحاد والترقي في حلّها قبل غيرها من المشاكل ،بطريقةٍ ترضي الأرمنَ ،وتعود

(1) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق، ص. 460.

(2) نفسه، ص ص. 451-452.

عليهم بالفائدة"(1).ثمّ يؤكّد : "وبعد أن وجدنا قاعدةً للاتّفاق مع الصرب ،اعتزمنا تسوية أكثر مشاكلنا الداخلية تعقيدًا ،ألا وهي المشكلة الأرمنية"(2).

أمّا بالنسبة لشعب الأرمني، يمكن تشبيهُ ملامح المشهد العام الذي تلا الانقلاب العثماني في شرق الأناضول، بنفْس المشهدِ الذي سبق مؤتمرَ برلين 1878، فخلال تلك الفترة استقوى الأرمنُ بالجيش الروسي الذي كان على مَشارف اسطنبول، أمّا في ظلّ المناخ الدّستوري فإنّ الأرمن قد استغلّوا شعاراتِ الحرية التي حملها الدستور الجديد، بالرّغم من أنّ القاعدة الجماهيرية العريضة لهم لم تصلْ إلى إدراك ماهيّتها، وفي ذات السّياق تكمن أهميةُ شهادة القنْصل الإنجليزي في وان. دكسون *(Dickson)* الذي تحدّث عن الأرمن ووصفهم كالآتي : "... كان هناك – بالطّبع – وقتٌ أمام الأرمن ليتمكّنوا من فهْم معنى هذا التّغيير ،لكن عندما أدركوا ذلك كان وقعُه عليهم استثنائيًّا، فبعدَ ما كانوا مسْحوقين ومنْبوذين ،منكمشين على أنفسهم ،لا يجرؤون على إظهار وجوههم خارجَ الحيّ الأرمني، أصبحوا مشاغبين وصاخبين ومتغطْرسين ،ونسخة وقحة لأردأ أنواع السياسيّين"(3).

وعلى النّقيض من ذلك ،أدرك الأكرادُ أنّ عهد الامتيازات والحماية التي تمتعوا بها في عهد السلطان عبد الحميد الثّاني قد ولّى ،فأصبحوا منعزلين ومنغلقين على أنفسهم ،بعدما أصبح الأرمنُ يهدّدونهم بالعقوبة إذا لم يمتثلوا لأوامرهم ،مما أثارَ لديهم مشاعر السّخط والرغبة في الانتقام لدى المسلمين عامّة ،والأكراد بصفة خاصّة(4) ،وفي ظلّ هذا الجوّ المفعم بسوء الفهم ،بدأ الأكرادُ في ترقّب ما ستحمله الأيام القادمة.

المطلبُ الرّابع: أحداثُ أضنة 1909 م وتداعياتها:

وقعتْ أحداثُ أضنة في 1909، وقد تضافرتْ في وقوعها أسبابٌ مباشرة وغير مباشرة.

1- أسبابُ أحداث أضنة 1909 م:

الأسبابُ غير المباشرة:

هناك عدّةُ أسبابٍ غير مباشرة أدّت إلى اندلاع هذه الأحداث ،وفي مقدّمتها تداعيات إعلان مشْروطية 1908 ،وما أعقبَها من انتشار شعاراتِ الحرية البراقة ،من دون أن يستوعبَ الناس مفهومها الذي كان لا يزالُ حديثَ العهْد في الدولة العثمانية ،فاعتقدوا أنّ الحرية يقصَد بها أن تفعلَ ما تشاء وقت ما تشاء دون العبء

(1) جمال باشا، **مذكرات جمال باشا السفاح**، إعداد محمد السعيدي، دار الفارابي، بيروت ،2013، ص. 127.

(2) نفسه، ص، 102.

(3) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق، ص. 452.

(4) نفسه ، ص. 454.

بالقوانين السّارية في الإمبراطورية ،مما أدّى إلى انتشار الفوضى ،وفي هذا الإطار تظهر أهميةُ شهادة جمال باشا في مذكّراته :"... فإنّ الأهالي في كلّ أرجاء المملكة أصبحوا بعدَ إعلان الدستور من العناد والتمرد، بحيث صار متعذّرًا على كلّ إنسان عظيمًا كان أم حقيرًا ،حتى الحاكم العام نفسه ،أن يكبح جماحَهم ؛فإنّ لفظة حرية فسّرها الجمهورُ والصحف على غير وجْهها ،وحسب كلِّ إنسان أنّه صار في حِلّ مِن ارتكاب ما يشاء بلا حسابٍ ولا عقاب ،وإذ ذاك أصبح كثيرٌ من الولاة وعددٌ من رجال الشرطة والموظّفين القضائيّين – الذين ساموا الأهالي الخسفَ والإرهاق خلال الحكم الحميدي – عرضةً للاعتداءات الشنيعة غير القانونية"[1].

و في تقرير للسفارة البريطانية عن الأحوال في أضنة يقول :"بعد إعلان الدستور لم يكن هناك أي فرد في أضنة راضيا عن الأوضاع ،كره الترك فكرة الدستور لأنهم لم يعودوا وحدهم السادة ،وأراد الأرمن أن تتسارع الخطى نحو الحكم الذاتي ،ثم الاستقلال التام ،واليونانيون قلقون من عواقب الدستور لأنه من المحتمل أن يفقدوا بعض التسهيلات التي تمتعوا بها تحت النظام القديم .وفي ظل الدستور كان مسموحا للجميع باقتناء السلاح ،والطريف في الأمر أنَ آلاف المسدسات بيعت حتى الأطفال امتلكوها ،لكن الأسوأ كان قادما ؛فكان الأرمن يتبخترون في الطرقات مزهوين بأسلحتهم ،ولم يخل الأمر من اطلاق ألسنتهم بالسُباب ،استثار ذلك العامة والدهماء من الأتراك، وحدثت مواجهات بين الطرفين .وقام أفراد من العاصمة اسطنبول يحث الأرمن على شراء الأسلحة ،بل قام بعض رجال الدين الأرمن بذلك ،وكان هذا عملا أحمق ،بل كان عملا شريرا " [(2)].

وفي ظلّ هذه الأوضاع قام أرمنُ أضنة على الخصوص بفتح فروعٍ لجمعيات الطاشناق والهنشاق، وأصبحت تقوم بأنشطتها جَهارًا نَهارًا ،بعدما كانت سريّة ،وفي خضمّ ذلك برزت شخصية تدعى "موشينغ سبروبيان" الذي كان قسّ أضنة ،وفي نفس الوقتِ زعيم جماعة الهنشاق ؛"فأصبح يعتبر نفسَه زعيم أضنة الديني و السّياسي " لأنّه اعتقد أنّ الحكومةَ العثمانية قد أصابها الوهن[(3)].

فما الذي يمكن قوله عن رجل دين أرمني، يخطب في كنيسة مدينة لم يحدث فيها أي مذابح، يتكلم عن الانتقام لشهداء 1895 م، ويسخر من الدستور ويقول: "لابد من الانتقام، العين بالعين، ويقول للأرمن: اشتروا الأسلحة. ليقتل تركي، مقابل كل أرمني قتل في 1895 م "، بعض المبشرين الأمريكان غادر الكنيسة حالما سمعوا ذلك، كما أوصى الأسقف السابق الذكر شعب كنيسته أن يبيع كل واحد منهم ولو معطفه وملابسه ليشتري

(1) جمال باشا، مصدر سابق ،ص. 447.

(2) ***F.O.424/220. Inc.:48***.

(3) جمال باشا، مصدر سابق، ص. 453.

بندقية. (1). إذن يمكن أنْ نعتبر هذا الأخير واحدًا من رجال الدّين الذين لعبوا دورًا مهمًّا في إشعال فتيل الفتنة في أضنة.

وحتى الكتّاب ساهموا بدوْرهم من خلال تأليف كتبٍ كانت تمجّد التاريخ الأرمني بالدرجة الأولى ،وحتى المدارس لم تسلمْ من هذه الدعاية ،حيث حلّت فيها خريطة أرمينيا محلّ الطّغراء ،وامتدّ هذا المشهد إلى الصحف الأرمنية بعد رفع الحصارِ عنها ،فأصبحت تقرأ في كلّ مكان حتى في أصغر القرى ،وقد كانت هذه الصحفُ تنتقد أعمالَ الإدارة ،ويصوّرون البلادَ وكأنها خاليةٌ من كلّ حكومة ،ويحرّضون الناس على الثورة ،فا لمناشير التي وزعت في الخارج كانت مفعمةً بالشّتائم والاعتداءات على الأتراك ،بالإضافةِ إلى هذا نجد أنّ المجلات الأدبية والعلمية غيّرت طابعَها وأصبحت لا تنشر سوى أرمينيا القديمة ،وما هية أرمينيا(2).

ومِن الأسباب غير المباشرة كذلك ،والتي أدّت إلى تأجيجِ الأوضاع ،هو انتشار الشائعات المغرضة بين الأتراك خاصّة ،حيث كان المسلمون قد رأوا أنّ التّغييرات التي طرأت بعد إعلان المشروطية من الصعوبة بمكان قبولها بسهولة ،خاصّة عندما يتعلّق الأمرُ بالمسيحيّين وعلى رأسهم الأرمنُ الذين احتضنوا الدستورَ بكلّ ما أوتوا من قوّة ،هذا هيّأ الوضع ليكون مرتعًا خصبًا للشّائعات ،وفي هذا السياق نوردُ مثالًا لبعض الشائعات التي كانت تدور في حيّ الأتراك في أضنة ،والتي مَفادها أنّ المسيحيين يستعدّون لمهاجمة الثكنات ووضعها تحت سيطرتهم ،قبلَ شنّ هجومٍ على السكان المسلمين(3).

وبناءا على ما سبق ،يمكن القول أن الأحداث التي وقعت في أضنة عام 1909 م ،دليلا على الحالة المتدهورة ،كما دلت كذلك على أنه في كل مناطق الشرق العثماني ،كان كل طرف يتوقع الأسوأ من الطرف الآخر ،فأدى هذا التوقع إلى تصميم الطرفين على القيام بهجوم وقائي ضد الآخر قبل أن يبادر الآخر بالهجوم (4).

أمّا الأسبابُ المباشرة لأحداثِ أضنة : بدأ الانقلابُ المضادّ في ليلة 13/12 أبريل 1909 ،والذي قاده أنصارُ الجامعة الإسلامية ضدّ أنصار الجامعة التركية ،وكان الهدفُ الأساسي لهذا الانقلاب – الذي أثرنا عدمَ الخوض في تفاصيله – هو إلغاءَ الدستور والعملَ بأحكام الشريعة الإسلامية ،فلمّا وصلت أخبار نجاح الانقلاب في مراحلِه الأولى في سالونيك عن طريق البرق ؛قرّر كبارُ ضباط الجيش الثالث في مقدونيا بقيادة محمد شوكت باشا القضاءَ على هذا الانقلاب ،فزحف الجيشُ على اسطنبول ،فضلًا عن ذلك حاولت لجنةُ الاتحاد والترقي

(1) ***F.O.424/189.N;225.P.205.***
(2)***Aspiration ……*** *Op.cit, pp. 63 -64.*
(3) *Raymond Kévorkian, Op. cit, p. 98.*
(4)*Justin McCarthy,* ***Death and Exile the ethnic cleaning Ottoman Muslims, 1821-1822****, the Darmin press Inc, 1995, p114.*

الاستعانة بالأقلّيات لإخماد الانقلاب المضادّ ،لكنْ كانت النتيجة أنْ قام الأرمنُ بانتفاضةٍ واسعة في أضنة ولاية قيليقية(1).

بالرغم من أنّ عهدَ السّلطان عبد الحميد الثاني قد ولى ،إلّا أنّ الأوضاع التي أصبح يحياها الأرمن في ظلّ الدّستور الجديد هي نفس الأوضاع السّابقة ،مع تغيير طفيفٍ يمكن أن نحصره في الحرية التي جاء بها الدستور، كما أنّ السّياسة التي تبنّاها النظامُ الجديد تجاه الأرمن هي ذاتها السّياسة القديمة ،فالاضطهاد والسلب والنهبُ والقتل الذي كان يقوم به الأكرادُ قد تواصل في المقاطعات الأرمنية ،وما شجّع على ذلك هو تقاعسُ الحكومة الجديدة كذلك هذه المرّة ،بالرغم من أنّ وضعَ الأرمن اختلف عن سابقه ،فأصبحوا بمثابة أصدقاءٍ للنظام الجديد بناءً على التّحالف الذي وقعه حزبُ الطاشناق مع الاتحاد والترقي من أجل "حماية الدستور"(2).

وبناءً على الأسبابِ المذكورة أعلاه ،فإنّنا نجد أنفسنا أمام روايتين متناقضتين يصعب الفصلُ بينهما، فالروايةُ الأولى عثمانية ،ترى أنّ الأرمن هُم أوّل مَن بادرَ بالثّورة ،أمّا الروايةُ الثانية أرمنية ترى خلافَ ذلك ؛فهذه الأحداثُ بالنسبة لهم ما هي إلّا امتدادٌ للمذابح التي نظمت في 1894-1896 ،سواء بالطريقة التي بدأت بها أو الوسائل التي استعملت خلالها ،"ففي كلتا الحالتين حثّ رجلُ دينٍ مسلم العامّةَ ،أمّا الوجهاء والدرك وبالطبع كبارُ موظّفي الدّولة بداية من الوالي ومأموريه ،قد لعبوا دورَ المنظّمين والقادة "(3) فهذه الأحداث يستحيل تصديق أنّها منعزلة ،بل تمّ تدبيرُها من طرف جمعية تركيا الفتاة أنفسهم(4).

قبلَ أن نخوض في الأحداث ،نجد أنفسَنا أمام تساؤلٍ مُلحّ ،لو أنّنا افترضنا جدلًا أنّ جمعية تركيا الفتاة مَن يقف وراءَ الأحداث التي وقعتْ في أضنة ،فما هي دوافعُهم لارتكاب فعلٍ مماثل ،خاصّة وأنّ الأرمن قد دخلوا معهم في تحالف – كما سبقَ وأشرنا – منذ تسعينيّات القرن 19 م ؟ففي تقديرنا يمكن أنْ نعْزو ذلك للتوجّهات الإيديولوجية للجمعية التي كانت قائمةً على أساس القوميةِ التركية ،وإقصاء بقية الشعوب المشكلة للدولة العثمانية، وبناءً على هذا عندما لاحظ الاتحاديون أنّ الأرمن لا يزالون يشترون السلاحَ ويخزّنونه ،وكذلك الدّعاية التي انتشرتْ في الأوساط العثمانية أثار مخاوفَهم ،لذلك رأوْا أنّ الحلّ الأمثل يكمن في وأدِ هذه الثورة في المهْد قبل أنْ تنتشر إلى شرق الأناضول.

(1) عبد العزيز محمد الشناوي، مرجع سابق، ص ص. 365 – 366.

(2) *Mikael Varantian , Op. cit, p. 75.*
(3)*Raymond Kévorkian, Op .cit.p .111.*
(4) *Mikael Varantian, Op. Cit, p. 175.*

2-حوادثُ أضنة والخسائر المترتبة عنها:

مِن أجل التطرّق لحوادثِ أضنة في مرحلتها الأولى فإنّنا نجد أنفسنا أمام روايتين : الرواية التركية ،والرواية الأرمنية، فبالنّسبة لرواية التركية اسْتقيناها من مذكّرات جمال باشا[1] ،حيث ذكر هذا الأخيرُ أنّ العلاقة بين الأتراك والأرمن قد وصلتْ إلى حدّ الحذر ،كلّ طرفٍ أصبح يخشى الطرفَ الآخر ،وينتظر ما سيقدم عليه في أيّ لحظة، وبقيت الأمورُ على هذه الوتيرة إلى غاية يوم الأربعاء 14 أفريل 1909 م ،فبدأت حوادثُ أضنة بإيعازٍ من القسّ موشيغ باعتداء الأرمن ؛فانتشرتْ نيران الفتنة في حيّزٍ جغرافي كبيرٍ امتدّ من أضنة إلى : طرطوس، وحميدية، وميسيس، وأرزين، ودورت يول، أي في كلّ مكانٍ وجد فيه الأرمن أصبح "مسرحًا لمذبحة مروّعة يعجز القلمُ عن وصف هولها ،وقد ظهرت الحكومةُ بمظهر العجز المتناهي حتى في عاصمةِ الولاية"[2].

ما يمكنُ أن نلاحظه على السّردية العثمانية ،أنّها تطرّقت إلى جانبٍ من الحقيقة بصفةٍ عرضية ،دون التفصيل في مُلابساتِ الحادثة ،ولربط خيوطِها ،يجبُ أن نعودَ إلى السّردية الأرمنية ،التي تذكر أنّ الأتراك قد قاموا بمهاجمة الأحياءِ الأرمنية بناءً على قرارٍ مجهول صدرَ لتوّه ،ولتأمين أنفسهم قام التجارُ والحرفيّون الأرمن بغلق محلاتهم ومخازنهم ،والعودة إلى بيوتهم ،وفي خضمّ هذا الوضعِ المتأزّم قام وجهاءُ مسيحيون عثمانيون وأجانبُ بعقد لقاءٍ في مركز المطرانية الأرمنية ،ثمّ أرسلوا وفدًا لمقابلة الوالي الذي طلبوا منه حمايةَ أحيائهم ومؤسّساتهم ،فطمأنهم الوالي من جانبه بأنّ الوضعَ ليس بهذا السوء ،وهو تحتَ السيطرة ،وأصرّ الوفدُ على الذّهاب إلى السوق في حوالي الساعة الثالثة بعدَ الظّهر لتهدئة الناس ،ودعوتهم للاستمرار في أنشطتهم المعتادة ،انصاعَ الأرمنُ لأوامر الوالي وذهبوا إلى السوق، حيث أمر رئيسُ المجلس القومي الأرمني بإعادة فتح الصيدليات ،والمحلات على وجه الخصوص ،ثمّ أصيب بعد ذلك بوقتٍ قصير بطلقةٍ قاتلة ،فأصبح بذلك أولَ ضحايا الأحداث ورمزًا لها ،ثمّ بدأت عملياتُ السّلب والنّهب للمحلات في غياب مفاجئ للشرطة[3].

---

(1) **جمال باشا** : أحد أبرز ثلاثة باشوات في الاتحاد والترقي ولد في جزيرة ليسبوس والده محمد نسيب بك الصيدلي العسكري، بين سنوات (1908-1916)، كان أحمد جمال من رجال الإدارة العثمانية في حكومة الاتحاديين تخرج من المدرسة الحربية سنة 1890 والأكاديمية سنة 1893، في اسطنبول برتبة نقيب (يوزباشي) شارك في حرب البلقان في الجهاز الذي أعادت جمعية الاتحاد والترقي إحياءه لصالحها للتجسّس، عيّن سنة 1913 حاكمًا عسكريًّا، مطلق اليد للعاصمة، لعب دورًا كبيرًا خلال العالمية الأولى، تمّ اغتياله من طرف الأرمنيان بدروس بوغوصيان، واستيبان زاغيكيان، عام 1922، ثأرًا لمليون وستمائة شهيدٍ أرمني. أنظر : جمال باشا، مصدر سابق، ص ص. 7-8.

(2) نفس مصدر ، ص. 455.

(3) *Raymond Kevorkian, Op .cit ,p .111.*

ما يمكن أن نقوله حسبَ الروايتين ،فبالنّسبة للأتراك فإن الأرمن كانوا دائمًا أوّلَ مَن يبادر للهجوم ،ثمّ يأتي ردُّ الفعل التركي عنيفًا ككلّ مرّة ،أمّا الروايةُ الأرمنية ذات الخلفيّة المسيحية فدائمًا تلقي باللومِ على الأتراك الذين يقومون حسبهم بمهاجمةِ الأرمن ،ثمّ يتبعونها بعملياتِ السّلب والنهب ،لكن يجب في هذا الإطار أن ننوّه إلى حقيقةٍ هي أقربُ للعقل ،تتمثّل في قيام الأرمن باستفزاز المسلمين أوّلًا ،حيث قام مجموعةٌ من الأرمن في أضنة بضربِ شابّين مسلميْن في يوم 9 أفريل 1909 ،وفي مساء 13 أفريل قامَ الأرمنُ كذلك بقتل مسلمين[1] ،مما أثارَ حفيظةَ المسلمين الذين لم يتوانوْا في الانتقام ،فقاموا كالمعتادِ بمهاجمة الأحياء الأرمنية.

قبلَ المرحلة الثانية من حوادث أضنة ،كانت الأوضاعُ قد هدأتْ نوعًا ما ،وخلال تلك الفترة تمّ تسجيلُ وصول أوّل سفينةٍ حربية فرنسيّة إلى ميناء مرسين[2] ،ثمّ تبعتها سفينةٌ حربية إنجليزية بتوصيةٍ من القنصل الإنجليزي الذي كان في مرسين ،من أجل الوقوفِ على الأوضاع في أضنة[3] ،والجدير بالذّكر أنّ هذا التواجد الفرنسي والإنجليزي ،والذي أعقبه كذلك وصولُ سفن روسية وألمانية وأمريكية وإيطالية ،أدّى إلى خلْق حساسيات ليس فقط بالنّسبة للسكّان المسلمين ؛بل كذلك للسّلطات المحلية ،وقد قام هؤلاء الأجانبُ بإنزال مجموعات من المراقبين للقيام بزيارة مجاملة للمسئولين المحليّين الكبار ،وتقديم إعانة إسعافيه خاصّة للضحايا ،موجّهة من خلال المؤسّسات الدينية[4]. وهذا سيزيد الأمرَ بِلّة ؛لأنّ الأرمن اتّهموا بمحاولة الاستعانة بالخارج[5] .

بعدَ ذلك رست البارجةُ العثمانية على شواطئ مرسين قادمةً من بيروت في مساء السبت 24 أفريل 1909 ،وعلى متْنها 600 من العساكر ،من أجل استتبابِ الأمن في أضنة ،والحيلولة دون تكرار المجازر مرّة أخرى ،وكانوا يعرفون بجيش "الحركة أو الحرية" تحتَ قيادة ضبّاط من الاتحاد والترقي ،لكنّ التّطورات اللاحقة سوف تؤدّي إلى إحباط هذه التّدابير المتَّخذة من طرف الدولة العثمانية ،ففي 25 أفريل 1909 وصلت قواتُ الحركة إلى أضنة ،وأقامت خيامَها على الحقول المعروفة بـ "قشلان ميدان" الواقعة على نهر جيحان ،وبوصول هذه القوّات وقع حادثٌ سيؤدّي إلى تعكير صفْو الأوضاع مجدّدًا ،والمتمثّل في إطلاق طلقات نارية صوب المعسكر دون تحديدِ مَن يقف وراءها[6]. أصرّ جمال باشا بأنّ مصدر هذه الطلقات النارية هُم الشبابُ الأرمني "أمّا

---

(1) *Yusuf Sarınay, Recep Karacakaya, **1909 Adana Ermeni olayları**, Ideal Kültür Yayıncılık, Istanbul, 2012, s. 21.*

(2)***DH. MKT, 2817/26, Osmanli belgelerinde 1909 Adana olayları** , Cil 1 Başbakanlık Basımevi, Ankara, 2010, s . 129.*

(3)***DH. MKT 2819/55, Osmanli Belgelerinde 1909Adana**..., ss. 122- 123.*

(4)*Yves Ternon, Op.cit, p .177.*

(5)*Raymond Kévorkian, Op. cit, p. 92.*

(6) رفعت الإمام، **مسألة أضنة...** مرجع سابق، ص ص. 94 – 95.

الحوادث التي وقعتْ بعد ذلك بعشرة أيّام كانت قاصرةً على مدينة أضنة ،فسببها طلقاتٌ نارية أطلقها بعضُ الشبان الأرمن على معسكر الجنود ،وترتّب على ذلك أنِ ازدادت المذبحةُ سوءًا[1] ،ثارت ثائرةُ الجنود الذين رأوا أنهم جاؤوا من أجلِ الدّفاع عن الأرمن ،في وقتٍ قام فيه هؤلاء بإطلاقِ النّار عليهم ،هذا ما دفع بالجنود – وحتى عصابات النهب – لاحتلال الأحياء الأرمنية ،حيث كان سكّانُها بدون سلاح ،فتمّ إطلاقُ قنابل على منازلهم ، مما أدّى إلى نشوبِ حرائق لم تسلم منها المدارسُ التي اتّخذتها الكثير من العائلات ملاجئ لها[2].

تعقيبًا على ما أوردناه، يمكن أن نقول إنّ اتّهام الأرمن جُزافًا بالوقوف وراء حوادث إطلاق النار على الجنود العثمانيّين دون التحقّق من ذلك، أو على الأقلّ وجودِ دليلٍ مادي؛ قد أدخل المنطقةَ في حمّام من الدّم، فضلًا عن أضرار مادية، يمكننا أنْ ندرجها ضمنَ الأحداث التي شهدها الأناضول خلال الفترة الممتدة من 1894-1896 والتي لم تمسّ أضنة فحسب.

تعتبر أحداثُ أضنة خاصّة في مرحلتها الثّانية سابقةً في تاريخ الأرمن، فبرغم ما عانوه في تسعينيّات القرن التّاسع عشر إلّا أنّ هذه الأحداث جاءت في أوضاعٍ جدّ خاصّة، والمتمثّلة في إعادة المشروطية التي استبشر بها الأرمنُ خيرًا، إلّا أنّ توقّعاتهم لم تكنْ في محلّها، فلم يمضِ على ذلك مدّةٌ زمنية طويلة حتى استفاقوا على أخبار القتلِ والتّشريد، وما زاد الطّينُ بلّةً هو وقوفُ الجيش النظامي إلى جانب صفوف المرتزقة، فكانت الحصيلةُ العامّة للضّحايا كالتالي:

استأثرَ المسيحيّون بنسبة 97% نظير 3% مسلمين، ومن بين المسيحيين استأثر الأرمنُ بنسبة 94% من الإجمالي، ونسبة 96.6% من المسيحيّين، ومذهبيًّا استأثر الأرمنُ الأرثوذكس بنسبة 89.6% من الإجمالي، ونسبة 92% من المسيحيّين، ونسبة 95.6% من الأرمن نظير 3% أرمن بروتستانت، و1.4% أرمن كاثوليك.

أمّا بالنسبة للخسائر المادية :رصدت الإدارةُ العثمانية دمارَ وتخريب 4823 عقارٍ لجميع الضحايا ،منها 386 عقارًا للمسلمين ،أي بنسبة 92% للمسيحيّين ،مقابل 8% للمسلمين ،وهناك إحصاءٌ لخسائر الأرمن المادية فقط قوامُه :تخريب أو إحراق 32 كنيسة ،و 19 مدرسة ،و 2923 منزلًا ،و 593 حانوتًا ،و 265 ضيعة، و 18 فندقًا وخانًا ،و 23 طاحونة ،ومصنعان ،أي 3875 عقارًا بنسبة 80% من الإجمالي ،ونسبة 87.3% من

(1) جمال باشا، مصدر سابق، ص. 455.

(2)Yeves Ternon, Op. cit, p. 117.

العقارات المسيحية[1]. هذه الأرقامُ إن دلّت على شيء فإنها تدلّ على الأوضاع الكارثية التي آلتْ لها منطقةُ أضنة.

وقد أنشئت لجنةُ تعمير في آضنة برئاسة جمال باشا، وضمّت عددًا من الأجانب والمبشرين ومجموعة من المواطنين الأرمن. وبفضل الإجراءات المتّخَذة تمّ بناءُ جميع بيوت الأرمن التي أصيبت، تمّ ذلك في غضون أربعة أشهر بعد الأحداث. ولم تمضِ ستةُ أشهر أو خمسة حتّى استأنف الناسُ حياتهم الطبيعية، وانمحت كلُّ آثار العداوة بينهم، ولو بشكل ظاهري كما عقدت محكمةٌ عسكرية أدانت المتّهمين في الأحداث، فأمرت بإعدام المدانين، وكان عددُ المسلمين منهم حوالي ثلاثين، ثمّ تمّ إعدامُ سبعة عشر آخرين من المسلمين كان ضمنهم أبناءُ أسَرٍ عريقة في آضنة، وذوي نفوذ كبير. وقد نجح القسُّ موشيج– بعد اندلاع الأحداث بيومين– في الهرب إلى الإسكندرونة على متن باخرة أجنبية.[2]

---

(1) رفعت الإمام، **مسألة أضنة...**، مرجع سابق، ص ص. 107 – 108.

(2) جمال باشا، مصدر سابق، ص ص,456-457,

الفصلُ الرّابـع

المسألة الأرمنيّة في عهدِ الاتّحاد والتّرقي
(1909 م/1918 م)

المبحثُ الأوّل: أوضاعُ الأرمن قبلَ انْدلاع الحربِ العالمية الأولى.

المبحثُ الثّاني: تطورات المسألة الأرمنية خلال الحربِ العالمية الأولى.

المبحثُ الثّالث: التّهجيرُ القسْري للأرمن 1915م/ 1333هـ.

المبحثُ الرّابع: إصدارُ قرارِ العودة، والمواقفُ المختلفة من التهجير.

المبحث الأول : أوضاعُ الأرمنِ قبلَ اندلاعِ الحربِ العالمية الأولى

المطلبُ الأوّل: الأوضاعُ الديمغرافية للأرمن (1914م/ 1332هـ).

المطلبُ الثّاني: أوضاعُ الأرمن قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى (1909- 1914م) / (1326-1332هـ).

المطلبُ الثّالث: إصلاحاتُ الأناضول الثالثة (1913م/ 1331 هـ).

بانهزام الدّولةِ العثمانية في حرب البلقان (1912/1913م) / (1330/1331هـ)، بدأت العلاقاتُ التي كانت تربطُ الاتجاهاتِ الثّوريةَ الأرمنية مع حزب الاتّحاد والترقي بالدخول في مرحلة جديدة، فبعد سنوات من التّحالف الحذرِ الذي لم يثمرْ عن أيّ نتيجة، الأمرُ الذي جعل الأرمن يقتنعون أكثرَ من أيّ وقتٍ مضى أنّ الآمال الكبيرة التي علّقوها على هذه العلاقة من المستحيل أن تؤدّي في يومٍ من الأيام لحصولهم على حكمٍ ذاتي تحت الحكمِ العثماني. لذلك سيعودون إلى سياستِهم الأولى والمتمثّلة في محاولة جلب أنظار الدول الكبرى لمسألتهم[1]، لأنّهم دون هذا الدّعم لن يتمكّنوا من الحصول على الاستقلال.

قبلَ الخوض في هذا المبحث، أردنا الإشارةَ إلى أنّه لا توجد دراساتٌ جادّة تعنى بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للأرمن قبلَ اندلاع الحرب العالمية الأولى، إذا ما قارنّاها بالأوضاع السياسية. لذلك سنلقي الضّوء على الأوضاع الديمغرافية، وذلك حسبَ الإحصاء الرسمي للدولة العثمانية والعائد لسنة 1914م/1332هـ، وهذا من أجل التعرّف على العددِ الحقيقي للأرمن عشيةَ اندلاع الحرب العالمية، وهل مازالوا يشكّلون أقلية كما كانوا، أم أنّ الوضع تغير. كما أنّنا سنتطرّق للأوضاع العامة للأرمن بالاستعانة بوثائق إنجليزية تحتوي على إشارات لأوضاعهم في مختلفِ الأصعدة. وفي الأخير سوف نتطرّق للإصْلاحات الأرمنية الثالثة، وذلك من أجل تسليط الضّوءِ على أهمّ التّطورات التي طرأت على القضية الأرمنية عشيةَ اندلاع الحرب العالمية الأولى، وذلك من خلال التطرق لماهيّة الإصلاحات، ومَن يقف وراءها، وما هو المصيرُ الذي واجهته؟

المطلبُ الأوّل: الأوضاعُ الديمغرافية للأرمن 1914م/ 1332هـ:

اهتمّت الدولةُ العثمانية منذُ القرن 19 م بالقيام بتعدادِ أو إحصاءٍ عامّ للسّكان حسب المعايير الحديثة التي كانت متداولةً آنذاك، وهذا راجعٌ لأهمية هذه العملية، سواء من النّاحية الاقتصادية لمعرفة المكلفين بأداء الضّرائب، أو العسكرية لمعرفة عددِ الرّجال المكلّفين بأداء الخدمة العسكرية، كما يسمح الإحصاء لها بتوفير بيانات ومؤشّرات لمعرفة أهمّ الإثنيات وديانتهم في الدّولة. لهذا في هذا المطلبِ سوف نتطرّق إلى التّعداد الرسمي الذي قامت به الدولةُ العليّة في سنة 1914م- وكنّا قد تطرّقنا إلى تعداداتٍ سابقة له- لكن ما يهمّنا في هذا الإحصاء هو معرفةُ عدد الأرمن الذين يعيشون في الجهةِ الشّرقية أو الولايات السّت، بالإضافة إلى ولاية طرابزون لأنها كانت كذلك تعرف كثافةً سكانية أرمنية معتبرة نوعا.

(1) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق ، ص.492.

الولايات	المسلمون	الروم	الأرمن
بتليس	359.281	-	117.492
فان	179.380	-	67.792
مرعش	152.645	34	32.322
طرابزون	221.128	161.574	38.899
سيواس	939.733	75.324	147.029
أرضروم	673.297	4.864	134.377
ديار بكر	492.101	4.935	65.850
خربوط (معمورة العزيز)	446.375	971	79.821

الإحصاءُ الرّسمي الذي أجرته الدولة العثمانية سنة 1914[1]

يشير الجدولُ أعلاه إلى وجود زيادةٍ في عدد السّكان المسلمين في كلّ الولايات ،فمثلًا في ولاية ديار بكر بلغ عددُ المسلمين حسب إحصاء 1881 م 55.000 نسمة[2]. وفي الإحصاء الأخير العائد لـ 1914 ،فقد وصل عددُهم لـ 492.101 نسمة[3] ،كذلك نفسُ الملاحظة بالنّسبة لولاية أرضروم التي كان عدد المسلمين فيها حسب إحصاء 1881 م 60.000 نسمة[4] ،ثمّ ارتفع ليصل في إحصاء 1914 إلى 673.297 نسمة[5].

ويمكن أن نعْزو ذلك إلى سياسةِ توطين المهاجرين، التي كانت الدولةُ العثمانية ماضية فيها على قدمٍ وساق، خاصّة بعدَ حرب البلقان سنة 1912م، والتي أدّت إلى وصول آلاف المسلمين إلى إسطنبول، لهذا لم تجد الدّولةُ العثمانية أحسنَ من شرق الأناضول لتوطينِ هؤلاء المسلمين، ربّما لأنها كانت تودّ أنْ ترجح كفّة المسلمين على حسابِ الأرمن، خاصّة بعد ظهور أطماعٍ لهم لتأسيس دولة "أرمنستان"، فترجيح الكفّة لصالح المسلمين سوف ينسفُ المسألة الأرمنية من الأساس.

أما بالنسبة للأوضاع الديموغرافية الأرمنية من خلال المصادر الأرمنية؛ فهي تعتمد بشكلٍ تامّ على الأرقام التي أعدّتها البطريكية التي اضطلعتْ بهذه المهمّة لأسبابٍ سياسية قومية، أمّا المراجعُ الأرمنية الحديثة فإنّها غالبًا ما تعتمدُ على تناقل هذه الأرقام المتداوَلَة، والتي حظيتْ بنصيبٍ وافر من الدعاية.

(1)***Bd. H klasor ; 56 Dosya : 274. Fihrist : 1***.
(2) *Cevdet Küçük, a.g.e, s. 167.*
(3)***Bd. H Klasor : 56 Dosya : 274. Fihrist :1.***
(4) *Cevdet Küçük, a.g.e, s.167.*
(5) ***Bd. H Klasor : 56 Dosya : 274. Fihrist : 1.***

يقول المؤرخ الأرمني هوفانيسيان: "إنّ أعداد الأرمن في تركيا قبلَ سنوات الحرب العالمية الأولى كانت تتراوح بين 1.5 مليون وبين 2 مليون أرمني"[1].أمّا في سنة قيام الحرب العالمية، فيذكر باسدر مادجيان أنّ الأرمن في العالم كلّه بلغوا 4.1 مليون أرمنيّ، تضمّ الدولة العثمانية منهم 2.1 مليونًا ،وروسيا القيصرية 1.7 مليونًا[2].

وينقل الفرنسي جاك دي مورجان أرقامَه عن الأرمني تشوباتيا ،إذ يقدّر عدد سكان الأرمن سنة 1914 في تركيا بـ 2.38 مليون أرمنيّ ،ويبلغ عددُهم في العالم كلّه 4.16 مليونًا ثمّ يتناقص هذا العددُ الإجمالي للأرمن في العالم بعد أحداثِ الحرب العالمية الأولى ليكون فوقَ الثلاثة ملايين نسمة[3]. أمّا مارسيل ليبار أو كريبور زوهراب في كتابه الذي ألّفه بالفرنسية تحت عنوان: "**المسألة الأرمنية على ضوء الوثائق**" فيقدّر أعداد الأرمن معتمدًا على أرقام البطريركية لسنة 1882 م برقم 2.66 مليون أرمنيّ في الدولة العثمانية .[4] . ويقدر باسمادجيان عددَ الأرمن في العالم بـ 4.16 مليون نسمة في سنة 1915، بينما هُم في تركيا 2.38 مليونًا[5].

أمّا المؤلف كيورك أصلان (*Keork Aslan*) في كتابه المنشور عام 1914م ،فقد قدّم الأرقامَ التّالية عن السكان الأرمن في تركيا [6]:

المكان	العدد
المناطق الأرمنية في الأناضول	920.000
قليقيا (أضنة، سيس، مرعش)	180.000
المناطق العثمانية الأخرى	700.000
الإجمالي	1.800.000

(1) *Hovannisian Richard G,* ***Armenian the road to independence****, Los Anglos, 1967, P. 374* .

(2) *Pasdermadjyan H.,* ***Histoire d'Arménie****, Paris, 1949, P. 374* .

(3) *Jacques des Morgan,* ***Histoire du peuple Arménien****, Paris, 1919, P. 297.*

(4) *Marcel L'eart, Op. cit, , P.10.*

(5) *Basmadjian, K. J.,* ***Histoire Moderne des Arméniens****, Paris, 1917, P.189* .

(6) *Kork, Aslan,* ***L'Arménie et les Arméniens****, Istanbul, 1914, P. 119*.

ونقلًا عن الرحّالة الإنجليزي لينش *(Lynch)* نذكر تقريرًا آخرَ لباحثٍ أرمني ،يقول عنه : "وهو كاتبٌ أرمنيّ معروف بجديّته النّسبية ،يدْعَى فاهان فارتابد *(Varhan Vartabed)* ،أوضح في الجريدة الأرمنية المسمّاة "الجريدة الشّرقية" في 15/3 ديسمبر 1886 أنّ مُجملَ عددِ السّكان المسيحيّين في تركيا يصل إلى 1.263.900 نسمة ،ويمكنُنا قبول أنّ السّلطان يقدّر بين رعاياه أنّ الأرمن 1.5 مليون أرمنيّ"[1].

المطلبُ الثّاني: **أوضاعُ الأرمن (1909–1914م) / (1326–1332 هـ)**:

بعدَ إعادة العملِ بالدّستور وتشكيلِ حكومةٍ دستورية ،كان السّكانُ في شرق الأناضول- ولا سيّما المسيحيّون منهم ،وعلى رأسهم الأرمن – يعتقدون أنّ أوضاعهم سوف تتحسّن ،لكنْ كما رأينا في فصلٍ سابق كانت فاتحةُ العهد الجديد مجازرَ أضنة التي ذهب ضحيّتها أرمنُ ومسلمون ،لكنّ الأرمن كانوا أكثر تضرّرًا ماديًّا ومعنويًّا ،إذًا بغضّ النّظر عن هذه الحوادث ،سنحاول في هذا المطلبِ الوقوفَ على أوضاع أرمن في شرق الأناضول في ظلّ الحكومةِ الدّستورية للتعرّف على مدى تأثير هذه الأوضاع على العلاقة بين المسلمين الممثلين في الأكراد والأتراك ،و المسيحيّين المتشكّلين من الأرمن بنسبة كبيرة.

بعدَ تغيير نظام الحكم في الدّولةِ العثمانية –كما سبق ورأينا – ،عادت أعدادٌ كبيرة من الأرمن إلى أراضيهم التي تركوها بعدَ أحداث (1894-1896 م) ؛أملًا في تغيير أوضاعهم في ظلّ الظروف السياسية الجديدة ،لكنْ طفتْ إلى السّطحِ مشكلةُ أراضي الأرمن ،والتي كانت الدّولةُ العثمانية والأكراد قد استولوا عليها ،فبالنسبة للدولة العثمانية قامت بإعطاءِ العديد من القرى التي أخْلاها الأرمنُ للمهاجرين الأكراد والشركس ،واعتبرتها أراضي محلول *(Mahlul)* أو أراضي شاغرة ،في ظلّ النظام القديم لأنّ أصحابها قد تركوها وهاجروا إلى بلدان أخرى ،لكن بعد الإعلانِ عن المشروطية الثّانية معظمُ ملّاك هذه الأراضي قد عادوا ،وعندما رأوا أنّ أراضيهم قد صودرت تقدّموا بطلباتٍ للحكومة لاسترجاعها[2].

(1) *H. F. B. Lynch*, ***Armenia Travels and Studies***, *Beyrouth, 1965, P. 427.*

(2) ***FO, 371 / 1773, NO. 50840***, *Muammer Demirel*, ***Ermeniler hakkında Ingliz Belgeleri (1886-1918)***, *yeni. Türkiye yayınları, Ankara, 2002, s. 163.*

قد كان للدّولة العثمانية طريقتُها في الاستيلاء على أراضي الأرمن ،والتي وصفتْ في الوثائق الإنجليزية "بالطريقة الجهنّمية" ،وتتمثّل في استعمال المصارف الزّراعية الحكومية ،حيث كانت تضغطُ بها على القرويّين الأرمن الذين هم في حاجةٍ إلى دفعة مقدّمة من 10 إلى 13 أو 20 جنيها يجب دفعُها خلال سنةٍ مع فائدة مرتفعة ، فالقروي الأرمني الفقيرُ يُبرم عقدًا ويخسر كلّ أرضه ،ففي منطقةِ أخلاط 92% من الأراضي الأرمنية مرهونة للبنك ، و 17% في منطقةِ ملاطية *Malatia*[1] ،وبالتالي لم يجد هؤلاء الأرمنُ بدًّا سوى الهجرة[2].

كما قام الإقطاعُ الكردي بالاستيلاء على الأراضي الأرمنية بعد فرارهم منها نتيجة للاضطرابات الأمنية، فأصبح هؤلاء الإقطاعيّون هُم عامّةَ ملّاك الأراضي في البلاد. أمّا بقية الأرمن كانوا يقومون باستئجار أراضي البكوات[3] الأكراد دونَ أيّ عقود ،لكن بعدَ الشّروع بالعمل بالدّستور البكاواتُ طالبوا بعقود "ذاتِ طبيعةٍ مجحفة جدًّا"، بالإضافةِ إلى الدّفع بالعقود ،فالأرمنُ كان يتوجّب عليهم دفعُ نصف – أو حتّى ثلاثة أرباع المحصول – زيادة على هذا هناك ضرائبُ على الأرض ،لذلك فإنّ الأرمن من الذين يرزحون تحتَ رحمة البنك لا يستطيعون جني فائدةٍ لأنفسهم بما أنّ الإنتاج يذهب كلّه للبنك[4].

لما رأى الأرمنُ أنّ الدّولة العثمانية ليست جادّةً في حلّ هذا المشْكل ،مارسوا عدّةَ ضغوطات على حكومة الاتّحاد والترقّي في سبيل استرجاع أراضيهم بكلّ السّبل ؛إلّا أنّ المشكل لم يكنْ متعلّقًا بالأكراد بقدر ما كان يتعلق بعدمِ امتلاك الأرمن وثائقَ رسمية تبرز ملكيّتهم للأراضي[5]. بالرّغم من ذلك كانت هناك بعضُ القبائل الكردية مثل قبيلةِ الحيدرية ،التي يتزعّمها كلّ من حسين باشا وأمين باشا وتيمور باشا والكوب محمد بك ،أمروا من جانب الفريق القائم بأعمال الوالي أنْ يحضروا إلى فان لتسويةِ مسألة تسليم الأراضي الأرمنية والقرى التي تمّ الاستيلاء عليها بعد أحداثِ التّسعينيّات ،وعندما رأوا أنّ الحكومة كانت جادّةً حضروا ووافقوا على تسليم جميع الأراضي التي يملك

(1) **ملاطية**: هو بلدٌ قديم معروفٌ من بلاد الأناضول ،كان مقرّ اللواء قديمًا في ايسكي ملاطية ،يعني في ملاطية القديمة، فتغيّر إلى مكان (اسبوزي)، ملاطية القديمة تقع غربَ ولاية معمورة العزيز، أهمّ أقضيتها، قضاء ملاطية، قضاء كاختة، قضاء خسمنصور، قضاء بهسني. أحمد الشرقاوي، جغرافية...مرجع سابق، ص ص. 232- 233.

(2) ***FO, 371 / 1773, NO. 42151***. *Muammer Demirel, a.g.e, s. 588.*

(3) **البكوات**: جمع بك، من الألقاب التركية القديمة التي كانت شائعة لدى الأتراك قبل إسلامهم، والكاف في آخر الكلمة تنطق ياء، وكانت الكلمة تطلَق على صاحب الأمر في أيّ موقع كان، واستخدمها المغول بالمعنى نفسه، وقد استخدمها العثمانيون في بداية الأمر بالمعنى نفسه، فكان البك الإقليم هو حاكمه أو أميره. أنظر: سهيل صابان، مرجع سابق، ص. 63 وما بعدها.

(4) ***FO, 371/1773, No.42151***. *,Muammer Demirel,a.g.e ,s.493.*

(5) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق، ص. 470.

أصحابُها سنداتِ ملكيّتها ،لكنْ في الحالات المشكوك فيها ،فالذين يدّعون ملكيةَ أرضٍ دونَ سندٍ ما كان عليهم إلّا أنْ يرفعوا دعاويهم للمحاكم للبَتّ في قضاياهم[1].

الأكرادُ الذين تنازلوا عنِ الأراضي للأرمن طلبوا من الحكومةِ العثمانية منحَهم تعويضًا عن خسارتهم ،وعن الأموالِ التي دفعوها للحكومةِ وللبنك الزّراعي العثماني ،والتي كانوا قد صرفوها على تلك الأراضي ،إلّا أنّ الحكومة لم تعوّض الأكراد[2]. وبالرّغم من أنّنا ذكرنا أنّ الحكومةَ العثمانية لم تكنْ جادّة في حلّ مُشكل الأراضي ،إلّا أنّها أبدتْ حسن نيتها في إيجادِ حلّ لهذه المعْضلة ،وهذا ما يظهر جليًّا في تقريرٍ أعدّه قنصل إنجلترا في أرضروم موناهان بعد جولةٍ قام بها في ولاياتِ فان ويتليس وأرضروم بتاريخ 28 أكتوبر 1913 جاء فيه : "... بالنّسبة لاستعادة الأراضي المستولَى عليها من طرفِ الأكراد ،يعلّق الملّاك الأرمنُ أهميةً كبيرة على رفع الظّلم عنهم ،حيث يملك الأرمنُ صكوك ملكيّةٍ لأراضيهم ،طلعت بك[3] وزير الداخلية العثماني يدركُ عدالةَ قضيّتهم ،ويفكّر جيدًا في القدوم بنفسه إلى الولاياتِ الأرمنية ،معَ نيّةٍ واضحة في التّعامل مع هذه المشكلة بشكلٍ جديّ.. "إلّا أنّه عبّر في ذات الوقت عن قلقه – القنصل – فيما إذا كانت الحكومةُ ستقومُ بتطبيق إعادة الأراضي المستولى عليها من قِبَل الأكراد[4].

القلقُ الذي أبْداه القنصلُ نابعٌ من كوْن وزارة الداخلية قد قامتْ بتحضير وثيقةٍ تتضمّن قرارًا ينصّ على إعادةِ الأراضي التي مُنحت للمهاجرين ،والتي تعودُ في الأصل إلى الأرمن ،لكنْ شريطةَ تقديم دليلٍ ماديّ على امتلاكِهم الأرض ،وهذا إنْ دلّ على شيء فهو يدلُّ على قيام وزارة الداخلية بدفْع قضية الأراضي إلى جهةٍ أخرى هي المحاكم المدنية ،مما أثارَ حفيظة الأرمن الذين رفضوا هذا القرارَ جُملةً وتفصيلًا ؛لأنّه إذا أحيلت شكاواهم إلى المحاكم فلن تكونَ هذه الأخيرة محايدةً في قراراتها ؛لأنّ أغلب الذين رفع الأرمن ضدّهم شكاويهم كانوا من المسئولين أو مِن الذين يعملون في الإدارة ،ويستطيعون التّأثيرَ على عمل المحاكم[5] ،لذلك كان على الأرمن نسيانُ كلّ أملٍ في

(1) ***FO, 424 / 217, No. 38, p. 72.77,*** *Muammer Demirel, a.g.e, s. 491.*

(2) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق، ص. 470.

(3) **محمد طلعت بك (1874- 1921)** : ولد في أدرنة ، تعلّم في مدرسة بلدته العسكرية ولم يتابع العمل في الحقل العسكري، بحجّة أنّه لا يستطيع العمل بإمرة ضابط ،عمل في البريد ،في إدارتها ،درس اللغة العثمانية في مدرسة يهودية ،وفي الوقت نفسه تعلم اللغة الفرنسية من ابنة مسئول المدرسة ،افتتح في اسطنبول مع مجموعةٍ من أصدقائه جمعية الحرية العثمانية التي اندمجت مع الاتحاد والترقي بعد الإطاحة بالسلطان عيّن حسين حلمي باشا للصّدارة ،واستقال وعيّن كجوك محمد سعيد باشا ليشغلها ،عيّن طلعت بك وزيرًا للبريد والبرقيات. كما عيّن وزيرًا للداخلية بين سنوات (1909-1911) ثمّ وزير البرق والبريد سنة 1912 ثمّ من جديد وزيرًا للداخلية بين سنوات (1913-1917)، قتل في 15 مارس 1921 في برلين على يد أرمني سوغو مون تيهليربان. أنظر: جمال باشا، مصدر سابق، ص. 65 وما بعدها.

(4) ***FO, 371/1773, No. 50840***, *Muammer Demirel, a.g.e, s. 592.*

(5) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق ، ص. 473.

اسْتعادة أراضيهم لأنّه من باب الاستخفاف كذلك الحديثُ عن التخلّص من مليونين ونصف مليون كرديّ يسيطرون على الأراضي قبل الشروع في العمل بالدستور[1].

مما تقدّم، يمكن أنْ نخلُصَ إلى نتيجةٍ مَفادها أنّ بروز مُشكل الأراضي قد أزّم العلاقات بين الأرمن والأكراد أوّلًا؛ لأنّ الأرمن في شرق الأناضول كانت لهم علاقاتٌ مباشرة مع الأكراد عن طريق احتكاكهم الدّائم بهم. فضلًا عن ذلك تأزّمت علاقة الأرمن بالسلطة الحاكمة الممثّلة في جمعية الاتّحاد والترقي، التي أصبحوا ينظرونَ إليها نظرةَ الضّحية لجلّادها، فالسلطة التي لا تستطيع أن تأخذَ لهم حقوقَهم ليست أهلًا للثّقة التي لم تكنْ موجودةً أصلًا، إلّا أنّهم كانوا يطمعون في تغيير أوضاعهم كما تغيّر النظامُ الحميدي القديم.

كانَ من المفروض أنْ يؤدّي النظامُ الدّستوري إلى تحسين الأوضاع، لكنّ ما لاحظَه المسلمون أنّ النظام الجديد لم يجلبْ لهم أيَّ منفعة، فخسروا أكثرَ ممّا ربحوا، وعلى النّقيض من ذلك كان المستفيدُ الأكبر حسبهم هُم جيرانَهم المسيحيّين، وخاصّة الأرمن، الذين أصبحوا يتمتّعون بحريةٍ أكبر مِن ذي قبْل، استغلّوها في استيراد السلاح والذخيرة في المقام الأوّل مِن أجل تحضير أرضية تؤدّي في نهاية المطافِ إلى تأسيس "إمارة أرمنية". الاقتناءُ الكبير للأسلحة دفعَ بهم لاستعراض عضلاتهم، فأصبحوا يتحدّثون بلهجةٍ توحي بأنّ ما يرغبون فيه واقعٌ لا محالة، والمسألةُ هي مسألة وقتٍ فقط. "فكلّما تسلّحوا أكثر تكلّموا أكثر" ،هذا الوضعُ زاد من قلق وتوتّر السّكان المسلمين[2].

وما زادَ من حدّة التّوتر بين الأرمن والمسلمين ،وعلى رأسهم الأكراد الذي يمثّلون السوادَ الأعظم من السّكان في شرق الأناضول ،هو انتشارُ إشاعات حول امتلاك الأرمن العديد من البنادق الأوتوماتيكية ،وحتى المدافع، وأنّ روسيا قامتْ بإرسال 3000 بندقية ومدفعًا ،كلّ هذه الأمور عمّقت الهوّةَ بين الأكراد والأرمن[3] الذين أصبح يُنظر إليهم على أنّهم أجانب تمّ دسّهم في الدولة العثمانية التي لا يكنّون لها مشاعر الولاء ،بل كان هاجسُهم يتمثّل في تنفيذ مخطّطاتٍ روسية ،فبالرّغم من هذا استغربوا من قيام الدّولة العثمانية بقبولهم في جيشها ،من أجلِ أداء الخدمةِ العسكرية التي أصبحتْ إلزاميّةً عليهم[4] ،مثلهم مثل باقي مكوّنات المجتمع العثماني ،لا فرق بينَ المسلم والمسيحيّ ؛فهُم سواسية ،حتّى ضريبة البدل أصبحتْ من الماضي. ونتيجةً لهذا تزايد شعورُ الأكراد بالازدراءِ

(1) ***FO. 371/ 1773, No. 42151***. *Muammer Demirel, a.g.e, s. 588.*
(2) ***FO, 424/250, p. 38- 43***. *Muammer Demirel, a.g.e, s. 592.*
(3) ***FO, 195/2450, p. 54- 57.*** *Muammer Demirel ,a.g.e, ss. 582- 583.*
(4) ***FO, 371/1773, No. 42151,*** *Muammer Demirel, a.g.e , s. 598.*

تجاه الدّولة العثمانية ؛لأنّها حاولت استبدالَ التعصّب الديني بالرّوح الوطنية ،مما جعلهم يراهنون على فشلها مسْبقًا[1].

لم يكنْ للأرمن وحدَهم أطماعٌ في تأسيس دولةٍ لهم في شرق الأناضول، بل حتّى الأكراد راودتهم نفس الأماني، لكنّهم كانوا يعتقدون أنّهم أوفرُ حظًّا من النّاحية العددية، بالرغم من أنّهم لا يملكون سندًا دوليًّا؛ لأنّ الدّولَ الكبرى لم تكن تؤيّدهم مثلما تؤيّد الأرمنُ إخوانهم في الدين، إلّا أنّ هذا التّأييد كان بين مدّ وجزرٍ يخضع بالدّرجة الأولى لمصالحهم في الدولة العثمانية.

أغلبُ الأكراد كانوا عبارةً عن قبائل متحرّرة لا تخضع لسلطةِ الحكومة العثمانية ،بالرغم من الجهود التي بذلتْها في سبيل إخضاعهم ،آخرُها كانت محاولةَ عبد الحميد الثاني الذي قام بإنشاء فرق الحميدية – والتي سبق وتطرّقنا إليها – ،بدأ الأكرادُ مثل جيرانِهم الأرمن بالدّعاية للاستقلال ،وخاصّة الأكراد الذين دخلوا الخدمة في الحكومةِ التّركية ،مستغلّين مناصبهم ،وقد كانت هذه الدّعايةُ موجّهةً ضدّ الحكومة العثمانية ،والتي كانت بطبيعة الحال تعارضُ هذه الطموحات ،سواء لدى الأكراد أو الأرمن ،لذلك نجد أنّها كانت تؤيّد الحركة التي ظهرت بين الأكراد ضدّ الأرمن ،ومن الأمثلة على ذلك أنْ قام عضوان من البرلمان العثماني بالتجوّل بين الأكراد والمناداة بـ"موت الكفار" أي الأرمن ؛لأنّ الحكومة كانت مدركةً للخطر الذي يتهدّدها من جرّاء التحرّك الكردي ،لذلك عملت على إثارة عنصرٍ من السّكان ضدّ عنصرٍ آخر لإضعاف الطرفين[2].

أشار القنصلُ الإنجليزي في تقريرٍ أرسله للسّفير الإنجليزي في إسطنبول – وهو عبارة عن ترجمةٍ ملخّصة لتقرير في صحيفة مشاغ *Mshag* الأرمنية في بتليس 5 أيلول 1913 م – إلى موقف الأكراد إزاء الأتراك والروس "في منتصفِ آذار تقريبًا، كان من المفترض عقدُ اجتماع للزعماء الأكراد لتنظيم ثورةٍ عامّة، التحرّك الكردي مستمرٌّ في الوقت الذي تحاول فيه روسيا بدْءَ سياسة نشطةٍ في آسيا الصغرى.. شكرًا للأوضاع التي أبدعتها الحكومة.. إنّ انهيارَ القوة التركية في أوروبا لم تغبْ عن الأكراد. لقد رأوا التجزئةَ التّدريجية لهذا الوحش المرعب ،وفهموا أنّ تلك التّجزئة يعود الفضلُ فيها للمساعدة النّبيلة لروسيا ،وبالتّالي فهُم يميلون باتّجاه روسيا بما أنّهم يعرفون أنهم لا يستطيعونَ فعلَ أيّ شيء بدونها ،كلّما قويتِ الحركةُ الكردية كلّما قويتْ فكرةُ التقارب مع روسيا بين الأكراد،

(1) ***FO, 195/ 2450, p. 54-57***, *Muammer Demirel, a.g.e , s. 583.*
(2) ***FO, 371/1773, No. 2151***,, *a.g.e , s. 587.*

الأكراد يروْن – أيضًا – أنّ تركيا بتركها الشّباب في ساحةِ المعركة في أوروبا لم يعدْ لديها أيّ قوةٍ في آسيا الصغرى"[1].

ما نلاحظُه مِن خلال هذا التّقرير أنّ الحركة الكردية كانت موجّهةً بالدّرجة الأولى ضدّ الأرمن والأتراك، فخشية الأكراد من قيام الأرمن بالاستحواذِ على شرق الأناضول ،أو ما يُعرف لديهم بكردستان ،أثار بينهم مخاوف كبيرة ،خاصّة بعد قيامهم بالتّحالف مع الاتحاديين التي اعتبروها "حكومة كافرة وغير شرعية"[2].

سنكتفي بهذا القدْرِ حول الحركةِ الكرديّة لأنّها ليست موضوع بحثنا، إلّا أنّنا أردنا أن نخرج بنتيجة مفادها أنّ الأكراد والأرمن كانت لهم نفسُ التّطلعات في تأسيس دولةٍ قومية لهم في شرق الأناضول، بمساعدة الدّولِ الأوروبية وروسيا، مما أفرز أوضاعًا معقّدة ومضطربة في المنطقة المتنازع عليها بين الأرمن والأكراد.

بعد حرب البلقان 1912[3] ،تأزّمت العلاقاتُ أكثر فأكثر بين الأرمن والأتراك ؛لأنّ الأرمن بعد هذه الحربِ وصلوا إلى قناعةٍ مَفادها أنّ حصولهم على حكمٍ ذاتيّ تحت الحكم العُثماني أصبح ضربا من الخيال ،إلّا أنّه بعدَ هذه الحرب أصبحتِ الظّروف الدّولية مواتيةً للفْتِ أنظار الدّول الكبرى إلى مسألتهم ،والتي بدون دعمها لن يتمكّنوا من الحصول على الاستقلال[4] ،وتعقيبًا على ما ذكرناه ،يبدو أنّ الأرمن مازالوا حتى تلك اللحظة لم يتعلّموا من تاريخِ نضالهم ،فكمْ من مرّةٍ علقوا آمالهم على الدّول الكبرى ،لكنّ هذه الأخيرة كانت كلّ مرّةٍ تخذلهم ،لأنّهم في تقديرنا اعتقدوا أنّ الظّروف الدولية – والمتمثّلة في هزيمة الدولة العثمانية في البلقان والتي أدّت لفقدانها 85% من أراضيها في أوروبا – ستدفع بالدّول الأوروبية لوضْع حدٍّ لحياة الرجل المريض ،واقتسام تركتِه التي سيكون لهم منها نصيب.

(1) ***FO, 371/1773, No. 2151**, Muammer Demirel, a.g.e s. 588* **.**

(2) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق، ص. 506.

(3) **حرب البلقان 1912** : هي الحرب التي هزمت فيها الدولةُ العثمانية هزيمة مُخزية أمام الدول التي نشأت من ممتلكاتها الأوروبية السّابقة، وإنّ أسوأ ما كانت تخشاه جمعية الاتحاد والترقي ؛وهو زوال تركيا الأوروبية وإعادة تمركز الإمبراطورية في آسيا ،علاوة على ذلك أحدثت الحرب حركات انتقال سكانية واسعة ،فوفقًا لمصادر رسمية تمّ ترحيل ما بين 500.000 و 600.000 لاجئ من الروميلي ومقدونيا كانت الدولة تبحث عن أساليب ووسائل لتوطينهم في آسيا الصغرى. في مقابلة مع دبلوماسي فرنسي اقترح حلمي باشا ،السفير التركي في النمسا ـ المجر والصّدر الأعظم الأسبق ؛مشروعًا لإعادة إحياء آسيا الصغرى عن طريق إعادة توطين هؤلاء اللاجئين هناك بتكلفة تقدر من 250 إلى 300 مليون فرنك، واقترح كمكانٍ محتمل لإعادة الاستيطان ولاية أضنة التي تتمتّع بخصوبة كبيرة ،وأعرب عن أمله في مساندة العاصمة الفرنسية المشروع ،لم يكن هذا المشروع الجغرافي ،على الأرجح اتّفاقيًّا ،ولكنّه بالأحرى ،كان جزءًا من السياسة العامة لتركيا الفتاة لإعادة توطين اللاجئين من البلقان ،في مناطق كانت تعتبر ذات أهمية إستراتيجية حتى عندما تعارض ذلك مع مصالح سكانها المحليّين ،وهكذا كانت القضية في الولايات التي يقطنها سكان الأرمن. *Raymand Kévorkian, Op.cit, p. 179.*

(4) طاهر توفيق هوكر ،مرجع سابق ،ص.492.

إذن، أصبح الأرمنُ بعدَ حرب البلقانِ أكثرَ تطلّعًا للخارج، دون الأخذِ بعين الاعتبار توجّهات الدول الأوروبية الأيديولوجية، المهمّ فقط بالنّسبة لهم مَن يخلّصهم من الأتراك، إلى درجةِ أنّنا لاحظنا أنّه حتى قدوم المراسلين الصّحفيين كان بمثابة حدثٍ كبير علّقوا عليه آمالًا كبيرة، وهذا ما لمسْناه من خلال وصول مراسل روسي يعمل لصالح صحيفة بيرمفيا يموستي الروسية. وكان هذا الأخير قد وصل إلى فان ،هذا الحدثُ من المفروض ليسَ له أهمية تُذكَر ،إلّا أنّه أصبح له أهمية كبيرة لما أضْفاه على مشاعر الأرمن ،فقدومه استقبل بتهليلٍ وحماس كبيرَيْن مِن جميع فئات المجتمع الأرمني "الذي يعتبرونه كحدثٍ ذي أهميّة سياسية كبيرة لهم ،ورفعوا درجةَ آمالهم عشرةَ أضعاف بتدخّل أوروبي – أو على الأقل روسي – لصالحهم"[1].

مِن فرط المشاعر الأرمنية أقاموا مأدبةً على شرف المراسل، حضرها جميعُ الأعيان في البلدة وزعماء الأحزاب السّياسية، المراسل استقبل استقبالَ الأمراء، وتكلّم مطولًا، وكان مما قاله: "نتيجةً لتغيير الرأي العام الأوروبي ورأي الحكومةِ الرّوسية فيما يتعلق بتركيا والمسألة الأرمنية.. وأنّه نتيجةً لحرب البلقان ؛قوة تركيا من الآن فصاعدًا ستتركّز في آسيا ،وتتوجّه ضدّ الحدود الروسية ،بهدف الثّأر لروسيا ،لذلك سوف تكون بحاجةٍ لحماية نفسها ضدّ التعصب المحمدي"[2].

هذه المرّة حربُ البقان كانت لها تداعياتٌ كبيرة على هذه العلاقة بين الأرمن والأتراك ،والذي أثّر فيها ليس هزيمة العثمانيّين فحسب ،بل قيام المسيحيين في البلقان بذبح المسلمين الأتراك ،فضلًا عن فظاعات أخرى ليسَ هذا مجال لذكرها[3]. فمن المؤكّد أنّ هذه الأعمالَ الانتقامية في البلقان سيقابلها ردُّ فعلٍ عنيف تجاه كلّ ما هو مسيحي في شرق الأناضول.

إذن ،أعطتْ حرب البلقان (1912-1913) الأملَ للأرمن الذين أصبحوا يترقّبون التدخل الأجنبي على نحو ما حصلَ في البلقان ،التي كانت فيها أوضاعُ المسيحيّين مشابهَةً لأوضاعهم من النّاحية الديموغرافية ،حيث كانوا أقلية بالمقارنةِ مع الأكثريةِ السّكانية التي رجّحت الكفّة فيها لصالح المسلمين ،الذين تعرّضوا لمذابح كبيرة[4] أدّت إلى

(1) ***FO. 371 / 1773. No. 16735***, *Muammer Demirel, a.g.e, s. 561.*
(2)***FO, 371/1773. No. 16735,*** *Muammer Demirel****,*** *a.g.e, s. 562.*
(3)***FO, 424 / 243, No. 340***, *p. 178****,*** *Muammer Demirel****,*** *a.g.e s. 569.*
(4) جنستن مكارثي، مرجع سابق، ص ص. 151 – 152.

إبادتهم من البلقان تقريبًا. "هذه المجازرُ تظهر التناقضَ بين حالة السّخط عندما يذبح الأتراكُ المسيحيين ،وحالة الهدوء واللّامبالاة التي تظهر في الحالة المعاكسةِ عند ذبح المسيحيين للأتراك[1].

إذًا، حربُ البلقان وما أفرزتْه من تداعياتٍ على المسألة الأرمنية، جعلت الأرمنَ مُتفائلين بالتطورات التي ستحملها الأيامُ المقبلة، ففي فان– التي تعتبَر من المناطق التي تتمتّع بكثافةٍ سكانية أرمنية مرتفعة– كان الأرمن هناك متفائلين جدًّا بسبب قدراتهم المتفوّقة في التعليم والاقتصاد، لهذا اعتقدوا أنّهم سيكونون في ظلّ سيطرة أوروبية قادرين على الهيمنة على العناصر الكردية والتّركية من السكان. فالأرمنُ المهتمّون بهذه المسألة ينتمون بغالبيتهم إلى الطبقات الحرفيّة والمتعلّمة ،عددٌ من هؤلاء يتوقّع أن يتمّ تعيينُهم قائمقامين في ظلّ النظام الجديد[2].

المطلبُ الثّالث: إصلاحاتُ الأناضول الثّالثة (1913م / 1331هـ):

خلالَ الفترة التاريخية الممتدّة من (1908–1913) مرّتِ الدولةُ العثمانية بأصعب مراحلها ؛فقد فقدت الكثيرَ من ممتلكاتها سواء في أوروبا أو إفريقيا ،ففي 05 أكتوبر 1908 أعلنت بلغاريا استقلالَها عنها ،وفي خطّ موازٍ أعلنت الإمبراطوريةُ النمساوية المجرية ضمَّ البوسنة والهرسك ،كما أعلنَ الزعماء اليونانيّون في جزيرة كريت انضمامَهم لليونان[3]. وفي 04 أكتوبر 1911 قامت القواتُ الإيطالية بإنزالٍ لقواتها في ليبيا مما أدّى إلى حدوث توتّرٍ كبير في إسطنبول[4]. وما زادَ من حدّة أزمة الدّولة العثمانية هو قيام حروب البقان الثانية (1912–1913)، والتي انتهتْ بهزيمة الدّولة العثمانية بعد انتصارها في حرب البلقان الأولى ،خلال هذه المرحلة 1912 كانت الحكومة العثمانية بيَدِ حزبِ الحرية والائتلاف ،ولكنّ الخسارة التي مُنيت بها الدولة العثمانية في هذه الحرب ،مهدت الطّريق للاتحاديين للعودة مجدّدًا إلى سدّة الحكم بعد انقلابٍ ناجح في 23 نوفمبر 1913 [5].

أمامَ هذه الأوضاع الحرجة التي أصبحت الدولةُ العثمانية تمرّ بها ،انتهزت الدولُ الكبرى – وفي مقدمتها روسيا وفرنسا – الفرصةَ لتحريض بعضِ الشّعوب في الإمبراطورية ضدّها ،ففرنسا حرضت العرب للمطالبة بالإصْلاحات في سوريا ،أمّا السّفير الروسي في إسطنبول "فون جيرس" أعاد المسألةَ الأرمنية مجدّدًا إلى الواجهة، فأرسلَ مذكّرةً إلى وزير الداخلية العثماني يدعو فيها الدولةَ العثمانية ،إلى القيام بالإصلاحات التي كانت الإمبراطورية

(1)***FO, 424 / 243, No. 340, p. 178 – 180***, *Muammer Demirel, a.g.e, ss. 566.*
(2) ***FO, 371/2130, p. 57- 58***, *Muammer Demirel, a.g.e , s. 634.*
(3) طاهر توفير هوكر، مرجع سابق، ص. 479.
(4) *Raymand Kévorkian, Op.cit, p. 165.*
(5) نقية حنة منصور، مرجع سابق، ص. 147.

العثمانية – ممثّلة في شخص السّلطان عبد الحميد الثاني – قد تعهّدت بالقيام بها ،إلّا أنّها لم تلتزم بما وعدتْ به ،بل إنّ الأوضاع — حسبه – تزدادُ تأزّمًا ،بعد أن أخذتِ المشكلةُ الزّراعية تتعقّد نتيجة الاستيلاء غير القانوني على أراضي الأرمن ،فضلًا عن ما يتعرّض له هؤلاء من أعمال السلب والنهب والابتزاز[1] .

أمّا الأرمنُ بعد التّحالف الذي عقدوه مع الاتحاديين ،شرعوا في إعادة حساباتهم في أعقاب حربِ البلقان ، فرأوا أنّه من الضروري العودةُ إلى سياستهم القديمة القائمة على التحالف مع الغرب ؛لأنّهم خرجوا بنتيجةٍ مَفادها أنّ التحالف مع الدّولة العثمانية لم يأتِ بجديدٍ للمسألة الأرمنية ،بل على العكس أدّى إلى إطفاء جذوتها من السّاحة السياسية الدولية ،لذلك رجعوا إلى السّياسة التي اتبعوها خلال التسعينيّات من القرن التاسع عشر ،وتتمثّل هذه السياسة "في خلقِ وضعٍ متوتّر في شمال كردستان يؤدّي إلى حربٍ بين سكّانها ،لكي تهيئ حجّةً للدول الأوروبية للتدخل في شمال كردستان وتكوين كيان أرمني هناك"[2].

يعتبر جمال باشا مِن الذين أشاروا بالتّفصيل للإصلاحات الأرمنية في مذكراته ،حيث ذكر أنّ أرمن إتشميادزين قد قاموا بزمام المبادرة من خلال إرسال بوغوس نوبار باشا[3] ،مطلع سنة 1912 إلى الحكومات الأوروبية للمطالبة بالاستقلال الذّاتي الإداري لأرمينيا ،معتبرًا أنّ هذه الخطوة ما هي إلّا جزءٌ من السياسة الروسية[4].

لعبتْ روسيا دورًا كبيرًا للمطالبة بالإصلاحات الأرمنية ،ومن الخطواتِ التي قامت بها في سبيل إحيائها ،أوّلًا على مستوى الدّولة العثمانية عن طريق احتضان الحراك الأرمني في الأراضي العثمانية ،وهذا خشية امتداد تأثيره على أرمن القوقاز ،فوعدتْ بوغوس باشا بتعيينه حاكمًا على الإقليم الأرمني في الدولة العثمانية إذا ما نجح في مساعيه، هذا من جهة ، ومن جهةٍ أخرى قام وزيرُ خارجيتها سازانوف *Sazaniv* بإرسال تهديد للدولة العثمانية عنْ طريق

(1) جمال باشا، مصدر سابق، ص. 461.
(2) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق، ص. 483.
(3) **نوبار باشا أو بوغوس باشا نوباريان** ، ولد بإسطنبول بعائلة أرمنية ثرية ،أجداده من كاراباخ، تحتلّ العائلة موقعًا اجتماعيًّا (برجوازية متنوّرة) ، وسياسيًّا مرموقًا، تابع دراسته في باريس, فتخرّج مهندسًا من جامعة ساندر، ذهب إلى مصر وعمل كرئيس لشركةٍ زراعية (1881-1891) في منطقة البحيرة ،ثمّ مديرًا لسكة الحديد. ساهم بفعالية في تأسيس شركة لجرّ المياه إلى القاهرة، وشارك في قيام مدينة هيليو بوليس وشركة الكهرباء في الإسكندرية سنة 1906، أسس جمعية خيرية لعموم الأرمن، لسنوات طويلة، عمل وسط الجالية الأرمنية في القاهرة والإسكندرية في عام 1912 اضطلع بأعباء النضال القومي الأرمني بين الأعوام (1914-1918). عمل لأجل إنشاء دولة أرمنية مستقلّة بمساعدة دول الاتفاق (فرنسا- بريطانيا- روسيا)، أسّس مستشفيات ومستوصفات في الجبهات المشتعلة جمال باشا، مصدر سابق، ص. 464.
(4) نفسه، ص. 463.

كايرز *Giers* سفيرها في إسطنبول ،يتضمّن ضرورةَ وقف الاعتداءات الكردية على الأرمن ،ملوّحًا بإمكانية التدخل العسكري إذا استمرّ الوضعُ على حاله(1).

أمّا على الصّعيد الدولي قامت روسيا بمحاولةٍ للحصول على موافقةِ كلّ من بريطانيا وفرنسا قبل الشروع في المطالبة بالإصلاحات ،وفقَ ما ورد في مؤتمر برلين 1878م ،وبناءً على الاقتراح الروسي قرّرت الدول الثلاثة (روسيا وبريطانيا وفرنسا) تفويضَ سفرائها في إسطنبول دونَ إشراك الدولة العثمانية التي لم توجّه لها دعوة المشاركة في مؤتمر السّفراء الثلاثة ،والذي عُقد في إسطنبول 08 يناير 1913(2) ،وقبل شروع اللجنة في أعمالها استبقت روسيا الأحداثَ بتجهيزها مشروعًا للإصلاح ،وضغط السيد ماندلسام السّكرتير الأوّل في السفارة الروسية(3). وأهمّ ما وردَ في هذا المشروع نجمله في النقاط الآتية:

1- تشكيل ولايةٍ واحدة من الولايات السّت الآتية، وهي: أرضروم، وان بتليس، ديار بكر، خربوط، سيواس، يعيّن عليها حاكم عام.
2- يجب أن يكون الحاكمُ العام لولاية أرمينيا من الرعايا المسيحيين.
3- تشكيل مجلس الولاية، ويتساوى عددُ الأعضاء المسلمين والمسيحيين.
4- قيامُ سفراء الدول الكبرى بالتحكيم في حالة حدوث عدم التفاهم بين المفتشين.
5- قيام بمراقبة السير الحسن للإصلاحات(4).
6- تؤلّف قوّة الشرطة والجندرمة في الولاية، ويكون نصفُ المجندين من الأهالي والمسلمين والمسيحيين.
7- يؤدّي المجندون الذين هُم من أهالي الولاية خدمتَهم العسكرية في الولاية في زمن السلمي، وتحلّ كوكبة الفرسان الخفيفة الكردية الحميدية سابقًا.
8- تضعُ لجنة برئاسة الحاكم العام الشّروطَ التي تُعاد بمقتضاها الأراضي التي انتزعت من الأرمن بغير وجه حقّ، أو يعوّضون بأراضٍ أخرى ،أو بثمنها(5).

---

(1) *Arsen Avagyan,Gaid F Minassian* , ***Ermeniler İttihat ve Terakki İşbirliğinden Çatışmaya*** , *Aras Yayıncılık ,Ankara , 2005 ,ss.122-123.*

(2) طاهر توفيق هوكر ،مرجع سابق، ص. 485.

(3) جمال باشا، مصدر سابق، ص. 466.

(4) *Ali Karaca, Tehcire giden yolda Ermeni meselesine bir çözüm projesi ve reform müfettişliği (1878-1915),* ***Ermeni meselesi üzerine araştırmalar****, a.g.e, s. 89.*

(5) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق، ص. 486.

وللتّعقيب على ما جاء في مشروع الإصلاح الروسي ،لم نجد أحسنَ مما ذكره جمال باشا في مذكراته : "ولا أظنّ أنّ أحدًا يرتاب في أنّه لا يمرّ على قبول ذلك المشروع عامٌ واحد حتّى تقع ولايات : أرضروم وسيواس وبتليس وديار بكر ومعمورة العزيز ؛تحت حماية روسيا ،أو على الأقلّ تصير مرتعًا لجيوش الاحتلال الروسية"(1).

سفراءُ الدّول الأوروبية لم يأخذوا برأي الدّولة العثمانية في هذا المشروع الإصلاحي ،فروسيا ضمنته ما سيخدمُ مصالحها في المنطقة ،أمّا بريطانيا وافقتْ على التخلّي على نفوذها في شرق الأناضول لصالح روسيا خاصة بعدَ دخول الطّرفيْن في حلفٍ مشترك ضدّ ألمانيا عام 1907 ،أمّا فرنسا فقد قبلتْ هذا المشروع شريطة عدم المساس بحقوقِها ومصالحها الاقتصادية في تلك الولاية الجديدة ،إلّا أنّ هذا المشروع لم يرَ النّورَ نتيجة دخول ألمانيا المسألة(2).

مِن خلال ما سبق، يمكن القول إنّ هذا المشروعَ الإصلاحي الذي وضعته روسيا، ووافقت عليه فرنسا وبريطانيا؛ لم يكنْ سوى مرحلةٍ أولى من أجل إنشاء وطنٍ قوميّ للأرمن، وبذلك سيتسنّى لروسيا الوصول إلى المياه الدّافئة، وقد كانت هذه الأخيرة في صراعٍ دائم مع الدّولة العثمانية من أجل الوصول إليها، فتحْييدُ شرق الأناضول سيمهد لها الطريق لتحقيق هذا الحلم القديم الذي طالما راودها.

بدأت مسألةُ الإصلاح المتعلّقة بالأرمن تأخذ شكلَها النهائي بالاتّفاق الموقع بين قسطنطين جوكلفتيش المفوّض الروسي وممثّل الدّول الغربية في نفس الوقت وبين سعيد حليم باشا ناظر الخارجية العثمانية والصدر الأعظم في حكومة الاتحاد والترقي، وذلك قبيلَ الحرب العالمية الأولى. وقد قضتْ تلك الاتفاقيةُ بتعيين مفتشين أوروبيّين تكون لهما كافّةُ الصّلاحيات الطارئة، ويكون المفتّشُ الأول على ولايات آرضروم وطرابزون وسيواس، أمّا الآخرُ فيكون مفتّشًا عامًّا في ولايات وان وخربوط وتفليس وديار بكر. وتمّ توقيع الاتفاقية في 1914/2/8 ،ووقّع عقدًا مع الهولندي ويستنك الذي سيكون مفتشًا على المنطقة الأولى كما وقّع عقدًا آخر **مع** النرويجي هوف الذي سيكون مفتشًا على المنطقة الثانية، وكان ذلك في 1914/5/25م(3) بالإضافة إلى قرارات أخرى نذكر منها:

- يقومُ كلّ مفتّش بإدارة أحدِ الإقليمين، ويكون مسئولًا عن إدارته مدنيًّا وعسكريًّا.

(1) جمال باشا، مصدر سابق، ص. 475.
(2) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق، ص ص. 486 – 487.

(3)*Azmi Suslu, **Ermeler ve 1915 Tehcir Olayı,** van, 1990, **s.** 63.*

- مِن أجل الحفاظ على الأمن وتطبيق مهامّه، فباستطاعته طلبُ تعيين قوّةٍ إضافية في أيّ منطقة يرى أنها في حاجةٍ إلى ذلك، وتكون القواتُ العسكرية والشرطة تحت إمرته.
- بإمكانِ المفتش عزلُ أيّ موظّف من موقعه أيًّا كان، إذا كان غيرَ مؤهّل لإشغال ذلك الموقع، أو كان مقصّرًا في أداء واجباته.
- بإمكانِه تعيينُ وتبديل الموظّفين الصغار، أمّا الموظفون الكبار فتعيّنهم إسطنبول، ولكنّه يستطيع إبداء الرأي والمميّزات التي يجب توافرها في الشّخص المختار للوظائف المهمّة.
- باستطاعته عزلُ موظّفي القضاء والمحاكم أيضًا، لكنْ بعد تبليغ وزارة العدل بذلك، والتي عليها الردّ على المفتّش العام بأقصى سرعة ممكنة.
- الأوامرُ والتّبليغات تنشَر باللّغات الثلاث التركية والأرمنية والكردية(1).

أمّا بخصوص الألوية الحميدية فإنّها تحوّل إلى فرسان احتياطية ،وتبقى أسلحتُها في المستودعات الحربية ،ولا تصرف إلّا لدى التّعبئة أو المناورات ،وتكون الكتائبُ بقيادة قائد الإقليم ،وفي زمن السّلم ينتخب قادة الكتائب والفصائل والسّرايا من طرف الضبّاط العاملين في الجيش العثماني السّلطاني ،ويؤدّي رجالُ هذه الكتائب عامًا واحدًا في الخدمة العسكرية ،وعليهم أنْ يحضروا إلى الكتيبة بخيْلهم وسروجهم تامّة ،وكلّ رجلٍ مهما كانت نسبته ودينه يكونُ في دائرة التّجنيد ،وفي زمن الحرب والمناورات يعامَلون معاملةَ الجنود النظاميّين ،إجراء عملية الإحصاء العام تحتَ إشراف المفتّشين لمعرفة حقيقة الأحوال فيما يختصّ بالدين والجنسية واللغة في كلّ من الإقليمين ،وقبل ذلك يتمّ تشكيلُ المجلس العمومي ولجان الولاية لكلٍّ مِن وان وبتليس من عددٍ متساوٍ من المسلمين وغير المسلمين ،وإذا لم يتمّ الإحصاءُ في ولاية أرضروم خلال عام ينتخب أعضاء المجلس العمومي فيها بالطّريقة نفسها المتبعة في الولايتين الأخريين(2).

بناءً على خطّة الإصلاح سالفة الذكر تمّ الاتفاقُ بين الطرفين العثماني الأوروبي على تعيين مفتشين أوروبيين على الإقليمين اللّذيْن سوف يتمّ تشكيلهما، حيث تمّ تعيين الهولندي أل. سي ويستنينك *(L.C Westenenk)* في منصب المفتش العام للإقليم المكوّن من أرضروم وطرابزون وسيواس، أمّا الضابط النرويجي نيكولاس هوف *(Nicolas Hoff)* ،عيّن على الإقليم المشكّل من وان بتليس وديار بكر وخربوط ،وبناءً على هذا

(1) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق، ص ص. 488. 489.
(2) جمال باشا، مصدر سابق، ص. 477.

تمّ تحضيرُ تعليمات مشكّلة من 23 مادة من أجل إعطائها للمفتشين اللذين سوف يتلقّيا معاشهما من الحكومة العثمانية[1].

إذا جئنا للمقارنة بين إصلاحات 1914 وباقي الإصلاحات التي مرّت بنا، لأوّل مرّة كانت هذه الإصلاحاتُ واضحة المعالم، عكس المادة 16 من معاهدة سان ستيفانو، والمادة 61 من معاهدة برلين 1878 اللّتان جاءتا غامضتين فلم تحدّدَا ماهية الإصلاح الذي يجب القيامُ به، وإنما تُرك الموضوعُ مفتوحًا حسب ما كانت تراه الدولةُ العثمانية التي ماطلتْ في تطبيقه إلى غاية 1914، ولكنْ لما ازدادت عليها الضغوطُ الدولية لم تجدْ بدًّا من الرّضوخ للأمر الواقع.

- هذه الإصلاحاتُ التي حملت صبغةً رسمية تلزم الدولةَ العثمانية بتنفيذها ،لأنّها وقّعت من طرف الصدر الأعظم حلمي باشا شخصيًّا ومندوب روسيا[2] ؛ليست إلّا خطوةً أولى في سبيل استقلال الأرمن ،فهذه الوثيقة تشبه إلى حدٍّ بعيدٍ فرمانَ 1870 ،و الذي أسّست بمقتضاه نيابة بلغاريا وتحرر البلغاريون بموجبه من الإشراف العثماني[3].
- لأوّل مرّةٍ تمكّنت روسيا من تمرير مخطّطاتها في شرق الأناضول، من خلال هذه الإصلاحات التي لم تكن سوى وسيلةٍ لخدمة مصالحها، ويعود الفضلُ في ذلك – في تقديرنا– لألمانيا التي كانت حليفًا أساسيًّا للدولة العُثمانية، فدخولها كطرفٍ في هذه الإصلاحات كان كفيلًا بإقناع الدولة العثمانية بضرورة القيام بالإصلاحات المتّفق عليها، ولو على مَضَض.
- هذه الإصلاحاتُ طالت حتّى الفرسان الحميدية التي كان لها دورٌ كبير في شرق الأناضول، وخاصّة مع الأرمن، فقامت الإصلاحاتُ بتقزيم دوْرها، فبعدما استعملت في إخماد ثورات الأرمن تحوّلت إلى مجرد فرسان احتياطية يتمّ استدعاؤها في زمن الحرب والمناورات، حيث يعامَلون معاملة الجنود النظاميّين.

بعدَ هذا العرض، السّؤالُ الملحّ الذي يطرح نفسَه في هذا الإطار: ما هي المواقفُ المختلفة من هذه الإصلاحات؟

(1) *Ali Karaca, a.g. m, s. 91.*

(2) *Zekeriya Türk Men, Unutulan senaryo, **Türk-Ermeni, ihtilafi makaleler**, TBMM Basımevi, Nisan 2007, s. 41.*

(3) جمال باشا، مصدر سابق، ص. 478.

أصبحَ الأرمنُ ينتظرون بفارغ الصّبر تسويةَ مسألة الإصلاحات في الولايات الشرقية ،وفيما إذا كانت ستنفَّذ تحت إشراف مفتّشين أوروبيّين تعيّنهما الدولُ الكبرى[1] ،لكنّ هذه الإصلاحات التي انتظرها الأرمن لم تكن الإصلاحاتِ الأولى التي قامتْ بها الدّولة العثمانية ،فقد كانت تُدخِل إصلاحاتٍ بين الحين والآخر ،حسب ما كانت تراه هذه الأخيرة ،فمثلًا قامت الحكومةُ بتشكيل لجنة إصلاحات في أضنة بناءً على طلب البطريك الأرمني لتقوم بجولةِ تفتيشٍ للقضاء على فساد الموظّفين ،ولاستعادة الأراضي المغتصبة ،ولإدخال إصلاحات إدارية متنوعة ،لكن هذه اللجنة استقالت قبلَ أن تبدأ ،عندما أدركت انعدامَ الأمل بإنجاز مهمتها[2].

أمّا بالنّسبة لموقف الأتراك ،فضّلنا الرجوعَ لتقرير نائب قنصلِ فان أرسله للسفارة الإنجليزية بإسطنبول في يناير 1914 ،حيث ذكر في تقريره أنّ طبقةَ الموظّفين كانت عدائيةً بشكل طبيعي ضدّ أيّ تدخّل في أيّ مسألة لها علاقةٌ بالأتراك ،فجميعُ الموظّفين والضباط الذين الْتقاهم هناك يعتبرون صراحةً أنّ كلّ شيء في هذا الجزء من تركيا في حالةٍ متردّية وغير مُرضية ،لكن بالنّسبة لهم من غير المنطقي أن تتوقّع القوى الأوروبية أن يظهر الأتراك حالة من التّنظيم على المنوال الأوروبي ،فخمسُ سنوات قصيرة من عمر الحكومة الدستورية ،فالدولة ليست قادرة على توفير لا الموارد ولا الأموال اللّازمة للتطوّر وتنفيذ الإصلاحات في الولايات الآسيوية ،أمّا الضباط الكبار يعتبرون أن تعيين مفتّشين استجابةً لأيّ جهة غير الحكومة العثمانية ؛غيرَ ضروري ،ولا يمكن أن تتمّ المحافظة عليه لأنّه سيكون الخطوةَ الأولى لفصل الولايات الشرقية عن باقي الإمبراطورية ،أمّا الضباط الصغار على أيّ حال كانوا يعانون بشكل كبير من عدمِ دفع رواتبهم ،ومن هذا المنظورِ سيكونون مسرورين بأيّ إصلاح يضمنُ لهم دفعَ رواتبهم بانتظام[3].

أمّا بالنّسبة للموظفين الأتراك غير الرسميّين ،مثل مالكي الأراضي ،على استعدادٍ إنْ لم يرحبوا أصلًا بأيّ إجراءات يمكن أن تؤدّي إلى تطوّرٍ ماديّ وتقدّم في البلاد ،حتى في ظلّ سيطرةٍ أجنبية ،فهُم يعلمون أنّ حالة البلاد غير مُرْضية ،ولديهم ثقةٌ متدنّية في قدرة موظّفيهم على تنفيذ هكذا إجراءات ضرورية للتطور ،طالما ليس هناك احتلالٌ أو فصلٌ عن باقي الدولة العثمانية ،فالقنصلُ اعتقدَ أنهم سيخضعون للترتيبات الجديدة بهدوء[4].

---

(1)*Mohamed Refaat El Emam*, ***Documentary Historical texts Armenian question and international relations,*** *Nubar printing house, Cayro, 2005, p.23.*

(2) ***FO. 424/250, p. 38-43****, Muammer Demirel, a.g.e, s. 593.*

(3) ***FO, 371/2130, P. 57-58,*** *Muammer Demirel, a.g.e , s. 633.*

(4) ***FO. 371/2130, p. 57-58*** *Muammer Demirel, a.g.e, , s. 633.*

هذه الإصلاحاتُ التي أكرِهَت الدولةُ العثمانية على قبولها على مضض، وأُلزِمَت بتطبيقها من طرف الدول الأوروبية؛ قد ضربتْ صميمَ السياسة العثمانية. ما هو المصيرُ الذي سوف تواجهه؟

سافرَ المفتّشان اللّذان تمّ الاتفاقُ على تعيينهما إلى إسطنبول في أواخر أفريل 1914 م ،وذلك من أجل دراسةِ المسألة عن قربٍ قبل استلام مهامّهما ،ففي بداية الصّيف من العام نفسه وصل هوف إلى مدينة وان ،أمّا ويستنينك كان على أهْبَة الاستعداد للمغادرة نحو أرضروم ،لكنّ الأحداث الأوروبية لم تمنح هذه الإصلاحات–التي طالما انتظرها الأرمن – فرصةً لإعطاء إشارةِ الانطلاق فقط ،ففي 28 جويلية اغتيل وليُّ عهد النمسا فرانسيس فرديناند(1) في سراييفو(2) ؛فدقّت طبولُ الحرب العالمية الأولى(3) ،و أعلنت ألمانيا الحربَ على روسيا ،وفي نفس الشّهر أعلنت الدولةُ العثمانية التّعبئةَ العامّة في البلاد ،وبعد ذلك قامت بطرد المفتّشين ،فهذا إن دلّ على شيء فهو يدلّ على قيامها بإلغاءِ الإصلاح ،في مبادرةٍ أحاديّةِ الجانب ،وفي نفس الوقت اندفاعيّةٍ وحماسية.(4)

(1) **فرديناند فرانسيس**: (18 ديسمبر 1863- 28 يونيو 1914) وريث عرش الإمبراطورية النمساوية المجرية منذ مولده إلى مماته، والذي كان مصرعه على يد الصّربي غافر يلو برينسيب هو مَن أشعل فتيل الحرب العالمية الأولى عندما أعلنت الإمبراطورية النمساوية- المجرية الحربَ على مملكة صربيا، وبهذا تخندق حلفاءُ الطرفين وبدأت الحرب.

(2) **سراييفو:** أو سراي بوسنة وهو يشكّل مركز بوسنة ومبنى مركز إدارته على ساحل نهر ميلاجقا، يحتوي على 55 ألف نسمة في سراي بوسنة. أحمد الشرقاوي، جغرافية .... مرجع سابق، ص. 97.

(3) *Zekeriya Türk Men,a.g,m. s. 49.*

(4) طاهر توفير هوكر، مرجع سابق، ص ص. 499-491.

المبحثُ الثّاني :تطورات المسألة الأرمنية خلال الحربِ العالميّة الأولى

المطلبُ الأوّل: القوميةُ التركية، وتداعياتها على المسألة الأرمن.

المطلبُ الثّاني: موقف الأرمن من مشاركةُ الدّولةِ العثمانية في الحرب العالميّة الأولى.

المطلبُ الثّالث: التّشكيلاتُ المخصوصة، وبدايةُ الإجراءات الانتقامية.

المطلبُ الرّابع: إشعالُ فتيل الثّورات الأرمنية (فان)1915 م.

بعدَ تولّي جمعيةُ الاتحاد والترقي دواليبَ السّلطة في الدولة العثمانية ،اعتقدت الأقلياتُ المسيحية – وعلى رأسها الأرمن – أنّ زمنَ الحرية والمساواة بين جميع المواطنين دونَ تمييزٍ عرقيّ أو ديني قد حلّ ،وزمن "القهر والاستبداد" قد ولّى ؛إلّا أنّهم كانوا مُخطئين في تقديرهم للأوضاع .كما أن الدولة العثمانية كانت قد تعرّضت إلى عدّةِ هزائم في البلقان أجبرتها على قبولِ صفقةٍ مع الدّول الأوروبية ،تقضي بإدخالِ إصلاحات في المناطق التي يقطنها الأرمن لكنْ بدخولها الحرب العالمية الأولى تنصّلتْ من هذه الاتفاقية الملزمة لها.

في هذا المبحث، سوف نحاول التطرّقَ إلى القومية التركية، ودورها فيما يُعرف "بالإبادة الأرمنية"، ثمّ دخول الدّولة العثمانية الحربَ العالمية الأولى، والدّوافع التي تقف وراءَ اتّخاذها قرارَ المشاركة في الحرب، وموقف الأرمن منه، خاصّة على الصّعيد العسكري، وذلك من خلال ثوراتهم في شرق الأناضول، والتي اعتبرها العثمانيون دليلًا على خيانتهم.

المطلبُ الأوّل: القوميةُ التركية، وتداعياتها على المسألة الأرمنية:

تجسّدت القوميةُ التركية في مظهريْن أساسيّين، هما: التتريك القسري والطورانية. أمّا بالنسبة للتّتريك القسري هو سياسة موجّهة أكثرَ للدّاخل ،أي لمختلف القوميّات المشكلة للإمبراطورية العثمانية ،مثل العرب والأرمن واليونانيّين والآشوريّين والأكراد والشركس والألبان والصّرب والبلغار ،والبوسنيين ،وهي فرضُ استعمال اللّغة التركية عليها ،فكلُّ هذه الجماعات قد مسّتها هذه السياسة[1]. وبتعبيرٍ آخر يمكن أن نقول أنّ سياسةَ التّتريك القسري بالنّسبة للقوميات غير التركية هي "إنكارٌ طوعيّ لقوميتهم ،أو إنهم يساعدون على إفناء أنفسهم تمامًا للإبقاء على شخص واحد"[2].

أمّا الطّورانية، هي بديل للجامعة الإسلامية، وكانت موجّهَة أكثر للخارج، ونقصد بها سعيَ الأتراك لإقامة إمبراطورية طورانية من القوميّات التركية التي تمتدّ إلى ما وراء جبال القوقاز حتّى حدود تركستان. وتقوم هذه الإمبراطورية على أواصرَ عرقيّةٍ بالدّرجة الأولى[3] .ولقد بدأ الشبابُ الأتراك في نشر دعوى الطورانية عندما رأوا أنّ

---

(1) **القضية الأرمنية في الصحافة العربية 1876–1923، الإبادة الكبرى (1915–1918)** ، مج6، الطبعة الأولى، مطابع نوبار، القاهرة، 2018، ص. 06.

(2) نيقولاي هوفهانيسيان، مرجع سابق، ص. 81.

(3) نعيم اليافي، خليل الموسى، **نضال العرب والأرمن ضد الاستعمار العثماني**، دار الحوار للنشر والتوزيع، حلب، سورية، 1995، ص. 44.

الدولة العثمانية أصبحت على حافّةِ الانهيار والتفسّخ ،لذلك كان لزامًا عليهم بناءُ إمبراطورية جديدة ،تلعب فيها القومياتُ التركية دورًا فاعلًا. إذًا هذه الإمبراطوريةُ لن تقوم لها قائمة إلّا على أواصر عرقية[1].

دافعت جمعيةُ الاتحاد والترقي ما بين (1908-1913 م) على القومية التركية ،إلّا أنّها لم تصبح أساسًا لسياساتها إلّا سنة 1913 م [2] ،حين رأى الاتّحاديون أنّ الاتحاد ليس إلّا اتحادُ جميع العناصر العرقية في الدولة العثمانية ،بمعنى آخر إنهاء جميع الاتّجاهات الخصوصية أو الاستقلالية بين الجماعات القومية المشكلة للإمبراطورية، سواء أكانت مسلمةً أو مسيحية ،فبالنسبة للمسيحيّين أرادوا القضاءَ على الملل لأنّها تقف حجرَ عثرةٍ في وجه الاتّحاد ؛لذلك يجب أن يكون الجميعُ مواطنين على قدمِ المساواة أمامَ القانون لهم نفس الحقوق ،ويتمتّعون بنفس الواجبات ،دون وجودٍ لليونانيّين والعرب والأرمن... إلخ. في هذا الوقت كان الأرمنُ والعرب الذين تحالفوا مع الاتحاديين –كما ذكرنا آنفًا– قد فهموا أنّ الاتّحادَ هو المساواة بين جميع القوميات دون تمييز من جهة، وتنمية نظام الاستقلالِ الثقافي الذي يصيرون بموجبِه أرمنًا أو عربًا أوّلًا ،ثمّ رعايا عثمانيّين ثانيًا[3].

كان يقفُ وراءَ تنامي الفكر القومي التركي بشقّيْه التتريك القسري والطورانية ،هو تصاعد الطموحات التّاريخية والإثنية واللّغوية في الروميلي ،هذه التوجّهاتُ الجديدة بدأت تقضّ مضاجعَ الاتحاد والترقي ،الذي كان أبرزُ قادتِه سليلو البلقان ،لذلك بدا واضحًا أنّ نخبةَ الاتحاد والترقي ستفعل المستحيلَ من أجل المحافظة على الجانب الأوروبي ضمنَ ممتلكاتِ الدّولة العثمانية ،ولم يجدوا بُدًّا من إشهار سلاح التتريك ،إلّا أنّ هذه السياسة لن تكونَ مقبولة ،لا من اليونانيّين الذين يشكّلون 250 ألف نسمة ،ولا من طرف السّلافيين الذين يصل عددُهم إلى مليون نسمة ،مقابل 800 ألف مسلم[4].

إلى جانبِ هذا ،فإنّ خسائرَ الأراضي التي مُنِيت بها الإمبراطوريةُ العثمانية ،نتيجة الاحتلال الإيطالي لليبيا، وهزيمتها في حربِ البلقان التي فقدتْ فيها مقدونيا وتراقيا بالخصوص ،سيؤدّي إلى زرع بذور رغبةٍ في الانتقام عميقة ،فالمهاجرون الذين تدفّقوا على إسطنبول نهاية الحرب اعتبروا أنّ مهمّتهم الأساسية هي التخلصُ

(1) مروان المدور، مرجع سابق، ص. 403.

(2) *Taner Akçam* , ***Le Génocide Arménien et la question de la responsabilité Turque***, *Traduit de l'Anglais par Odile Demange, Edition Denoël, France, 2008, p. 93.*

(3) **الإبادة الكبرى...**مرجع سابق، ص. 07.

(4) *Mikaël Nichanian*, ***Detruire les Arméniens, histoire d'un génocide***, *1er édition, presses Universitaires de France, Paris, 2015, p. 94.*

من آثار الإهانة التي شعروا بها نتيجةَ فقْدهم لممتلكاتهم ،وفي نفس الوقت الانتقام للمسلمين الذين تمّ قتلُهم[1]. أمّا بالنّسبة لقيادةِ الاتّحاد والترقي ،فإنّ هذه الحرب التي أدّت إلى انفراطِ عقد الإمبراطورية العثمانية ،سوف تكون سببًا في اتّخاذ موقفٍ أقوى وأكثر وحشيّة وعنفًا تجاه القضية الأرمنية لكي يمنعوا حدوثَ نفس الشيء في أرمينيا الغربية؛ لأنّ انفصالها سوف يكون بمثابةِ ضربةٍ قاصمة للدّولة العثمانية ،ويجعل وجودَها مسألةً مشكوك فيها[2].

يعتبر ضياء جوك ألب (1876–1924 م) ،أيديولوجي لجنة الاتحاد والترقي ،حيث وضع هذا الأخير أسسَ القومية التركية ،والمتمثّلة في تفوّق المجتمع على الفرد ،فالمجتمعُ عنده يعني الأمة ،والأمّةُ يقصد بها الأيديولوجية القومية التركية ،والأتراك بالنسبة إليه يملكون ثقافةً عالية التطور ،ولكنّ هذه الثقافة أبْطِلَت بسبب الحضارتين البيزنطية والعربية الإسلامية خلالَ العصور الوسطى[3]. ومن أجل إعادة الحضارة التركية إلى ما كانت عليه؛ دعا إلى تركيبٍ بين الثقافة القومية والحضارة الأوروبية ،وبهذا يكون جوك ألب قد وضعَ ركائزَ مفهومٍ رومانتيكيّ للنزعة القومية التركية[4] دونَ أن يستبعد الإسلام[5] ،الخطّةُ الكبرى التي وضعها جوك ألب ،والتي تبنّاها الاتحاديون فيما بعد ،"توحيد الأتراك".

وقد اكتسبتْ هذه الفكرة النّظرية بُعدًا عمليًّا ،فتحوّلت من مجرد شعار لجماعة معارضة إلى برنامجٍ سياسي تبنّته الجمعية[6] التي وصلتْ إلى سُدّةِ الحُكم مرّتين : المرة الأولى سنة 1908 ،أمّا المرّةُ الثانية بعد إخفاقِ حكومةِ الأحرار في الحرب البلقانية ،حيث تمكّنوا من الاستيلاء على السُّلطة بعد الانقلاب المشهور بـ" الهجوم على البابِ العالي " في 23 يناير 1913[7]. وأكّد ألب أنّ دولةً تدْعَى "تركيا وأمة تركيا" ،لن تكون قابلةً للنّمو إلّا إذا احتضنت جميعَ الأتراك ،أو ما يُعرف بـ طورانجيليك *Turancılık* أو الطورانية[8]. هذا المشروع سوف يجعله حزبُ الاتحاد والترقي نصْبَ عينيه في الحرب العالمية الأولى ،إلّا أنّ العائق الأرمني وقف في وجه تطبيقها[9].

---

(1) *Taner Akçam, Op.cit, p p. 99- 100.*

(2) نيقولاي هوفهانيسيان، مرجع سابق، ص. 310.

(3) *Raymond Kévorkian, Op. cit, p. 247.*

(4) **الإبادة الكبرى**...مرجع سابق، ص. 07.

(5) *Raymond Kévorkian, Op. cit, p. 247.*

(6) *Ibid, p. 241.*

(7) **الإبادة الكبرى**...مرجع سابق، ص. 07.

(8) *Raymond Kévorkian, Op. cit, p. 249.*

(9) نيقولاي هوفهانيسيان، مرجع سابق، ص. 23.

النزعةُ القومية التركية لم تكنْ سياسيّةً فقط ؛بل كان لها –كذلك – بعْدٌ اقتصاديّ ،حيث رأت جمعيةُ الاتحاد والترقي ضرورةَ تحقيق الاستقلال الاقتصادي ،والتخلّصَ من الاستثمار الأجنبي ،ومِن البرجوازية العثمانية التي كانت تتشكّل أساسًا من الرّوم والأرمن ،وهذا لن يتحقّق إلّا عنْ طريق تأميم الشّركات والأعمال اليونانية والأرمنية ،ووضعها في أيدي رجالِ أعمالٍ أتراك ،هذا سيفسح المجالَ لتكوين برجوازيةٍ قومية تركية في مواجهة الرّأسمال الأوروبي[1] .من أجل إقامة "اقتصاد قومي" ،تمّت دعوةُ المسلمين لمقاطعة التّجار المسيحيين سواء أكانوا أرمن أو رومًا[2]. وفي هذا السّياق ، ما فتئ سفيرُ فرنسا بومبار يلفتُ نظرَ طلعت باشا لما يواجهه المسيحيّون من المقاطعة ،أمّا طلعت باشا أجابه أنّ هذه المقاطعة نابعةٌ من كراهية المسلمين للرّوم لأنّهم يريدون التحرّرَ من الحكم العثماني ،كما أنّ الأتراك لديهم الحقُّ في الاستفادة من الأوضاع السّائدة لتخفيف قبضةِ التجار الروم والأرمن على الاقتصاد[3].

كان لحرب البلقان دورٌ كبيرٌ في تنامي الفكْر القومي التركي ،والذي كان موجّهًا خصوصًا ضدّ القوميات غيرِ التّركية في الإمبراطورية العثمانية ،خاصّة المسيحيين منها ،ويأتي الرومُ والأرمن في الطّليعة ،إلّا أنّ الأرمن كانوا أكثرَ تضرّرًا – كما سنرى في مبحثٍ لاحق – لأنّ الدولةَ العثمانية كانت تخشى أن يتحوّل شرق الأناضول إلى بلقانٍ ثان ،لذلك نجد أنّها عمدت أوّلًا لسياسة التّتريك القسري ،والتي فشلت فيه لأنّ الأرمن أبوْا إلّا أنْ يحافظوا على وجودهم ككيانٍ مستقلّ عن الأتراك ؛لذلك سيلجأ الاتحاديّون إلى الخطوةِ الثانية وهي التخلّصُ من الأرمن، والاستيلاء على ممتلكاتهم في سبيل خلقِ طبقةٍ برجوازية تركية على أنقاض البرجوازية الأرمنية.[4]

المبحثُ الثّاني: موقف الأرمن من مشاركة الدّولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى:

عندما اندلعتِ الحربُ العالمية الأولى في الفاتحِ من أغسطس 1914 ،لم تشارك فيها الدولةُ العثمانية منذ البداية، بالرّغم من موقفها الدّاعم لألمانيا ،والذي تجلّى من خلال الاتّفاقية السرية التي عقدتها معها في إسطنبول في 02 أوت 1914م / 10 رمضان 1332هـ ،هذه الاتفاقية ستكون نقطةَ البداية لدخولها الحرب العالمية

(1) *Raymond Kévorkian, Op. cit, p. 253.*

(2) *Hüseyin Adıgüzel,* ***İttihat ve Terakki Tarihi Yalanlar ve Gerçekler****, Bilgeoguz yayınları, Istanbul, 2018, s .299.*

(3) *Raymond Kévorkian, Op. cit, p. 255.*

(4) نيقولاي هوفهانيسان، مرجع سابق، ص. 93.

الأولى[1]. وقد كانتْ ألمانيا قد وعدتْ فيها الدولة العثمانية بمساعدتها في تحقيق حلم الطورانية ،وتوحيد الشعب التّركي في : الأناضول ،وبلاد فارس ،وما وراء القوقاز ،وروسيا ،وآسيا الوسطى ،في دولةٍ تركية شاملة ذات بنيةٍ مُتجانسة ،ترتكزُ على مفهوم القومية الواحدة والشّعب الواحد[2].

قبلَ دخول الدولة العثمانية في الحرب ،أرادت جسَّ نبْض الأرمن في الأناضول ،فشارك وفدٌ من الاتّحاديين في أعمال اللّجنة المركزية لحزب الطاشناق المنعقد في أرضروم بين حزيران وأغسطس 1914/ 1332 هـ ،إلى جانب زعماء أرمن روسيا ،وزعماء أرمن الولايات الستّ في شرق الأناضول[3]. اقترح الاتحاديّون على الطاشناق عرضًا يتضمّن :عند نشوب الحربِ بين الدّولة العثمانية وروسيا يقوم حزبُ الطاشناق بتحريض الأرمن في أرمينية الروسية للقيام بثورةٍ فيها بهدف تسهيلِ دخول القوات العثمانية ،وفي المقابل سيقوم الاتّحاديون بمكافأة الأرمن لقاءَ صنيعِهم هذا بإقامةِ دولةٍ أرمنية مستقلّة تضمّ أرمينيا الشرقية (الروسية) وأرضروم وفان وبتليس ،إلّا أنّ زعماء الطّاشناق رفضوا هذا الاقتراح ،وأكّدوا التزامَهم الحياد[4]. والملاحَظ أنّ الطاشناقيّين لم يكتفوا برفْضِ مقترح الاتّحاديين، بل دعوهم إلى التزامِ الحيادِ وعدمِ خوضِ غمارِ الحربِ غيرِ المحسوبة العواقب. هذا الموقفُ جعل الاتّحاديين يعتبرونه خيانةً من الجانب الأرمني[5].

يمكن أنْ نعتبر الموقفَ الذي أبداه الأرمنُ تجاه الاتحاديّين خيانة؛ لأنّ تاريخهم حافلٌ بخيانة الجيوش العثمانية خلالَ حروبها مع روسيا، وخيرُ مثالٍ على ذلك كنّا قد تطرّقنا إليه خلال الحرب الروسية العثمانية (1877-1878 م) / (1294/ 1295هـ)، حيث أعلنَ الأرمنُ عن ولائهم المطلق للدولة العثمانية، لكن عندما رجحتِ الكفّةُ لصالح روسيا رأينا كيف مالوا – كلَّ الميل – نحو روسيا.

كما يمكن أنْ لا نعتبرها خيانة ،فطلبُ الاتحاديّين بالقيام بأعمال الشّغب بين أرمن روسيا هو أمرٌ غيرُ منطقي[6]، لأنّ أرمن روسيا لم يكنْ لهم أيّ ولاءٍ اتّجاه الأتراك ؛لأنّ روسيا من النّاحية القانونية تعتبر الوطنَ الأمّ

(1) *Raymond Kévorkian, Op. cit, p. 263.*

(2) **الإبادة الكبرى...** مرجع سابق، ص. 13.

(3) محمد الشناوي، مرجع سابق، ص. 389.

(4) **الإبادة الكبرى**... مرجع سابق، ص ص. 13- 14.

(5) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق، ص. 530.

(6) نعيم الباقي، خليل الموسى، مرجع سابق، ص. 66.

لهم ،كما أنّ الدّولة العثمانية هي الوطنُ الأمّ للأرمن الذين يعيشون فيها ،لذلك لا يمكن إلقاءُ لومِ ولاء الأرمن الروس على الأرمن الأتراك(1).

في نهايةِ المؤتمر اتّخذت اللجنةُ المركزية لحزب الطاشناق القرارَ السّياسي التالي تجاه الحكومة العثمانية:

"المؤتمرُ العامّ لحزب الطاشناق يأخذ بعينِ الاعتبار برنامجَ حكومة الاتحاد والترقي ،وسياستها الظالمة والمتناقضة المتّبعة والمطبّقة من طرفهم ،في المسائل الاقتصادية والاجتماعية والإدارية تجاه العناصر غير المسلمة ،وخصوصًا الأرمن ،واتّباعهم سياسةَ التّضييق والخداع والتّسويف في تطبيق الإصلاحات في المسألة الأرمنية ؛لذلك تقرّر أن يبقَى الطاشناقيون في موقعِ المعارضة ضدّ جماعة الاتحاد والترقي ،وانتقاد سياستهم ومعارضة كلّ تشْكيلاتهم وخططهم بكلّ شدّة"(2).

وبذلك يكون حزبُ الطاشناق ،الذي يعتبر بمثابةِ الممثّل للجالية الأرمنية في الدولة العثمانية ،قد دخل مرحلةً جديدة في علاقته مع الحكومةِ العثمانية ،وبتعبيرٍ أكثرَ دقّة الاتحاديين ،تقومُ على أساس معارضة مشروعاتها فظهرتْ بذلك بوادرُ التّنافر بين الاتجاهين السياسيّيْن مع اندلاع الحرب العالمية الأولى ،وهذا بعد سنواتٍ من التحالف الذي لم يستفدِ الأرمنُ منه شيئًا ؛لأنّهم في الوهلة الأولى اعتقدوا أنّ جمعية الاتحاد والترقي تختلفُ عن نظامِ عبد الحميد الثّاني البائد ،إلّا أنّهم كانوا مخطئين في تقديرهم لأنّ هذه الأخيرة قد قامت بالتضييق عليهم وعلى نشاطاتهم ،فطعمُ الحرية الذي طالما حلموا به وذاقوا حلاوتَه في عهد المشروطية الثانية 1908م/1325 هـ ؛لم يدمْ طويلًا.

بعدَ المؤتمر الثامن لحزب الطاشناق المنعقد في أرضروم ،عُقد اجتماعٌ موسّع يضمّ جميعَ المنظمات الأرمنية، وأعضاء مجلس الأمّة الأرمني ،وأحزاب الهنشاق والطاشناق ،برئاسة مندوب البطريركية الراهب كابرييال جواهرجيان *Kapriel Cevahiriciyan* ،في المدرسة الأرمنية المركزية في غلاطة *Galata* بإسطنبول ،وفي ختام هذا الاجتماع صرّح المجتمعون بضرورةِ البقاء على عهْدِهم مع الدولة العثمانية ،وأنّهم مستمرّون في أداء الخدمة العسكرية ،ولن يتأثّروا بالانقياد وراء سياسات الدول الأجنبية(3).

---

(1) مجموعة مؤلفين، **سلسلة دراسات ووثائق المجازر الأرمنية -1-، مختارات من بعض الكتابات التاريخية حول مجازر الأرمن عام 1915**، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، حلب، سوريا، 1995، ص. 40.

(2) ***Aspirations et Agissements Révolutionnaires …,*** *Op. cit, p. 201.*

(3) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق، ص. 531.

تبقى هذه التصريحاتُ مجرّدَ شعاراتٍ جوفاء اعتادَ الأرمنُ رفعَها بين الحين والآخر كلّما كانت الدولة العثمانية تخوض حروبًا، وذلك ليرفعوا الشّكوكَ عنهم، وكأنّ الدولة العثمانية ليس لها تجارب معهم، حيث كانوا يُظْهرون لها الولاءَ لكنْ في ساعة الحسم ينقلبون على أعقابهم. وهذا ما حدثَ عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى، حيث كانوا قد حَسموا موقفَهم بالقتال إلى جانب روسيا التي طالما اتّبعوا سياساتها دون تقدير لعواقبها، ومِن دون أخذ عِبرٍ من تاريخ تعاملِهم معها، فقد كانت في كلّ مرّةٍ تدير وجهها للأرمن العثمانيّين، وذلك بناءً على مصالحها في الدّولة العثمانية؛ فهي لن تتنازلَ عنها لصالح الأرمن العثمانيين الذين لطالما خشيت من انتشار أفْكارهم الثّورية بين أرمن روسيا، فتصبح بذلك أرمينيا الروسية بؤرةً للتّوتر كذلك. فكان أهمُّ ما قام به الأرمنُ استعدادًا للقتال والحرب إلى جانب روسيا، ما يلي:

- في حالةِ اندلاع الحرب بين روسيا والدولة العثمانية، فإنّ الأرمن في روسيا سوف يسعون للانتقام لأنْفسهم من الأتراك، بسبب سوءِ المعاملة التي عانوا منها منذُ مئات السنين. لذلك قاموا بتجنيد 60 ألفَ أرمنيّ في القوقاز على الحدود الروسية ،كلّ هؤلاء تطوّعوا لقتال الأتراك في حالِ اندلاع الحرب ،وقد ترجّى هؤلاء الحكومةَ الروسية لكي تزوّدهم بالسلاح[1].
- لم يتوقّف الأمرُ على تكوين متطوّعين على الجبهة الروسية ،بل تمّ تكوينُ قوّةٍ في قبرص تقوم بالإنزال في مرسين ،وإذا ما كانت القوةُ كافيةً في بيلان[2] *Beilan* يتمّ احتلالُ بوّابات أضنة ومضيق بيلان[3] ،القوة التي ستتشكّل في قبرص تصلُ لـ 5000 أرمنيّ ،وهناك ستتسلّح على حساب الحلفاء من أجل الإنزالِ على ساحل سورية الشمالي ،وهذه القوّة تتألّف من 1500 أرمنيّ خدموا في الجيش البلغاري أو التركي. أمّا الباقي لديهم خبرةٌ عسكرية قليلة ،وهُم في الأصل عمّالٌ في الولايات المتحدة الأمريكية[4].
- انضمامُ الجنود الأرمن العثمانيّين إلى الجيش الروسي بكلّ عَتادهم عند بدء القتال ،وعند اقتراب الجيش الرّوسي إلى مناطقهم يقومون بانتفاضةٍ في معظم المناطق التي يسكنونها ،وبذلك يضربون الجيشَ العثماني من الخلف ،ويسهّلون المهمّةَ على الجيش الروسي[5].

(1) ***Fo. 371/2146, N. 68443 (November 1914***, *Muammer Demirel, a.g.e, s. 647.*

(2) **بيلان:** يقع بين مدينة حلب وجنوب إسكندرون التركية، محمد فريد بك، مرجع سابق، ص. 11.

(3) ***Fo, 371/ 2485, N. 106769***, *Muammer Demirel, a.g.e, s. 653.*

(4)***FO, 371/2485, N. 115866***. *a.g.e, s. 655.*

(5) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق ، ص. 531.

الخطّةُ التي وضعها الأرمنُ تدلّ على أنّهم كانوا يعلّقون آمالًا كبيرة على انتصار روسيا ودول التحالف الثّلاثي؛ ليتمّ البثُّ في قضيتهم التي كانت على وشك أنْ ترى النورَ مع إصلاحات 1913 م/1331 هـ، لولا قيام الدّولة العثمانية باستغلال ظروفِ الحرب لتتنصّل منها؛ لأن هذه الأخيرةَ كانت على درايةٍ تامّة بأنّ الإصلاحات ستؤدّي – لا محالة – لقيام كيانٍ أرمني في شرق الأناضول تقف وراءه روسيا العدوّ التقليدي للدولة العثمانية.

هذا بالنسبة للأرمن، أمّا بالنّسبة للدولة العثمانية هناك سؤالٌ مُلحّ يطرح نفسَه: ما هي الأسبابُ التي دفعَتْ بها لخوض غمارِ الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا؟

الحربُ سوف تعطي الدولةَ العثمانية فرصةً جديدة لتحقيق عدّةِ أهداف لا يمكن تحقيقُها خلال السلم، وفي مقدّمتها الحماية اللّا مشروطة لألمانيا التي ستوفّر لها مساعدة مالية وعسكرية هامّة ،خاصّة وأنها سوف تعمل على بسْطِ حمايتها الدّبلوماسية للإمبراطورية بعد أن تضع الحربُ أوزارها ؛لأنّ الاتفاقية السرية الموقعة بين الطرفين تلزمُ ألمانيا بضمان السّلامة الترابية للإمبراطورية كذلك في زمن السّلْم(1). كما أنّ أعضاء اللجنة المركزية للاتحاد كانوا يعتقدون أنّ الحرب فرصةٌ لاستعادة أمجادِ الإمبراطورية العثمانية القديمة ،لكن هذه المرّة تحت راية الأيديولوجية القومية التركية(2)، فضلًا عن إعادة بسْط سيطرتها على الأراضي التي خسرتها ،وخاصّة البلقان.

فضلًا عنِ الحماية الدبلوماسية التي يمكن أن تضمنها ألمانيا للدّولة العثمانية، فإنّ حزبَ الاتحاد والترقي كان يأملُ من خلال المشاركة في الحرب تحريرَ الاقتصاد العثماني من الوصاية المالية للقوى الكبرى، هذه الوصايةُ تتجسّد في الامتيازات التي حكمت الاقتصادَ العثماني من القرن 15 م/09 هـ. وفي الأخير ،فإنّ مشاركة الدولة العثمانية في الحرب يمنح لها فرصةً لتطهير منطقة الأناضول من كلّ القوميات غير التركية دون وجودِ أيّ عقبةٍ تحول دونَ ذلك ،فضلًا على ذلك حلّ مسألة الجاليات غير الإسلامية في الإمبراطورية العثمانية لأنّها كانت دائمًا في زمن السّلْم تحت حماية روسيا أو فرنسا أو إنجلترا(3).

---

(1) *Mikaël Nichanian, Op. cit, p. 113.*
(2) *Raymond Kévorkian, Op. cit, p. 263.*
(3) *Mikaël Nichanian, Op.cit, p. 113.*

إذًا ،بعدَ المؤتمر الثامن لحزب الطاشناق ،ورفضِ هذا الأخير إشعالَ الثّورة في القوقاز ؛إلّا أنّهم في المقابل وعَدُوا الدولةَ العثمانية بالإيفاء بالتزاماتهم اتّجاهها ،باعتبارهم مواطنين عثمانيّين ،وذلك سواء عن طريق خدمة الوطنِ في مختلف المجالات ،أو الانخراط في صفوف الجيش كباقي المواطنين[1].

بدأتِ الأحداثُ تأخذ شكلًا متسارعًا ،فدخلت الدولةُ العثمانية الحربَ ضدّ روسيا في أوائل نوفمبر 1914م / ذي الحجة / 1332 هـ ،فتمّ الإعلانُ عن الجهاد في 13 نوفمبر 1914 م/ 25 ذي الحجة / 1332 هـ ، من طرف شيخ الإسلام "خيري أفندي" الذي كان من الاتحاديّين[2]. إذًا، استعمل الاتحاديون سلاحَ الجهاد باعتباره فرضَ عيْنٍ على كافّة المسلمين ضدّ "الكفار"، وذلك في محاولةٍ لإكساب هذه الحرب صبغةً دينية مقدسة، من أجل كسبِ تعاطف المسلمين في جميع أنحاء المعمورة .

شارك الأرمنُ الروس والعثمانيون إلى جانب الجيش الروسي ،حيث بلغ عددُ المجندين من الأرمن الروس 160 ألفًا ،تمّ إرسالُ غالبتهم للقتال على الجبهة الشرقية الأوروبية ضدّ ألمانيا والنمسا / المجر ،أمّا المجندون من الأرمن العثمانيّين فقد بلغ عددُهم 60 ألفًا ،إلّا أنّ بعضَ الكتابات التاريخية العربية أرادت تبرئة ساحتهم بالقول إنّهم لم يشتركوا فعلًا في القتال على جبهة القوقاز ،ولا في غيرها مِن الجبهات إلّا في بداية الحرب ؛لأنّه سرعان ما نزع سلاح كتائبهم المقاتلة ،وحوّلوا إلى "طوابير عمّال" غير مقاتلة ،نتيجة الشكّ في ولائهم[3].

بصرفِ النّظر عن مدى صحّة هذه المقولة، فإنّها في تقديرنا تدلّ دلالةً قاطعة على أنّ الأرمن كانوا على أهْبَة الاستعداد للمشاركة إلى جانبِ الجيش الروسي، وإلّا كيف نفسّر تطوّع 60 ألف أرمني، هل هذا التطوع كان بغرض "النّزهة" مثلًا؟! إذًا، لوْلا أنّ السّلطات العثمانية قد تفطنت لمكيدتهم بعد أنْ فاحت رائحة الخيانة من بعضهم، فقامت بتجريدهم مِن أسلحتهم. إذًا العائقُ الذي حالَ دون مشاركتهم إلى جانب الروس ليس لولائهم، بل نزع سلاحهم وتحويلهم إلى "طوابير عمّال" ،ولكي لا نبخسِ الأرمن حقّهم يمكنُ القول بأنّه لم يقمْ كلّ الأرمن المجنّدين بالالتحاق بالجيش الروسي ،فكثيرٌ منهم بقوا على ولائهم للدّولة العثمانية ،وكانوا على استعدادٍ لبذل دمائهم من أجل البلادِ على الجبهة[4] ،إلّا أنّهم دفعوا ثمنَ جريمةٍ لم يرتكبوها ،ونظرًا للظّروف التي كانت تمرّ بها

(1) *Raymond Kévorkian, Op. cit, p. 263.*
(2) *Mikaël Nichanian, Op. cit, p p. 113- 114.*
(3) فؤاد حسن حافظ، **تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتى اليوم**، القاهرة، 1986، ص. 301.
(4) تورك قايا أتا أوف، **ماذا حدث للأرمن في الدولة العثمانية؟** ، ترجمة درويش عبد الهادي، الطبعة الأولى، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2009، ص. 36.

الدولةُ العثمانية لم يكنْ بوسعها التحقيقُ في هذه الأحداث ،فقامتْ بتعميم أحكامها على كافّة الأرمن بدون استثناء ،وهذا لا يعني أنّها كانت محقّةً في التّدابير التي اتّخذتها ،نفسح المجال للتّاريخ ليحكم عليها.

أولى العملياتِ العسكرية التي مِن المزمَع أن تقوم بها الدولةُ العثمانية في إطار مشاركتها في الحرب العالمية الأولى إلى جانبِ ألمانيا ،هو فتحُ جبهةٍ للقتال في القوقاز ،فوصلَ أنور باشا وزير الحربية العثمانية إلى مركز القياداتِ العليا للجيش العثماني الثّالث في أرضروم ،بهدف تجهيزِ عمليةٍ عسكرية واسعة ضدّ القوقاز[1]. الهدفُ الذي توخّاه الاتحاديون مِن ذلك هو فتحُ الطّريق إلى تفليس وباكو ،والاتصال بالشعوب الإسلامية هناك ليثوروا ويتّحدوا مع الدولة العثمانية[2] ،بالإضافةِ إلى فتح آسيا الوسطى والاتّصال بالأقوام التركية ؛مما يسمح لهم بتحقيقِ حلمهم المنشود في تأسيس إمبراطورية تركية[3].

أوّلُ عملية وقعتْ على الحدودِ الروسية العثمانية كانت في 11 نوفمبر 1914 م / 23 ذي الحجة 1332 هـ ،حيث قامت القواتُ الرّوسية بالزحف على الأناضولِ الشّرقي مباشرة بعد إعلان الدولة العثمانية دخولها الحرب ،فاحتلّت منطقة بايزيد[4] ،ديادين، وقره كيليسه[5]. وقد تمكّنت القواتُ العثمانية من صدّ الهجوم الروسي وردّه على أعقابه ،وفي 21 ديسمبر 1914م / 4 محرم 1333 هـ ،تولّى أنور باشا قيادة الجيش الثالث في هجوم مضادّ استهدفَ قطعَ مواصلات الجيش الروسي بين القوقاز وقاعدتهم الرّئيسية في قارص ،واحتلالها مع أردهان وباطوم من أجل غزْو القوقاز[6] ،إلّا أنّ هذا الأخيرَ مُنيَ بهزيمةٍ فادحة في صاريكاميش ،فالجنود الذين نجوا من الطّقس البارد لم ينْجوا من مخالبِ الجيش الروسي ،ولم ينجُ من هذه الكارثة سوى 20.000 جنديّ. وهذا

(1) الإبادة الكبرى... ، مرجع سابق، ص. 15.

(2) نفسه ، ص. 15.

(3) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق، ص. 537.

(4) **بايزيد:** يشكل شرق ولاية أرضروم وهو يقع على ربوة مرتفعة قرب حدود روسيا وإيران؛ لهذا فهو يحتلّ موقعًا مهمًا ويتكوّن من عدّة أقضية وهي: ديادين، قرة كليسه، الشكرد. أنظر، أحمد الشرقاوي وآخرون، جغرافية الممالك، مرجع سابق، ص ص. 136-137.

(5) جنستن مكارثي، مرجع سابق، ص. 193.

(6) محمد الشناوي، مرجع سابق، ص. 390.

الانهزام إنْ دلّ على شيء فإنّه يدلّ على نقصٍ كبير في استراتيجية أنور باشا الذي كان وزيرَ الحرب الوحيد الحاضر على جبهاتِ القتال ،ولم يكنْ لينجو من الأسر لوْلا شجاعة ضابط أرمني(1).

لم تسفرْ هذه العمليةُ العسكرية عنْ هزيمة الجيش الثالث العثماني فحسب، بل أدّت كذلك لهروب بعض الجنودِ الأرمن من الجيش العثماني، فضلًا عن قيام كتيبتين من المتطوّعين الأرمن بدخول المعركة إلى جانب القوات الرّوسية. عملياتُ الهروب هذه تركت آثارًا عميقة على هيئة الأركان العامّة العثمانية، مما أدّى إلى ترسيخ شعور عدم الثّقة في الجنود الأرمن. ظاهرةُ هروب الجنود إلى الجيش المعادي كانت ظاهرةً مُنتشرة في كلّ الجيوش ،وتقف وراءها أسبابٌ مختلفة ،لعلّ أهمَّها الظروفُ المعيشية المزرية للجنود مثل نقص الغذاء والمعدات(2). إلّا أنّه بالنسبة للاتّحاديين هذه الظاهرة ستدعوهم لمراجعةِ حساباتهم مع الجنود الأرمن في الجيش العثماني، ومع الجالية الأرمنية ككلّ، فانتشرت بينهم مشاعرُ انتقامية.

المطلبُ الثّالث: التّشكيلاتُ المخصوصة، وبدايةُ الإجراءات الانتقامية اتجاه الأرمن:

التّشكيلاتُ المخصوصة هو جهازٌ عثماني سريّ شبه رسمي ،مرّ بعدّة مراحل في تشكيله ،وفي الأدوار التي قامَ بها ،وبالتّالي اختلفتِ النّظرة تجاهه ،وتباينتْ وجهاتُ النّظر في الحكم عليه وفقًا لأيديولوجية الكتاب ،ففي المراجعِ الأكاديمية التي تتوخّى الموضوعيّة والدقّة ،نجد تعريفها للتّشكيلات المخصوصة بأنّها :جهازٌ سرّي عثماني شبه رسمي، جرى تشكيلُه عقب حادثِ اقتحام الباب العالي ،ثم أُنيطت مسئوليتُه مباشرة بناظر الحربية آنذاك أنور باشا ،وعقب حرب البلقان ووقوفِ الجيش العثماني مكتوفَ الأيدي تطبيقًا للمعاهدة قام جهازُ التشكيلات المخصوصة بالاستيلاء على تراقيا الغربية ،وتشكيل حكومةٍ فيها ،ثمّ اندلعت الحربُ العالمية الأولى فقام جهاز التّشكيلات بدعمٍ ومساندة الحركاتِ الوطنية وزعمائها في مستعمرات الدّولة المتحالفة ،سواء في القوقاز أو شمال أفريقيا ،ودعا شعوبَ العالم الإسلامي إلى الثورة ضدّ الإنجليز والروس والفرنسيّين والإيطاليّين ،كما قام بتنظيم حركاتٍ ضدّ جيوش الاحتلال في الهند وإيران وأفغانستان ،والعراق وسيناء ،لكنّ معظمَ تحرّكاته باءت بالفشل فجرى فكُّ الجهاز في نهاية الحرب العالمية الأولى ،واستبدله الاتحاديّون في برلين بجهازٍ آخر قاد بعضَ فرق المقاومة ضدّ الاحتلال الأجنبي للأناضول(3).

(1) *Mikaël Nichanian, Op. cit, p p. 118 – 119.*

(2) *Raymond Kévorkian, Op. cit, p. 279.*

(3) صالح سعداوي ،**مصطلحات التاريخ العثماني**، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، جـ 1، 2016م ، ص ص 381-382.

أمّا في المراجع الأرمنية أو المتعاطفة مع الأرمن، نجد تعريفَ التّشكيلات المخصوصة، أو الخاصة، بأنّها عبارة عن "فرق عسكرية تركية تتشكّل أساسًا من مجرمين متعطّشين للدّماء، تمّ إخلاءُ سبيلهم من السّجون"، "بالإضافة إلى العديدِ من الخارجين عن القانون، ويتراوح عددُ التّشكيلات الخاصّة بين 8.000 و 10.000 " [1].

تأسيس هذه الفرقِ العسكرية ليس وليدَ الحرب العالمية الأولى، وإنما تعودُ جذورها إلى حرب البلقان (1912-1913)، فالهزيمة التي مُنيَت بها الدولةُ العثمانية في الحرب سالفة الذّكر، نتجَ عنها حدوثُ تغييرٍ جذريّ في الاتحاد والترقي، دفع إلى إنشاءِ التّشكيلات المخصوصة، والتي تكون على أتمّ الجاهزية في حالة اندلاع أيّ حرب، عن طريق زعزعة استقرار مؤخّرة أيّ جيشٍ بواسطة تنظيم شبكةٍ من الجواسيس خلف خطوط العدو، ومكافحة الحركات الانفصالية[2].

كانت التّشكيلاتُ المخصوصة في البداية تتشكّل من الأتراك فقط ،مهمّتها هو القيام بمكافحة عسكرية مضادّة للتجسّس ،كما كانت تقومُ بمضايقة أعداء الدّاخل[3] ، لكن في المرحلة الثّانية عند اندلاع الحرب العالمية الأولى ،ونتيجةً لقيام الأرمن بتشكيل فرق للمتطوّعين تعمل لصالح الجيش الروسي ،قام العثمانيون بدورهم بإنشاء فرقٍ من المتطوّعين المسلمين ،سواء داخلَ أراضيها على الحدود الروسية أو حتى في الأراضي الروسية بين مسلمي القوقاز هناك[4]. هذه الفرقُ كانت تقوم بتنفيذِ عمليات وراءَ خطوط العدو متجاوزةً حدود الإمبراطورية ،حيث عملتْ على وجه الخصوص على إشعال نار التمرّد بين السّكان المسلمين والسكان الناطقين باللغة التركية في القوقاز، لكنْ بعد ذلك اقتصرَ نشاطُها على تصفية أو ترحيل مَن يراهم الاتحاديون يشكّلون خطرًا على الأمن الداخلي[5]. بصفةٍ عامّة كانت تقوم بـ "إجراء جميع التّحضيرات المناسبة لبدء ثورةٍ عامّة وسط شعوب القوقاز ،وأنّ واجبهم هو مساعدة الإمبراطورية العثمانية في الحرب ضدّ روسيا ،والعمل على قطع خطوط الاتّصال العسكرية الروسية وعرقلة النّقل ،والحصول على كلّ المعلوماتِ الممكنة حولَ القطعات الروسية وتحركاتها ،ومساعدة الجيش العثماني في تدمير القوات الروسية"[6].

---

(1) هايكازن غازاريان، **وثائق تاريخية عن المجازر الأرمنية عام 1915**، ترجمة نزار خليلي ، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، 1995، ص ص. 37- 38- 39.

(2) *Raymond Kévorkian, Op. cit, p. 281.*

(3) *Hüseyin Adıgüzel, a, g, e, s .245.*

(4) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق، ص. 535.

(5) *Raymond Kévorkian, Op. cit, p. 284.*

(6) *Stanford J. Shaw, Op. cit, Vol, I, p. 334.*

أعطى المؤرّخُ الأرمني ريموند أهمَّ التّغييرات التي طرأت على التّشكيلات المخصوصة ،في طبعتها الثانية، أي المشكلة عندَ اندلا ع الحرب العالمية الأولى ،والمتمثّلة في قيامها بتجنيد المتّهمين الذين تمّ الإفراجُ عنهم من السجون التّركية على نطاقٍ واسع ، وهذا بناءً على الأوامر بإلحاق المدانين في التّشكيلات المخصوصة[1]. معظم هؤلاء المدانين الذين تمّ الإفراجُ عنهم هُم من القتلة ،وقد شاركتِ الإداراتُ الصحية والجيش والدّرك والقضاة في الإفراج عن هؤلاء المدانين[2].

لم تبقَ التشكيلاتُ المخصوصة تحمل الاسمَ الأوّل ،حيث تمّ تغييرُ التّسمية بعد مدّة قصيرة من إنشائها إلى "الجبهة الثّورية القوقازية" ،يبدو من خلال هذه التّسمية أنّ نشاطها في البداية كان مركزًا على جبهة القوقاز، أي ضدّ روسيا ،وكذلك للاتصال بالشّعوب التركية المتواجدة هناك ،وكان مقرُّها العامّ في أرضروم ،ولها فرعان في طرابزون وفان ،كما قامت بإنشاءِ فروعٍ ثانوية تابعة لها في جميع المناطقِ الواقعة على التخوم مع روسيا وإيران[3].وقد ترأسَ هذا التنظيمَ الدكتور بهاء الدين شاكر ،بالإضافة إلى الدكتور ناظم[4]. فكانت بمثابة هيئةٍ مستقلّة غير رسمية ،لها أمانتها الخاصّة ،ومفتّشوها ،فهي بمثابة "حكومة داخل حكومة ،وحزب داخل حزب"[5].

بعدَ هزيمة الدولةِ العثمانية في معركة ساريكاميش ،تراجع دورُ التّشكيلات المخصوصة، وفي المقابل لعبوا دورًا كبيرًا ،أو بتعبير آخر تورّطوا في عملية ترحيلِ الأرمن ،وذلك راجعٌ لعدم كفاية رجال الدّرك [6]. لذلك تمّ

---

(1) *Raymond Kévorkian, Op. cit, p. 285.*

(2) *Ibid, p. 286.*

(3) *Stanford J. Shaw, Op. cit, Vol. I, p. 431.*

(4) **الدكتور بهاء الدين شاكر والدكتور ناظم:** كان هذان الطّبيبان، هما المسيطريْن على القيادة العليا لحزب الاتحاد والتّرقي، وساعدَا في التّخطيط لإنهاء حُكم السلطان عبد الحميد الثاني، ووصلَا إلى مراكز مهمّة في حكومة الاتحاد والترقي، فقد وصل الدكتور ناظم إلى منصبِ وزير التربية، وبعد الثورةِ الكمالية عمل كرئيسِ الأطباء في مستشفى سالونيك الحكومي. أمّا الدكتور شاكر باشا فقد كان أستاذًا للطّب البشري في كلية إسطنبول الطبية، بعد نهاية حرب العالمية الأولى، هربَ هذا الدكتور إلى ألمانيا بمساعدة باخرة ألمانية عسكرية مع بقية الزعماء الاتحاد خلال عام 1918م، وفي المحاكمة أدين وحكم عليه بالموت من قبل المحكمة العسكرية التركية غيابيا، وبعد فترة رجع إلى تركيا، بعد حصوله على تطمينات الزعماء الجدد، لكن محكمة الاستقلال في أنقرة حكمت عليه بالموت شنقا، ونفذا الحكم في 21 أوت 1926، بعد محاولته الإطاحة بنظام مصطفى كمال أتاتورك، وإعادة ا السلطة للاتحاديين، أما الدكتور بهاء الدين الذي كان قائدا للتشكيلات المخصوصة، تمت محاكته غيابيا إذ كان في برلين تحت اسم مستعار هو الدكتور "محمد" "ألب". وحكم عليه بالموت في 13 كانون الثاني عام 1920، لكنه اغتيل في 17 نيسان عام1922 من قبل أحد عناصر الكومندوس الأرمنية. تقنية حنة منصور، مرجع سابق، ص ص. 204-205-206.

(5) هايكازن غازاريان، مرجع سابق، ص. 41.

(6) *Raymond Kévorkian, Op. cit, p. 288.*

اتّهامُهم بارتكاب الإبادةِ في حقّ الأرمن الذين هجروا من أراضيهم خلال الحرب العالمية الأولى ،"لقد فعل هؤلاء كلَّ ما يمكنهم من المساوئ والجرائم التي تبقى وصمةَ عارٍ في جبين تركيا ،زدْ عليها بحرَ الدّم الذي أغرقوا الأرمن فيه ،مما لا يمحى مدى التاريخ"[1].

بعدَ الهزيمة التي مُنِي بها الأتراكُ على جبهة القوقاز، ألقوا بكلّ هذه الهزائم على عاتق الأرمن، وصبّوا عليهم جامَ غضبهم؛ لأنّهم حسب الاتحاديين قد خانوا الدولةَ العثمانية، وعصوها، وثاروا عليها. وبناءً على هذا عقدتْ قيادةُ الاتحاد والترقي لقاءً سريًّا في شهر فبراير 1915م / 1333هـ ،ضمّ كبار المسئولين العثمانيّين برئاسة طلعت باشا وبحضور أنور باشا وبهاء الدين وغيرهم ،خلال هذا اللقاء اتّهموا الأرمنَ بالوقوف وراءَ هزائمهم ،لذلك تمّ تبني قرارُ إبادة الأرمن بالإجماع[2] ،وقد تمّ تنفيذُ هذا المخطط في ثلاثِ مراحل أساسية وهذا حسب الأرمن:

المرحلةُ الأولى: هي إلقاءُ القبضِ على زعماء الأرمن وكبار مفكّريهم في إسطنبول في 24 أفريل 1915م/ 10 جمادى الآخرة 1333هـ.

المرحلةُ الثّانية: هي نزعُ السّلاح من الأرمن.

المرحلةُ الثّالثة :هي التّهجيرُ القسري للأرمن نحو ولاية سورية العثمانية[3].

بالنّسبة للمرحلة الأولى ،وهي إلقاءُ القبض على زعماء الأرمن وكبار مفكّريهم ،أو بتعبير آخر النخبة الأرمنية في إسطنبول ،هذه الاعتقالاتُ وقعت ليلة 25/24 أفريل 1915م/ جمادى الآخرة 1333 هـ ،وقد مسّت – حسب المؤرّخ الأرمني ريمون كيفوركيان– كافة النّشطاء السياسيّين من أحزاب الطاشناق والهنشاق، بالإضافةِ إلى أبرز الصّحفيّين الأرمن ،فضلًا عن الكتّاب والمحامين والأطباء ومديري المدارس ،ولم يترك حرًّا سوى الزّعيمين الأرمنيّين نائبَا مجلس المبعوثان زهراب وسيريدجيوليان[4] ،ولم يسلم من هذه الاعتقالات الموسيقيّون والحرفيّون ،والطلّاب والعمّال ،وكان هذا الإجراءُ بدايةً لما عرف في الدّراسات التاريخية العربية أو الغربية بـ "الإبادة

(1) هايكازن غازازيان، مرجع سابق، ص. 38.

(2) نيقولاي هوفهانيسيان، مرجع سابق، ص. 155.

(3) فؤاد حسن حافظ، مرجع سابق، ص. 305.

(4) *Raymond Kévorkian, Op. cit, p. 316.*

الأرمنية" ،و"بذلك حُرم الشّعبُ من مثقّفيه وقادته"[1]. وقد وصفَ فؤاد حسن حافظ وضْعَ الأرمن بعد هذه العملية التي طالت النّخبة الأرمنية بقوله "حتّى يصير الشّعبُ الأرمني جسدًا بلا رأس"[2].

تمّ اقتيادُ بعض الموقوفين بعيدًا عن منازلهم ليلًا ليتمّ الحكمُ عليهم بالموت ،وآخرون تمّ نفيُهم ثمّ قتلهم في الأشْهر اللاحقة ،بعد أن نظّمت لهم محاكمات ،ولفّقت لهم تهمةُ الخيانة ،وانتهت بشنْقِ بعض أعضاء حزب الهنشاق[3] .هذه الممارساتُ التي واجهتها النّخبةُ الأرمنية من طرفِ الاتحاد والترقي ،يمكن أن نصنّفها في خانة الإجراءاتِ الانتقامية اتّجاه الأرمن ،خاصّة بعد موقف حزب الطاشناق من دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى. فبالرغم من أنّ الأرمن قد جنّدوا في الجيش العثماني، إلّا أنّ هذا لم يشفعْ لهم، فاتّهموا بالخيانة بعد أن قام بعضُ الجنود الأرمن بالفرار والالتحاق بالجيش الروسي. لم تكنْ ظاهرة التحاق الأرمن بالجيش الروسي مقتصرةً عليهم ،بل طالت آلاف الأكراد الذين التحقوا بدوْرهم بالقواتِ الرّوسية ،والآلاف من اليهود الذين كانوا ضمن القوات البريطانية عام 1915م/ 1333هـ في الدردنيل[4].

أمّا المرحلة الثّانية من المخطط ،فتتمثّل في تجريد الجنودِ الأرمن من أسلحتهم ،وكذلك الجندرمة الأرمنية، وشكّل منهم فرقًا من (500-1000) أسندت لبعضهم مهمّةُ تنظيف المدن ،والبعض الآخر أصبحوا حمّالين في صفوفِ الجيش العثماني ،حيث كانوا يحملون العتادَ والذّخيرة والمؤن على ظهورهم ،إلى غايةِ هذه اللحظة لم يكن الأرمنُ يعلمون المصيرَ الذي ينتظرهم ،رغم أنّ هذا الإجراء قد خلقَ في أنفسهم مشاعر الريبة[5] .والملاحظ أنّ عمليةَ نزع السّلاح لم تقتصرْ على الجنود فقط ؛بل امتدّت لتشملَ السكان الذين طلب منهم تسليمُ أسلحتهم ، الإدارةُ العثمانية لم تكتف بذلك ،بل قامت باعتقالُ الوجهاء ، وتعذيبُهم "بحجّة الرغبة في انتزاع اعترافات منهم، ومن ثمّ كانوا يختفون"[6].

في تقديرنا، هذا الإجراءُ الذي اتّخذته حكومةُ الاتحاد والترقي قد يكون نابعًا من رغبتها في الاستفادة من الأسْلحة الموجودة لدى الأرمن، فاللّجانُ الأرمنية قد عملتْ على تسليح الشعب الأرمني من جهة، وتخزين

(1) صالح زهر الدين، **سياسة الحكومة العثمانية في أرمينيا الغربية وموقف القوى الدولية منها**، بيروت 1996، ص. 305.

(2) فؤاد حسن حافظ، مرجع سابق، ص. 305.

(3) **الإبادة الكبرى** ... مرجع سابق، ص. 18.

(4) نقية حنة منصور، مرجع سابق، ص. ص. 188.

(5) نفسه ، ص. 193.

(6) صالح زهر الدين، مرجع سابق، ص. 88.

السّلاح، خاصّة خلال السّنوات التي تلت إعلانَ المشروطية؛ حيث نعموا بجوٍّ من الحرية استغلوه في تسليح أنفسهم. كما أنّ السّبب يعود لوجودِ شكوك عثمانية جديّة حول انهماكِ الأرمن في الإعداد لتمرّد ،حتى أنّ الأرمن راودَهم شعورٌ بوجود مؤامرةٍ تُحاك في الخفاء ضدّهم[1].

المطلبُ الرّابع: إشعالُ فتيل الثورات " ثورة فان" 1915 م:

شهد دخولُ الدولة العثمانية للحرب العالمية الأولى عدّةَ تطوّرات خاصّة على جبهة القوقاز، فأوّلُ احتكاكٍ لها مع الجيوش الروسية أسفرَ عن هزيمتها، هذا الوضعُ شكّل فرصةً ملائمة للأرمن الذين كانوا على ثقة تامّةٍ أنّ روسيا ستحتلّ شرق الأناضول سريعًا، وربما إسطنبول؛ لذا كلّ مَن رأى هزيمة الجيش العثماني اعتبرها فرصةَ الأرمن الوحيدةَ في الاستقلال، ولا يمكن تحقيقُ هذا الهدف إلّا بالتّحالفِ مع روسيا.

هذا الخيارُ الذي اختاره الأرمن ،كان فيه جانبٌ كبير من العقلانية ؛لأنّه كان من المتوقّع بالنسبة لهم أنْ تُهزَم القواتُ العثمانية أمامَ جحافل الجيش الروسي .بصرف النّظر عمّا وعدتْ به حكومةُ الاتحاد والترقي الأرمن مِن استقلالٍ مِن المستحيل أن يتحقّق ؛لأنّ النصرَ لن يكون حليفَ العثمانيين ،فروسيا وحدَها مَن يمكنها البتُّ في القضية الأرمنية[2].

لما بدا واضحًا أنّ القواتِ الروسيةَ سوف تزحف على شرق الأناضول ،بدأ الأرمنُ يعدّون العدّةَ للتمرد تمهيدًا لاستقبال المخلّص ،لكنّ هذه التمرّدات أو الثورات ستكون لها تداعياتٌ جديّة على القرارات التي ستّتخذها الحكومةُ العثمانية تجاه الأرمن ،والمتمثّلة خصوصًا في التّهجير القسري المؤقت للأرمن ،حيث لم يكونوا محلّ ثقةِ الاتّحاديين الذين كانوا يتوجّسون قيامَهم بثورة بين لحظةٍ وأخرى[3].

يعتبر "تمرّد فان" من الحجج التي اعتمدتْ عليها الدولةُ العثمانية في صياغة سياستها تجاه الجالية الأرمنية ككلّ، سواء أكانت على ولائها القديم للعثمانيين أو من المعارضين، وبصرف النّظر عمّا إذا كانت الدولةُ العثمانية محقّةً في ذلك أم لا، فنحن لسنا هنا بصددِ محاكمتها، فالزمنُ كفيلٌ بإماطة اللّثام على عدّة حقائق ستغير الأحكامَ

(1) تورك قايا أتا أوف، مرجع سابق، ص. 36

(2) جاستن مكارثي وآخرون، مرجع سابق، ص. 239.

(3) تورك قابا أتا أوف، مرجع سابق، ص. 36.

سواء بالسّلب أو بالإيجاب. اختلفتِ الرّواياتُ حول تمرّد فان، إلّا أنّنا سنكتفي بسرديّتين أساسيّتيْن: السّردية الأولى بطبيعةِ الحال هي أرمنية، أمّا السرديةُ الثّانية فهي عثمانية.

السّرديةُ الأولى تبنّاها – بطبيعة الحال– الأرمن ،بالإضافةِ إلى بعض الكتابات التاريخية العربية(1)، وتقوم هذه الأخيرةُ على تفنيذ المزاعم التركية التي اتّهمت الأرمنَ بالخيانة العظمى للإمبراطورية العثمانية ،وذلك من خلال "الثّورة في فان" ،وقد اعتبر هذا التمرّد – من وجهة النظر العثمانية الرسمية – الحجّةَ الثّانية التي دفعت الاتحاد والترقي لتبنّي قرارِ تهجير الأرمن. أمّا حجّتهم الثّالثة تتمثّل في اتّهامِ الأرمن برفض دفْع الأرمن الرّوس للثورة ضدّ روسيا بالخيانة(2).

حسبَ الروايةِ الأرمنية بدأت إرهاصاتُ قرب وقوع الأحداثٍ في فان، عندما تمّ طردُ المبشرين الفرنسيين من المدينة في 21 نوفمبر 1914 م / 1333 هـ، أمّا الإرسالياتُ التّبشيرية الأمريكية فقد واصلت عملَها بالمدينة، لربما ذلك راجعٌ إلى أنّ فرنسا كانت ضمنَ دول التّحالف الثلاثي الذين يحاربون ألمانيا، أمّا أمريكا كانت لا تزال دولةً محايدة لم تدخلْ غمارَ الحرب بعد. وفي نفسِ الإطار نجَمَ عن العمليات العسكرية الأولى وصولُ لاجئين أرمن هاربين ،إمّا من ضراوة الحربِ أو من ممارسات التّشكيلات المخصوصة في القرى الأرمنية ،لقد كان حزبُ الطاشناق على وعيٍ تامّ بالعمليات التي كانت تقومُ بها التشكيلاتُ المخصوصة(3) ،إلّا أنّ هذا الحزب "أظهر تعقّلًا ورزانة عظيمتيْن ،فضبطوا أنفسَهم بكلّ فطنة... ونظّموا فرقًا من الحرّاس تطوف الشوارع ،لتمنع وقوعَ المشاكل والمناوشات بين الطّرفين ،وأصدروا أوامرَهم لأهل القرى أن يتحمّلوا كلَّ شيء بصبرٍ وسكون ،وقالوا لهم خيرٌ لنا أن نتحمّل نهبَ قرية أو اثنتين أو حرقهما ،مِن أن نقومَ بأدنى مظاهرةٍ تبرر قيامَ الطّرف الآخر بمذبحة عامّة كما جرى قبلًا"(4).

---

(1) من أهمّ الدراسات العربية التي تطرّقت "لثورة فان"، نذكر فائز الغصين في كتابه المذابح في أرمينيا شاهد عيان، عثمان الترك، صفحات من تاريخ الأمة التركية، محمد رفعت الإمام، القضية الأرمنية في الدولة العثمانية. سمير عريش، أرمينيا أرض وشعب.

(2) نيقولاي هوفهانيسيان، مرجع سابق، ص. 145.

(3) *Raymond Kévorkian, Op. cit, p. 287.*

(4) **الهدى** ، فاجعة الأرمن في فان ، بقلم سيدة نجت من الاضطهاد بكيفية عجيبة، ع 18، الجمعة 04 مايو 1917، ص ص. 208–210، الإسكندرية، الإبادة الكبرى ...، مرجع سابق، ص. 372.

الأحداثُ الفعليّة بدأت عندما طلبَ الوالي "تحسين بك" من الأهالي الأرمن ثلاثة آلاف شابّ لتجنيدهم[1]، وفي نفس السياق رأى المؤرخُ الأرمني "ريمون كيفوركيان" أنّ التّعبئة في فان قد وقعت مبكّرًا ،حيث تمّ قيادةُ جميع الرّجال إلى ثكنات المدينة ،وفي انتظار فرز الذين كانوا في سنّ التّجنيد ،لاذَ البعضُ بالفرار فطاردتهم السّلطات ،وفي أثناء ذلك بدأ الجيشُ بمصادرةِ العربات والحيوانات من القرى المجاورة. ونتيجةً لهذه التعبئة العشوائية التي طالت جميعَ أفراد المجتمع الأرمني دونَ تمييز ،وجد الأرمنُ أنفسهم في مُعضلةٍ حقيقيّة .فتجنيدُ الفلاحين على حسابِ العمل في الحقول أدّى إلى ارتفاعٍ كبيرٍ في ثمن الخبز ،فاقترحت الأبرشية[2] على السّلطات المحلية أن يأخذ الفلاحُ إجازةً لإتمام عملية الحصاد ،ويأخذ المدرّسون إجازةً لإتمام الدراسة ،كما أدّى تجنيدُ الرجال للخدمة في الجيش[3] لمشاكلَ أمنيةٍ خطيرة ،فالقرى أصبحت دونَ حماية[4].

الطّلبُ الذي تقدّم به الوالي أدّى إلى حدوث مصادماتٍ بين الأتراك والأرمن في منطقة شازاخ التابعة لفان ،والذي فاقمَ الوضعَ هو اغتيالُ الزعيم أشخان الذي أرسله الوالي للمصالحة في 16 أفريل 1915م/ 2 جمادى الآخرة 1333هـ ،ثمّ قام هذا الأخيرُ بإلقاء القبض على النّائب الأرمني أرشاك فراميان وإرساله إلى العاصمة[5].

بدأتِ الأحداثُ بالتّسارع ،ففي 20 أفريل 1915/ 6 جمادى الآخرة 1333 هـ ،حاول بعضُ الجنود الأتراك اختطافَ بعض النّسوة الأرمنيات أثناء ذهابهنّ للمدينة بغرض التسوق ،ولما حاول أرمنيّان معرفةَ سبب اعتدائهم على النّسوة تمّ قتلهما [6] ،ثمّ بدأتِ القواتُ العثمانية تطلق النارَ على الأرمن طوال ذلك اليوم ،أمّا

(1) فؤاد حسن حافظ ، مرجع سابق، ص. 308.

(2) **الأبرشية:** هي أصغر وحدة في النظام الكنسي، يرأسها الأسقف.

(3) الخدمة العسكرية في الدولة العثمانية في شهر أكتوبر من العام 1908، حضرت وزارة الحرب قانونًا جديدًا للتّجنيد الإلزاميّ لجميع الرعايا ممن تتراوح أعمارهم بين 20–45 سنة دون تمييزٍ ديني، وفي 12 يوليو من سنة 1909، وافق البرلمان على مسوّدة القانون الداعية إلى إلغاء ضريبة الإعفاء من الخدمة العسكرية، وقد دخل القانون المذكور حيز التنفيذ في السنة نفسها، جاستن ماكارتي وآخرون، مرجع سابق ، ص. 246.

(4) *Raymond Kévorkian, Op. cit, p.286.*

(5) فؤاد حسن حافظ، مرجع سابق، ص. 309.

(6) الهدى، مقال سابق، ص ص. 382– 383.

الأرمنُ تجمعوا بقيادة آدام مانوكيان في حيّ واحدٍ هو "حيّ المسور" ،وظلّوا يقاومون بالرغم من قلّة أسلحتهم ،إلّا أنّهم صمدوا في وجْه القوّات العثمانية ،إلى أنْ دخلت القواتُ الرّوسية فان في 19 ماي 1915[1].

إذًا ،من خلال الرّواية الأرمنية ،فإنها تلقي اللّومَ على العثمانيين الذين كانوا يعملون على استفزاز الأرمن الذين حكّموا العقل ،فهذه الثورةُ كانت من اصْطناع الاتحاد والترقي ،وهذا ما أكّده "فؤاد حسن حافظ" عندما ذكرَ أنّ الأرمن العثمانيّين لم يقوموا بثورةٍ في فان في شهر أفريل 1915 ،بل إنّهم كانوا يدافعون عن أنفسهم من هجماتِ القوّات العثمانية ،وظلّوا يواصلون الدفاعَ حتّى أنجدتهم القواتُ الرّوسية التي دخلت فان في يوم 19 ماي 1915 م / 05 رجب 1333 هـ.[2].

أمّا الروايةُ العثمانية فتذكرُ أنّ الأرمن في فان لما كانت القواتُ الروسية بصدد اجتياز الحدود العثمانية تأكّدوا أنّ الفرصة التي طالما انتظروها منذُ وقتٍ طويل قد أصبحت حقيقةً ماثلة أمام أعينهم ،فبدؤوا بالقيام بأعمالٍ ثورية مطبّقين خططًا تمّ تحضيرُها منذ مدّةٍ طويلة ،حيث قاموا بنصْبِ الكمائن ،وقطعوا خطوطَ الاتصال، وهاجموا المسافرين والقرى المسلمة التي كانت دونَ حماية ،كما قاموا بمهاجمةِ القوافل التي تحمّل المؤن العسكرية ونهبها[3] ،فضلًا عن ذلك ازدادَ عددُ الأرمن الفارّين من الخدمة العسكرية وازداد معها نشاط العصابات التي كانت تتعاونُ مع الروس ،متّبعين خططًا في غاية الإحْكام ،وذلك تجلّى في طبيعة هجماتهم التي كانت تستعمل أسلحةً وذخائرَ وقنابل خبئت في أماكنَ سريّة ،ثمّ استخدمت ضدّ وحداتِ الجيش العثماني ومراكز الدرك ،أحرقت القرى والبلدات الأساسية ،عند تقاطع الطّرقاتِ الكبرى ونقاط الدّفاع الطبيعية ،ودمّرت الجسور والتحصينات[4].

في المرحلةِ الأولى ،اجتاح التمردُ مناطقَ ريف فان بكاملها ،ما عدا مدينة فان التي كانت هادئة نسبيًّا ،إلّا أنّ هذه الحالة ما كانت لتدومَ لأنّ الحماية في المدينة كانت ضعيفةً نظرًا لوجود قسمٍ من الوحدات العسكرية في مواقعَ دفاعية في الشمال أو الشرق ،وقسم آخر يقاتل المتمردين[5]. وقد فرّ المسلمون والأرمن من المقاطعات المختلطة في المدينة إلى مقاطعاتٍ غير مختلطة ،وقام الأرمنُ بحفر الخنادق وبناء التّحصينات حول المقاطعات الأرمنية ،حتّى العثمانيّون قاموا بإنشاءِ مراكز مراقبة ،وأرسلوا دورياتٍ على خطوط التّماس بين الأحياء الأرمنية

(1) فؤاد حسن حافظ، مرجع سابق، ص. 309.

(2) نفسه، ص. 309.

(3) ***Aspiration et Agissement révolutionnaires …***, *Op. cit, p. 386.*

(4) جاستن ماكارثي، مرجع سابق، ص. 253.

(5) نفسه ، ص. 260.

والمسلمة ،ثمّ اجتمعتِ الأحزابُ الأرمنية ،وأعلنتْ إنشاء اللجنة العسكرية للدفاع عن الأرمن ،وقامت هذه الأخيرةُ بتنظيم توزيعِ الأسلحة ،كما أنّها عملت على بناء التّحصينات ، بعد مقتل إشخان ونراميان ،هاجم الأرمنُ الجنود العثمانيين ،وقام الجيشُ بإحراق القرى المتمرّدة ،وخلال ذلك عانى الأبرياءُ المسلمون ،أو الأرمن على السّواء الأمرّيْن[1].

إذا ما قارنّا كلّ روايةٍ على حدة ،فإنّنا سنحسّ من خلال الرّواية الأرمنية أنّ الأرمن كانوا أبرياء ،لا همّ لهم سوى العيشِ بسلام ،ولم يكن لهم يد في مساعدة الجيش الروسي ،لكنّ واقعَ الحال غيرُ ذلك ،والدليلُ على وجود حقائقَ في الرّواية العثمانية هو أنّ هذا التمرّد قد بدأت إرهاصاتُه عندما شرعت القواتُ الرّوسية بالزّحف على شرق الأناضول ،ولم ينتَهِ هذا التمرّدُ حتى دخلت نفسُ هذه القوات إلى فان "في يوم 19 مايو وصل الروسُ إلى المدينة ،وكان خبرُ اقترابهم من المدينة هو الذي حمل الأتراكَ على الهروب ،فأقيم أرام واليًا على وان ،وولايتِها مؤقّتًا، وهذه هي أوّلُ مرّةٍ بعد مرور قرونٍ طويلة اتّفق للأرمن أن يحكموا أنفسهم ،فانتعشت الأعمال ،وشرعت الناسُ في ترميم البيوتِ المحروقة والمهدمة ،وفتحت المخازنُ والدكاكين ،ورجعت الحركةُ إلى عادتها"[2]

إنّ تعاونَ الأرمن مع الروس ليس بجديد، فهو قديم، وقد رأينا أمثلةً على ذلك. كان الأرمن خلال "تمرد فان" يبحثون عن الانفصالِ بمساعدة الروس ،خاصّةً بعد أن كادتْ قضيتهم ترى النورَ بإصلاحات 1913 ،إلّا أنّ القضية الأرمنية عادتْ إلى نقطة الصّفر باندلاع الحرب العالمية الأولى ،فلا مُنقذ لهم من هذه الأوضاع الحرجة التي كانت تتخبّط فيها مسألتهم إلّا بالتّعاون مع الروس ،وفي هذا السّياق يُمكننا اقتباسُ ما قاله "جاستن مكارثي" في استعادةٍ للأحداث الماضية :"يصعب تصديقُ أنّ الأرمن أغبياءُ لدرجة أنهم ظنّوا حقًّا أنّ الروس سيمنحونهم الاستقلال ،أو حتّى درجة كبيرة من الحكم الذاتي"[3].

وهكذا، فإنّ تاريخ الأرمن حافلٌ بأحداثٍ مماثلة، تجعلنا نقول إنّ ولاء الأرمن للدولة العثمانية كان متغيّرًا، تتحكّم فيه الظّروف، خاصّة الحروب، ونحن لا نلومهم على ذلك، فكلّ أمّةٍ تصطفّ مع إخوانها في الدين، فليس غريبًا أن يقف المسيحيُّ ضدّ المسلم، بل الغريب أن يقف المسيحيُّ مع المسلِم، خاصّة خلال تلك الفترة التي كان الصّراعُ فيه بين الإسلام والمسيحية على أشدّه.

---

(1) جاستن مكارثي وآخرون، مرجع سابق، ص ص. 263 – 264.

(2) أحمد عبد الوهاب الشرقاوي، **أبعاد المشكلة الأرمنية**...مرجع سابق، ص. 428–433.

(3) جاستن مكارثي وآخرون، مرجع سابق، ص. 240.

مِن خلال الرّواية العثمانية، يتبيّن لنا أنّ الدولة العثمانية قد استفادت من تاريخ حروبها الطويلة، خاصّة في البلقان التي خسرتها، وبقيت تتجرّع مرارةَ هذه الخسارة. أصلًا الدولة العثمانية لم تدخل الحربَ العالمية الأولى إلّا أملًا في استعادة أمجادها الغابرة، لذلك لم يكونوا مستعدّين للتّنازل عن شبر من شرق الأناضول لصالح الأرمن، وإلّا فإنّ أحلامهم في تأسيس إمبراطورية طورانية ستذهبُ أدراجَ الرياح، لذلك كانت الجالياتُ المسيحية وخاصّة الأرمن تحتَ رقابة صارمة، فأيّ تصرّفٍ يقومون به إلّا وتحسب عواقبُه. لذلك نجد أنّها اعتبرت هروبَ الأرمن من التجنيدِ والتحاقَهم بالجيش الروسي ؛خيانة ،بالرّغم من محاولة الأرمن إيجاد مخارجَ لهذه القضية بالقول إنّ الأرمن لا يريدون الخدمةَ في الجيش العثماني ،ولاذ العديدُ منهم بالفرار لأنّ الثّكناتِ العسكريةَ أصبحت جحيمًا بالنسبة لهم ،فالأتراكُ يعاملونهم معاملةً سيئة ،بحيث لم يكونوا على قدَمِ المساواة مع الجنود الأتراك على كافّةِ الأصعدة ،لا في الطعام ولا في الشراب(1).

كانت الدولةُ العثمانية متفطّنة، فخشيت أن يسيرَ بقيّةُ المجندين الأرمن على خطى الذين فرّوا بأسلحتهم، والتحقوا بصفوف الجيشِ الروسي، فجرّدتهم من أسلحتهم، ووجّهتهم لطوابير العمّال، ثمّ واصلت في إجراءاتها الاحترازية إلى أنْ وصلتْ في آخر المطاف إلى اتّخاذ قرارٍ خطير جدًّا، سواء بالنّسبة للأرمن أو بالنسبة لها، وهو "قرار تهجير الأرمن".

وهكذا ،فإنّ الدّولة العثمانية التي خسرتْ ممتلكاتها إثرَ حرب البلقان (1912- 1913) ،كان عليها تطبيقُ إجراءات وقائية تحول دونَ السّقوط النهائي للإمبراطورية ،فتبنّت سياسة التتريك القسري للقضاء على كلّ الأقلّيات التي لطالما خلقتْ لها عدّة مشاكل ،فضلًا عن الطورانية مِن أجل لمّ شمل جميع الأتراك ،بعد أن ترسّخت لديْها حقيقة مَفادها أنّ الرّابط الديني لم يفلحْ في تمتين لُحْمة الإمبراطورية ،لذلك وجدَ الاتّحاديون في الحربِ العالمية الأولى فرصةً لا تعوّض لاسترجاع أمجادهم ،فدخلوا الحربَ إلى جانب ألمانيا ضدّ دول التحالف الثلاثي ،إلّا أنهم منِيوا بخسائرَ فادحةٍ مباشرة بعد فتحهم لجبهة القوقاز ،واتّهموا الأرمن بالوقوف وراءَ هذه الهزائم ؛لأنّهم هربوا من التّجنيد والتحقوا بالجيش الروسي ،فضلًا عن تمرّدهم ،كلّ هذا دفع الاتحادَ والترقي لإصدار قرار التهجير.

(1) ***Fo, 371 13, No, 508 40 77****, Muammer Demirel, a.g.e , s . 616.*

المبحث الثالث: التّهجيرُ القسْري للأرْمَن (1333هـ/ 1915 م)

المَطلبُ الأوّل: أسبابُ اصدار قرار تهجير وإسكان الأرمن المؤقت.

المَطْلبُ الثّاني: تطبيقُ قرارِ التّهجير.

المَطْلبُ الثّالث: الإجراءاتُ المتّخذَة لتسْيير أعْمال التّهجير.

المَطْلبُ الرّابع: مَصيرُ مُمتلكاتِ الأرْمَن المتْروكة، والمِشاكلُ النّاجمة عنِ التّهجير.

بدخول الدّولةِ العثمانية الحربَ العالميّة الأولى، وجدتْ هذه الأخيرةُ نفسَها في مواجهة أعداءٍ في الدّاخل والخارج، بصرْفِ النّظر عن أعداءِ الخارج (روسيا فرنسا وبريطانيا)، فإنّ أعداءَ الدّاخل كانوا- ومازالوا- بالنّسبة للاتّحاد والتّرقي هُم الأرْمَن، الذين فرّ العديدُ من مجنّديهم والْتحقوا بالجيشِ الرّوسي، كما أنّهم قاموا بعدّة تمرّداتٍ أهمّها "تمرّد فان"، الأمرُ الذي دفعَ بجمعيّة الاتّحاد والترقّي لإصدار قرارِ التّهجير.

المَطْلبُ الأوّل: اصدار قرار تهجير واسكان الأرمن:

أثناءَ الحرب العالميّة الأولى 1915م / 1333هـ، قامت حكومةُ الاتّحاد والترقي بإصدارِ قرارٍ يمكنُ أنْ نصنّفه بالخطير؛ لأنّ تداعياتِه مازالت تلاحقُ تركيا إلى يوْمنا هذا، والمتمثّل في تهْجير الأرْمَن من شرق الأناضول، بل مِن كلّ الولايات التي كانوا يستقرّون بها، نحو المناطق الدّاخلية في ولاية سوريا العثمانية[1].

1-أسباب تهجير الأرمن:

وهناك عدّةُ أسبابٍ تقفُ وراء هذا القرار الذي تمّ اتّخاذُه من طرفِ مجلس الوزراء، وذلك بناءً على مذكّرة وزارةِ الدّاخلية رقم 270؛ إلّا أنّنا في هذا المبحث سوف نتطرّقُ- فقط- للأسبابِ التي اسْتقيناها من وثيقةِ التّهجير، أي أنّنا سنكتفي بالسّردية العُثمانية دونَ الخوْض في الدّوافع التي تطرّق إليها المؤرّخون العرب؛ أو المحسوبين على الغرب؛ لأنّنا آثرْنا التطرّق إليها في مبحثٍ آخر، يتناول رؤيةَ الغربِ والعرب لعلاقةِ التّهجير بالإبادة الأرْمَنية 1915م.

إنّ السببَ الرّئيسي الذي دفعَ بالدولةِ العثمانية لإصدارِ مثلِ هذا القرار- حسبَ وثيقة التّهجير- تمثّلَ في قيامِ قسمٍ من الأرْمن المقيمينَ في الأماكنِ المجاورة للمَناطق الحربيّة بعرقلةِ حركة الجيش العثمانيّ المنْشَغل بالدفاع عن الحدودِ العثمانية ضدّ أعداءِ الدولة، ووضْعِ العراقيلِ أمام نقْل المؤن والذّخيرة العسكرية[2]، فضلًا عن اتّفاقهم معَ الدّول المحاربةِ للدّولة العثمانية، والتحاقهم بجيوش الدّول المعادية للدولة العثمانية كمتطوّعين، واتّفاقهم مع مبْعوثي

---

(1) **ولاية سوريا العثمانية:** هي مِن جُملةِ مَمالك الدّولةِ العُثمانية في قارّة آسيا، يحدّها من الغرب البحر المتوسط، ومن الشّرق نهرُ الفرات، إلى مُنتهى بادية الشّام، وجنوبًا عربستان، وشمالًا محدودة بولاية حلب, أمّا مساحتُها من الشمال إلى الجنوب طولًا 570، ومن الشّرق إلى الغرب عرضًا 200 كيلومترًا، وتقريبًا 90 ألف كيلومترًا، أكثرُ سكّانها من أهل القرى والعَشائر السيّارة من الطّوائف المسلمة، ومع الأقلية، من الدّروز، نصيري إسماعيلي، متوالي مذاهب الشيعة، يهودي، وموارنة، كاثوليك، بروتستانت، كلداني، سرياني، وأمثالهم من المللِ غير المسلمة، انظر: أحمد الشرقاوي، **جغرافية الممالك العثمانية..** مرجع سابق، ص، 311.

(2) ***BOA, Meclis- i Vükela , MazbaTalari, 198/163.***

الدّول المعادية، سواء الموجودينَ في داخل الدّولة أو في الدّول الأجنبية[1]. وقيامهم بهجماتٍ ضدّ القوّات العسكريةِ والمواطنين الأبرياء داخلَ الدّولة، فضلًا عنْ قيامهم بأعمالِ سلبٍ ونهب ، وتزويد القوّات الحربية للأعداءِ بالمؤن، وإخبارهم عن مواقعِ الذّخيرة[2]. إلى جانبِ هذا تمّ ضبطُ ومصادرةُ مستودعات الأسلحة والذّخيرة في مدنٍ وأماكنَ لم تكنْ في الحسبان- مثل الكنائسِ والأدْيرة-، وكانت بعيدةً جدًّا عن ساحة القتال، ممّا يدلّ على استعدادهم للتمرّدِ والشّغب[3] .

إذًا، هذه هي أسبابُ التّهجير بصفةٍ عامّة، والتي سيدفعُ كلُّ الأرمن من خلالها ثمنَ جريرةٍ لم يرتكبوها، بل قام بها مجموعةٌ من العصاة، الذين تعاونوا مع روسيا ضدّ الدّولة العليّة، واللّافت للانْتباه أنّ الكثيرَ من المؤرخين الأتراك قد انْبَروا للدّفاع عن هذا الإجراءِ الذي اتّخذته حكومةُ الاتّحاد والترقّي، واعتباره قرارًا مشروعًا؛ لماذا؟ أوّلًا: لأنّه يعتبر قانونًا مؤقّتًا سوف ينتهي بانْتهاءِ الظّروف التي أدّت إلى إصداره، والمتمثّلة في الحرب. ثانيًا: هذا القانونُ المؤقت لم يصدرْ إلّا في 23 مايو 1915، أمّا إعلانُ الدّولة العثمانية عن التّعبئةِ للحربِ فقد كانت بتاريخ 02 أغسطس 1914؛ أي بعْدَ عشْرَة أشهر[4].

وهذا الإجراءُ تسندُه عدّةُ عوامل ،وفي مقدّمتِها عدمُ توقّف الأرمن عن التسلّح بعد الإعلان عن المشروطيّةِ الثّانية سنة 1908م، بل على العكس واصلوا جهودَهم في هدوءٍ تامّ مُستفيدين من الحرية التي كفلها لهُمُ الدّستور، في سبيلِ إنشاء دولةِ أرمينستان المستقلّة، لكنْ بعدَ دخول الدّولة العثمانية الحربَ العالمية الأولى ازدادتْ نشاطاتُهم؛ حيث شرعَ جزءٌ من الأرمن بتشكيلِ فرقٍ للمتطوّعين تحارب إلى جانبِ روسيا ضدّ الجيش العثماني، بينما أعلنَ أرمن في مناطقَ أخرى عن تمرّدهم ضدّ الدّولة العثمانية، ولم يتوقّفِ الأمرُ عند هذا الحدّ؛ بل قاموا بمهاجمةِ المسلمين وتقْتِيلهم[5].

كما كانوا يقومون بإعطاءِ معلوماتٍ في غاية الأهميّة عن الجيش العثماني للدّول المعادية، أمّا الأرمن الذين تمّ تجْنيدُهم في صفوفِ الجيش الهمايوني، بعد أنْ أصبح التّجنيدُ إلزاميًّا لجميع المسيحيّين دونَ استثناء؛ فقدْ فرّوا بأسْلحتهم والتحَقوا بالعدو، حتّى عامّةُ الشّعب الأرمني الذي لم تكنْ له علاقةٌ بالعصابات، لم يكنْ بمعزلٍ عن

(1) ***BOA, HR, HV, KR, 173/5.***

(2) *Kutlu Emin,* ***İslam ahalinin düçar oldukları mezalim hakkında vesaika müstenid ma'lümat Ermeni katliamı,*** *Şehbal yayınları, İstanbul, 2006, s.68.*

(3*) **BOA, HR, HV, KR, 173/5**.*

(4) *Nejdet Bilgi,* ***Yozgar Ermeni tehciri davasi****, Kitabevi, Istanbul, 2006, s. 02.*

(5) ***BOA, HR, HUKR. 122/6****.*

ذلك، فقد دعتْه اللّجان الأرمنية للتسلّح بغرض دخولِ الحربِ التي كانت تدورُ رحاها في شرقِ الأناضول إلى جانبِ روسيا؛ فأجابَ كثيرٌ من الأرمن الدعوة(1).

ومن أجلِ توخّي الأمانة العلمية أكثر، رجعْنا إلى الوثائق البريطانية، هذه الأخيرة أعطتْنا معلوماتٍ في غاية الأهميّة حولَ قيام الأرمن بتشكيل فرقٍ للمتطوّعين من طرف "جمعية الدّفاع الوطني الأرمني"، والتي كانت قد تأسّستْ في مختلفِ الولايات الأرمنيّة، هذه الأخيرةُ استخدمت كلَّ جهودها بهدف إرسال متطوّعين إلى القوقاز، وتقديمِ الإعانةِ للاّجئين الأرمن الذين يبحثونَ عن ملجأ في ظلّ الحمايةِ الرّوسية، وزيادةً على ذلك كانت تقوم بالتّرتيباتِ الضرورية لإرسال متطوّعين إلى كيليكيا، حيث يوجد هناك فئةٌ كبيرة من السكّان الأرمن سيرفعون رايةَ الثّورة ضدّ الحكمِ العثماني، هذا الإجراءُ سيساعد بشكلٍ كبيرٍ في تفريق ومنْعِ تقدّم الأتراك ضدّ مصر(2).

كما أعلنَ الأرمنُ عن وقوفهم إلى جانب الحلفاءِ ضدّ الدولة العثمانية. "الشعبُ الأرمني مقتنعٌ تمامًا بانْتصار بريطانيا وحلفائها، الذين تقاتلُ جيوشُهم من أجل الحريةِ والعدالة، وبأنّ طموحاتهم سوف تتحقّق، الأمةُ الأرمنية تستحقّ قَدَرًا أفضل؛ حيث أنّه مِن الملاحَظ أنّها أمّةٌ من أكثر الأممِ تطوّرًا في الشرق الأدنى؛ إنجازاتها وتاريخها يتطلّب تأكيدًا في هذا المجال، نحن نتوجّه إلى إنجلترا لأنّنا نشعر بثقةٍ بأنّ شعبها النبيل، وبإعطائها الحرية للعديد من الشعوب الصغيرة والمضطهَدَة؛ لنْ ينسوا أرمينيا في الحلول المستقبليّة للقضايا الدولية العالقة"(3).

أمّا بالنّسبة لقيام الأرْمن بتقْتيل المسلمين، فهناك دراسةٌ وثائقيّة جادّة ترتكزُ على الوثائق بالدّرجة الأولى، ممّا يجعلها ترتقي إلى درجةِ المصدرِ الأوّل، والموسومة بـ "مذابح الأرمنِ ضدّ الأتراك في الوثائق العثمانية والروسية والأمريكية" تؤكّد قيامَ الأرمن بمجازرَ ضدّ المسلمين، وهو عكس ما هو مُتعارَف عليه، وهو قيام المسلمين بقتل الأرمن، وذلك من خلال عرضِه لمحتويات مجموعةٍ من الوثائق التي تناولت الحيّزَ الزّمني الممتدّ من 1914 إلى 1922م، أمّا ما يخصّ إطارَها المكاني؛ فهي تشملُ الكثيرَ من المناطق في الأناضول والقوقاز، وأمّا تنوّعها فمَرَدّه إلى أنّها تمّ جمعُها من مدنٍ وقرى ومناطقَ كثيرة جدًّا في شتّى بقاع الأناضول والمناطق الحدودية ، بل وتحتوي هذه الوثائقُ على شهاداتٍ وتقاريرَ ضبّاطِ وقادةِ الجيش الروسي في برقيّاته المتبادَلَة مع قيادات الجيش العثماني إبّان

(1) *Najdet Bilgi , a.g.e, s. 03.*
(2) ***Fo, 371/ 2484, No. 41444, (9APR, 1915),** Muammr Demirel, a.g.e, s. 670.*
(3) ***Fo, 371/ 2489, No. 8206 (22 Jun 1915),** Ibid, s. 672.*

الهُدْنة. وقد أثبتتْ هذه الوثائقُ قيامَ الأرمن بارتكابِ الكثيرِ من الفظائع في حقّ المسلمين العزّل "لم يسمعْ بهم إلّا نادرًا، رغم أنّ أعدادهم أضعافُ الضحايا الأرمن"(1).

والشّيء الذي يجب التّنويهُ به في هذا الإطار، أنّ الدّولةَ العثمانية قد استفادتْ من تجربتِها مع الأرمن عند نشوبِ الحرب العثمانية الروسية (1877-1878م)، والتي حاول الأرمنُ خلالها الظهورَ بمظهر الولاء للدولة العُثمانية، والذّود عنها إذا اقْتضى الأمر، لكنْ سَرْعان ما سقطَ القناعُ عنهم، فبمجرّد دخول الجيوش الروسية، حتّى انْحازوا انحيازًا صارخًا لها؛ طمعًا في الاستقلالِ عن الدّولة العثمانية، لذلك نجدُ أن هذه الأخيرةَ حتّى لو لم يصدر عنِ الأرْمن مثل هذه التصرّفات فإنّهم لم يكونوا محلَّ ثقةٍ، فخياناتُهم السّابقة- حسبَ الأتراك- تُعتبر القطرةَ التي أفاضتِ الكأسَ في تاريخ العلاقات بين الشّعبيْن.

2-الهدف من تهجير الأرمن:

كانتِ الدّولةُ العثمانية تهدفُ من خلال تهجير الأرْمن إلى تشْتيتِهم حتّى يفقدوا القدرةَ على العصيان؛ لأنّه بمجرّد اندلاعِ الحرب العالميّة الأولى قام الأرمنُ بحركةِ عصيانٍ في ولاية "فان" بكاملِها، وقد ألقتْ هذه الثورةُ بظلالها على مناطقَ أخرى كان يعيشُ فيها الأرمن، حتّى في العاصمةِ إسطنبول، حيث أعلنوا- بدوْرهم- العصيانَ، فقاموا بقطْع الطّرقِ والهجومِ على القرى المسْلمة وقتل أهاليها. في وقتٍ لم يتمكّن الجيشُ العثماني من التدخّلَ، ولم يكنْ هناك حلٌّ لهذه المعْضلة إلّا أنّ قام وزيرُ الدّاخلية آنذاك طلعت باشا باقتراحِ تهجير الأرمن، وقد تمّت المصادقةُ عليْه من طرفِ مجلس الوزراء(2).

أمّا الهدفُ الثّاني من تهْجير الأرمن فهوَ يتمثّل في رغبة الدولةِ العثمانية التخلص من المعاهدة التي وقّعتها مع روسيا في 08 فبراير 1914 (3)- والتي تطرّقنا إليها سابقًا- فبمجرّد اندلاع الحرب العالمية الأولى، استطاعت الدّولةُ العثمانية التنصّلَ من هذه المعاهدة التي لو استمرّت لأسْفرت عنْ ميلادِ دولة أرمينستان في قلب الأناضول،

(1) أحمد الشّرقاوي، **مذابح الأرمن ضدّ الأتراك...**، مرجع سابق، ص: 13.

(2) يوسف حلاج أوغلو، مرجع سابق، ص ص ،59-60.

(3) طاهر توفيق هوكر، مرجع سابق، ص ص، 49- 500.

لذلك رأتْ في قرار التّهجير فرصةً لإبعاد الأرْمن عنِ الحدود الروسية للحيلولةِ دونَ تشْكيلهم دولة مستقلّة بعد أن تضعَ الحربُ أوزارها[1].

المَطْلبُ الثّاني: تطبيقُ قرارِ التّهجير

أشارتْ وثيقةُ قرار التّهجير إلى المناطقِ التي يجب الشّروعُ في تهجير الأرمن منها، والمتمثّلة في قرى ومدن: وان وبتليس، وأرضروم، وألوية أضنة ومرسين وقوزان[2] وجبل بركات[3]، باستثناء مدينة مرعش، وأقضية اسكندرون وبيلان وجسر الشعور وأنطاكية، باستثناء أقضية مركز ولاية حلب[4] إلى الولايات الجنوبية، وإلى ولاية الموصل[5]، باستثناء لواء أورفة[6] بنفسها، وإلى القسم الشرقي والجنوبي الشرقي من ولاية حلب، والأماكن المخصّصة والمعيّنة في القسْم الشّرقي من ولاية سوريا، ولذلك يجبُ ربطُ هذه العمليّات مع المصالح الأساسية للدّولةِ دونَ انقطاع[7]

(1) يوسف حلاج أوغلو، مرجع سابق، ص، 64.

(2) **قوازن:** لواءُ قوزان يقعُ على شمال ولاية أظنة على مسافةِ 18 ساعة, يحتوي على عشرة آلاف نسمة من الذّكور في بلدةِ سيس، المعروفة بإقامةِ أحدِ بطارقة الأرمن الثّلاثة, على غربها يجري دلى جاي، وله اسمُ نهر منتاشه، أهمّ أقضيته: قضاء سيس, قضاء قارص ذو القدرية، قضاء بكلان كوي، قضاء حاجين. أحمد الشرقاوي، **جغرافية الممالك العثمانية**، مرجع سابق، ص ،205.

(3) **البركات:** هوَ متشكّل على شرقِ الولاية، وعلى ساحل شمال شرقي كورفز سلندرون، أوّلًا كان على ساحل البحر معروفًا بياس، وفي الحاضر محلّ الذي هوَ على شمال شرق بياس, بناءً على أهميّته سمّي (جبل البركة). مزارعه وبساتينُه وجباله وخيرُه من المزروعاتِ كثيرٌ جدًّا، وجميعُ مُنتجاته تصدُرُ من ميناء إسكندرون، نفسه، ص، 206.

(4) **ولاية حلب:** تقعُ ولايةُ حلب في قارة آسيا، من جُملة مُمتلكات الدّولة العثمانية، تقعُ في القسم الشمالي من سورية، وهي على الجهةِ الجنوبيّة لآسيا الصغرى، وعلى جنوب مرعش, واسمُها الثاني– أي اسمُ (مرعش)– ذو القدرية، وعلى غرب الرّها، والتي اسمُها (أورفة), تعدّ مِن هذه الجزيرة، يحدّها من الشرق لواء الزور الذي إدارتُه مستقلّة، وولاية ديار بكر, وغربًا البحر الأبيض، وجنوبًا سورية، وشمالًا ولاية سيواس إلى معمورة العزيز، نفسه، ص ،287.

(5) **ولاية الموصل:** وهي عبارة عن قطعةٍ من كردستان، وقسم من الجزيرة الآشورية، يحدّها شرقًا ممالك إيران، وشمالًا حكاري، وديار بكر، وغربًا لواء الزور، وجنوبًا محدودة بولاية بغداد، مساحتها حوالي 65 ألف كيلومترٍ مربّع، نفسه، ص، 247.

(6) **لواء أورفة:** هذا اللواءُ يقعُ شمالَ شرق ولاية حلب، على مسافة 42 ساعة عن حلب, يحدّها من الشمال ملاطية، وشرقًا ولاية ديار بكر، وجنوبًا لواء الزور, وغربًا مُحاط بلواء حلب، أراضيه طيّبة، فيها من جميع أنواع الحبوب، بلد أورفة هوَ بين جبليْن صغيريْن, يحتوي على 30 ألف نسمة أكثرُهُم مسلمون، ويتحدّث أهالي اللواء التركية، وبعض العشائر يتحدّثون الكردية: أبنيةُ هذا البلد منتظمة, وفيها ضريحُ إبراهيم, وفيها جامعٌ كبير، نفسه ،ص ،304.

(7)***BOA, Meclis- i Vükela MazbaTalar, 198/163***.

1-التعليمات الصادرة خلال عملية التهجير:

بعدَ موافقةِ مجلس الوزراءِ على قرار التّهجير؛ تقرّر ما يلي:

- نقل مَن يتطلّب نقلُهم من الأرمن في القرى والقَصبات نحو الأماكنِ المخصّصة لإسكانهم "بشكل مرفّه، وتأمين راحتهم، والمحافظة على أرواحهم وأموالهم، وإعاشتهم من مخصّصات المهاجرين، إلى أنْ يتمّ إسكانُهم بصورةٍ نهائية، وتوزيع الأملاك والأراضي كلٌّ حسبَ أحواله المالية والاقتصادية السابقة، وإنشاء مساكنَ على حساب الحكومةِ للمُحتاجين منهم، وتوزيع البذور والآلاتِ والأدوات للزرّاع والمحتاجين من أرْباب المهن، وإعادة الأموالِ والأشياء- أو قيمة ما تركوه في أماكنهم السابقة- بصورة مناسبة، وإسكان المهاجرين والعشائر في القرى التي أخْلِيَت، وتوزيع قيمةِ الأمْلاك بعد تقديرها، وحصر وتحديد جنسٍ وقيمةِ ومقدارِ الأموال المنقولةِ التّابعة للأهالي الذين تمّ نقلُهم وتوزيعها على المهاجرين"[1].
- كلّ الممتلكاتِ الأرمنية التي لا يمكنُهم حملُها معهم، تُباع بالمزادِ العلني، أو يتمّ تأجيرُها وإيداع المقابل في صناديقِ المال، ثمّ يتمّ دفعُها لأصحابها.
- المحافظة على الأموال المتروكةِ وتشْغيلها، وتسريعِ وتنْظيم المعاملات الخاصّة بالإسكان وتدقيقها وتفتيشها.
- تشكيل لجانٍ فرعيّة تكون لها صلاحيةُ استخدام موظّفين برواتبَ تكون مرتبطةً بوزارة الداخلية مباشرة[2].

للتّعقيبِ على ما أوْردناه، فإنّنا يمكن أنْ نقول إنّ الدّولة العثمانية لم تترك عمليّةَ التّهجير دون تنظيم، فبالرّغم من أنّ هذه العملية كانت قاسيةً كثيرًا على الأرمن، إلّا أنّ الدولة لم تتجرّد نهائيًّا من الإنسانية، فما ذكرناه أعْلاه يكشفُ لنا عن الوجه الإنساني الذي تعاملتْ به هذه الأخيرةُ مع الأرمن من خلال المحافظةِ على أرواح وممتلكاتِ الأرمن، وإعاشتِهم من مخصّصات المهاجرين، كما أنّها حدّدتْ مصيرَ ممتلكاتهم المتروكة.

كشفتْ لنا هذه الوثيقةُ عن مُشْكلٍ جدّيّ كانت تعيشُه الدولة العثمانية، ويتمثّل في مُشْكل المهاجرين الأتراك الذين كان مصيرُهم الطردَ من البلقان بعدَ خسارة الدولة لأراضيها[3]. فكان لزامًا عليها إسكانُهم وإعاشتهم، لذلك فجميعُ القرى والقصباتُ المأهولة بالأرمن سوف يتمّ إسكانُ هؤلاء المهاجرين فيها، بعد إخلائها

(1)*BOA, Meclis – i Vükela- Mazbaralaru, 198/ 163*.
(2) ***BOA, Meclis – i Vükela- Mazbaralaru, 198/ 163*** .

(3) جستن مكارثي، مرجع سابق، ص ،180.

من سكّانها الأصليّين، حتّى أراضيهم سوف توزَّع عليهم، وبذلك تكون حكومةُ الاتّحاد والترقي قدْ حلّت مشكلتين في تصرّفٍ واحد هو التّهجير.

وفي نفس السّياق، هناك تساؤلٌ مُلحّ يطرحُ نفسَه: هل كان قرارُ التّهجير قرارًا مؤقّتًا فعلًا؟ قد يبدو للبعضِ من الإجراءاتِ المذكورة أنّ قرارَ التّهجير لم يكنْ مؤقّتًا؛ لأنّ إسكان المهاجرين في ممتلكات الأرمن دليلٌ في رغبةِ الدّولة العثمانية التخلّص من المسألة الأرْمنية من خلال تشْتيتهم بعيدًا عن أراضيهم التّاريخية إلى مناطقَ لا يشكّلون فيها قوّةً تسمح لهم بالاتّحاد والتعاون في ظلّ انشغالِ الدّول الكبرى والرأي العام العالمي بالحرب العالمية وتطوّراتها.

إلا أن الذي يتّضحُ من الوثائقِ يبيّن أنّ عمليةَ التّهجير لم تكنْ تجري بشكلٍ جماعيّ ومستمرّ منذ صدور القرارِ في أبريل 1915م وحتّى نهاية الحرب، ولكنّ مسألةَ إخلاء مناطقِ القتال من السكّان، والتي سمّيت "قرار التّهجير"، وسمّيت "قانون التهجير والإسكان" والتي بدأت فعليًّا في يونيو 1915، واستمرّت حتّى أكتوبر 1916، تخلّلها- أيضًا- فتراتُ توقّف[1]، إذْ أرسلت الحكومةُ برقيّةً إلى مختلف الولايات بتاريخ 1915/11/25م تأمُر بوقْف أعمال التّهجير بسبب بدْءِ موسم الشتاء، وبرقيةً أخرى بتاريخ 1916/3/15 بوقف أعمال التهجير لأسبابٍ أخرى متنوّعة[2] ،ثمّ كان القرارُ النّهائي بوقْفِ أعمال التّهجير تمامًا، والذي صدر في أكتوبر 1916[3].

2-الأرمن الذين شملهم التهجير:

قرارُ التّهجير شملَ أرمنا بينما أعْفي منه آخرون، بالنّسبة للأرمن الذين شملهم القرارُ هُم "أرباب المفسدة الحقيقيّون وأعضاء اللجان"[4]، فضلًا عنِ الأرمن الذين يسْكنون في الأماكنِ القريبة من المناطق العسكرية مثل حدود ققفقاسيا الروسية، وهذا راجعٌ لتأثّرهم بتصرّفات اللجان الثوريّة، والأرمن الذين يسكنون في مناطق تعرف تحرّكات ونشاطاتٍ متزايدة للأرمن[5]. كما شملَ تهجير العاملين في فرقِ العمل، وفي خطوطِ السّكك الحديدية من

(1) أحمد عبد الوهاب الشّرقاوي ،**أكذوبةُ إبادة الأرمن في الدّولة العثمانية، وحقائق التّهجير والتّوطين والعودة... دراسة وثائقية**، مركز التاريخ العربي للنشر، إستانبول، 2019م، ص، 87.

(2) ***BOA. DH. ŞFR, Nr. 62/21.***
(3) ***BOA, DH. ŞFR, Nr. 53/295.***
(4) ***BOA, DH, ŞFR, 201/ 53.***
(5) ***BOA, DH, ŞFR, 141/ 50.***

الأرمن الذين كانوا في قضاء كيوه[1] بسبب تعاونهم مع الأرْمن المشاركين في حربِ العِصابات، حتّى الأرمن الذين كانوا يشكّلون كثافةً سكّانية كبيرة، وجبَ ترحيلُهم لكي لا يتمّ توحيدُ جهودِهم ضدّ الدّولة العثمانية. ولقد لاحظنا أنّه في بعض الأماكن كان يتمّ إخراجُ الأرمن بصورةٍ عاجلةٍ كما هو الحالُ في ولاية أرضروم، التي تقرّر عدمُ ترْكِ أيّ أرمنيّ بها؛ لوقوعها على الحدودِ الرّوسية، بينما تأجّل سَوْق[2] الموجودين في بعض الجهات حيث تُرك لتقدير مديرية الأمن[3].

وقبلَ أن نتطرّق إلى الأرمن الذين لم يشملْهُم التّهجير، رأينا أنّه مِن المسْتَحسن إدراجُ فئةٍ من المجتمع الأرْمني رفضت التّهجير- أوْ بتعبيرٍ أكثر دقّة- عموم الأرْمن رفضوا التّهجير، لكنّ الفئةَ التي سنأتي على ذكرها، عملتْ كلّ ما في وسْعِها لكي لا يمسّها هذا القرار، ومِن ضمْن ما قامتْ به الاهتداء، ظنًّا منها أنّها إذا اعتنقت الإسلامَ سيسْقط عنها هذا القرار، لكنّ وزارة الدّاخلية أرسلتْ برقيّةً إلى مختلف الولايات، والمتصرّفيات أمرتْ فيها بعدمِ إعطاء أهميّةٍ لمسألة قيام الأرمن بعرْضِ اهتدائهم فُرادى أو جماعات، بهدفِ البقاء في ديارهم، وفي نفس الوقت حذّرت مِن مَغبّةِ ما قد يحدُث من الاهتداءِ على هذا النّحو، مُعتبرةً إيّاه وسيلةً للخداع، يستعملها الأرمنُ كلّما رأوا أنّ مصالحهم في خطر، فالإسلامُ لم يمنعهم من مواصلةِ أعمالهم الثورية[4].

3-الأرمن الذين لم شملهم التهجير:

إنّ المتصفّحَ لوثائق التّهجير والإسكان، يلاحظُ أنّ قرار التهجير لم يشملْ كلَّ الأرمن، فهناك مَن سُمح له بالبقاء، ويمكن أن نصنّفهم إلى عدّة فئات:

الفئةُ الأولى هُم البروتستانت والكاثوليك الأرمن، ففي برقيّة مؤرّخة بـ 17 حزيران من وزارة الداخلية إلى ولاية أرضروم، تطلبُ عدمَ سوْق المبشّرين الأرمن الكاثوليك والممرّضات، في الوقت الحالي[5]. بالإضافةِ إلى الأرمن

(1) **قضاء كيوه:** على جنوبِ شرق أزميد بلدة كيوة, على مسافةِ 12 ساعات من أزميد، يجري داخلَ هذا القضاء نهرُ سقارية، وأكثرُ زراعاتِها القطن, ومِن ملحقاتِه أقحصار وناحية طراقلي. أحمد الشرقاوي، جغرافية...، مرجع سابق، ص، 161.

(2) ***BOA, DH, EYM, 2 / 227.***

(3) ***BOA, DH, ŞFR, 129 / 53.***

(4) ***BOA, DH, ŞFR, 54 254.***

(5) ***BOA, DH, ŞFR, Nr 54 / 55.***

البروتستانت، حيث أرسلتْ وزارةُ الدّاخلية إلى مختلفِ الولايات والمتصرّفيات بعدم ترحيل الأرمن البروتستانت، مع طلبِ بيانِ عددِهِم، وكمْ أبْعِد منهم, وكمْ بقي[1].

أمّا **الفئةُ الثّانية** التي لم يشملْهُم السوقُ، الموظفون في قطاعاتٍ محدّدة، وهُم: الموظّفون الأرمن المستخدَمون في الخطوطِ الحديدية، والعمّالُ، وسائرُ المستخدمين الذين يحملون وثائقَ تُثبت عملَهم في هذا القطاع[2]. فضلًا عن ذلك تمّ إصدارُ أوامر تمنعُ إخراجَ النّواب الأرمن وعوائلهم[3].

أمّا **الفئةُ الثّالثة** تتمثّل في التّجار والحرفيّين، ففي برقيةٍ من وزارة الداخلية إلى متصرفيّةِ مرعش تطلُب منها إبقاءَ الأرمن، المقيمينَ للتّجارة ونحوها، في أماكنهم[4].

أمّا **الفئةُ الرابعة** فتتمثّل في الأطفال اليَتامى، ففي برقيةٍ من وزارةِ المعارف العمومية إلى ديار بكر وأضنة وطرابزون وسيواس وبدليس ووان والولايات الأخرى؛ للاستفسار عمّا إذا كانت هناك مَبانٍ مناسبةٌ تصلح لأنْ تكون دورًا للأيتام لإسْكان الصّغار الأرمن مِن دون سنّ العاشرة الذين تغيّرتْ أماكنُهم أو المبْعَدين عنهم، وعدد الأطفال[5].

أمّا **الفئةُ الخامسة** هي فئةُ المرْضى والعمْيان الذين اسْتثنوا من السّوق[6].

أمّا **الفئةُ السّادسةُ والأخيرة** هي فئةُ الشّخصيات الخاصّة؛ حيث تأجّل سوقُ المصور بابا زيان من الملّة الأرمنية، وأبو زوجة الطّبيب نيقولا من أطبّاء المستشفى البلغاري باسطنبول حتّى إشعار آخر[7]. وفي برقيةٍ من مديرية الأمن العام التّابعة لنِظارةِ الدّاخلية إلى ولايةِ قونية تُعْلمها فيها بصَرْف النّظرِ عن ترحيل باغوص التّكفور طاغى ،وبقائه في قونية ،وهو ابنُ أخ أغوب بوياجيان، المبعوثِ السّابق عن تكفور طاغ[8].

إلى جانبِ ما ذكَرْناه اتّخذتِ الدّولةُ العُثمانية إجراءاتٍ أخرى، اتّجاه الأرمن الداخلين أو الخارجين من الأراضي العثمانية؛ حيث لم يُسمَحْ للأرمن الذين تتراوحُ أعمارهم بين 16 و60 سنة من السّفر إلى الخارج، بينما سُمح للأرمن الذين يحوزونَ جوازاتِ سفرِ الدّولِ المحايدة، والرّاغبين في السفر من الداخل إلى الخارج لأسبابٍ

(1) ***BOA, DH, ŞFR, Nr 22 / 55***.
(2) ***BOA, DH, ŞFR, Nr 48 / 55***.
(3) ***BOA, DH, ŞFR, Nr 19 / 55***.
(4) ***BOA, DH, ŞFR, Nr 53 / 295***.
(5)***BOA, DH, ŞFR, Nr 54 / 150.***
(6)***BOA, DH, EUM, 2 , 5b, 68 / 83***.
(7)***BOA, DH, ŞFR, Nr 21 / 55***.
(8)***BOA, DH, ŞFR, Nr. 57 / 136***.

شخصية أو تجارية، على أنْ لا يدخلوها مجدّدًا إلى غايةِ انتهاء الحرب. كما لم يُسْمح لأيّ أرمنيّ موجودٍ بالخارج مهْمَا كانت جنسيّتُه من الدّخول إلى الدولة العليّة(1).

لكنْ بالرّغم مِن هذه الإجراءات الصّارمة، إلّا أنّه هناك بعضُ الأرمن الذين غادروا إسطنبول، وقرّروا الإقامةَ بالنمسة حاملينَ معهم مبالغَ كبيرة لاستخدامِها في خدمة المسألة الأرمنية، ففي رسالةٍ سريّة من "فؤاد سليم بك" السّفير العثماني في "برن"، والمؤرّخة بتاريخ 08 شباط 1916؛ تفيد بأنّ الأرمن الذين غادروا إسطنبول وقرّروا الإقامةَ في النمسة حملوا معهم مبالغَ كبيرةً لاستخدامها في خدمةِ المسألة الأرمنيّة، وفي حركاتِ الفساد والشّقاوة التي سيقومونَ بها ضدّ الدّولةِ العثمانية ،ولأنّه تقرّر لدى الحكومةِ العثمانية أنّ هذه الأموال تهرّب إلى الخارج بواسطة البنوكِ أو بسائرِ الصّور الأخرى، فإنّ الحكومةَ العُثمانية تمنعُ تهريبَ تلك الأموال إلى الخارج ،مثلها في ذلك مثل التّدابير المتّخَذة في بلدان الحكومات المتحاربة(2).

4-الحوادث التي تعرضت لها قوافل السوق:

تعرّضت قوافلُ الأرمن الذين شملهم السّوقُ لعدّةِ حوادث أدّتْ إلى قتلهم، وسلْبِ ونهب ممتلكاتهم التي حملوها معهم، فعلى سبيل المثالِ نقرأ في الوثيقةِ المؤرّخة بـ 15 حزيران 1915، وهي عبارة عن برقيّةٍ مُرسَلة من قِبَل مديريةِ الأمن العام ،التّابعة لوزارة الدّاخلية ،إلى ولايات ديار بكر، ومعمورة العزيز وبدليس؛ حيث أبلغت ولاية أرضروم بأنّ قافلةً قِوامُها 500 من الأرمن الذين هَجروا من أرضروم، قد قُتِلوا من قِبَل الأكراد في أرزنجان(3) وأرضروم، ولتفادي مثل هذه الحوادث طلبَ من الولايات المذكورة سابقًا القيامُ بالتّدابير اللازمة للحفاظ على أرواحِ الأرمن الذين يَشْملهم السّوق على الطّرق قدْرَ الإمكان، وقمْع كلّ مَن تسوّل له نفسُه الفرارَ أثناء عملية السّوق، أو الذين يقومون بمهاجمةِ المكلّفين بحمايتهم(4).

---

(1)***BOA, HR, HU, Kr, 109 D. 1 / 7.***

(2) ***BOA, HR, HU, Kr. 178 / 20.***

(3) **أرزنجان:** لواءُ أرزنجان, هو على غربِ الولاية، إدارةُ مركزه عن الولاية أرضروم 32 ساعة، ويحتوي على 54 ألف نسمة ذكورًا. بلد أرزنجان هو في سهلِهِ مُحاطٌ بجبال صره، بساتينُه ومزارعه ممتازة، كما هو مركز الجيش الرابع، يحتوي على ثكناتٍ عسكريّة ومستشفى ومصنع أقمشة، وأرضُه زراعية قويّة، فيها من جميع الفواكه والذّخائر والقطن، أهمّ أقضيته، قضاء أرزنجان نفسه، قضاء قوريجاي، قضاء رفاهية. أحمد الشرقاوي، جغرافية... مرجع سابق، ص، 136.

(4) ***BOA, DH, ŞFR, 9 /54.***

كما قام عُصاة درسيم[1] بقطْع الطّريق على قوافلِ الأرمن المرَحّلين تحتَ الحماية من أرضروم، ثمّ قاموا بقتْلِهم، وقدْ أقرّت وزارةُ الدّاخلية أنّ تخليصَ قوافل الأرمن مِن أيديهم أمرٌ غيرُ ممكِن، لذلك وجبَ استكمالُ التّدابير اللازمة بتأمين حمايةِ القوافل القادمة على وجْه السّرعة لمنع استمرارِ الجرائم التي يرتكبها الدرسيميون[2]. لم تقتصرْ أعمالُ القتل على قوافلِ الأرمن المهجّرين فحسب؛ بل شملتْ– أيضًا– الأرمنَ الذين ينتظرون دورَهم في التّهجير، وهذا ما نسْتَشفّه من خللِ الوثيقة المؤرّخة بـ 123 تموز 1915، حيث وقعتْ عمليّةُ قتلٍ جماعية ضدّ الأرمن والمسيحيّين في ولاية أرضروم، كما تعرّض للذّبحِ 700 من الذين رخّص لهم بالبقاءِ من الأرمن والنّصارى في ماردين[3] ؛ حيث أخْرِجوا من المدينة ليلًا, وذُبِحوا ذبحَ النّعاج، لذلك طلبتْ وزارةُ الداخلية إنهاءَ مثل هذه الوقائع التي إنِ اسْتمرّت فإنّها ستؤدّي إلى قتْلِ عموم النّصارى في المنطقة ممّا سيؤثّر سلبًا على الرأي العام العالمي[4].

يمكنُ أنْ نعتبرَ أنّ هذه الحوادث التي تعرّضَ لها الأرمن– والتي ذكرناها– فيضًا من غيض ،وهي حوادث جدُّ عاديّة يمكن أن يتعرّضَ لها أيُّ شخصٍ خلال سفره من منطقةٍ إلى أخرى ،والأمرُ في تقْديرنا لا علاقة له بالإثنية الأرمنية أو بالدّيانة المسيحية ،مع التّذكير أنّ هذه الحوادثَ كانت تقعُ لهم – الأرمن– حتّى في المناطق التي كانوا يقْطُنونها ،إلّا أنّ هذه الهجمات التي كانوا يتعرّضون إليها خلالَ عملية السّوق ،قد أعطتْ صورةً سلبية عن الدّولة العثمانية ،إلى جانبِ اتّهامها بإبادةِ الأرمن، فإنّها قامت بالتواطؤ مع قطّاع الطّرق سواء من الأكراد أو الأعراب ،وذلك من خلال السّماحِ لهم بقتْل وسلْبِ الأرمن ونهْبِهم ،ولا يمكننا في هذا الإطارِ الجزمُ بمدى صدقِ هذه المقولة ؛لعدمِ توفّر الأدلّة لدينا.

---

(1) **درسيم:** هي عبارة عن قطعةٍ من كردستان, على شمالها وشرقها أرضروم، وعلى جنوب غربها ديار بكر ومعمورة العزيز، محدودة ومخطوطة بها، مساحتُها خمسة آلاف كيلومترًا مربّعًا، مجموعُ نفوسِها 150 ألف نسمة. أراضيها بحسب هي مائلة إلى الفرات، ونهر مراد، عمومُ أراضيها جبليّة ومائلة، وأعلى جبالها من جهة الشرق (سيلبوس)، وفي وسطها جبال (مال)، و(دوزيف) وجبل (موزور). أحمد الشرقاوي، جغرافية... مرجع سابق، ص ،234.

(2) ***BOA. DH, ŞFR, 54 / 162***.

(3) **ماردين:** يشكّل قسمُ جهة الجنوب من ولاية ديار بكر، أهالي ماردين عمومًا يتكلّمون اللغة العربية, وأكثرهم يعلمون التّركية، العشائر وأهل القرى أكثرُهم أكراد. أحمد الشرقاوي، جغرافية...، مرجع سابق، ص ،222.

(4) ***BOA, DH, ŞFR, 54 / 406.***

المَطْلبُ الثّالث: الإجراءاتُ المتّخَذَة لتسْيير أعمالِ التّهجير:

1-وسائل النقل المستعملة في السوق:

قبل أن نتطرق لوسائل النقل المستعملة في السوق، تستوقفنا كلمة سوق والتي تعني هنا قيادة فئة من الناس، وتوجيههم إلى مكان معين وهي كلمة عربية مستخدمة في الوثائق العثمانية، بمعناها العربي، وقد استخدمتها هنا للأمانة وليس فيها أي نوع من الإهانة.

تمّت عمليةُ تهْجير الأرمن عنْ طريق عرباتِ القطار، لكنْ في غالب الأحيان تمّ سوْقهم سيرًا على الأقْدام في قوافل. بالنّسبة للقطار لم تتمكّنِ الدّولةُ العثمانية من توْفير عربات قطارٍ كافية خلال عملية السّوق لأنّ الدولة كانتْ في حالة حربٍ ممّا جعلها في حاجةٍ ماسّة لهذه الوسيلة، وذلك من أجلِ نقل المهمّات العسكرية، أو بسبب السّوقيات العسكرية يتعذّر الحصولُ على عربات[1].

في وثيقةٍ مؤرّخة بـ 25 نيسان 1915، قامتِ الدّولةُ العثمانية بعمليّة سوق 180 من رؤساء المنظمات الأرمنية من الأرمن المحظور إقامتُهم، و اركابهم بالقطار رقم 78 ،والذي ينطلقُ من حيدر باشا الساعة العاشرة وثلاثة وعشرون دقيقة مِن مساء هذا اليوم، ووصولهم إلى أنقرة في السّاعة الثامنة من اليوم الموالي بالقطار رقم 164، بمرافقة قوّةٍ مؤلّفة من 75 ،بينهم خمسة عشر من الشّرطة وضابطان وضابط شرطة وموظّف مدني[2]. وورد في وثيقةٍ أخرى مؤرّخة بـ 16 آب 1915 أنّ عموم الأرمنِ السّاكنين في ولاية أضنة سيرسَلون إلى الجبل عن طريق مركزِ لواء جبل بركة الإصْلاحية[3]، ويقدّر عددُ الأرمن الذين أرْسِلوا إلى مركزَ الولاية ما بين 14 ألف و 15 ألف أرمنيّ، منهم 12 ألف تقريبًا بالقطار إلى العثمانية[4].

(1) ***BOA, DH, EUM, Şb, 68/ 73.***
(2) ***BOA, DH, ŞFR, 52 / 102.***

(3) **الإصلاحية:** قضاءٌ يقع على مسافة 12-ساعة عن بياس، فيه مدفونٌ الصّحابيّ عكاشة رضي الله عنه. أحمد الشرقاوي، جغرافية.... مرجع سابق، ص ،206.

(4) **العثمانية:** منطقة كائنة على شمال بتليس على مسافة 10-ساعات، نفسه، ص، 206.

كما استعملتِ الدّولةُ العثمانية قطاراتِ البريد خلالَ عملية السّوق، حيث وردَ في أحد الوثائق أنّه تمّ ترْحيل 500 أرمني من قونية[1] بواسطةِ قطارات البريد ،وذلك في غُضون ثلاثة أيام[2]، وفي هذا الإطار يجبُ التّنويه إلى أنّ استعمالَ قطارات البريد لم يكنْ مُتاحًا إلّا إذا وجدتْ أماكن خالية، حتّى عدد الأشخاص الذين يتمّ سوْقُهم كان محدودًا؛ حيث حصرتْه أحدُ الوثائق ما بين 20 و 30 شخصا فقط بقطارِ البريد[3].

علاوةً على ذلك ، كانت وزارةُ الدّاخلية- في بعض الأحيان- تقومُ بترحيلِ الأرمن عن طريق القطار؛ لما تقدّر أنّه ليستْ هناك إمكانيةٌ لإرسالهم سيرًا على الأقدام، خصوصًا إذا كانوا قد قطَعوا مسافاتٍ طويلةً على أقْدامهم، ففي وثيقةٍ مؤرّخة بـ 10 تشرين الأوّل 1915، وردَ فيها أنّه لما كانت كلّ القطارات مخصّصة في تلك الفترةِ لنقْل المهمّات العسكريّة، وعدمِ وجود قطارٍ يتّجه إلى بوزانطي بشكلٍ دوْري، وقد تجمّع في محطات قره مان وأركلى الكثيرُ من الأرمنِ الذين أتوْا هناك سيرًا على الأقدام لعدمِ وجودِ إمكانية إرسالهم سيرًا على الأقدام مجدّدًا، ونظرًا لعدم وجود إمكانيةٍ لإرسال قطار؛ فإنّه تمّ ترحيلُ 1050 أرمني بواسطة أربعة عشَرَ عربةِ شحن[4]. والذي لاحَظْناه أنّ هذه الوثيقةَ لم تبيّن ما يتمّ شحنُه في هذه العربات، لكنّ بعضَ المؤرّخين أشار إلى أنّ هذه العربات كانت مخصّصةً لنقل الماشية حسبَ شهود عيان[5].

كما استعملتْ خلالَ عملية سوْق الأرمن وسائلُ خاصّةٌ بهم، حيث وردَ في إحدى الوثائق أنّه خلال عمليّةِ سوق الأرمن من حاجين وتكه وقوزان وقارص؛ إلى عثمانية، اسْتعملوا وسائطَ نقلِهم الخاصّة[6] ،وأهملت الوثيقةُ ذكْرَ هذه الوسائل، ولنا أنْ نتصوّر وسائلَ النّقل التي كانت مُتاحة خلال تلك الفترة ،والتي قد تكون حيوانات مثلَ الأحصنة والحمير، أو عربات تجرّها الحيوانات، لكنّ المؤكّدَ أنّ هذه الوسائل كذلك كانت تتعرّض

---

(1) **قونية:** ولاية قونية تقعُ على جنوب آسيا الصّغرى، شمالًا أنقرة إلى خداوندكار، وغربًا أيدين, وشرقًا أطنة، وجنوبًا بحر سفيد كوفرز أنطالية، مُحاطة ومحدودة بهذه المذكورات, مساحتها 87 ألف كيلومترٍ مربّع. أحمد الشرقاوي، جغرافية.... مرجع سابق، ص، 191.

(2)***BOA, DH, EUM, 2. Şb. 68 / 195.***
(3)***BOA, DH, EUM, 2. Şb, 68 / 73***.
(4) ***BOA, DH, EUM, 2. Şb, 68 / 99***.
(5) *Arnold j. Toynbee, **Les massacres des Arméniens, le meurtre, d'une nation (1915 – 1916)**, traduit par Claire Mouradian, Edition Pajot, Paris, 2012, p.**54**.*
(6)***BOA, DH, EUM, 2. Şb, 68 / 77.***

للسّلبِ والنّهب مِن طرف قطّاع الطّرق، ممّا يجعل الأرمنَ يضطرّون لمواصلةِ المسيرة الشّاقة سيرًا على الأقدام. علاوةً على ذلك كانت وزارةُ الدّاخلية تقومُ باستئجار عرباتٍ من مخصّصات المهاجرين لسوق الأرمن(1).

إنّ السّوقيات الجزئيّة للأرمن بالقطاراتِ اليوميّة لم تكنْ تفي بالغَرض؛ لذلك تمّ الموافقة على ترحيل الأرمن سيْرًا على الأقدامِ بناءً على طلب السّلطات العسكريّة ترحيلهم على وجْه السّرعة(2). يتبيّن لنا من خلال ما ذكرناه أنّ وسائلَ النّقل كانت قليلةً جدًّا وغيرَ كافيةٍ في نفس الوقت، وقد أرجَعْنا أسبابَ ذلك بالدّرجة الأولى إلى الأوْضاع التي كانت تعيشُها الدّولةُ العثمانية، والمتمثّلة في مشاركتِها في الحرب العالمية الأولى ممّا جعلها تضطرّ لتهْجِيرهم سيرًا على الأقدام.

2-**حماية قوافل السوق:**

مِن المشاكلِ التي واجهتِ الدّولةَ العثمانية خلالَ عملية سوق الأرمنِ سيرًا على الأقدام هي كيفية حماية القوافلِ مِن عمليّات السّلبِ والنّهب وهجومات العِصابات، حتّى فرار الأرمن؛ لذلك اتّخذتْ وزارةُ الدّاخلية تدابيرَ لحماية القوافل تمثّلت في تخْصيص قوّةٍ عسكريّة مرافقة للقوافل، من أجلِ تأمين وصولِها إلى وِجْهتها، يطلق عليها "مأمورية السّوق"(3)، إلّا أنّ هذه القوةَ العسكريّة لم تكنْ كافيةً لأداء مهامّها، والسببُ الأرجح يعود لظروف الحربِ التي كانت تعيشُها الدّولةُ العثمانية؛ حيث وردَ في البرقيّة الصّادرة عن مأموريةِ السوق بقونية عدم تطبيق التّعليماتِ الخاصّة المنظّمة والمبلّغة حولَ السّوق كما هي، والتراخي، وتبيّن التّساهل الشديد(4).

كما اتُّخذتْ تدابيرُ أخرى تتمثّل في تطبيقِ الملاحقاتِ القانونيّة الفورية، بحقّ كلّ مَن يهاجم القوافل، و"بصورةٍ خاصّة بحقّ الذين تنتابهم الشّهوات البهيميّة، ويتجرؤون على الغصْبِ وهتْكِ العرض، وكذلك بحقّ الموظّفين والدّرك الذين يسْهلون عليهم ذلك، وتأديبهم بقسوةٍ والعزل الفوريّ لمثل هؤلاء من الموظّفين ،وتسليمهم للمحْكمة العسكرية والإبلا غ عن أسمائهم"(5).

وهكذا يبْدو لنا مِن خلال ما ذكرْناه أنّ الدّولةَ العثمانية حاولتْ قدْرَ الإمْكان المحافظةَ على حياة الأرمن خلالَ التّهجير، لكنّ هذا لم يمنعْ من تسْجيل عدّةِ تجاوزاتٍ قامتْ بها عصاباتُ الأكراد، الهدفُ منها هو

(1) ***BOA, DH, ŞFR, Nr. 65 / 100***.
(2) ***BOA. DH. EUM, 2. Şb. 68 / 81.***
(3) ***BOA, DH, EUM, 2. Şb. 68 / 12.***
(4) ***BOA, DH, EUM, 2. Şb. 68 / 12.***
(5) ***BOA, DH, ŞFR, Nr. 55 / 292***.

الاستيلاءُ على الممتلكات التي كان يحملُها الأرمن معهم، أوْ سَبْي الفتيات لبيعهنّ, وذلك بالتّواطؤ مع الحرس[1]، الذينَ لم يكونوا محلَّ ثقةٍ، فتحوّلوا من أداةٍ لتأمين حياةِ الأرمن إلى أداةٍ لقتلهم ونَهْبِهم.

3-مصاريف التهجير والإعاشة:

الأرمنُ الذين تمّ تَهْجيرهم مِن مواطِنِهم الأصلية، سواء المتواجدة في شرق الأناضولِ أو في مناطقَ أخرى من الأناضول؛ لتقومَ الدّولةُ بإسكانهم في عدّةِ مناطقَ مثل جنوبي أورفة، والموصل ولواء الزور، والقسم الجنوبي من ولاية حلب والقرى والقصبات بداخل لوائي حوران[2] والكرك بولاية سورية[3]، على أن يتمّ توزيعُهم بنسبة 10% من السّكان المسلمين[4]، حتّى لا يشكّلوا قوّةً تجعلهم يتّحدون ضدّ الدولة العثمانية.

مِن أجل ضمان السّير الحَسَن للعملية؛ تكفّلتِ الدّولةُ العثمانية بدفْعِ مصاريف النقل والإسكان والإعاشة والمؤن، حيث نقرأ في وثيقةٍ مؤرّخة بـ 19 آب 1915، أنّه يتعيّن سوْق جميع الأرمن القادمين من كوتاهية[5] إلى حلب، وستؤدّى كافّةُ المصاريف التي تصرّف مِن أجلهم من مخصّصات المهاجرين، وقد أعدّت حوالة بمبلغ 100 ألف قرش قيْدَ الإرسال[6].

بالرّغم من التّدابير المتّخَذَة من أجل إعاشةِ الأرمن المهجّرين، إلّا أنّ هذا لم يمنعْ من وجود عدّة تجاوزات أدّت إلى موتِ الأرمن جوعًا، وهذا ما أشارتْ إليه وثيقةٌ مؤرّخة بـ 13 تشرين الأوّل 1915، حيث طلبت وزارة الدّاخليةِ إرسالَ ما لا يقلّ عن 100 ألف ليرة من أجل تأمين إعاشتِهم، وذلك نتيجة لوجود خسائر وأضرار يوميًّا بسببِ الجوع في القوافل الأرمنية، كما طلبتْ إفادتَها بمعلوماتٍ حول كفاية المخصّصات التي تمّ صرفُها لهم أو عدم كفايتها[7].

---

(1) **الإبادة الكبرى 1915 – 1918**...، مرجع سابق، ص، 342.

(2) **حوران:** هو على جهة الجنوب من ولاية "سورية"، أهمّ أقضيته حوران نفسه ،وقنطرة عجلون ،وجبل الدروز، نفسه، ص، 320.

(3)***BOA, DH, ŞFR, Nr. 54 / 308.***

(4)***BOA. DH, ŞFR, Nr. 54 / 413***.

(5) **كوتاهية:** لواءُ كوتاهية هوَ داخل ولاية بروسنة، ومتشكّل ما بين لواء بروسة ولواء أرطغل على مسافة 27 ساعة، ويحتوي على 22 ألف نسمة، أهمّ أقضيته قضاء كوتاهية نفسه، إسكي شهر، قضاء العشاق، قضاء سما. أحمد الشرقاوي، مرجع سابق، ص ،158.

(6) ***BOA, DH, ŞFR, Nr. 54 / 328***.

(7) ***BOA, DH, ŞFR, Nr. 57 / 110***.

أوكلتْ مصاريفُ الإعاشة والمؤن لإدارةِ المهاجرين(1)، وهي إدارةٌ تتكفّل بكلّ الأمور الخاصّة بالهجرة ،سواء الأرمن أو حتّى المسلمين الذين هاجروا مِن البلقان وروسيا، وقد كانتْ تؤدّي مهامّها بمساعدة الجيش الرابع الذي يقومُ بتوفير المؤن اللّازمة للأرمن(2)، هذا لم يمنعْ من وقوع الكثيرِ من القوافل فريسةً للموتِ جوعًا نتيجة عدم تلقّيهم المعونةَ اللازمة، رغم أنّ وزارةَ الدّاخلية قد نبّهت بوجودِ أرمن ،وأغلبهم من النّساء والأطفال ،لا يتلقّون إلّا مقدارًا قليلًا جدًّا من الخبز يوميًّا؛ لذلك طلبتْ صرفَ خبزٍ كافٍ لهؤلاء المهاجرين(3).

يبدو لنا– مِن خلال ما ذكرناه– أنّ عمليةَ التّهجير تمّت في ظروفٍ غير عادية، يستحيلُ فيها على الدولة العثمانيةِ أنْ توفّر لكلّ هؤلاء المهجّرين قسرًا المئونة كلَّ يوم، على الأقلّ الخبز والماء كأبسط شيء، لذلك ماتَ العديدُ منهم جوعًا وعطشًا، وحتّى الذين نجوا منهم لم يجدوا مكانًا يعودون إليه سوى مخيّماتٍ تنعدم فيها ظروفُ الحياة، بعدما كانوا ميْسورين في مواطنِهم، فوجدوا أنفسَهم بعد أنْ دقّت طبولُ الحرب قدْ فقدوا كلَّ ما يملكونه.

المَطْلبُ الرّابع: مصيرُ مُمتلكاتِ الأرمن المتروكة، والمشاكلُ النّاجمة عن التّهجير:

1–مصير ممتلكات الأرمن المتروكة:

معَ بداية التّهجير، دخلتْ مسألةُ أموال الأرمن المتروكة جدْولَ أعمال التهجير، هذا ما دفعَ بوزارة الدّاخلية لاتّخاذِ عدّة تدابيرَ للمحافظة على هذه الأموال، نذكرُ منها:

- إذا لم تكنْ هناك إمكانيةٌ لإرْسال المهاجرين في الوقتِ الحالي لمنازل الأرمن التي أخْلِيت، فإنّه على كلّ الأحوالِ يصار إلى إسكانِ المهاجرين القادمين من باطوم وما حولها في القرى والقصبات التي أخليت، وبشأنِ تأمين إعْمار الأملاك والأراضي يتعيّن إيجارُها بمقابل، أو بتقسيم وارداتها مناصفة، ولا يجوز بيْعُها في الوقتِ الحاضر.
- بيع الأشياءِ التي يطرأ عليها الفسادُ ضمنَ إطار التّعريفات المبيّنة في التعليمات.
- تسجيل الأشياءِ والأموال المجموعة في البيوت باسْم أصحابها إذا كانوا معروفين، وبأسماءِ الأماكن التي وجِدَتْ فيها إذا لم يَعْرفوا أصحابَها، ووضْعها في أماكنَ محفوظةٍ، وإثباتها في دفتر.
- عدم تخصيصِ الأملاك لأشخاص أو مؤسّسات بأيّ صورةٍ من الصور.

(1) ***BOA, DH, ŞFR, Nr. 63 / 60.***
(2) ***BOA, DH, ŞFR, Nr. 57 / 317.***
(3) ***BOA, DH, ŞFR, Nr. 57 / 345.***

- المحافظة على السّاعاتِ والمجوهراتِ باسْم أصحابها إذا عُرفوا، وباسْم الأماكن التي وجِدَت فيها إذا لم يُعْرَفوا، وتسجيل نوْعها وقيمتها في دفتر، ووضعها في صندوقٍ مخصّص بالبنك بحضور لجنةٍ بعْدَ إثباتها في دفترٍ أيضًا.
- تأخير تحصيلِ الضّرائب المتعلّقة بالأرمن المبْعَدين، وعدم ملاحقتِهم لكوْنهم مقبوض عليهم، وعدم تصحيحِ قيود هذه الأملاك باسْمِ آخرين في أيّ وقت.
- عدم اعتبار الوكالات والكمبيالات بالتواطؤ[1].

يصبحُ في ضوْء ما تقدّم، أنّ وزارةَ الدّاخلية قد اتّخذتْ إجراءاتٍ صارمةً للمحافظة على أموال الأرمن إذ نجدها- بادئ ذي بدْء- تُصْدِر قرارًا ينصّ على عدمِ المطالبة بالدّيون المترتّبة على الأرمن المهجّرين[2]، ثمّ من أجل المحافظةِ على الأموال التي خلّفوها عقبَ تهجيرهم- سواء المنقولة أو غير المنقولة- تقوم بتشكيل لجنةٍ أطلقت عليها اسم "لجنة الأموال المتروكة"[3]، وتتشكّل هذه الأخيرةُ من موظّفي الإدارة والمالية، وذلك للمحافظة على الأموالِ المتروكة، وتقييدها في دفاتر[4].

لم تكتفِ وزارةُ الدّاخلية بهذه التّدابير فقط؛ بل قامتْ- كذلك- بإصدارِ جُملةٍ من الإجراءات للمحافظة على أموالِ الأرمن المنقولة، نلخّصها فيما يلي:

- نظرًا لورود أخبار ببيع الأموال المنقولة للأرمن المرَحّلين بصورةٍ رخيصةٍ جدًّا، وأنّها أصبحت حكْرًا سيّئًا لأربابِ الاحتكار مِن هنا وهناك، وأنّ البيعَ يتمّ بأثمانٍ لا تُذْكر، ويتضرّر أصحابُها ضررًا بالغًا، لذلك طلبتْ بعدمِ السّماح لأيّ أجنبي مشبوهٍ ومجهولٍ بالدّخول إلى المناطق المقرّر إخلاؤها، والسّير فيها، وإخراجهم- إذا كانوا قدْ دخلوها- فورًا.
- إذا كان مِن بين هؤلاء مَن اشترى مالًا رخيصًا يُصار إلى اتّخاذ تدابير، كأنْ يفسخ البيعُ، والسّعي لإرجاعها إلى قيمتِها الأصليّة، وعدم إفساحِ مجالٍ للكسْب غير المشروع، والسّماح لهؤلاء بحمْلِ الأشياء التي يريدونها.
- بيع الأشياءِ التي لا يحملونها وتفسَد إذا بقيَت، وما كانت من الحوائجِ الضّرورية بالمزاد.

(1) ***BOA, DH, ŞFR, Nr. 54 / 420.***
(2)***BOA, DH, ŞFR, Nr. 53 / 200***.
(3)***BOA, DH, ŞFR, Nr. 54 / 315***.
(4) ***BOA, DH, ŞFR, Nr. 54 / 226***.

- المحافظة على الأشياءِ المحمولةِ ولا تفسَد إذا بَقيَت؛ بأسماءِ أصحابها.
- منع العقودِ التي لا تزيدُ علاقة الملكية والتصرّف لأصحابها في الأموال غيرِ المنقولة، مثل الإيجار والرهن والبيع والوفاء والحجز، وغيره؛ واعتبار العقود المبْرَمَة من بدايةِ الهجرة– وحتّى الآن– مَفْسوخة.
- عدم إفساحِ المجال للمقاولاتِ والعقود التي لها صفةُ التّواطؤ.
- السّماح بمعاملاتِ البيع القطعي ، ويتعيّن منعُ الأجانب من شراء الأراضي والأملاك[1].

مِن خلال هذه الوثيقةِ يتبيّن لنا أنّ الدّولةَ العُثمانية قد منعَتِ التّلاعبَ بممتلكات الأرمن، وذلك من خلالِ استغلال ظروفِ تهجيرهم لشراءِ مُمتلكاتهم بمبالغَ زهيدة، ولا يتمّ بيعُها إلّا بالمزاد العلني بعد أنْ يتمّ تحديدُ أسعارها الحقيقيّة نقدًا[2]. ومِن أجل حلّ تداعياتِ مشْكل المهاجرين أصدرتْ قرارًا ينصّ على إسكان اللاجئين المسلمين في القرى التي أخْلاها الأرمن[3].

2– أعدادُ الأرمن الذين تمّ ترحيلُهم

مِن المعروفِ عنِ الدّولةِ العثمانية أنّها دولةٌ لم تهْمِلْ صغيرةً ولا كبيرة إلّا قامتْ بتوثيقها، لذلك يعتبر الأرشيفُ الذي خلّفته مِن أضخمِ الأرْشيفات في العالم، ويحتلّ موضوعُ التّهجير والإسكان أهميةً كبيرةً ضمنه، فهو يتيحُ للباحث فرصةَ الاطّلاعِ على معلوماتٍ في غايةِ الدّقة حولَ سيْر عملية السّوق، وهذا إنْ دلّ على شيء فهو يدلّ على أنّ الدّولةَ العثمانية كانت حريصةً على توفير معلوماتٍ إحصائيّة متجدّدة عنْ أعداد الأرمن المهجّرين، والأماكن التي هُجّروا منها، والأماكن التي سوفَ يتمّ إسكانُهم بها. ففي وثيقةٍ مؤرّخة بـ 09 حزيران 1915 نقرأ قيامَ متصرفيّة قيصرية[4] بإرسالِ برقيّةٍ إلى وزارة الداخليةِ تبيّن فيها عددَ الأرمن الذين سيتمّ ترحيلُهم من قرية كوجوك اينجه صوْبَ قضاء دوه لو[5] نحْوَ أكسراي، والبالغ عدَدُهم 600 شخصٍ [6].

(1) ***BOA, DH, ŞFR, Nr. 54 / 381***

(2) ***BOA, DH, ŞFR, Nr. 55 / 107.***

(3) ***BOA, DH, ŞFR, Nr. 54 / 149.***

(4) **قيصرية:** يتشكّل هذا اللواءُ في جنوب شرق الولاية أنقرة، ويحتوي على 40 ألف نسمة. أحمد الشرقاوي، جغرافية... مرجع سابق، ص، 152.

(5) **دوه لو:** وهو قضاءٌ يقعُ جنوب قيصرية، وعلى جنوب جبل أرجياس على مسافة سبع ساعات عن اللواء المذكور.

(6) ***BOA, DH. EUM. 2. Şb. 68 / 36.***

كما تطلعنا وثيقةٌ أخرى مؤرّخة بـ 01 تموز 1915، وهي عبارة عن برقيةٍ من ولاية طرابزون إلى وزارة الدّاخلية؛ عنْ أعداد الأرمن الذين تمّ سوْقهم، حيث تمّ سوق 328 من كيره سون[1]، و390 من السكان، بالإضافةِ إلى قافلةٍ من الأشخاص الفارّين من ناحيةِ برشمية التّابعة لقضاء أوردو[2]، وحوالي 45 آخرين من قضاء تيره بولو[3]، وقبْلَ يومين حاولتْ قافلةٌ مشكّلةٌ من 36 شخصًا الفرارَ خلالَ السّوق قرْبَ غابة أولوبك فتمّ اسْتئصالُ ستّةٍ منهم أمواتًا، وإجبارُ الآخرين على اللّجوء، وإخراج 250 من السّكان الموجودين في قضاء كوره له[4] جميعًا، كما أنّ القسّيس كرابيت- الذي اشتركَ في القافلة الثّالثة التي تشكّلت من تيره بولو- ترَكَ أسرتَه[5]. ما نلاحظُه على هذه الوثيقة هوَ دقّة المعلومات التي وردت فيها.

وفي وثيقةٍ أخرى مؤرّخة بـ 12 تموز 1915، لاحظنا أنّ وزارة الداخلية أرسلت إلى مختلف الولايات، تطلبُ منها إطْلاعَها على عددِ الأرمن المبْعَدين، ومواقع وأسماء الأماكن التي أخرجوا منها، وهذه المعلومات التي طلبتْها وزارةُ الدّاخلية سبقَ لها وأنْ طلبتها، لكنّ بعضَ الجهات لم تجبْ عليها، وحتّى الجهات التي أرسلت معلوماتٍ فإنّها تتضمّن الأسسَ التي يجبُ معرفتُها في تعْيين سياسة الإسكان وتوزيع المهاجرين، لذلك أصبحَ من الضّروري الإشعار مرّةً أخرى بعددِ الأرمن المبْعَدين، ومِن أين هجّروا، وأين سيتمّ إسكانُهم، وأسماء القرى والقصبات التي أخْلِيَت جزئيًّا، وعمّا إذا كان الأمرُ يتطلّب إرسالَ المهاجرين إلى الأماكن المخليّة أم لا، وعدد المهاجرين اللّازمين، وإذا ما كانتْ في الجوار عشائرُ يمكن توْطينها[6].

ومِن خلال الوثائق العثمانية الرسمية، فقدْ بدأ التهجيرُ بشكلٍ مُنتظم، وبإشراف السلطات في 9 يونيو 1915، ثمّ انتهى في 8 فبراير 1916م. ويُمكننا حصرُ الأعداد لكلِّ مدينةٍ على حدة من خلال المراسلات والدّفاتر المقيّدين بها، سواء هؤلاء الذين تمّ تهجيرُهم، أو أعداد الأرمنِ الآخرين الذين تمّ استثناؤهم من عملية التهجير.

---

(1) **كيره سون:** تقعُ على الجانبِ الغربي من طرابزون، وهو على ساحل البحر. أحمد الشرقاوي، جغرافية.... مرجع سابق، ص،125.

(2) **قضاء أوردو:** هو على غرب طرابزون، وبناء مركز الحكومة، مبنيّ في لبّ الوادي، نفسه، ص، 126.

(3) **قضاء تيره بولو:** موقعُه في لبّ الوادي على غرب ولاية طرابزون، نهر خارشيت، هذا النّهر يشقّ القضاء، ويصبّ في البحر في شرق تيره بولو، نفسه، ص، 125.

(4) **قضاء كوره له:** يقع على جهة غرب ولاية طرابزون على ساحل البحر، مركز الحكومة في قصبة (الكو)، نفسه، ص، 125.

(5)***BOA, DH, EUM, 2. Şb. 68 / 41***.

(6) ***BOA, DH, ŞFR, Nr. 54 / 412.***

وفيا يلي جدولٌ تفْصيلي بأعداد الأرمن المهجّرين من 24 منطقة [1]:

المنطقة أو المدينة	المنقولون	الباقون
أضنه	14000	15
أنقرة	21236 250	16000 733
آيدين	1200	--
بيره جيك	20000 9000	--
ديار بكر	5500	--
دورت يول	7000 328	--
أرضروم	250	--
أسكي شهر	26064 60	--
كيره سون	256	--
جورالا	58000 257	--
حلب	5769	--
هايمانه	45036 1169	--
إزمير	747	--
إزميت	1900	--
كالاجيك	1400 51000	--
قاره حصار	--	2222 4911
قيصري	479	--
كاسكين	36 390	--
قير شهر	136084	--
قونيه	576	--
كوتاهية	290 45	4000

(1) أحمد الشرقاوي، **أبعادُ المشكلة الأرمنية**، رسالة دكتوراه غير منشورة، نوقشت في جامعة الزّقازيق، مصر، 2010م، ص 290-291.

المنطقة أو المدينة	المنقولون	الباقون
معمورة العزيز	3400	8845
مرعش	30	--
نللي خانة	10916	--
أوردو		--
برشمبه		6055
سيواس		--
شونجورلو		--
شورمانه		--
تيرابولو		--
طرابزون		--
أولو باي		--
يوزجات		--
العدد الإجمالي	422,758	32,766 أو 42,766

3–المشاكل الناجمة عن التهجير:

في برقيّةٍ مؤرّخة بـ 22 أيلول 1915 أعْلمت فيها متصرّفية قرة حصار[1] وزارة الداخلية عنْ وصول 44 عربة قطارٍ محمّلة بالأرمن بلَغَ مجموعُ مَن في المحطّة عشرة آلاف ومائة وسبعين، ونظرًا لانتشار مرض الزحار بين هؤلاء، واحتمالَ انتقال عَدْواه إلى الأفرادِ العسكريّين أثناءَ ترْحِيلهم، فإنّ الجهةَ العسكريّة ترى ضرورةً مُلحّة في سوْق هؤلاء، ونقلهم إلى أماكنَ أخرى على وجْه السّرعة[2].

(1) **قرة حصار:** يشكّل شمال شرقي ولاية سيواس، أحجارُهم مسودة, سمّي على ذلك قرة حصار، ويتكوّن من عدّة أقضية أهمّها قضاء قرة حصار نفسه، قضاء الوجره، قضاء صو شهري، قضاء الحميدية، قضاء قويلحصار. أحمد الشرقاوي، جغرافية... مرجع سابق، ص 146.

(2) ***BOA, DH, EUM, 2. Şb. 68 / 81.***

في برقيةٍ أخرى أرسِلتْ من طرفِ وزارةِ الدّاخلية إلى شكري بك مديرِ المهاجرين في حلب ،تعْلِمُه بأنّه وصلتْها أخبارٌ تُفيد بأنّ أمراضَ الحمّى التّيفوئدية قدِ انتشرتْ بين المهاجرينَ الموجودين في حلب ،والبالغ عددُهم 20 ألفًا، ونتيجةً لتلك الأمراض يموتُ 70 و80 فردًا يوميًّا، لذلك طلبتْ سوقهم إلى أماكنَ أخرى مخصّصةٍ لهم على وجْه السّرعة، مِن أجل المحافظة على الصّحة العامّة(1).

إنّ انتشارَ الأمراض المعْدِية لم يكنْ يهدّد الأرمنَ فحسب؛ بل كان يهدّد الأهالي المسلمين والعساكر، لذلك يمكنُ أنْ نعتبر مُشكلَ الأمراض المعْدِية المميتة مِن بين أهمّ المشاكل التي واجهتِ الدّولةَ العثمانية أثناء سوق الأرْمن، أمّا المشْكلُ الثّاني يتمثّل في مُشْكل الحصاد، ونقصدُ به عدمَ توفّر اليد العاملة الكافية لحصادِ المحاصيل الزّراعية، والسببُ يُمكن أنْ نرجعَه إلى تهْجير الأرمن مِن جهةٍ بالنّسبة لليَدِ العاملةِ الأرمنية، أمّا السببُ الثّاني يتمثّل في مُشاركةِ الرّجال المسْلمين في الحربِ العالمية الأولى، فأغلبُهم حملوا السّلاحَ، فبقيت الأراضي الزراعية دونَ حصاد.

مِن أجلِ تجاوز هذه الأزمة رأى المسئولون أنّه مِن الأنسب أنْ تُشرف الحكومةُ على حصادها وجمعها، وذلكَ بجمْع مصاريفِها مِن مخصّصاتِ المهاجرين، تحتَ إشراف لجنةِ الأموال المتروكة، وإيداع قيمةِ المتبقّي حسب السّعر المقدّر لدى الجهةِ العسكريّة بالمساعدة الفعليّة بطوابير العمال(2).

والملاحَظُ في برقيةٍ من وزارةِ الدّاخلية إلى متصرفيّة جانيك(3)، نفتْ فيها أنْ تكون قدْ أصدرت أيّ أمرٍ بشأنِ استخدام 200 من أفراد العَساكر الأرمن الذين لا يمكنُ الوثوقُ بهم، وعدم ترحيلهم؛ بلْ بالعكس من ذلك فإنّ ثلاثةَ طوابير من العمّال بمنطقة سامسون ، و 305 من أفرادِ الجنود الأرمن المستخدمين في ورشة الخياطة والإنشاءاتِ الذين وجدت الجهةُ الإدارية موانعَ استخدامِهم في المنطقة المذكورة؛ فتَمّ جلْبُهم مِن قونية إلى سيواس

---

(1) ***BOA, DH, ŞFR, Nr. 57 / 71.***

(2)***BOA, DH, ŞFR, 54 / 301***.

(3) **متصرفيّة جانيك:** يشكّل غرب ولاية طرابزون, على مسافة 160 ميلًا بحرًا، وهو على ساحل البحر في بلد سامسون، يعيش فيه 25 ألف نسمة ذكور، وعلى 7500 خانة، وهو ميناء حيويّ ومهمّ، ترسو فيه السفنُ التجارية ،وهو مدخل ومخرج للأناضول؛ لذلك فموقعُه مهمّ ومشهور. أحمد الشرقاوي، جغرافية... مرجع سابق، ص ،126.

لضمّهم إلى طوابير العمل الموقوفين، وأنّ 305 من الأفراد الذين أخْرِجوا في سامسون بهذه الصّورةِ وصلوا إلى توقاد[1] تحتَ حراسةِ المفرزة العسكريّة، وأنّهم سيَجْلبون إلى سيواس كي يعْمَلوا في خدمة الطرقات[2].

إذًا، الحكومةُ العُثمانية مِن أجلِ حلّ مُشْكل الحصادِ في المناطقِ التي أفرغت من الأرمن، اسْتفادت مِن العساكرِ في طوابير عمّالٍ لم يشاركْ فيها العساكرُ الأرمن، فجميعُهُم- نتيجة عدمِ الوثوق بهم- وجّهوا إلى ورشِ الخياطةِ، والإنشاءات، وخدْمةِ الطّرقات.

(1) **توقاد:** يقعُ ما بين لواء سيواس، ولواء أماسية، ويشكّل شمال الولاية سيواس, على مسافة 18 ساعة، ويحتوي على 20 ألف نفوس ذكورًا، أهمّ أقضيته قضاء توقاد نفسه، قضاء نيكسار، قضاء أربعة، قضاء زيله. أحمد الشرقاوي، جغرافية...، مرجع سابق، ص،145.
(2) ***BOA, DH, ŞFR, Nr. 54 / 439.***

المبحثُ الرّابع :إصدارُ قرارِ العودة، وردود الفعل المختلفة من التهجير

المطلبُ الأوّل: إصدارُ قرارِ العودة للأرمن المهجّرين.

المطلبُ الثّاني: ردود الفعل الغربيّة والعربية من تهجير الأرمن.

المطلبُ الثّالث: التهجير الأرمني على ضوء الدّراسات التّاريخيةِ العربية والغربيّة.

إنّ قرارَ التّهجير الذي صدرَ في 1915 م / 1333 هـ، كان قرارًا مؤقّتًا حسب وثيقة التهجير، وارتبط بالدّرجةِ الأولى بظروفِ الحرب العالمية الأولى، حيث خشيتِ الدّولةُ العثمانية أن يقوم الأرمنُ بمساعدة الجيش الرّوسي، وهذا التخوّفُ لم يكن مجرّدَ افتراضات، بل سبقتْه مؤشّرات لمستْها الدولة العثمانية في أرض الواقع، من بيْنها قيامُ الجنود الأرمن بالفرار من الجيش العثماني والالتحاقِ بالجيوش الروسية، والقيام بعدّة ثوراتٍ تمهيدًا لدخول القوّات الروسية، وخير مثال على ذلك "تمرّد فان".

لكنْ بعد أن وضعتِ الحربُ أوزارها أصدرت الحكومةُ العثمانية قرارَ العودة للأرمن المهجرين، بالرغم من هذا كان للقرارِ الأول عدّةُ تداعياتٍ جعلت دولَ التّحالف الثلاثي تبْدي موقفها إزاءَ ما تعرّض له الأرمن، حتى العربُ الذين كانت أراضيهم مسرحًا لاستقبال قوافلِ المهجّرين، كما كان لهم احتكاكٌ مباشر معهم. هذا الموضوع مثار الجدلِ أسال حبرَ الكثير من المؤرّخين سواء العرب أو الغربيّين، الذين اختلفت دواعيهم لتناول هذا الموضوع.

المطلبُ الأوّل: إصدارُ قرار العودةِ للأرمن المهجّرين:

ترجعُ الإشاراتُ الأولى المتعلّقة بعودةِ الأرمن إلى أراضيهم ،لتّصريح الذي أدلى به وزيرُ الخارجية العثماني أحمد نسيمي بك *Ahmed Nesimi* bey ،خلالَ اللقاء الذي أجراه مع مبعوث روسيا تروتسكي في مفاوضات برست ليتوفيسك *Brest- Litoswick* ،فحواه أنّ الدّولة العثمانية سوف تتّخذ بعضَ الإجراءات التي ستكون لصالحِ الأرمن هذه المرة ،وبدوْره أعرب الصدرُ الأعظم في تقريرٍ أرسله لوزير الخارجية الألماني بتاريخ 13 مارس 1918 م/ 1 جمادى الآخرة 1336 هـ ، أنّه سوف يفي بوعْدِه بخصوص العفو العامّ عن الأرمن، وبناء على هذا ستبدأ الدولةُ العثمانية في ربيع 1918 أولى الإجراءاتِ المتعلّقة بعودة الأرمن والروم الذين تمّ تهجيرهم. وقد كانت صحفُ الأقلّيات والصّحف الأوروبية قد أوردتْ هذا الخبر قبلَ الشّروع في عملية إعادة الأرمن ،أمّا بالنسبة للصّحافة العثمانية فأوّلُ صحيفة كان لها السّبقُ في إصدار هذا الخبر المهمّ كانت صحيفة الإقدام *(Ikdam)* وذلك في تاريخ 05 أغسطس 1918م / 28 شوال 1336 هـ .[1].

(1) *Bülent Bakar,* ***Ermeni Tehciri****, AKDITYK Atatürk Araştırma Merkezi, Ankara, 2009, s. 167.*

أمّا بالنّسبة للدّولة العثمانية ممثّلةً في وزارة الداخلية ،فقد أرسلت برقيةً مؤرّخة بـ 22 سبتمبر 1918م / 17 ذو الحجة 1336 هـ إلى كلٍّ مِن ولايات : إسطنبول أضنة وخداوندكار[1] ،قونية، أنقرة إلى ألوية إزميت، بولو، كوتاهية، قيصرى، أنطاكيا، أورفة، جائيق إسكي شهير، إيجل، مرعش، تنصّ على ما يلي:

- قرّر مجلسُ الوكلاء السّماحَ بعودة الذين طُردوا وسيقوا إلى أماكنَ أخرى، وأخرجوا بقرارٍ عسكري بسبب الأحوال الحربية؛ بعودتهم إلى قرى أخرى، وسوف يسمح بالعودةِ لمن يطلبها.
- يوجب القرارُ الأوّل تأمينَ أسباب الإعاشة والسّكن ،وسلامة المواصلات والسير ،بالنسبة للذين يريدون العودةَ من أهالي هذه البلاد ،ويشمل ذلك إدارة أرزنجان[2] مع ولايات أرضروم وطرابزون وبتليس وديار بكر ومعمورة العزيز. وقد اتّخذ هذا القرارُ بالنظر للمصالح والمنافع العليا للدولة ،وليس هناك سببٌ لتأخير أو تعطيل هذا القرار[3].

ومِن أجل تطبيق قرارِ العودة للمهجّرين سواء الأرمن أو الروم تمّ اتّخاذُ إجراءات، من بين هذه الإجراءات طلبتْ وزارةُ الداخلية تقديرَ عددِ الأرمن الذين يطلبون العودةَ في كلّ ولايةٍ ولواء وملحق، مع تحديد أماكن تواجدهم. كلّ شخصٍ طلب العودة فإنّ طلبَه سوف يؤخَذ بعين الاعتبار ،لكنْ لن يتسنّى لهم الرجوعُ إلّا عند تقديمِ معلوماتٍ للمدينة والمراكز بخصوصِ أعدادهم ،وبعد أنْ تدرس أحوالهم مع حكومة المناطق التي يريدون الرجوعَ إليها ،وبعدَ دراسة توفر أو عدم توفر سبل الأمن بالنسبة للأشخاص الذين يسافرون لبلادهم ،وكذلك دراسة إمكانية أو عدم إمكانية إسكانِهم في المناطق التي يريدون الرجوعَ إليها .وإجراء العودة لن يطبّق إلّا بعد توفيرِ الأمن لهم على يدِ العمّال المخولين بذلك ،وهذا حسبَ ما تراه الحكومة ،وفي حال وجود تقاعس أو تقصيرٍ في تطبيقِ هذه الإجراءات فإنّه سوف تتّخذ أقصى العقوبات ضدّهم[4].

أرسلتْ وزارةُ الدّاخلية برقية مؤرّخة بـ 27 سبتمبر 1918م/ 1337هـ إلى ولاية ديار بكر بخصوص التّدابير الواجب القيام بها عند هجرة الأرمن، أهمّها:

---

(1) **خداوندكار**: تقع في شمال غرب آسيا الصّغرى، يحدّها شمالًا بحر مرمرة ومتصرفية أزميد ،وشرقًا قسطموني وأنقرة، وجنوبًا قونية، وآيدين ،وغربًا محاطة بولاية قرة سي. أحمد الشرقاوي وآخرون، مرجع سابق، ص. 155.

(2) **أرزنجان**: يقع غرب ولاية أرضروم، وهو مركز الجيش الرابع يحتوي على ثكنات عسكرية، ومشفى ومصنع، نفسه، ص. 136.

(3) ***BOA, HR, MU, 43 / 34.***

(4) رسالة مشفرة مؤرخة بـ 17 محرم 1337 / 23 سبتمبر 1918، رقم ***BOA. HR, MU .43 / 34***

- الإعفاء التدريجي للأرمن عندَ مجيئهم من دفع الرّسوم المالية، المتعارف عليها، والتي كانت شغلهم الشّاغل، مع وجوب حماية البيوت التي كانت فارغةً من التخريب.
- إعادة الأرمن الذين أتوا من بتليس، وليسوا من أهالي ديار بكر؛ سالمين.
- يجب معاملةُ الأرمن الذين يهاجرون من الموصل إلى ماردين نفس المعاملة.
- إعادة الأرمن الذين طُردوا من الموصل وجيزارا إلى أوطانهم ،ومنع إخراج الأرمن بعد ذلك[1]..

هذه المرّة الإجراءاتُ التي اتخذت ،تهدفُ للمحافظة إلى أقصى حدٍّ على حياة الأرمن الذين يودّون العودة ويمكن أنْ نرجع ذلك إلى أنّ الدّولة العثمانية خلال اتّخاذ قرار التّهجير كانت في حالة حرب ؛لذلك هذه العملية لم تخلُ من النّقائص بالرغم من تنبيهاتِ وزارة الداخلية التي لم تراعَ جيدًا ،واستمرّت العملية في ظلّ عدم اطّلاع الرأي العام العالمي على حقيقة ما كان يجري للأرمن بسبب الحرب وتداعياتها ،لكن بعد أنْ وضعت الحربُ أوزارها أرادت الدولةُ العثمانية تحسينَ صورتها في الخارج بإصدار قرارِ العودة ،واتّخاذ إجراءات تحفظ أمنَ وسلامة الأرمن.

لم تكتفِ الدولةُ العثمانية بهذه الإجراءات ،بل ستقومُ بتحقيقات لمن كانوا سببًا أصليًّا أو فرعيًّا في الجرائم المتعلّقة بالتّعديات والتّجاوزات التي ارتُكبت لأهدافٍ ثورية ،بالاستفادة من عمليات التهجير التي وقعت أثناءَ التّعبئة العامّة ،ومن أجل ذلك تقرّر تشكيلُ لجانِ تحقيق في إسطنبول وفي خارج إسطنبول ،للتحقيق في تلك الجرائم ،وإحالة مَن تقرّر إدانته بموجب التّحقيقات إلى المحاكم العدلية التي يتّبعها المدانون[2]. بالإضافة إلى إرسال لجانٍ مكوّنة من مسئولين من نظارة العدلِ والدّاخلية إلى كلّ منطقةٍ على حدة، وهذه المناطق هي:

المنطقة الأولى: وتشمل: أنقرة، قسطوني وبولو.

أمّا المنطقة الثانية: تضمّ: طرابزون وسامسون.

والثّالثة: تضمّ: بورصة وأدرنة.

أمّا الرّابعة: تتكوّن من: آيدين وجناق قلعة، وقرة سي.

والخامسة: قونية، وأسكي شهر وقره حصار وكوتاهية وأنطاكية.

---

(1) رسالة مشفرة مؤرخة بـ 22 محرم 1337 / 27 سبتمبر 1918 رقم: ***BOA. HR, MU. 43 / 34***

(2) ***BOA. Meclis Vukela mazbaTalari 213 / 62.***

والسّادسة: سيواس وقيصري، ويزغاد.

أمّا المنطقة السّابعة: تشمل: أرضروم وبتليس وفان.

والمنطقة الثّامنة: معمورة العزيز، وديار بكر.

والتّاسعة: أظنة ومرعش.

والعاشرة: أورفة والزور، وعنتاب[1].

قرارُ العودة الذي اتّخذته الدولةُ العثمانية، شمل جميعَ الأرمن والروم الذين تمّ تهجيرهم خلال الحرب العالمية الأولى. إلّا أنّ هذه الأخيرةَ تركت لهم الحريةَ المطلقة فيما إذا أرادوا العودةَ أم لا[2]. وقد استثني من هذا القرار الرّوم الذين قاموا بأعمالٍ مُنافية للقانون العثماني ،ثمّ هربوا إلى اليونان أو بلدان أجنبية أخرى ،لم يسمح لهم بالعودةِ إلى الدولة العثمانية "لأنّ السّماح لهم بالعودة لنْ يكون أمرًا جيدًا من أجل هذه الدولة"[3].

تكفّلت الدولةُ العثمانية بكلّ المصاريف الخاصّة بعودة الأرمن ،حيث طلب مجلسُ الوزراء تخصيصَ مبلغ 2 مليون من أجل إعادةِ المهجّرين ،كما أمر بإعادةِ الأرمن إلى مساكنهم القديمة ،أمّا المهاجرون الذين شغلوا منازل الأرمن بعدَ تهجيرهم ،فسيتمّ تزويدُهم بمساكنَ أخرى ،والدّفع للأرمن نقدًا بدلًا عن ممتلكاتهم في حالة إذا ما قبلوا بذلك[4]. أمّا بالنّسبة لمصاريف السّفر فتقرّر دفعُها من مخصّصات وزارة الحربية[5]. مع إعطائهم وثيقة طعام، لكي يتمكّنوا من الحصول على طعامٍ بقدرٍ يكْفيهم خلال السفر ،وهذا القرار ناتجٌ عن ورود معلومات لوزارة الداخلية بخصوص بقاءِ مهجّرين بدون طعام في الطّريق بسبب تأخّر القطار[6]، هذه المصاريف كلّها تتلقّاها الهيئات المشرفة

(1) ***BOA. Meclis Vukela mazbaTalari 213 / 60***.

(2) رسالة من وزارة الخارجية مؤرخة بـ 26 محرم 1337 / 1 نوفمبر 1918 رقم : ***BOA. HR, MU . 43 / 34***

(3)***BOA, HR, MU, 43 / 16***.

(4)*Bülent Bakar, a.g.e, s. 196.*

(5) صورة الشفرة المكتوبة من وزارة الداخلية إلى الألوية والولايات مؤرخة بـ 30 محرم 1337 / 5 نوفمبر 1918 م رقم: ***BOA. HR, MU. 43 / 34***.

(6) صورة الشفرة المكتوبة المؤرخة بـ 30 محرم 1337 / 5 نوفمبر 1918 رقم :***BOA, HR, MU. 43 / 34.***

على إعادةِ وإرسال الأرمن إلى الأحياءِ الأخرى من مخصّصاتِ التّعبئة العامّة ،وفي حالة عدم وجود أو عدم توافر النّقود اللازمة فإنها تتلقّاها من خزينة المالية[1].

هذه المرّةُ الدّولة العثمانية ستستعمل القطارَ خلال عمليةِ إعادة الأرمن إلى بلادهم ،حيث أعلنت وزارة الحربية أنّها قامت بتخصيص قطاريْن في الأسبوع للأرمنِ الذين يودّون العودة ،وإعلام مفوضيّة الخطّ في الولايات والألوية والأقضية التي تمرّ بها القطارات[2]. كما تمّ استعمالُ بواخر صغيرة خلال عملية نقل العائدين الأرمن، حيثُ نقرأ في الوثيقة المؤرّخة بـ 1 نوفمبر 1918 "أنّه شرع في إعادة الرّوم الموجودين من أهالي يني كوي... والروم والأرمن الموجودين من سكّان محافظة مرمرة ،بباخرتيْن صغيرتين ،بسبب أخذ الموضوع بعيْنِ الاهتمام ،وسوف تتكفّل الدولةُ لهؤلاء جميعًا بأسباب ولوازمِ الإعاشة ،وإنّ حضرة وليّ الأمر يعتني بشئون هؤلاء عنايةً خاصّة ،وأنه في غضون أربعِ سنوات لا غيرَ سوف يتمّ تدبيرُ أمور الإعاشة الكاملة والإسكان والعمل لهؤلاء جميعًا"[3].

أشارتْ وثائقُ التّهجير أنّ الدولة العثمانية ،بالإضافة إلى تأكيدها على ضرورة تأمين أسباب الإعاشة والسّكن وسلامة المواصلات بالنّسبة للذين يريدون العودةَ من الأرمن[4] ،فإنّها لم تهملِ التّأكيد على ضرورة إعطاء الحريةِ المطْلقة لهم في العبادة ؛لأنّ القانونَ الأساسي يكفلُ الحريةَ الدّينية للجميع[5] ،وهذا إنْ دلّ على شيء فإنه يدلّ على أنّ الدولة العثمانية قد أزالت كلَّ العراقيل التي مِن شأنها أن تحولَ دون عودة الأرمن إلى سابق دينهم، والذي تركوه طمعًا في الإفلاتِ من التّهجير ،وفي ذات السياق تعهّدت الحكومةُ العثمانية بتجهيز كنيسةٍ على وجه السّرعة لجماعة الأرمن ،وهذا القرار متعلّقٌ بقونية فقط[6].

علاوةً على ذلك أخذت الحكومةُ على عاتقها مسئولية حماية مدارس الأرمن ومعابدهم ،وسائر مؤسّساتهم لأن هذه الأخيرة عند التّعبئة العامة استولتْ على الأديرة والكنائس والمستشفيات ،والمعامل والمصانع، وطواحين

(1) ***BOA. Meclis- ivükela Mazbatasi, 213 / 54.***

(2) صورة الشفرة المكتوبة المؤرخة بـ 30 محرم 1337 / 5 نوفمبر 1918 رقم: ***BOA. HR, MU. 43 / 34*** .

(3) رسالة من وزارة الداخلية إلى وزارة الخارجية مؤرخة بـ 26 محرم 1337 / 1 نوفمبر 1918 رقم: ***BOA. HR, MU. 43 / 34***.

(4) رسالة مشفرة من وزارة الداخلية مؤرخة بـ 16 محرم 1337 / 22 سبتمبر 1918 رقم ***BOA. HR, MU. 43 / 34***.

(5) رسالة من وزارة الداخلية إلى وزارة الخارجية مؤرخة بـ 26 محرم 1337 / 1 نوفمبر 1918 رقم: ***BOA. HR, MU. 43 / 34***.

(6) رسالة مشفرة المؤرخة بـ 30 محرم 1337 / 05 نوفمبر 1918 رقم: ***BOA. HR, MU. 43 / 34*** .

الماء ،والبيوت اللّافتة للنظر ؛باعتبارها ضروريةً للأمور العسكرية[1]. وكذلك ،تسليم الأطفال الأرمن المودَعين لدى الأهالي المسلمين ،والأيتام الموجودين في دور الأيتام إلى جماعتهم ،أو إلى دور البطريركية[2].

قرارُ التهجير كان إجباريًّا على الأرمن – كما سبقَ وذكرنا – لكنّ قرار العودة ترك الحريةَ للمهاجرين فيما إذا أرادوا العودةَ مِن عدمها ،شريطة أن يقدّموا طلبًا مسبقًا للاستفادة من تكفّل الدولة بمصاريف العودة ،والملاحظ أنّ الكثيرَ من الأرمن المهجّرين تمكّنوا من تأسيس حياةٍ جديدة في الأماكن التي أسكنوا فيها ،واشتغلوا في حرف ومهنٍ مختلفة[3]. وهذا ما يفسّر تواجدهم إلى اليوم في كلٍّ من سوريا والعراق ولبنان. وقد ذكرت بعضُ الوثائق عددَ الأرمن الذين أرجعوا وتمّ إسكانُهم بـ 7163 أرمنيًّا ،والروم بـ 2455 ،أمّا الرّوم الذين كانوا في إسطنبول فقد بلغ 1083 وبذلك يكون العددُ الإجمالي 10601 [4].

المطلبُ الثّاني: المواقفُ الغربيّة والعربيّة من التهجير:

تعدّدتِ المواقفُ حول التّهجير، أو ما يُعرف "بالإبادة الأرمنية"؛ لأنّ التّهجيرَ لم يكن — حسب مَن يتبنّون هذا المصطلح – سوى أداةٍ من أدواتِ الإبادة التي تعرض لها الشّعبُ الأرمني، لذلك سنحاول في هذا المطلبِ التعرّفَ على مواقف الدول الأوروبية كلٌّ على حدة، ثمّ في الأخير الموقف العربي.

1– موقفُ ألمانيا

تمكنت ألمانيا من ربط علاقات متينة بالدولة العثمانية، منذ عهد السلطان عبد الحميد الثاني، ففي أكتوبر 1898 قام غليون الثاني إمبراطور ألمانيا بزيارة رسميةٍ إلى الإمبراطورية العثمانية. وهي زيارة سبقها مجيء وفدٍ كبير من رجال الأعمال الألمان إلى إستانبول برئاسة مدير "الدويتش بنك"... ومن المؤكّد أنّ رحلة غليوم الثاني تمثّل نقطةَ

(1) هايكازن غازازيان، مرجع سابق ، ص. 93.

(2) رسالة من وزارة الداخلية مؤرخة بـ 26 محرم 1337م / 1 نوفمبر 1918 رقم: ***BOA. HR, MU. 43 / 34***.

(3) *Bülent Bakar, a.g.e, s. 261.*

(4) رسالة من وزارة الداخلية، مؤرخة بـ 26 محرم 1337 / 1 نوفمبر 1918 رقم: ***BOA. HR, MU. 43 / 34***.

تحوّل في العلاقات الألمانية/ التركية، وبشكل أعمّ في علاقات الإمبراطورية العثمانية مع الدول الأوروبية. حتّى إذا كان التغلغلُ الألماني في الأراضي العثمانية غيرَ حاسم، فإنّه جدّ سريع، وقد قلب التوازنات في الشرق الأدنى[1].

أمّا مصالح ألمانيا في المسألة الشرقية، فقد تركّزت حول فرص التّجارة والاستثمار. ففي أوائل القرن العشرين جعلتها قوتّها الصناعية تتبوأ المرتبة الثانية بعد بريطانيا كشريكٍ تجاري مع الدّولة العثمانية، والمرتبة الثانية من ناحية الاستثمار بعد فرنسا. وكان خطّ حديد بغداد الاستثمار الرئيسي في السياسة الألمانية. ففي 1888 منحت شركة ألمانية امتيازًا لمدّ خطّ حديدي من قونيه إلى بغداد والخليج، وفي 1903 منحت امتيازًا لمدّ خطّ آخر من بغداد إلى الخليج. وبدَا للبلدان الأوروبية الأخرى أنّ خطّ حديد بغداد الذي تهيمنُ عليه ألمانيا قد تجاوز حدود التغلغل الاقتصادي والسياسي لألمانيا في الشرق الأدنى ،وبأنّه أصبح يهدّد فرنسا في سورية، ومصالح روسيا على البحر الأسود وفي شمال إيران، ومصالح بريطانيا في الخليج العربي[2].

كما أرسلت ألمانيا بعثةً عسكرية إلى استانبول برياسة ليمان فون ساندوز أوتو *Liman Van Sandess Otto* (1855–1929) ،وصلت إلى العاصمة العثمانية في 14 ديسمبر 1913 ،وكان عدد الضباط الذين يرافقون البعثة 42 ضابطًا ألمانيًّا ،وقد عيّنته الحكومة العثمانية قائدًا للجيش العثماني الأوّل المرابط في استانبول ،أما بالنسبة لبريطانيا عيّنت الحكومة العثمانية ضابطًا بحريًّا بريطانيًّا هو آرثر ليمبوس *Arthur Limpus* لمعاونة أحمد جمال باشا وزير البحرية في النّهوض بالسّلاح البحري العثماني ،كما عينت ضباطًا فرنسيّين لإعادة تنظيم قوات الشرطة والجندرمة. أمّا روسيا فلم تقنعْ بهذا القدْر من سياسة الموازنة بين القوى الكبرى ،فأرادت أن تخرج هي الأخرى بمكاسب ،وأثارت اعتراضات متعاقبة على البعثة الألمانية... وتقدّمت الحكومةُ الروسية بمشروع لإدخال إصلاحات في الولايات السّت في شرقي الأناضول كردٍّ عملي على البعثة الألمانية[3].كما تمّ تعيينُ الجنرال فون ديرغولتز قائدًا للقوّات التركية في البحر الأسود ،والعقيد كريستشتاين رئيسًا لأركان الجيش الرابع ،وهذا كلّه من أجل أن تخلق موطئ

(1) فرانسوا جورجو، **النزع الأخير، في "روبير مانتران" (إشراف)، تاريخ الدولة العثمانية**، ترجمة بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والتوزيع والنشر، القاهرة، 1993م، ص 221.

(2) *Malcolm E. Yapp, **the Making of the Modern near East 1792-1923**, Longman, London, 1987, P. 103.*

(3)عبد العزيز الشناوي، مرجع سابق، ج 3، ص، 160– 161.

قدَمٍ لها في الدولة العثمانية ،هذا من جهة ،ومن جهةٍ أخرى من أجل استمالتها في حروبها القادمة التي بدأت تلوحُ في سماء العلاقات الدولية[1].

بالفعل اندلعتِ الحربُ العالمية الأولى ،ودارت رحاها بين معسكريْن ؛المعسكر الأوّل يضمّ إنجلترا وروسيا وفرنسا ،والمعسكر الثّاني يتكوّن من ألمانيا والنمسا وتركيا ،لذلك يمكن القول إنّ كلّ ما كانت تقوم به الدولة العثمانيةُ تجاه الأرمن كان على مرمى بصرِ وسمْع ألمانيا ،وهذا ما يؤكّده التقريرُ الذي أرسله السفير الألماني في إسطنبول البارون فانكنهايم إلى حكومتِه في 17/06/ 1915 م ،جاء فيه أنّ طلعت باشا أعلن بصراحةٍ أنّ الباب العالي وجدَ في ظروفِ الحرب فرصةً ملائمة للتخلّص من أعداء البلاد في الداخل ،من دون أن تزعجه مداخلات أحدٍ من الدبلوماسيّين[2]، إذًا الحكومةُ الألمانية كانت على اطّلاع مسْبَق بكلّ مخططات الاتحاد والترقي.

هناك مَن وجّه أصابعَ الاتّهام صراحةً لألمانيا ،واعتبرها مسئولةً عمّا وقع للأرمن ،وعلى رأسهم السفير الأمريكي هنري مرغنطاو[3] ،حيث لجأ هذا الأخيرُ إلى السفير الألماني بإسطنبول وانغنهايم *(Wangenheim)*. ليحدّثه عن ضرورة إيقاف الاعتداءات الوحشية على الأرمن. إلّا أنّ هذا الأخير أظهر غضبَه وكراهيته للأرمن، معتبرًا عصيانَ "فان" عصيانًا مسلّحًا ،وأنّ الأرمن في نظره ليسوا إلّا حشرات خائنة ،وأردف قائلًا :"سأساعد الصّهاينة لكني لنْ أفعل شيئًا من أجل الأرمن"[4].

كما طالت الاتّهاماتُ قادةَ الجيوش الألمانية ،بوقوع أحداثِ إبعاد الأرمن مثلما وقع مع جنرال الخيالة ليمان فون ساندرز ،والذي اتّهم من طرف صحيفةٍ ألمانية موينتور أورينتالي والصادرة بتاريخ 21 تشرين 1918، بوقوع أحداث أثناءَ إبعاد الأرمن إلى أيواليك *Ayvalik* وما جاورها ،إلّا أنّ هذا الأخير اعتبرَ هذه الأخبار عاريةً عن

---

(1) مروان المدور، مرجع سابق ، ص ص. 403 – 405.

(2) نقية حنة منصور، مرجع سابق ، ص ص. 158 – 159.

(3) **هنري مورغنطاو:** هو سفير للولايات المتحدة الأمريكية بين سنوات (1914–1916) ترك لنا مذكرات تخصّ الفترة التي اشتغل فيها كسفيرٍ لبلاده في إسطنبول، وما شاهده من مظالم في حق الأرمن، والموسومة بقتل أمة *The murder of the nation* ترجمها الدكتور ألكسندر كشيشان.

(4) هنري مورغنطاو، **قتل أمة مذكرات السفير الأمريكي في تركيا للسنوات (1914– 1916)**, ترجمة ألكسندر كشيشان، دار الطلاس للنشر والتوزيع، حلب، د ت، ص. 116.

الصّحة ،وكلّ ما قام به هو ما يُمليه عليه عملُه بصفته قائدًا مسئولًا في الجيش ،وكان تنفيذُ أوامر إبعاد الأرمن ضروريًّا وحتميًّا في وقته ،حيث قام بتأمينِ ونقل أغذيتهم بكميةٍ كافية ،وتمّ نقلهم في عرباتٍ مؤمّنة(1).

لم تتوقّفِ الصّحافة الألمانية عندَ هذا الحدّ، بل اتّهمت حكومة بلدها بالسّكوت على المظالم التي وقعت للأرمن، وتساءلت عن السببِ الذي دفعها لتبنّي هذا الموقف، حيث نقرأ: "نشرت جريدةُ الجمين ميشن زيشرفت تقريرًا كتبه أحدُ علماء ألمانيا عن المذابح الأرمنية، ونشرته هذه الجريدة البروتستانتية لاعتقادِها أنّه من الواجبِ عليها إطلاع الأمّة الألمانية على هذه الفظائع التي منعت المراقبة الألمانية من نشرها". وقد تساءلت هذه الصّحيفةُ عن السّبب الذي دفع بالحكومةِ الألمانية منع نشْر هذه المظالم ،إلّا أنّها ألقت باللائمةِ على حكومتها "في الوقت الذي كان يجبُ على ألمانيا – وهي المسيطرةُ على تركيا الآن – أن تمنعَ حدوث مثل هذه المجازر البشرية التي لم يرَ التّاريخُ لها نظيرًا ،وقد كانت جمعيةُ الاتحاد والترقي تتردّد بادئ ذي بدء – أي عند نشوب الحرب الأوروبية – في ارتكاب هذه الفظائع ،ولكنّها لما دخلت تركيا الحربَ رأت أنْ لا مندوحة لها من ارتكابها"(2).

مِن خلال ما سبق، يمكن القول إنّ ألمانيا قد وفّرت الغطاءَ الدبلوماسي والعسكري للاتحاد والترقي لارتكاب المجازرِ في حقّ الأرمن، فلم يتوقّف دور الألمان على السّكوت على ما كان يحدث للأرمن على يد العثمانيّين؛ بل كانوا معاولَ في ارتكاب فظائع في حقّ الأرمن، إذًا كانت ألمانيا مسئولةً وشريكة للدولة العثمانية.

2–موقفُ دولِ التّحالف الثلاثي:

نقصدُ بدول التحالف الثلاثي كلّ مِن :روسيا وفرنسا وبريطانيا ،وهي الدّول التي كانت متحالفة فيما بينها أثناءَ الحرب العالمية الأولى ،ضدّ كلّ مِن ألمانيا والدّولة العثمانية ،وقبل أن نخوض في موقفها تجاه سياسة التّهجير التي انتهجتها حكومةُ الاتحاد والترقي بخصوص الجالية الأرمنية ، يجب أن ننوّه إلى أنّ هذه الدول الثلاثة كانتْ لها أطماعٌ في الدولة العثمانية ،خاصّة شرق الأناضول ،فروسيا كانت ترغب في الوصول إلى المياه الدافئة(3) ؛لذلك استغلّت ورقةَ الأقليات وعلى رأسها الأرمن من أجل الضغط على الإمبراطوريةِ العثمانية. والملفِتُ للانتباه أنّ الأرمن كانوا يظنّون أنفسهم في نفس الدّرجة مع مسيحيّي البلقان الذين تدخّلت روسيا من أجلهم، فتحصّلت بعضُ المناطق

(1) ترجمة خطاب بالألمانية مؤرخ بـ 19 صفر 1337 / 24 نوفمبر 1918 رقم ***BOA. HR, MU. 43 / 34***

(2) **المحروسة**، اعتراف الألمان بالمذابح الأرمنية، 27 مارس 1916، ص. 02، القاهرة، **الإبادة الكبرى**...، مرجع سابق، ص. 157.

(3) نقية حنة منصور، مرجع سابق ، ص. 162.

على الاستقلال بموجب هذا التدخّل. إلّا أنّ الأرمن كانوا مُخطئين في تقديراتهم ؛لأنّ روسيا كانت تسيطرُ على أرمينيا الشرقية أو أرمينيا الروسية[1] ،وخشيت من وصول الأفكار الثّورية المنتشرة بين الأرمن العثمانيين إلى الأرمن الروس.

أمّا بريطانيا فإنّها قد أظهرت مخاوفَ تجاه الدّب الروسي ،خصوصًا بعد توقيع معاهدة سان ستيفانو 1878م، فتحرّكت على عجلٍ من أجل وقف الزّحف الروسي في شرق الأناضول ،وذلك من خلال توقيع اتفاق سريّ مع الدولة العثمانية من أجل استبدالِ المادة 16 من المعاهدة سالفة الذّكر ،والمتعلّقة بالإصلاحات في أرمينيا الغربيّة بالمادّة 61 من مؤتمر برلين 1878م ،والتي لم تجدْ طريقها للتطبيق[2] في أرض الواقع ،وهكذا بقيت المسألةُ الأرمنية عالقة.

ولا أدلّ على أنّ بريطانيا لم يكن يهمّها أمرُ الأرمن ولا ما يقع لهم من "مجازر"، بقدْر ما كانت تهمّها مصالحها بالدّرجةِ الأولى، المجازر التي وقعت في حقّ الأرمن في منطقة القوقاز التي كانت خلال الحرب العالمية الأولى تحت سيطرة بريطانيا. وقد وقعت هذه المجازرُ على امتداد ربيع وصيف 1918 من طرف الاتحاديين الأتراك، وكانت تحتَ إشراف "وهيب باشا" قائدِ الجيش العثماني الثالث ،و"خليل باشا" وهو عمّ أنور باشا ،وتمّ التعرّفُ على وقوع هذه المجازر عنْ طريق التقارير العسكرية الألمانية ،وقد حاولت الحكومة الألمانية وضع حدٍّ لها[3] إلّا أنّ مسئولية هذه المجازر "تقعُ على عاتق بريطانيا ؛لأنّها لم توفّر الحماية للأرمن ،فضلًا عن تستّرها على الفاعلين"[4].

أمّا فرنسا لم يختلف موقفُها عن باقي الدّول الأوروبية ،فقد قدّمت دعماً ماديًّا ومعنويًّا للأرمن الذين وجدوا في أراضيها ملاذًا آمنًا لممارسة أنشطتهم الثّورية ،ما عدا ذلك لم تقمْ بأيّ تصرّف ينافي مصالحها في الدولة العثمانية، فكلّ ما قامتْ به لم يتجاوزِ القيام بأعمالٍ إنسانية ،فعلى سبيل المثال لا الحصر :في 12 سبتمبر 1915 م/ 03 ذو القعدة 1333 هـ ،قامت سفنٌ فرنسية بمعيّة سفينة إنجليزية كانت تقوم بمحاصرة السواحل السّورية بإنقاذ أربعةِ آلاف أرمنيّ من مقاطعة هاتاي في أنطاليا ،ومعظمُ هؤلاء كانوا أسرى وثوّارًا قاوموا القواتِ العثمانيةَ التي قامت بمحاصرتهم في جبل موسى ،صمدوا لمدّة 53 يومًا[5] ،وكان ذلك بعد أن صدرت أوامرُ بتهجيرهم خلال 98 يومًا

---

(1) نعيم اليافي، مرجع سابق ، ص. 131.

(2) نعيم اليافي، خليل موسى، مرجع سابق ، ص. 52.

(3) *Vinvent Duclert, **La France face au Génocide des Arméniens**, Fayard, France, 2015, p. 233.*

(4) نقية حنة منصور، مرجع سابق ، ص. 165.

(5) *Vincent Duclert, Op. cit, p. 215.*

هربوا إلى جبل موسى واعتصموا به[1]. فقامت السفن الفرنسية بإيصالهم إلى بورسعيد في مصر[2]. "وحالًا أنزلنا إلى سفن النجاة ،ونقلنا إلى بورسعيد في القطْر المصري ،على أربع طرادات فرنساوية وواحدة إنجليزية"[3].

بعدَ مرور شهرٍ فقط على قيام حكومةِ الاتحاد والترقي بتوقيف وإعدام 2000 من الأعيان والمفكرين الأرمن في إسطنبول ،قامت قوى التّحالف الثلاثي بإنذارٍ رسمي لحكومة الاتحاد والترقي ،وحمّلتها مسئولية هذه الجرائم التي وصفتها لأول مرة بـ"جرائم تركيا ضدّ الإنسانية والحضارة"[4]. هذا الإنذارُ نشرته الحكومة البريطانية بتاريخ 28 ماي 1915م ،في شكل نشرةٍ إعلامية محفوظة في وثائق وزارة الخارجية البريطانية تحت رقم (Fo 371/2488)، والتي جاء فيها ما يلي :"إنّ حكومة جلالته – بالتّفاهم مع حكومة فرنسا وروسيا – تصرّح بما يلي :منذُ ما يقرُب من ستّة أشهر والأتراكُ يرتكبون مجازرَ ضدّ الأرمن في أرمينيا العثمانية ،وذلك بالتواطؤ وفي أغلبِ الأحيان بمساعدةِ السلطات العثمانية ،وقد جاءت هذه المجازرُ في حوالي منتصف نيسان / أبريل ،في أرضروم وآكن وبتليس وصاصون وموش وزيتون ،وفي جميع أنحاء كليكيا ،وقد أبيد سكّانُ حوالي 100 قرية ،تقع قرب "فان" عنْ بكْرةِ أبيهم ،في الوقت الذي تشنّ فيه الحكومة العثمانية في القسطنطينية حملةً ضدّ السكان الأرمن العزّل. وفي ضوءِ هذه الجرائم الجديدة التي ارتكبتْها تركيا ،فإنّ الحكوماتِ الثلاث تُعلن على الملأ إلى الباب العالي بأنّه يتحمّل جميعُ أعضاء الحكومةِ العثمانية وعملائهم المتورّطين معهم المسئوليةَ الشّخصية لهذه الجرائم المرتكبة ضدّ الإنسانية والحضارة البشرية"[5].

أمّا ردُّ الحكومة العثمانية على مذكّرةِ الائتلاف الثلاثي، فقد تضمّن تكذيبَها لفحوى هذا البيان جملةً وتفصيلًا. فادّعاء دولِ التّحالف الثلاثي قيامُ الحكومة العثمانية بتقتيل عامّ للشّعب الأرمني في الدولة العثمانية عارٍ عن الصّحة ؛لأنّ أرمن المناطق المذكورة في بيان الائتلاف لم يقوموا بأيّ عملٍ من شأنه الإخلال بالأمن العام، لذلك لم تكنْ هناك أيّة ضرورة لاتّخاذ موظّفي الحكومة أيَّ إجراء بحقّهم ،بل إنّ موظّفي دول التحالف على رأسِهم روسيا

(1) **الهدى**، راية الصليب الأحمر التي نجت أربعة آلاف نفس من بني البشر، ع 45، الجمعة 19 نوفمبر 1915، ص. 598-600، الإسكندرية، **الإبادة الكبرى**... مرجع سابق، ص. 71.

(2) **الأهرام:** المهاجرون الأرمن، 21 سبتمبر 1915، المهاجرون الأرمن، ص. 05، القاهرة، **الإبادة الكبرى**... مرجع سابق، ص. 49

(3) الهدى، ع 45، الجمعة 19 نوفمبر 1915، مقال سابق، ص. 69.

(4) *Vincent Duclert, Op. cit, p. 205*.

(5) كسبار ديردريان، **القضية الأرمنية في القانون الدولي** ، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2015، ص ص. 21-22.

وإنجلترا ،تقوم بتحريض الشّبان الأرمن على العصيان من جهة ،وعلى تجنيدهم في صفوف جيوشها من جهةٍ أخرى[1].

بالعودةِ إلى موقف دول التّحالف الثلاثي، فإنّه اقتصر على التّنديد بما وقع للأرمن في أرمينيا العثمانية، وهذا الموقفُ ليس وليدَ سنة 1915م، وإنّما يعود إلى التاريخ الذي دخلت فيه القضيةُ الأرمنية لجدول أعمال الدّبلوماسية العالمية؛ أي سنة 1878م، فهو إذًا موقفٌ قديم اشتهرتْ به هذه الدولُ التي كانت تندّد تارة، وتتوعّد تارةً أخرى، وهذا نجمَ عنه تعقيدُ المسألة الأرمنية.

3- موقفُ العرب:

العلاقاتُ الأرمنية العربية قديمةٌ بحُكم الجوار الجغرافي أوّلًا، وبحكم خضوع الشعبيْن للسيطرة العثمانية لقرونٍ طويلة، دفعتْ بهم في نهاية المطافِ لمحاولة التخلّص منها، وإنشاء دولةٍ قومية. والذي متّن هذه العلاقةَ أكثرَ فأكثرَ هو حصولُ احتكاك مباشرٍ بين الشّعبين في مرحلةٍ مفصليّة من تاريخ الجالية الأرمنية، وحتى في تاريخ العرب، تعود جذورُ هذه المرحلة إلى سنة 1915م/ 1333 هـ، وهي السنة التي صدرَ فيها قرارُ التّهجير القسري في حقّ الأرمن، أمّا بالنّسبة للعرب فإنهم قاموا بثورةٍ ضدّ الإدارة العثمانية تُعرف بالثورة العربية سنة 1916م/ 1334هـ، أي بعد سنةٍ من صدور قرار التهجير في حق الأرمن.

الموقفُ الذي أبداه العربُ تجاه الأرمن المهجّرين والمنكوبين يمكن أن نقسمَه إلى قسمين ،فالأوّل كان موقفًا إيجابيًّا تمثّل في معاملتهم بروح العطفِ والمساعدة والمصير المشترك[2] ،فقد تمّ استقبالهم في مناطقهم ،وقدموا لهم يدَ العوْن والحماية ،حسب ما كانت تسمحُ به أوضاعُهم المادية والاجتماعية خلال الحرب العالمية الأولى[3]. هذه الصّورةُ الإيجابية التي أبْداها العربُ نابعة أساسًا من تعاليم الإسلام التي تدعو إلى معاملة أهل الكتاب معاملةً حسنة[4].

---

(1) أحمد فؤاد رسلان, **أرمينيا الأمة والدولة** ، د. ن ، د. م ، 1997، ص. 57.

(2) أدونيس العكرة، العلاقات الأرمنية العربية بين عامي (1915-1923) ، **العلاقات العربية الأرمنية الماضي والحاضر**، مركز الدراسات الأرمنية، القاهرة، 2009، ص. 62.

(3) نفسه، ص. 63.

(4) نفسه، ص. 61.

هذا على المستوى الشعبي، أمّا بالنّسبة للموظفين، فقد أبلوا بدورهم بلاءً حسنًا في هذا المجال، وخير مثال على ذلك هو قيامُ حاكم منطقةِ دير الزّور العربي "على سواد بك" بمخالفة الأوامر العثمانية بخصوص ترحيل الأرمنِ الذين كانوا تحتَ حمايته إلى الصّحراء. وفي المقابل أوجد لهم فرصًا للعمل، وبنى دارًا خاصّة لإيواء الأيتام الأرمن، وسدّ حاجياتهم، لذلك تمّ عزلُه عقب رفضِه الأوامر من طرف طلعت باشا، وتمّ تعويضه بوالٍ آخر[1].

وما يؤكّد أكثرَ قيامَ العربِ بحماية الأرمن ،الرسالةُ الصّادرة عن شريف مكة الملك حسين بن علي سنة 1917م/ 1335 هـ ،وفيها يوصي الأميريْن فيصل وعبد العزيز الجربا بالمحافظة على أبناء الطائفة الأرمنية، وتسهيل مهمّتهم وإقامتهم باعتبارهم أهل ذمّة المسلمين :"إنّ المرغوبَ بتحريره المحافظة على كلّ مَن تخلّف بأطرافكم وجهاتكم وبين عشائركم من الطّائفة اليعقوبية الأرمنية ،تساعدوهم على كلّ أمورهم وتحافظون عليهم كما تحافظون على أنفسكم وأموالكم وأبنائكم ،وتسهّلون كلّ ما يحتاجون إليه في ظَعْنهم وإقامتهم ،فإنّهم أهلُ ذمّة المسلمين"[2]. تعدّ هذه الرسالةُ أهمَّ وثيقةٍ تاريخية ،تبيّن موقف الشّعب والزعماء العرب تجاه الأرمن أثناء التهجير[3].

على النّقيض تمامًا، أظهر بعضُ العرب تجاه الأرمن المهجّرين موقفًا سلبيًّا يتمثّل في الرفض والنفور من هذا الوافدِ الجديد، باعتباره عنصرًا غريبًا، يختلف عنهم عرقيًّا ودينيًّا. وقد تمّ ترجمةُ هذا الشعور في عدّة تصرفات، نذكرُ منها قيام بعض القبائل العربية بقتل النّازحين الأرمن ،خاصّة الذكور منهم ،أمّا الإناث اللواتي كنّ يشكّلنَ غالبيةَ قوافل السّوق فقد تمّ سبْيُهنّ باعتبارهنّ غنائم حرب ،فأصبحنَ في حكم ملك اليمين[4] ،هذه السلوكيّات التي أبدتها بعضُ القبائل العربية تسندها عدّةُ عوامل ،ولعلّ من أهمها نذكر ما يلي:

أعطتْ حكومةُ الاتحاد والترقي الحربَ العالمية الأولى طابعًا دينيًّا محضًا ،خاصّة بعد قيام السلطان رشاد بالمصادقةِ على طلب الاتّحاد بإعلان الجهاد المقدّس ضدّ الدول المسيحية ،باستثناء ألمانيا والنمسا حلفاء الدولة

(1) نقية حنة منصور، مرجع سابق، ص177.
(2) هنري مورغنطاو ،مصدر سابق، ص. 60.
(3) نقية حنة منصور، مرجع سابق، ص. 176.
(4) أدونيس العكرة، مقال سابق، ص ص. 63 – 64.

العثمانية ،فالأرمنُ حسب هذا الإعلان محسوبينَ على المسيحيين ؛لذلك يجب قتلُهم ،سواء أكانوا مع الدولة العثمانية أم لا[1].

قامت السلطاتُ العثمانية بنشر إشاعاتٍ عن الأرمن ،مَفادها أنّهم يتعاونون مع الدول الأوروبية من أجل القضاءِ على الخلافة العثمانية ،والتي يكنّ لها العربُ مشاعرَ دينية بالدرجة الأولى ،فهي بالنسبة لهم امتدادٌ للخلافة الإسلامية ؛إذًا العصبيّة الدينية لعبت دورًا كبيرًا في الموقف الذي أبداه زمرةٌ من العرب تجاه الأرمن الوافدين[2].

تعتبر الحربُ العالمية الأولى مرحلةً تنامت فيها المشاعرُ القومية العربية ،وهذا كردِّ فعْل على سياسة التتريك التي انتهجتْها الدولةُ العثمانية[3] ،والملفِتُ للانتباه أنّ القومية العربية لدى بعضِ العرب لم تكن موجّهةً ضدّ الأتراك فقط ،بل تعدّتها إلى كلّ العناصر التي لا تنتمي إلى العرب ،لذلك يمكن أن نعتبر تلك التّصرفاتِ العدائية لكلّ وافدٍ خارج الإطار العربي "تعبيرًا عن شعورٍ بدائي بالدّفاع عن الهوية الجماعية وحمايتها"[4].

إذًا، الموقفُ العربي تأرجحَ بين استقبال الأرمن ومدّ يدِ العون لهم للتّخفيف من مأساتهم، وبين معارضة تواجدِهم، مما جعلهم عرضةً للقتل والسّلب والنهب على يدِ بعض القبائل العربية، مما فاقم معاناتهم. لكنْ يبدو– وحسبَ تقديري – أنّ الموقفَ الأوّل كان غالبًا، ومحلُّ الشّاهد هنا هو تواصلُ تواجد هذه الجالية في المشرق العربي، واندماجهم مع مجتمعاتها، فأصبحوا يشكّلون عنصرًا مهمًّا في بنيتها الاجتماعية.

المطلبُ الثّالث: التهجير الأرمني على ضوء الدّراساتِ التّاريخية العربية والغربية:

بعد أن تطرّقنا لإصدارِ قرار العودةِ للأرمن المهجّرين سنة 1915 م ،ومواقف الدول الأوروبية وعلى رأسها دولُ التّحالف الثلاثي ،بالإضافة لموقف ألمانيا حليفةِ الدولة العثمانية من التهجير ،والموقف العربي سواء الرسمي أو الشعبي ؛آثرنا في هذا المطلب التعرّضَ لوجهة نظرِ الدّراسات التاريخية العربية والغربية حول التهجير ،أو بمصطلح أكثر تداولًا في هذه الدّراسات "الإبادة الأرمنية 1915" وذلك من خلال التطرّق للأسباب الأساسية التي أدت

(1) نعيم اليافي، مرجع سابق، ص. 42.

(2) أدونيس العكرة، مقال سابق، ص. 65.

(3) نعيم اليافي، خليل الموسى، مرجع سابق، ص. 17.

(4) أدونيس العكرة، مقال سابق، ص ص. 64-65.

إلى ارتكاب "المجازر" ،والمظالم التي تعرّض لها الأرمن ،ثمّ في الأخير نتطرّق للدواعي التي دفعت بكلّ مؤلّف لكتابة مؤلّفه حول "الإبادة الأرمنية".

1–أسباب تهجير الأرمن على ضوء الدراسات التاريخية العربية والغربية:

كنّا قد تطرّقنا في مبحثٍ سابق للأسباب التي دفعت الدولةَ العثمانية لاتخاذ قرارِ التهجير حسب وثيقة التّهجير، أي وجهة نظر عثمانية رسمية بالدّرجة الأولى، إلاَ أن الدّراسات التاريخية العربية شرحت الأسباب الأساسية التي أدّت إلى ارتكاب الإبادةِ الأرمنية، ويمكن حصرُ هذه الأسباب في النقاط التالية:

- حلم الأتراك في إقامة دولةٍ تركية تمتدّ من إسطنبول إلى حدود الصين ،إلّا أنّ الموقع التي كانت تحتله أرمينيا العثمانية كان بمثابة حجرَ عثرةٍ في سبيل تحقيق هذا الهدف[1].
- الطورانية التركية وإزالة العائق الأرمني ،حيث اتّبعت الدولةُ العثمانية سياسة التتريك القسري مع جميع القوميّات غير التركية ،وقد كانت هذه السياسةُ موجّهةً للداخل ،أمّا الطورانية كانت موجّهةً للعالم التركي بكامله بهدف توحيده[2].
- التّهجير كان بمثابة وسيلةٍ لمنع الانهيار النّهائي للدولة العثمانية ،فبعد تحرّر البلغار واليونان أدرك العثمانيون أنّ دورَ الأرمن للمطالبة بالاستقلال قد حان ،لذلك فإنّ إقصاءَ الأرمن أو إبادتهم إبادةً جماعية سيمكّن الدّولةَ العثمانية من التخلّص من قضيتهم[3].

إلّا أنّ الدّراسات التركيةَ الحديثة تفنّد ما أوردته الدراساتُ العربية ،وتنفي وقوعَ إبادة في حقّ الأرمن، فحسبهم كان المسلمون أكثرَ تضرّرًا من الأرمن عندَ اندلاع الحرب العالمية الأولى من خلال تعرّضهم لعدّة مجازر ذهبَ ضحيّتها حوالي 2.5 مليون مسلم ،بينما عددُ الضّحايا الأرمن لم يتجاوز 600 ألف ضحية[4]. فالدولة العثمانية لم تكنْ تهدف من خلال التّهجير القسري للأرمن لإبادتهم بقدْرِ ذلك ما كان لأهداف عسكرية وقائية[5]. وهذا إنْ دلّ على شيء فإنّما يدلّ أنّ الكتابات التاريخية التركية تسير على خطى سياسة حكوماتها.

---

(1) نعيم اليافي، خليل الموسى، مرجع سابق، ص. 55.

(2) نيقولاي هوفها نيسيان، مرجع سابق، ص. 84.

(3) نعيم اليافي، خليل الموسى، مرجع سابق، ص. 55.

(4)*Taha Akyol, **1915 Felaket Yıllarında osmanli ve Ermeniler**, DK Dogan Kitap, Istanbul, 2015, s. 289.*

(5)*Taha Akyol,Op.cit, s. 299.*

إلّا أنّه هناك مؤلّفين أتراك أبدوا وجهةَ نظرٍ مختلفة عن التي ذكرناها سابقًا، فاعتبروا مسألة تهجير الأرمن أنّها لم تكنِ الأولى من نوْعها في الدّولة العثمانية، بل سبقتها عمليةُ طردِ الرّوم، ونجاح هذه الأخيرة دفع بجمعيةِ الاتّحاد والترقي لاتّباع نفس الأسلوب مع الأرمن، لكنّ السّؤالَ الذي يطرح نفسَه: لماذا الإجراءات التي اتّخذت أثناءَ عملية سوق الأرمن قد أخذتْ طابع الإبادة، بينما هذا لم يتمّ تسجيلُه في حالة الروم، بالرغم من أنّ العملية تخلّلتها بعضُ المذابح؟ يبدو أنّه خلال سوْق الروم الدولة العثمانية التزمت الحذرَ إلى أقصى درجة، وذلك خشيةَ خلق جبهةٍ للتّوتر في العلاقات مع الدول الأوروبية هي في غنى عنها. لكن اندلاعَ الحرب العالمية الأولى قد وضع حدًّا للضّغوط الأجنبية. وأمام هذا المعطى السّياسي الجديد سوف تتولّى الدولة العثمانية ،سياسةَ تطهير الأناضول من العناصر غير التركية دون أن يقف في وجْهِها أيّ معوّقات ،ووصل الأمرُ إلى أنْ أصبحت مهمّةُ قمع الأرمن هدفًا وطنيًّا لا يمكن التراجع عنه ،لأنّ تطبيقَ هذه السّياسة ستسمح لها بالتخلّص من تنفيذ الإصلاحات وحلّ القضية الأرمنية حلًّا نهائيًّا في ظلّ انشغال الرأي العام العالمي(1).

أمّا بالنّسبة للدّراسات التاريخية الغربية فسوف نتطرّق إليها من خلال التعرض لوجهة نظر المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي(2) أولا ،والتي ضمّنها كتابَه الموسوم بـ"مجازر الأرمن 1915 ،قتل أمة 1915 – 1916" ؛حيث فنّد هذا الأخيرُ أنْ تكون حكومةُ الاتّحاد والترقي قد أخذت قرارَ التّهجير لأغراضٍ عسكرية وقائية ،فهذه الأخيرة ألقت اللّومَ على الأرمن لأنّهم – حسبها – كانوا يتمنّون انتصارَ الروس ،فتآمروا عليها من أجل تحقيق الانْتصار المنشود ،فكانوا بمثابة خونة أحرار يعيشون في منطقة تحتلّ موقعًا استراتيجيًّا من النّاحية العسكرية ،إلّا أنّ واقع الأحداث حسبَ أرنولد توينبي ؛يتناقض تمامًا مع هذا المبرر ،لماذا ؟لأنّ المدن والقرى التي شهدت عملية التهجير كانت بعيدةً عن ساحات القتال ،فأغلبُها يوجد في المناطق الدّاخلية للأناضول ،والأهمّ من ذلك كله بعيدة عن حدود القوقاز أو حتّى الدردنيل ،وهذا المعطى المكانيّ لن يعطي للأرمن فرصةً للتّعاون مع دول التحالف الثلاثي، كما أنّه يستحيلُ

(1) *Taner Akçam, Op. cit, p. 125.*

(2) **أرنولد توينبي:** اشتغل في سنة 1915 في قسم الدعاية، وكرّس نفسه هناك مدّة عامين في نشر الكتب والمقالات ضدّ دول المحور، وكلّ أعداء الحلفاء، وأصدر مجموعةً من الكتب منها الإرهاب الألماني في بلجيكا، الإرهاب الألماني في فرنسا، فظائع الأرمن، منذ عام 1916 بدأ توينبي وبتعليمات من لورد برايس في جمع المعلومات المضادّة لتركيا من العديد من الدّول والشخصيات، وفي سنة 1917 انتقل إلى المخابرات، لم يكن الرجل راضيًا عن أعماله, وعن كونه "رجل دعاية"، وقد ذكر في سنة 1932 أنّ ما كتب عن التنديد بأحداث سنة 1915 في الدولة العثمانية، هو دعاية حرب تشوبها المبالغة. أحمد الشرقاوي، حول المذابح الأرمنية اعترافات أرنولد توينبي، منشور في موقع اضاءات، بتاريخ 25أفريل 2021.

عليهم القيامُ بتمرّد لأنّهم لا يشكّلون كثافةً سكانية في أغلب الولايات التي يسكنونها ،بل إنّهم يعيشون متفرّقين في شكل مستعمرات(1).

إنّ تهجيرَ الأرمن يُظهر إلى أيّ مدى كانت حكومةُ الاتّحاديين تخشى من الأرمن ،لذلك أرادت استعمالَ الوسائل الأكثر ضماناً لإبادتهم ،بمجرّد أن تلوح لها فرصةٌ في الأفق(2) ،فجاءت فرصةُ الحرب العالمية الأولى وانْشغال الدّول الكبرى والرّأي العام العالمي بالحرب وتطوّراتها لإبادة الأرمن.

لكنّ أرنولد توينبي بعد عدّةِ عقودٍ يتراجع عن كلّ هذه الآراء والكتابات ،ويعترف في مذكراته "معارفي" الصّادرة بالإنجليزية في لندن سنة 1967 ؛ذكر توينبي :إنّ ما سبقَ أنْ كتبته ووصف فيه أحوال الأرمن ،كان دعايةَ حربٍ لأنّ السّلطات العثمانية قد وجدتِ الأرمنَ العثمانيين يمثّلون "الطّابور الخامس" لقوّات الحلفاء فقررت ترحيلهم بعيدًا عن مناطق القتال ،وأنّ هذا الإجراءَ هو إجراءٌ أمنيّ مشروع تتّخذه غيرها من الدول في مثل هذه الظّروف(3).وكان توينبي قد أصدرَ بالإنجليزية في لندن سنة 1932 كتابًا بعنوان "المسألة الغربية في اليونان وتركيا" ذكر فيه أنّ ما كتبَ عن التّنديد بأحداث سنة 1915 في الدّولة العثمانية ضدّ الأرمن ؛هو "دعاية حرب تشوبها المبالغة" (4).

أمّا السفيرُ الأمريكي هنري مرغنطاو ،لم يتطرّق إلى الدّوافع التي تناولتها الدّراساتُ التّاريخية العربية والغربية بل اختصرَ الأسباب في التّعصب الديني ،الذي طالما اتّهم – ومازال يتّهم – به المسلمين ،فكلّ ما تعرّض له الأرمنُ من اضطهاد ومظالم يقف وراءها الدينُ بالدّرجة الأولى ،فالرجالُ والنّساء الذين قاموا بهذه الأعمال التي حرّضوا عليها، كانوا بالفعل يؤمنون بصدقٍ وإخلاص أنّهم يخدمون خالقهم ،وأنّهم سينالون الثوابَ في الآخرة، فالتعصّبُ الديني هو الذي حفّزهم على ذبح الأرمن من أجلِ مرضاة الله ،إلّا أنّ السفير الأمريكي وقف على مفارقةٍ مَفادها –حسبه–أنّ العقول التي دبّرت وخطّطت للجريمة كانوا كلّهم مُلحدين لا يحترمون لا الإسلام ولا المسيحية، إلّا أنّهم استغلّوا جهلَ النّاس لتمرير سياسة الدولة(5).

---

(1) *Arnold J. Toynbee, **Les massacres des Arméniens, le meurtre d'une nation (1915-1916),** Edition Payot et Rivages, Paris, 2012, pp. 83-84.*
(2) *Arnold j.Toynbee ,**Les massacres …**Op.cit, p. 83*

(3)***Arnold Toynbee, Acquaintances,** London, 1967, P. 81.*

(4) أحمد الشرقاوي، تاريخ ملفّق... لماذا يجب أن نعيد النّظرَ في مذابح الأرمن؟ مقال منشور في موقع (إضاءات). بتاريخ 2018/04/26م.

(5) هنري مورغنطاو، مصدر سابق، ص. 48.

إنّ هذا الأخير لما يتّهم الدّين بالضّلوع في هذه المجازر، وكأنّه يتناسى وثيقةَ شريف مكة التي أوردها بين جنباتِ مذكّراته، والتي دعا فيها هذا الأخيرُ زعماءَ العشائر العربية والأميرين فيصل وعبد العزيز جربا لاحترام الأرمن باعتبارهم أهلَ ذمّة أوصى بهم الرّسول، فالأمرُ في نظرنا لا علاقة له بالدّين ولا بالتعصب الديني، فما حاولَ الدّعاية له يجعلنا نصنّفه في خانة المتَحاملين على الدّين الذي لطالما كان الوترَ الذي يعزف عليه الغرب في مواجهة الإسلام.

وقد أجرى الكاتبُ والمؤرّخ الأمريكي "هيث لوري" دراسةً تحليلية ووثائقية[1] حولَ مذكرات السفير موغنطاو/ مورغنطاو ،فكشف لنا الكثيرَ من القصص التي وراء القصة. فقد اعتمدَ "هيث لوري" على آلاف الأوراق التي تركَها "مورغنطاو" في أرشيفِ المكتباتِ الأمريكية، ما بين يوميّات ومذكّرات وخطابات وتقارير.. إلخ ،وقارنها بما جاءَ في الكتاب ،وكانت المفاجأةُ أنّ الكتابَ في الكثيرِ من الأحيان قصص ملفّقة وتحويرٌ للنصوص والأحداث في حبكةٍ صحفية محترفة ؛صنعتْ لجلبِ الإثارة والتّأثير على الرأي العام الأمريكي ،دون اعتبار للحقائق أو التاريخ، بل والأدْهى من ذلك أنّ هذا الكتاب / القصّة اعتُبر كمرجعٍ ومستندٍ رسمي استند عليه الكونجرس الأمريكي، كوثيقة إدانةٍ للأتراك في ارتكاب "حكومة الاتحادِ والتّرقي" جريمةَ إبادةٍ جماعيّة ضدّ الأقلية الأرمنية، رغم أنّ الكتاب كان مجرّد "قصّة" ربّما لا ترقى أن تدخل في مجال الأدب ،وتتوقّف مكانتها عند "البروباجندا".

هناك حقيقةٌ واحدة لا جدالَ فيها ،ليس هناك أيّ بيانٍ من البيانات الواردة في الكتاب كلّه قد أدلى به أيّ مسئول تركي أو ألماني .لقد أرادَ الكاتبُ أن يكون لديه مؤشّراتٌ قويّة تدين الحكومة الثّلاثية لجمعية الاتحاد والترقي– طلعت وأنور وجمال – وتُدين ألمانيا وقادتها في الحرب ،لتدعمَ المحورَ الأساسي لقصّة السفير مورغنطاو، وهو أن أمريكا تحارب محورَ الشّر ،وهي تدين هذه الحكومة بمحاولتها إبادة الأرمن [2].

(1) أهمّ مجموعة عامّة من المستندات عن حياة وعمل السفير هنري مورغنطاو (1856– 1946) موجودة في مكتبة الكونجرس بواشنطن في قسم المخطوطات تحت عنوان "أوراق هنري مورغنطاو"، *LC: PHM – Lobine No*.

(2) أحمد عبد الوهاب الشرقاوي، **أمريكا و البروباجندا الأرمنية** ...مرجع سابق، ص 7–156.

2-المظالم التي تعرض لها الأرمن على ضوء الدراسات التاريخية العربية والغربية:

من أجل التعرّف على المظالم التي تعرّض لها الأرمنُ خلال عملية التهجير ،نبدأ أوّلًا بالدراسات العربية، وفي مقدّمتها كتاب "المذابح في أرمينيا"(1) لفائز الغصين ،والملاحظةُ المهمّة التي نسجّلها على هذا الكتاب ،أنّه كتب في نفس الفترةِ الزمنية التي وقعتْ فيها الإبادةُ الأرمنية ؛لذلك فإنّ كتابه يحمل قيمةً تاريخية مهمّة تعطيه خاصية المصدر الأول(2).

جميعُ الوقائع التي نقلها لنا الغصين إمّا شاهدها بأمّ عينيه :"... ثمّ ركبنا عجلات من سروج وسرنا إلى الرّها (أورفة) وقد رأيت بأمّ عيني جماهيرَ ماشية على أقدامها ظننتُها عن بعدٍ جندًا سائرة لميادين الحرب"(3). أو أنّه أخذها من كبار الموظّفين ،وعموم الموظّفين ،والضبّاط الصّف الأتراك والأكراد وعشائر العرب ،وفي هذا الإطار نسوق ما يلي :"... أمّا في ولاية بتليس فقد روى لي أحدُ الضّباط أنّ الحكومة كانت تجمع الأرمن في المتابن"(4).

لم يهملْ فائز الغصين المرأةَ التي تعرّضت للكثيرِ من الانتهاكات، ربّما لأنّ النساء كنّ يشكّلنَ الغالبية العُظمى من قوافل التّهجير، حيث ذكر أنّه كان جالسًا في دكّان في سوق ديار بكر، وفجأة رأى جموعًا من الناس ذاهبين لخارج السّور، ولما استفسر عن هذا قيل له "إنّ قطيعًا من النساء الأرمينيات جاءت وهنّ خارج السور، وسترسلهنّ الحكومةُ كما أرسلت القوافلَ التي قبلها، وهم ذاهبون لكي يأخذوا منها بنات خادمات إذا أعجبهم منهنّ أحد". وقد تحسّر للمصير الذي لاقته النّساء بقوله :"وهكذا كان نصيبُ النساء الأرمينيات النّهبَ كما تنهب العجْماوات ،وما زادَ عن الحاجة منهنّ فإلى القتل مصيرُه"(5). بالإضافة إلى هذه الوقائع التي تعرّضن لها ،لم يسْلمن من الانتهاكات

---

(1) **فائز الغصين:** كان المؤلّف عربيًّا بدويًّا جاء من عشيرة ذاتِ نفوذ هي عشيرة سالوت في منطقة حوران بسوريا ،وقد تلقّى تعليمًا يعدّ جيدًا بالنّسبة لعصره ،ذهب إلى مدرسة خاصّة لأبناء رؤساء العشائر في اسطنبول ،وقد شغل لمدة ثلاثة سنوات ونصف منصبَ قائمقام ولاية معمورة العزيز الأرمنية ،وفيما بعد عمل كمحامٍ في دمشق ،ثمّ أصبح عضوًا في مجلس حوران للمحامين ،وفي فترة الحرب العالمية الأولى ؛أي في عام 1915 تلقّى أمرًا بالذهاب إلى أرضروم ،يبدو أنه عندما وصل إلى ديار بكر، وهنا تمّ القبض عليه ،قضى شهرًا في السجن ثمّ أطلق سراحه لكنه أجبر على البقاء في ديار بكر لمدّة سنة ونصف. كتب فائز الغصين على الورق كلّ ما "رأى" و"سمع", وأصبح بذلك مؤلف كتابه الموسوم بـ "المذابح في أرمينيا". أنظر: فائز الغصين، **المذابح في أرمينيا**، القاهرة، 1917، ص ص. 3-5.

(2) نيقولاي هوفهانيسيان، مرجع سابق ، ص. 49.

(3) فائز الغصين، المصدر السابق، ص. 18.

(4) نفسه ، ص. 48.

(5) نفسه، ص. 65.

الجنسية[1]. والأدْهى من ذلك كان يتمّ بيعهنّ بأبخس الأثمان كما تُباع الجواري في سوق النّخاسة ، "قال لي أحدُ الثّقات من دير الزور إنّ أحدَ مأموريها اشترى من الدّرك ثلاثَ بنات ،كلّ واحدٍ بربع مجيدي ،وحدّثني آخر أنّه اشترى شابّةً جميلة جدًّا بليرة واحدة..."[2].

مادامت النّساءُ لم تسلمنَ من الانتهاكات فكيف سيكون حالُ الأطفال ؟الأطفال كان قدرهم مثل قدر أمهاتهم ،وقد ألقى فائز الغصين الضّوءَ على ما تعرّض له الأطفال ،حيث سردَ لنا ما رواه له أحدُ عرب الجزيرة "... وفي طريقهم رأوا سبعةَ عشَرَ طفلًا لا يتجاوز أكبرهم سنَّ الثالثة عشر من عمره ،وكانوا بحال الهلاك من العطشِ والجوع ،قال وكان معنا قربةٌ صغيرة من الماء ،وقليلٌ من الزّاد ،فلمّا رآهم شيخنا بدأ يبكي شفقة عليهم وأخذَ الماء والزادَ وبدأ يسْقيهم بيده واحدًا بعد واحد..."[3]. الكتيب حافلٌ بالمظالم التي قاساها الأرمن لا يسعنا المقامُ لذكْرها كلها ،نكتفي بما سردَه تحت عنوان "أنواعُ القتل والإتلاف " ،وهذا حسب ما رواه له "أحد الضباط "ففي موش قسم من الأرمن أتلف في المتابن ،والقسمُ العظيم أتلِفَ رميًا بالرصاص ،وطعنًا بالسّكاكين ،وكانت الحكومة تستأجر قصّابين تعطي لكلّ واحدٍ منهم ليرةً عثمانية يوميًّا"[4].

أمّا بالنّسبة لكتاب هنري مورغنطاو، والموسوم بـ "مقتل أمّه"، كان للوقائعِ التي حدثت للأرمن جزءٌ لا بأس به من مذكّراته ،والملاحَظ أنّ هذا الأخير كما سبق وذكرنا أعلن صراحة وقوفَ الإسلام وراءَ هذه الأحداث ؛ لذلك الدين الإسلامي هو المسئول الأوّل عن وقوع هذه المذابح ، "فهو بذلك يكرّس الصورةَ النّمطية المختلقة عن صراعٍ إسلامي دمويّ بربري ضدّ مسيحية سمحة متحضرة راقية[5]، لذلك لم يتوانَ المؤلفُ على الرّبط بين المجازر والعصبية الدينية. اتّهم هنري مورغنطاو عملاءَ الدولة والأكراد بتنفيذ المذابح؛ لذلك نقتبسُ من كتابه ما يلي :"كان عملاءُ

(1) فائز الغصين، مصدر سابق ،ص. 53.

(2) نفسه، ص. 60.

(3) نفسه، ص. 57.

(4) نفسه ، ص. 48.

(5) محمد رفعت الإمام،" الدعاية البريطانية ضدّ الدولة العثمانية (1917 – 1918) "، **حوليات المؤرخ المصري**، كلية الآداب، أغسطس 2012 / شوال 1434 هـ، ص. 43.

الدّولة في العادة يسبقون القافلة ،ويخبرون الأكراد أنّ القافلة مِن الأرمن تقترب ،ويأمرونهم أن يعملوا واجبَهم الملائم ،حيث يتدفّق القبليون المتوحشون من جبالهم على هذا الحشد الجائع الضعيف من الناس فقط"[1].

كانت المرأةُ محورًا أساسيًّا في هذه المجازر، حيث ضرب لنا المؤلّفُ أروع الأمثلة لمحافظة المرأة الأرمنية على عرْضِها وأطفالها، حتى ولو كلّفهنّ ذلك حياتهن. "إنّ أفظع المشاهد حدثتْ قرب الأنهار ،وخاصّة قرب نهر الفرات، كان الدّركُ في بعض الأحيان يدفعون النّساء في الماء عند عبور هذا النهر... كانت النساء يلقينَ بأنفسهنّ في النّهر لإنقاذ أعراضهنّ وأطفالهنّ بين أيديهن[2]. نكتفي بهذا القدْر بالنسبة لكتاب السفير الأمريكي، لأنّ الكتاب حافلٌ بالوقائع التي ربطها بالإسلام، فكلّ ما فعله الأتراك كانوا يهدفون من خلاله التقرّبَ إلى الله لكنْ بماذا؟ بدم الأرمن؟

وتأسيسا على سبق ،يبدو فائز الغصين من خلال كتيّبه متعاطفًا مع الأرمن ،حتى يُخال للقارئ أنّ هذا الأخير كان يهاجم الدّولة العثمانية بطريقةٍ غير مباشرة ،في إطار الصّراع بين العرب والأتراك ،والذي بلغ أوْجَهُ في سنة 1916 م فيما اصطلح عليه بالثّورة العربية ،وهذا أمرٌ لا نستبعده من جانبنا .فمِن المعلوم أنّ العرب والأرمن كان لهما عدوٌّ مشترك هو العدوّ التركي ،كما كانت لهم نفسُ التّطلعات القومية ،إلّا أنّ هذا الأخير – لكي لا يشتّت ذهن القارئ – أطلعه على السّبب الذي دفعه لكتابةِ مؤلّفه ،وهو تبرئة ساحة الإسلام من مجازرِ الأرمن ، وهذا من خلال ما قاله : "وقد جئت بهذا الكتابِ لأدحضَ سلفًا ما سيقوله المتقولون ويتخرّص به المتخرّصون على الدّين الإسلامي والأمّة الإسلامية ،وأثبت أنّ ما فعل بالأرمن إنما هو راجع على رجالِ جمعية الاتحاد والترقي الذين يديرون دفّةَ الدّولة التركية ،وقد فعلوه تعصّبًا لجنسيتهم ،وحسدًا منهم ليس إلّا، وأنّ الدين الإسلامي براءٌ من أفعالهم"[3].

هذا هو الغرضُ الذي ابتغاه الغصين من خلال كتابه ،إلّا أنّ الدعاية البريطانية قامت بترجمة كتيبه للغة الإنجليزية ،وذلك ليكون دعايةً جيّدة في أمريكا بغرض اسْتدراجها لخوض غمارِ الحرب العالمية الأولى ،كما قامت بإعادةِ نشره باللّغة العربية على نطاقٍ واسع ليكون بمثابة دعايةٍ ضدّ الدولة العثمانية[4]. وحتّى كتاب هنري مورغنطاو

(1) هنري مورغنطاو، مصدر سابق، ص. 48.

(2) فائز الغصين، مصدرلسابق ، ص.66.

(3) نفسه، ص. 85.

(4) محمد رفعت الإمام، **الدعاية البريطانية** ... مقال سابق، ص. 21.

هو كتابٌ دعائيّ بالدّرجة الأولى ،كتب من أجل أنْ تهيّئ أمريكا الرأي العام الأمريكي وتقنعه بضرورة دخولها للحرب[1].

وهكذا، يتّضح لنا ممّا سبق أنّ قرارَ التهجير كان ظرفيًّا، ارتبط بظروفِ الحرب؛ فبعد أن وضعت الحرب أوزارَها أصدرتِ الحكومةُ العثمانية قرارَ العودة، إلّا أنّه ترك الحرية كاملةً للأرمن، فيما إذا أرادوا العودة أم لا، وأصدرتِ الدّولةُ عدّةَ إجراءات من أجل أن تمرّ هذه العمليةُ في أحسن الظروف.

لاحظنا خلالَ هذا المبحث أنّ الدولَ الكبرى لم تغيّر شيئًا من سياستها تجاه الأرمن فاكتفت بالتنديد بما حدثَ للأرمن خلال الحربِ العالمية الأولى، أمّا بالنّسبة للعرب فقد ضربوا مثالًا رائعًا في التضامن ومواساة الأرمن، سواء على المستوى الرسمي أو الشعبي، إلّا أنّ هذا لم يخلُ من مواقفَ سلبية بدرت من بعض القبائل والعشائر العربية، وهي حالاتٌ شاذّة، والشاذُّ لا يُقاس عليه.

"الإبادة الأرمنية 1915" ،أسالت حبرَ الكثير من المؤلفين العرب ،أو المحسوبين على الغرب ،بعض الدّراسات العربية نصنّفُها في خانة الدّفاع عن الدين ،أمّا الدّراسات الغربية كان الهدفُ منها الدعايةَ ضدّ الدولة العثمانية ،وتهيئةَ الرأي العام العربي لسقوطها بعد قرونٍ من السيطرة ،بالإضافة إلى رغبة بريطانيا استدراج الولايات المتّحدة الأمريكية لدخول الحرب العالمية الأولى ،وترجيح الكفّة لدول التّحالف الثلاثي.

(1) أحمد عبد الوهاب الشرقاوي، **أمريكا والبروبجوندا**... مرجع سابق، ص. 29.


الخاتمة

على ضوءِ دراستنا لموضوع الجالية الأرمنية في الدّولة العثمانية من ستينيّات القرن التاسع عشر إلى نهاية الحربِ العالمية الأولى، آلتْ عمليةُ البحث إلى استخلاصِ مجموعة من النتائج، التي تعتبر إجابةً عن الإشكالية الرّئيسية والإشكاليات الفرعية، والتي يمكنُ تلخيصها في النقاط التالية:

- درجتِ الدّولة العثمانية منذُ القرن التاسع عشر على القيام بالتّعداد السكاني، وقد حصر عددَ السكان الأرمن في نهاية القرن 19 ومطلع القرن العشرين في 1.250.000 أرمنيًّا من أصل 18 مليون نسمة سكّان الإمبراطورية العثمانية. لكن الكتاباتُ التاريخية الأرمنية أو الغربية، حصرتِ العددَ الإجمالي للأرمن بين 2 و3 ملايين. إلّا أنّه– حسب تقديرنا– لم تكنِ الدولة العثمانية لتناقض نفسها، بإعطاءِ أرقامٍ عارية من الصّحة لأنّ هذه الأخيرة كانت تستخدمُ هذه الأرقام، لمعرفةِ مَن هُم ملزَمون بأداءِ الضّرائب التي كانت تعتبر رافدًا مهمًّا من روافد الاقتصاد العثماني، كما استخدمتها لمعرفة الملزمين بأداء الخدمة العسكرية الإلزامية.
- من النتائج أيضا، كان الوضعُ الاقتصادي للأرْمن في الدّولة العثمانية متفاوتًا، فسكّان الريف كانوا يمارسون النشاط الزّراعي، أمّا سكّان المدن فقد استقرّوا بالمدن الكبرى مثل اسطنبول التي فتحتْ ذراعيها لكلّ أرمنيّ منذ عهد السّلطان محمد الفاتح، فأصبحت مركزًا اقتصاديًّا مهما لهم. زاول أرمن المدن النّشاطَ التجاري والصيرفي، مما سمحَ لهم بمراكمة الثروة، هذا الوضع أدّى إلى بروز عائلات أرمنية بالغة الثّراء من جهة، وإلى خلْق واقعٍ اقتصادي متميّز لهم. لقد أدرّ هذا النشاط على أصحابه أموالًا طائلة فتشكّلت طبقةٌ ثريّة من الأرمن في الدولة العثمانية استطاعت ربط علاقات مع البلاط العثماني.
- كما توصلنا إلى أن الممارسات الاجتماعية التي وجدت في المجتمع الأرمني لم تختلفْ كثيرًا عنة تلك التي وجدت لدى المسلمين العثمانيين، مما أدى لربطُ علاقات متينة بين الأتراك والأرمن، سادَها التفاهمُ والتعايش السلمي من جهة، واندماج الأرمن في المجتمع العثماني، بحيث كان يصعبُ التفريقُ بينهم وبين بقية العناصر المشكلة للنسيج الاجتماعي العثماني من جهة أخرى.
- عُرف الأرمنُ في الدولة العثمانية بالأمّةِ المخلصة أو بالتعبير العثماني "مللت صادقه"، وذلك نظرًا للخدماتِ الجليلة التي قدّموها للدولة في مختلف الأصعدة، فعلى الصّعيد السياسي تبوّأ الأرمن الصدارة مِن حيث حصولهم على مناصبَ في السّلك الدبلوماسي العثماني، وذلك راجع لإجادتهم اللغات الأجنبية أوّلًا، ولكوْنهم مسيحيّين من أكثر العناصر صلاحيةً للتّعامل مع الأوروبيين، خاصّة بعد انحسار دور اليونانيّين في الإدارة والمؤسّسات العثمانية، وكان ذلك بعد الثورة اليونانية وانفصالهم عن الحكم العثماني.

- أمّا على الصعيد الحكومي اضطلعَ الأرمنُ بوظائف مهمّة خاصّة ما يتعلق منها بالاقتصاد نظرًا للمكانة الاقتصادية التي تمتعوا بها في الدّولة العثمانية، وارتقوا فيها–الوظائف– إلى درجة أنْ وصل بعضهم إلى درجة الوزارة مثل وزارة الخزينة الخاصة ووزارة الخارجية، وهي مناصبُ أقلّ ما توصف به أنّها حسّاسة وهامّة في السياسة الاقتصادية والخارجية للدولة العثمانية.
- من النتائج التي خلصنا إليها كذلك الدور الذي لعبه الأرمن في الدولة العثمانية لم يكن عاما، بل انحسر في أسر عرفت بالأميرا والتي كانت لها مساهماتٌ في مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية وحتى الثقافية، حيث كانت بمثابةِ قوّةٍ اجتماعية واقتصادية فاعلة، سواء في المجتمع العثماني أو في المجتمع الأرمني، كما أنّها ساهمت بشكلٍ فعّال في تدعيم أواصر الودّ والتّواصل بين الأرمن والدولة العثمانية، فقد أثبتوا من خلال توليهم لعدّة مناصب رفيعةِ المستوى، تعلّقهم بالنظام العثماني وإخلاصهم له.

.

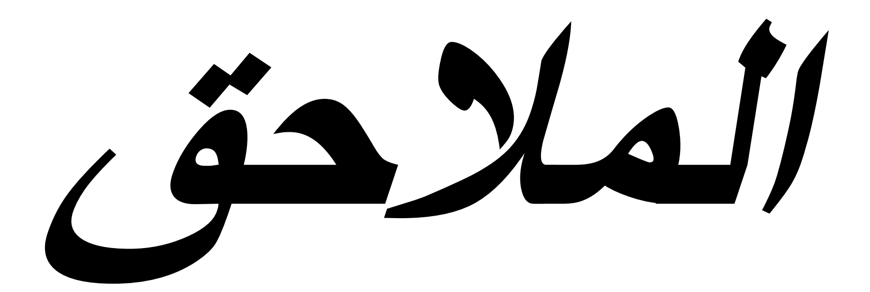
- عقلية الملة الصادقة تغيرت من الولاء للدولة العثمانية، لمحاولة الانفصال عنها، وقد تظافرت عدة عوامل أدت إلى تغييرها منها: التّعليمُ الأرمني الذي لعب دورًا كبيرًا في بعْث الرّوح الوطنية الأرمنية والثقافة الأرمنية، ممّا ساهم في الحفاظ على هويّتهم وإعادةِ الحياة للغتهم، وذلك من خلال البرامج التعليمية التي ركّزت على اللغة والتّاريخ، ونشرهم للتّعليم بين مختلف الشّرائح، وخاصّة البنات، مُستفيدين بذلك من حرية التعليم الذي كانت تكفله الدولة العثمانية للتّبعة غير المسلمة. بالإضافة إلى الإرساليات التبشيرية المختلفة المشارب والتوجّهات والتي كانت لها اليد الطولى في انقسام الأرمن إلى مذاهب مسيحية أخرى: كاثوليكية وبروتستانتية، وأرثوذكسية.
- لعبتِ الدّولُ الكبرى (فرنسا وبريطانيا وروسيا) دورًا كبيرًا في ظهور المسألة الأرمنية، وذلك من خلال تقديمِ الدّعم المادي والدبلوماسي لها، ما جعلَ الأرمن يمضون قدُمًا في سياستهم ضدّ الدولة العثمانية، مُعتقدين أنّ الروابط الدينية التي تربطهم بها كفيلةٌ لتجعل الدول الكبرى، لا تدّخر أيّ جهد في دعمهم. إلّا أنّهم أخطئوا التّقدير، فمسيحي الأناضول لا يمتّون بصلةٍ لمسيحيي البلقان.
- اكتسبتِ المسألةُ الأرمنية بعدًا دوليًّا بعد التّوقيع على معاهد برلين 1878 فدخلت بذلك جدول أعمال الدبلوماسية العالمية آنذاك. تمخّض عنْ تدويل المسألة الأرمنية عدّةُ تداعيات، في مقدّمتها تدهورُ الأوضاع الأمنية في شرق الأناضول، حيث بدأ الأرمنُ في اقتناءِ الأسلحة وتخزينها إلى حين، بالإضافة إلى توتّر العلاقة بين الأرمن والأكراد، خاصّة بعد أنِ كشفَ الأرمنُ عن نواياهم الحقيقيّة في تأسيس دولة في شرق الأناضول،

الذي يتمتّع بأغلبية كرديةٍ بالمقارنة مع الأرمن، فشعر الأكرادُ بخيانة الأرمن الذين يريدون سلبهم وطنهم بالتواطؤ مع القوى الكبرى. فالولايات السّت كانت محلَّ صراع بين الأرمن والأكراد، فكلٌّ يدّعي حقّه التاريخي فيها، وكلٌّ يعمل على استقلالها.

- الدّول الكبرى اتّخذت مؤتمرَ برلين ذريعةً للتدخّل في الشئون الداخلية للدولة العثمانية، وذلك من خلال مطالبتها في كلّ مرّةٍ بالتّعجيل في القيام بالإصلاحات، التي كانت غامضةَ المعالم؛ فاستغلت هذه الدول الفرصةَ فقامت بتعيين قناصلَ لها في شرق الأناضول لمراقبة عملية القيام بالإصلاحات. قامت روسيا وفرنسا وبريطانيا بإملاء برنامج إصلاحاتها على الدولة العثمانية، إلّا أنّ هذه الأخيرة لم تقم بتطبيقها، لأنّ السلطان عبد الحميد الثاني رأى أنّ تطبيق هذه الإصلاحات سيحوّل شرقَ الأناضول إلى بلقان ثانية، فبقيت مجرّد حبرٍ على ورقٍ نتيجة انصراف الدّول الكبرى للتنافس فيما بينها.
- قام الأرمنُ في تسعينيات القرن 19 بسلسلةٍ من العصيانات، هذه الأخيرة لم تكنْ عبارة عن أحداث عابرة، أو أنّها انفجرت نتيجةَ مناهضة سياسة الدولة العثمانية، بل كانت عبارة عن أحداثٍ تمّ التخطيط لها مسبقا من طرف اللّجان الأرمنية، في محاولة منها للفْت أنظار الدّول الكبرى لمسألتهم، إلّا أنَها لم تحرك ساكنًا لنصرتهم، واكتفت بالتّنديد إثرَ وقوع ما يعرف بالأحداث الأرمنية (1894 م-1896 م).كان ردُّ الدولة العثمانية عنيفًا على التمرّدات الأرمنية، فوقعت أحداث (1894-1896) أو ما يعرف في الكتابات التاريخية الغربية بالمجازر الحميديّة لأنّها كانت من توقيع الألوية الحميدية.
- الغربُ تعامل مع هذه المجازر من منظورٍ ديني خالص، فاعتبرها عمليةً لذبح أقليّة مسيحية على يد أغلبية مسلمة، فالمسلمون- حسبهم- ينظرونَ للأرمن على أساسِ أنهم كفّارٌ يجوز قتلهم حسب الشريعة الإسلامية، إلّا أنّهم تغافلوا على حقيقة مَفادها أنّ الأرمن كانوا يعيشون في الدولة العثمانية لقرون طويلة بصفتهم أهل ذمّةٍ في إطار نظامِ الملل الذي لا نجدُ له مثيلًا في تلك الفترة، فلولا هذا التنظيم لما استطاعوا الحفاظَ على هويّتهم وثقافتهم وديانتهم، هذه الأفكارُ الغربية النّمطية تدخل- كما هو مُعتاد- في إطار التّحامل على الدولة العثمانية عمومًا ،وعلى الإسلام خصوصًا.
- غيّر الأرمنُ استراتيجيّتهم تجاه الأتراك، أو بالأحرى المعارضة التركية، مع مطلع القرن 19، فتحالفوا مع حزبِ تركيا الفتاة، وهذا التفاهمُ ناتجٌ عن وجود عدوّ مشترك بينهما والمتمثل في السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، لذلك عمل الطّرفان على الإطاحة به، وإعادة المشروطية مجددا.

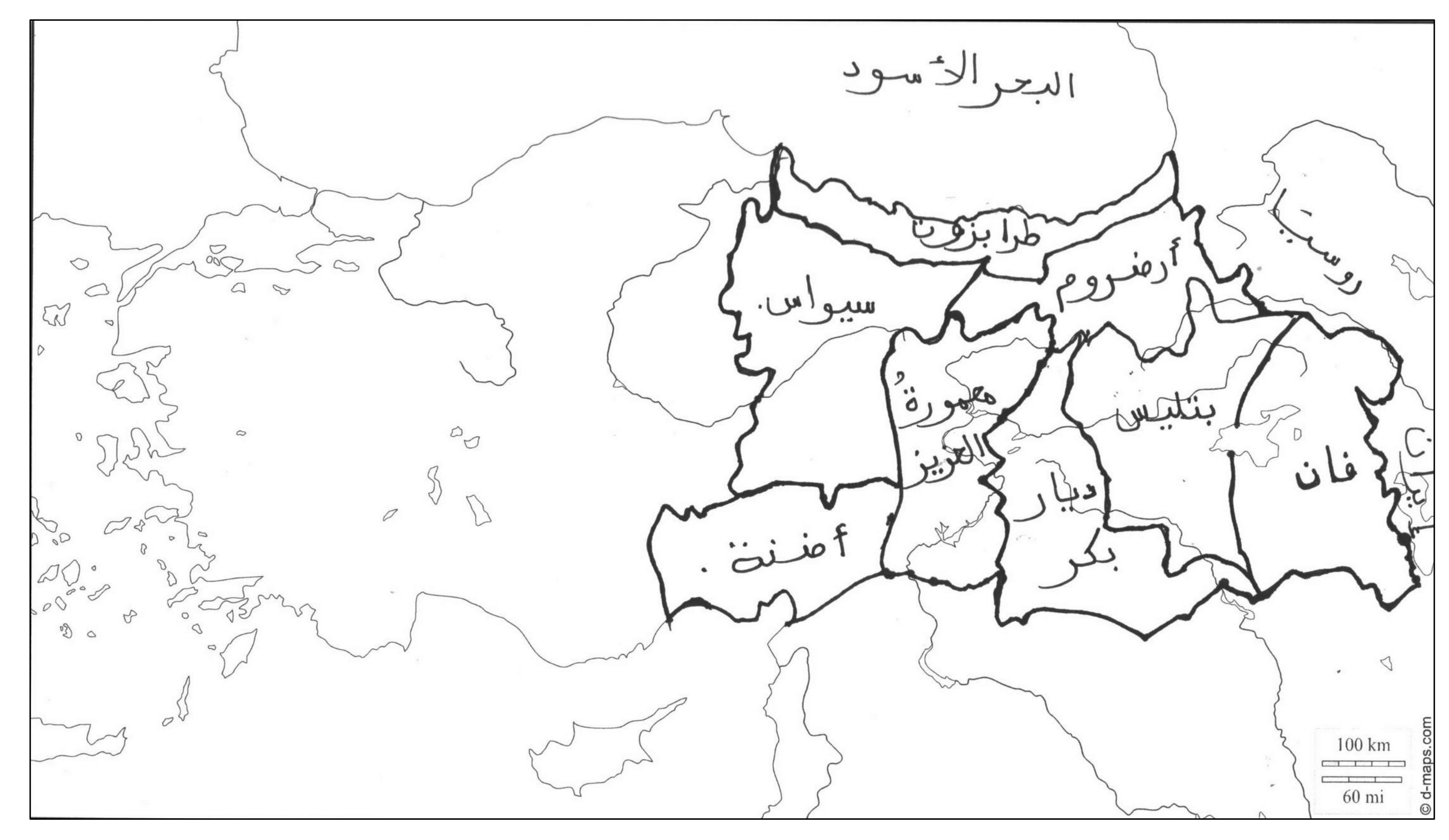
- في سنة 1908 نتيجةً للضّغوط التي تعرّض لها السلطانُ العثماني أعاد الحياةَ الدستورية للإمبراطورية العثمانية، فاستبشر الأرمنُ بذلك، وظنّوا أنّه نهاية عهدٍ قديم وبدايةُ عهد جديد تسودُه الحرية، التي سوف يستغلّونها في تحقيق أهدافهم القومية، إلّا أنّ فاتحة هذا العهد الجديد بالنسبة للأرمن كان "أحداث أضنة".
- استغلّ الأرمنُ أجواءَ الحرية التي حملها النظامُ الجديد في استيراد الأسلحة والذخيرة، من أجل تحضير أرضية تؤدّي في النهاية لتشكيل دولة أرمينيا، هذا الوضع خلق نوعًا من القلق والتوتر بين السكان المسلمين، كما أنّ انتشار إشاعاتٍ حول امتلاك الأرمن العديد من البنادق الأوتوماتيكية وحتى المدافع، ساهم في تعميق الهوّة بين الأكراد والأرمن، الذين أصبح ينظَرُ إليهم على أنّهم أجانب تمّ دسّهم في الدولة العثمانية من أجلِ تنفيذ مخطّطات أجنبية.
- استغلّ الأرمنُ انهزام الدّولة العثمانية في حرب البلقان الثانية (1912-1913 م) لإعادة النظر في سياستِهم تجاه حزبِ الاتحاد والترقي، فرأوا أنّه من الضّروري العودةُ إلى سياستهم القديمة القائمة على التّحالف مع الغرب، خاصّة وأنّ تحالفهم مع الدولة العثمانية لم يأتِ بجديد للمسألة الأرمنية، لذلك رجعوا إلى السياسة التي اتّبعوها خلال التسعينيّات من القرن التاسع عشر، والمتمثّلة في خلق وضعٍ متوتر في شرقِ الأناضول يؤدّي إلى حربٍ بين سكانها، لكي تهيئ حجّةً للدول الأوروبية للتدخل.
- أمامَ الهزائم العثمانية المتوالية، والتي أدّت بها لخسارة مساحاتٍ شاسعة، من أراضيها خاصة في البلقان تنامى الفكرُ القومي التركي الذي كان موجّهًا خصوصًا ضد القوميات غير التركية في الإمبراطورية العثمانية، خاصّة المسيحيين، ويأتي الأرمنُ في المقدمة لأنّها كانت تخشى أن تفقد شرق الأناضول كما فقدت البلقان، لذلك اتبعت سياسةَ التّتريك القسري، إلّا أنّها فشلت في ذلك، لهذا سيلجأ الاتّحاديون إلى الخطوة الثانية وهي" محاولة التخلّص من الأرمن والاستيلاء على ممتلكاتهم".
- عندما دقّت طبولُ الحرب العالمية الأولى، حزب الطاشناق الأرمني العثماني رفض الانصياعَ لمطالب الاتّحاديين والمتمثلة في إشعال الثّورة في جبهة القوقاز الروسية، إلّا أنّهم وعدوا الدولةَ العثمانية بالإبقاء على التزاماتهم تجاهَها باعتبارهم مواطنين عثمانيّين، وذلك عن طريق خدمةِ الوطن في مختلف المجالات أو الانخراط في صفوفِ الجيش مثل باقي المواطنين، لكنّ الأرمن خالفوا ذلك التعهّد، وكانوا بمثابة طابورٍ خامس للجيش الرّوسي، وهذا ما جعل الاتحاديّين يعتبرونه خيانةً من طرفهم.

- بدخول الدّولة العثمانية غمارَ الحرب العالمية الأولى، اتّخذت إجراءات أمنية داخلية، أهمها هو إصدار قرارٍ تهجير وإسكان الأرمن المؤقت، الذي اعتبرتهُ إجراءً أمنيًّا اضطرّت لاتخاذه بسبب قيام الأرمن المجنّدين في الجيش العثماني بالانضمامِ إلى الجيوش الروسية.
- كشفتْ وثائقُ الأرشيف العثماني عن الإجراءات التي اتّخذتها الدولة العثمانية، من أجل ضمان السير الحسَن لعملية سوْق الأرمن إلى غاية انتهاء الحرب، فلم تترك هذه العملية دون تنظيم. بالرغم من أنّ التهجير القسري للأرمن كان قاسيًا جدًّا، إلّا أنّ الدّولة العثمانية لم تتجرّد نهائيًّا من الإنسانية، فقد عملت في حدودِ قدراتها –خاصّة وأنها كانت في حالةِ حرب – على المحافظة على أرواح وممتلكات الأرمن وإعاشتهم من مخصّصات المهاجرين، كما أنها حدّدت مصير ممتلكاتهم المتروكة.
- رأتِ الدّول الغربية في عملية التهجير أنّها لم تكنْ سوى خطّة مدبّرة من طرف الدولة العثمانية، لاجتثاث جذورِ المسألة الأرمنية إلا أن موقفها لم يتعدّ التنديدَ. أمّا الموقف العربي فقد تأرجح بين استقبال الأرمن ومدّ يدِ العون لهم للتّخفيف من مأساتهم، وبين معارضة تواجدهم مما جعلهم عرضةً للقتل، والسّلب والنّهب على يد بعض القبائل العربية.
- قرارُ التّهجير كان قرارًا إجباريًّا ومؤقّتًا، فبعد أنْ وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها، أصدرت الحكومة العثمانيةُ قرارَ العودة للأرمن الذين يرغبون في العودة إلى أراضيهم، وأعطى هذا القرار الحريةَ الكاملة للأرمن فيما إذا كانوا يرغبون في العودة أو لا.
- إذن من منظور ديموغرافي لم يشكل الأرمن أكثرية في البنية السكانية للولايات الست إذ أنهم تناثروا وتداخلوا في النسيج المسلم، وذلك راجع للهجرات الأرمنية، ولاستقرار الأتراك والأكراد والشراكسة والأذر. بالإضافة إلى أن الحركة الثورية الأرمنية كانت تفتقر إلى استراتيجية موحدة وعملت على حدى. كما أن الدول الأوروبية وروسيا لم تساعد الأرمن على نحو ما فعلت مع اليونان والبلقان وذلك راجع لاعتبارات تاريخية ودينية واستراتيجية لذلك وجدنا أنها اتخذت من المسألة الأرمنية مجرد ورقة للضغط على الدولة العثمانية والتدخل في شأنها الداخلي. إذن هذه الأسباب وأخرى حالت دون تمكن الأرمن من تكوين نواة دولة مستقلة في شرق الأناضول على غرار مسيحيي البلقان.


الملاحق

الملاحق:

- **الملحق (01)**: خريطة الولايات الست.
- **المحلق (02)**: وثيقة قرار التهجير الصّادر عن مجلس الوزراء مع الترجمة.
- **المحلق (03)**: وثيقة تبيّن الظلمَ الذي مارسه الروسُ والأرمن ضدّ الأسرى العثمانيين مع الترجمة.
- **المحلق (04)**: وثيقة حولَ تسديد إعاشة وإسكان الأرمن من مخصّصات المهاجرين مع الترجمة.
- **الملحق (05)**: وثيقة حول عدمِ المطالبة بالدّيون المترتبة على الأرمن المهجرين مع الترجمة.
- **الملحق (06)**: وثيقة تنصّ على إبقاءِ الأرمن المقيمين للتجارة، ونحوها، في أماكنهم مع الترجمة.
- **الملحق (07)**: التعليماتُ الخاصّة بإسكان الأرمن، والحوالة المرسَلَة بقيمة مصاريف الإعاشة والإسكان مع الترجمة.
- **المحلق (08)**: وثيقة تنصُّ على المطالبة بالتّحقيق في وضع الأرمن المرحّلين مع الترجمة.
- **الملحق (09)**: وثيقة حول إسكان اللاجئين في القرى الأرمنية مع الترجمة.
- **الملحق (10)**: وثيقة حولَ إسكان الأطفال الأرمن في دور الأيتام مع الترجمة.
- **المحلق (11)**: وثيقة تطالبُ بإبقاء الموظّفين الأرمن في الدّيون العمومية في أماكنهم مع الترجمة.
- **الملحق (12)**: وثيقة تنصُّ على المحافظة على الأموال المتروكة، وتسجيلِها في الدفاتر مع الترجمة.
- **الملحق (13)**: وثيقةُ تسديدِ ديون ومستحقّات الأرمن المرحّلين مع الترجمة.
- **الملحق (14)**: وثيقةُ عدمِ سوْق المرضى من الأرمن مع الترجمة.
- **الملحق (15)**: وثيقة حولَ عدم التقيّد التّام بالتعليمات المنظّمة والمبلغة حول السوق مع الترجمة.
- **الملحق (16)**: وثيقة حولَ الاطّلاع على الكتاب الذي أرسله القنصلُ الأمريكي بمعمورة العزيز مرفقة بالترجمة.
- **الملحق (17)**: وثيقة حولَ اتّخاذ التدابيرِ لمنع اعتداءات العصابات الأرمنية على قرى المسلمين مرفقة بالترجمة.
- **الملحق (18)**: خريطة أرمينيا التاريخية (القديمة).



ملحق رقم (1): الولايات الست العثمانية (أرضوم، فان، بتليس، ديار بكر، معمورة العزيز، سيواس). بالإضافة إلى أضنة و طرابزون.

ملحق رقم 2

مذاكراتنه مخصوص ضبط نامه

١٦٦

١٨

خلاصهٔ مآل

[illegible]

قرار

[illegible]

BOA. *Meclis-i Vükela Mazbataları,* 198/163

ملحق رقم 2

قرار التهجير الصادر عن مجلس الوزراء

(قرار التهجير الذي اتخذه مجلس الوزراء بناء على مذكرة وزارة الداخلية رقم 270 وتاريخ 13 أيار 331[1] لترحيل الأرمن الذين تعاونوا مع العدو وقتلوا الناس الأبرياء وقاموا بالتمرد وغير ذلك من الأعمال المضـــرة إلى الموصـــل والزور وحلب وبعض الأماكن من سورية)

16رجب1333 (30 أيار 1915)

رقم التسلسل:163

ملخص المحضر الخاص بمناقشات مجلس الوزراء

اطلع المجلس على مذكرة وزارة الداخلية رقم 270 وتاريخ 13 أيار سنة [1]331 الذين يبين قيام قسم من الأرمن المقيمين في الأماكن المجاورة للمناطق الحربية بعرقلة حركات الجيش الهمايوني المنشغل بالدفاع عن الحدود العثمانية ضد أعداء الدولة ووضع الصعوبات أمام نقل المؤن والمهمات العسكرية، والتعاون مع العدو بصورة فعلية وعملية خاصة التحاقهم بصفوف الأعداء، وقيامهم بهجمات ضد القوات العسكرية والمواطنين الأبرياء داخل البلاد، وبالتسلط على المدن والقصبات العثمانية وممارسة أعمال القتل والنهب والسلب وتزويد القوات البحرية للأعداء بالمؤن والإخبار عن مواقع الاستحكامات، مما يتطلب إبعاد هذه العناصر الثورية وأمثالها عن ساحات الحركات وإخلاء القرى التي تعتبر قواعد وملاجئ للعصاة، وبدء التنفيذ الفعلي لمثل هذه الإجراءات والمبادرة بترحيل الأرمن المقيمين في قرى وقصبات ولايات وان وبدليس وأرضروم وألوية أضنة ومرسين وقوزان وجبل بركات باستثناء مدينة أضنة ومدينة سيس ومدينة مرسين ولواء مرعش باستثناء مدينة مرعش، وأقضية اسكندرون وبيلان وجسر الشغور وأنطاكية باستثناء أقضية مركز ولاية حلب إلى الولايات الجنوبية وإلى ولاية الموصل باستثناء القسم الشمالي المحاذي لولاية وان، ولواء الزور والقسم الجنوبي من لواء أورفة واستثناء مدينة أورفة نفسها وإلى القسم الشرقي والجنوبي الشرقي من ولاية حلب ، والأماكن المخصصة والمعينة من القسم الشرقي من ولاية سورية والمباشرة

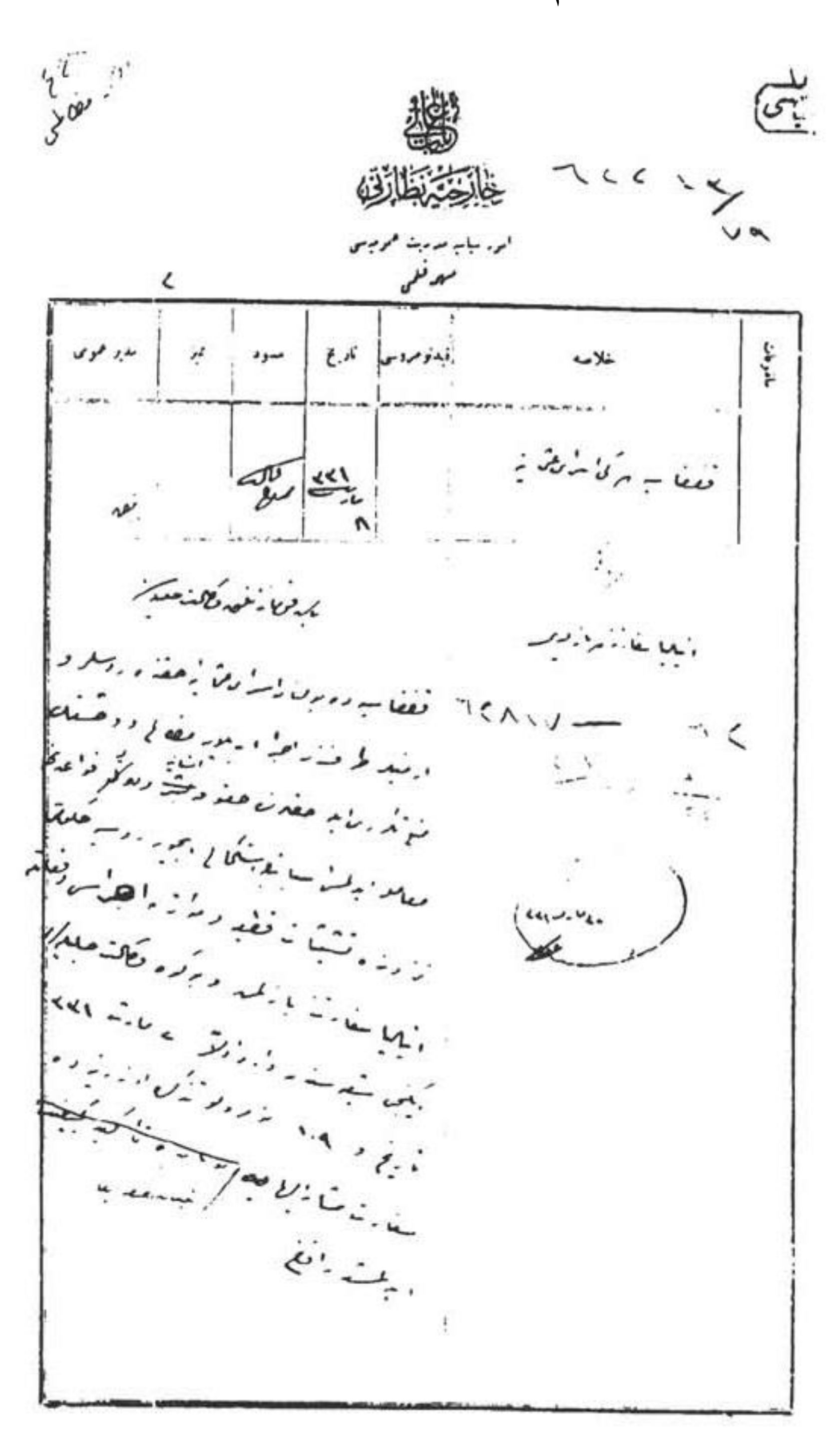
بإسكانهم فيها وأن هذه العملية مستمرة ، وأن هناك ضرورة في ربط هذه العمليات المتوافقة مع المصالح الأساسية للدولة بقاعدة مطردة .

القرار

المضرة التي سيكون لها أثر سيء على الإجراءات الحقيقة أن مثل هذه الحركات للحفاظ على كيان الدولة وأمنها تستوجب القضاء والإصلاحات التي استوجبت التضحيات وبالإجراءات المؤثرة.وأن صحة ما بادرت إلى القيام به الوزارة عليها وإزالتها بصورة قطعية الأمور البديهية وقد وافق المجلس على ما جاء في مذكرة الوزارة على نقل المشار إليها من نقلهم من الأرمن المقيمين في القرى والقصبات المحررة أسماؤها وإيصالهم إلى من يتطلب المعدة لإسكانهم بشكل مرفه وتأمين راحتهم والمحافظة على أرواحهم وأموالهم الأماكن من مخصصات المهاجرين إلى أن يتم إسكانهم بصورة نهائية وتوزيع الأملاك وإعاشتهم حسب أحواله المالية والاقتصادية السابقة وإنشاء مساكن على حساب والأراضي لكل منهم وتوزيع البذور والآلات والأدوات للزراع والمحتاجين من أرباب للمحتاجين الحكومة الأموال والأشياء أو قيمة ما تركوه في أماكنهم السابقة بصورة مناسبة وإسكان المهن وإعادة تقديرها المهاجرين والعشائر في القرى التي أخليت وتوزيع قيمة الأملاك والأراضي لهم بعد تم نقلهم وحصر وتحديد جنس وقيمة ومقدار الأموال غير المنقولة التابعة للأهالي الذين مزارع وتوزيعها للمهاجرين، أما ما يبقى خارج مجال اختصاص وعمل المهاجرين من والمستودعات وغيرها الزيتون والتوت والكروم وبيارات البرتقال والدكاكين والخانات والمصانع في صناديق المال ليصار من العقارات فيصار إلى بيعها بالمزاد أو تأجيرها وإيداع بدلاتها الإجراءات من مصاريف من بعد ذلك إلى دفعها لأصحابها وتسديد ما يترتب على هذه الوزارة المذكورة وتأمين الحفاظ مخصصات المهاجرين وتطبيق أحكام التعليمات الصادرة من المعاملات الخاصة بالإسكان وتدقيقها على الأموال المتروكة وتشغيلها وتسريع وتنظيم للأوامر التي قد تصدر من الوزارة المشار إليها، وتفتيشها، واتخاذ القرارات وتطبيقها وفقا استخدام موظفين برواتب وتكون مرتبطة بوزارة وتشكيل لجان فرعية تكون لها صلاحية وعضوين على أن يكون الرئيس وأحد العضوين الداخلية مباشرة ، وتكون اللجنة من رئيس المالية على أن يقوم الولاة بتنفيذ أحكام التعليمات من موظفي الداخلية ، والآخر من موظفي

.المشار إليها وإطلاع الدوائر ذات الصلة المذكورة. وتقرر تبليغ الوزارة
أيار 1331 17
مجلس الوزراء، 163/198 الأرشيف العثماني، محضر

ملحق رقم 3



BOA. *HR. HU*, Kr. 122/4

ملحق رقم 3

الظلم الذي مارسه الروس والأرمن ضد الأسرى العثمانيين

(القيام بمبادرة لدى الدولة الروسية لوضع حد للظلم الذي يمارسه الروس والأرمن ضد الأسرى العثمانيين الموجودين في قفقاسيا)

8آذار 331[1] (21 آذار 1915)

الباب العالي الخلاصة: الأسرى العثمانيون في قفقاسيا

وزارة الخارجية تاريخ: 8 آذار 331[1]

المديرية العامة للأمور السياسية

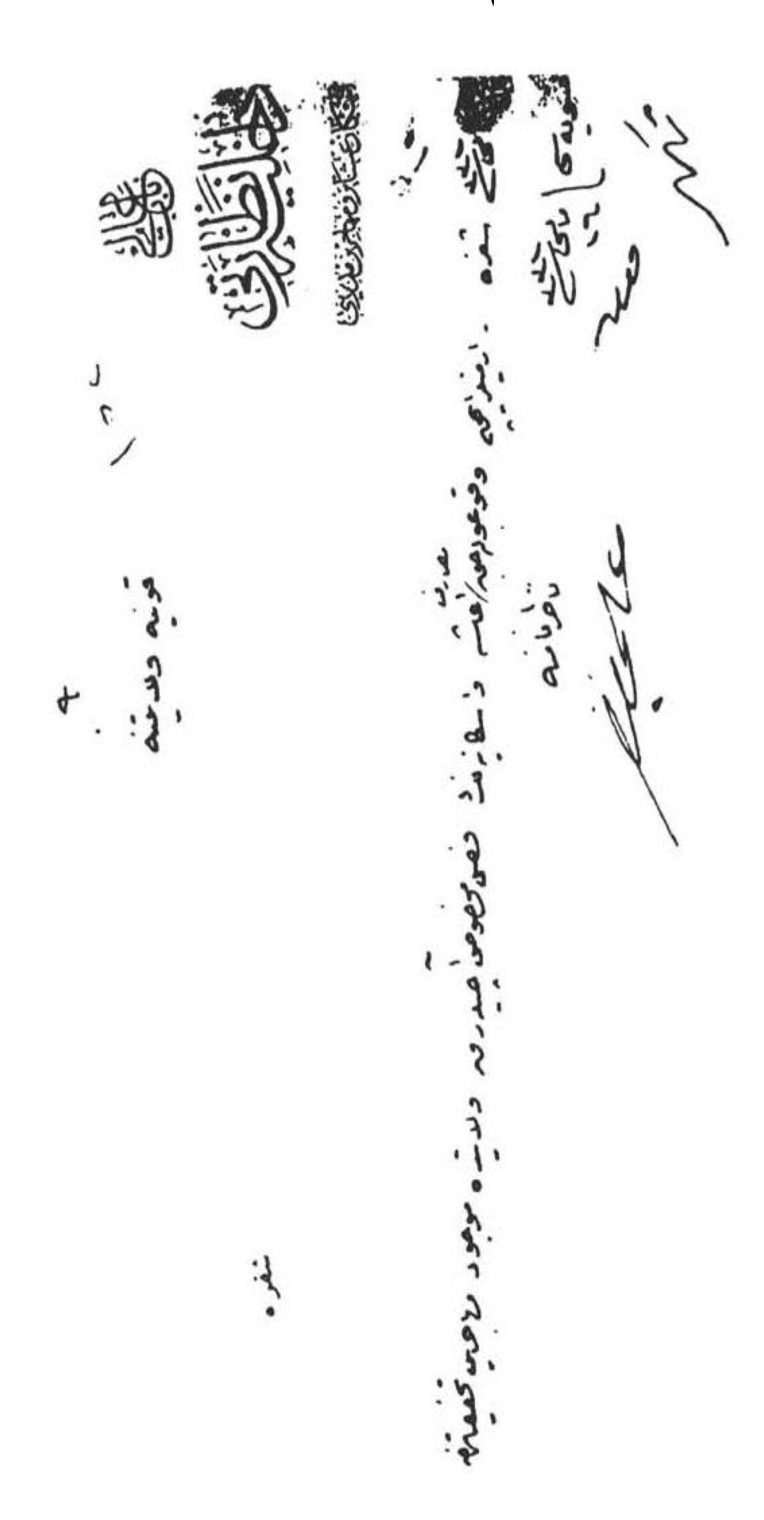
قلم الأمور المهمة

إلى وكالة القيادة العامة الجليلة

سبق أن تمت الكتابة مرات عديدة إلى السفارة الإيطالية لإجراء المبادرات القطعية والمؤثرة لدى الحكومة الروسية لمنع تكرار الظلم والمعاملة الوحشية التي يقوم بها الروس والأرمن ضد الأسرى العثمانيين في قفقاسيا واستكمال أسباب معاملتهم وفق قواعد الحقوق الإنسانية والدولية. وفي هذه المرة تم إجراء التبليغات المقتضية للسفارة المشار إليها بالمذكرة الواردة من الشعبة الثانية التابعة للوكالة الجليلة برقم 109 وتاريخ 2 آذار 331[1]

الأرشيف العثماني، الخارجية، الحرب الكونية، كرتون 4/122

ملحق رقم 4



BOA. *DH. ŞFR*, nr. 53/152

ملحق رقم 4

تسديد تكاليف إعاشة وإسكان الأرمن من مخصصات المهاجرين

(برقية شــفرة من وزارة الداخلية إلى ولاية قونية بطلب تســديد تكاليف إعاشــة وإســكان الأرمن من مخصصات المهاجرين)

15رجب 1333 (29 أيار/مايو1915)

الباب العالي

وزارة الداخلية

مديرية إسكان العشائر والمهاجرين

30شفرة

إلى ولاية قونية

ج. في 14 أيار/ مايو سنة 331[1]. شفرة. للقيام بتسديد ما يحصل من مصاريف إعاشة وإسكان الأرمن من مخصصات المهاجرين الموجودة بالولاية عن طريق فتح فصل خاص بها.

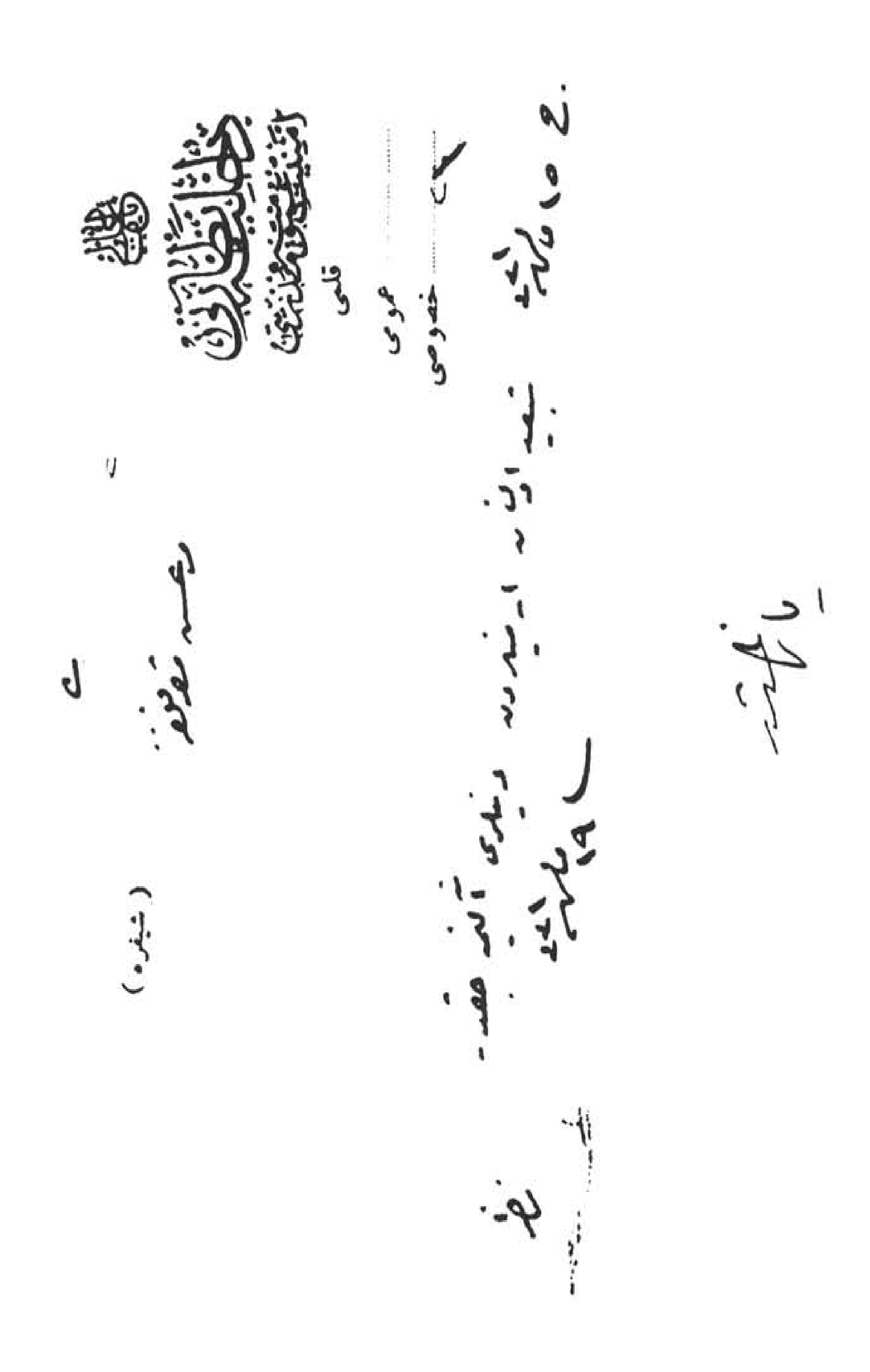
في 16 أيار/ مايو سنة331[1[

عن الوزير

علي منيف

الأرشيف العثماني. الداخلية. الشفرة، رقم 152/53

ملحق رقم 5



BOA. *DH. ŞFR*, nr. 53/200

ملحق رقم 5

عدم المطالبة بالديون المترتبة على الأرمن المهجرين

(برقية شفرة من وزارة الداخلية إلى متصرفية مرعش حول عدم المطالبة بالديون المترتبة على الأرمن المهجرين)

18رجب1333 (1 حزيران 1915)

الباب العالي

وزارة الداخلية

مديرية الأمن العام

خصوصي:21 شفرة

إلى متصرفية مرعش

ج.15 أيار سنة 331[1]. للامتناع عن تحصيل الديون المستحقة على الأرمن المبعدين.

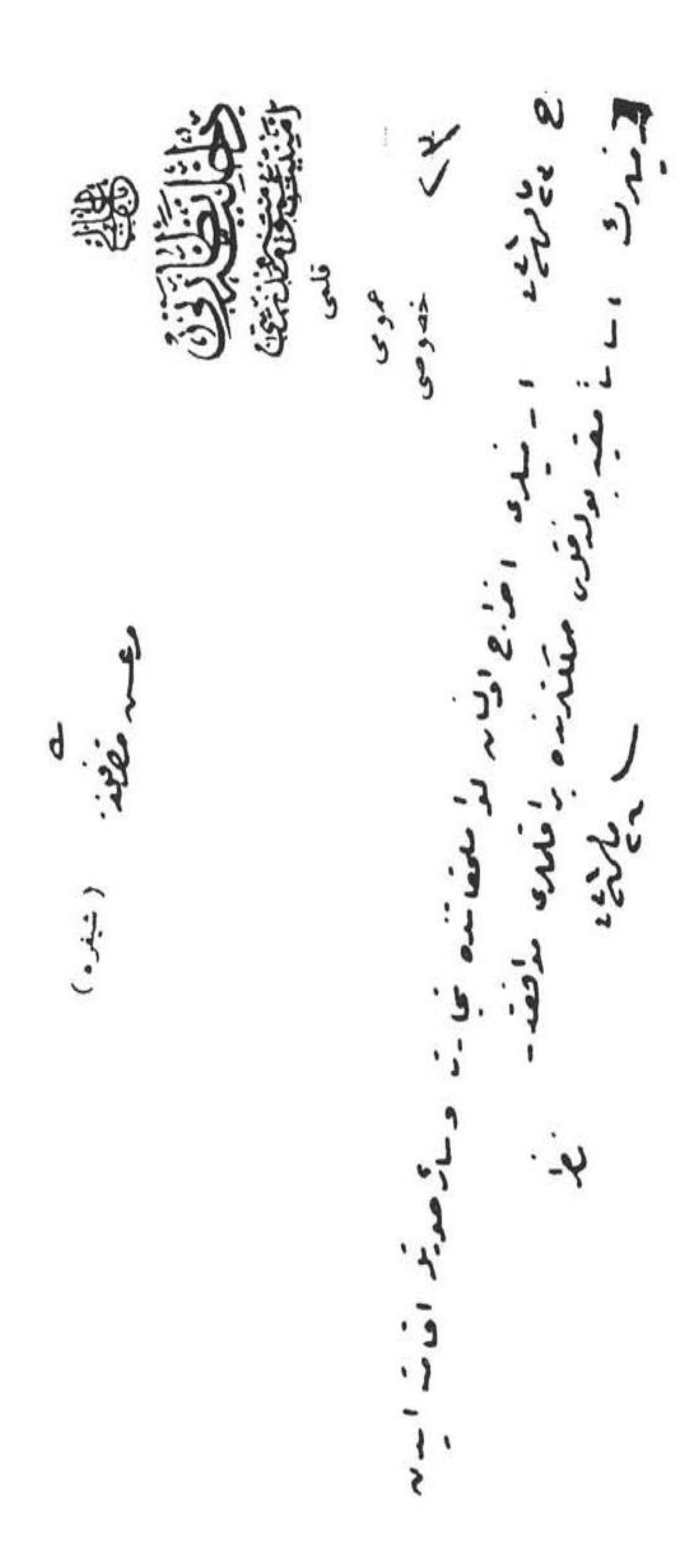
في 19 أيار سنة 1331

الوزير

طلعت

الأرشيف العثماني. الداخلية. الشفرة، رقم53/200

ملحق رقم 6



BOA. *DH. ŞFR,* nr. 53/295

ملحق رقم 6

إبقاء الأرمن المقيمين للتجارة ونحوها في أماكنهم

(برقية شفرة من وزارة الداخلية إلى متصرفية مرعش بطلب إبقاء الأرمن المقيمين للتجارة ونحوها في أماكنهم)

25رجب 1333(8 حزيران 1915)

الباب العالي

وزارة الداخلية

مديرية الأمن العام

خصوصي:23 شفرة

إلى متصرفية مرعش

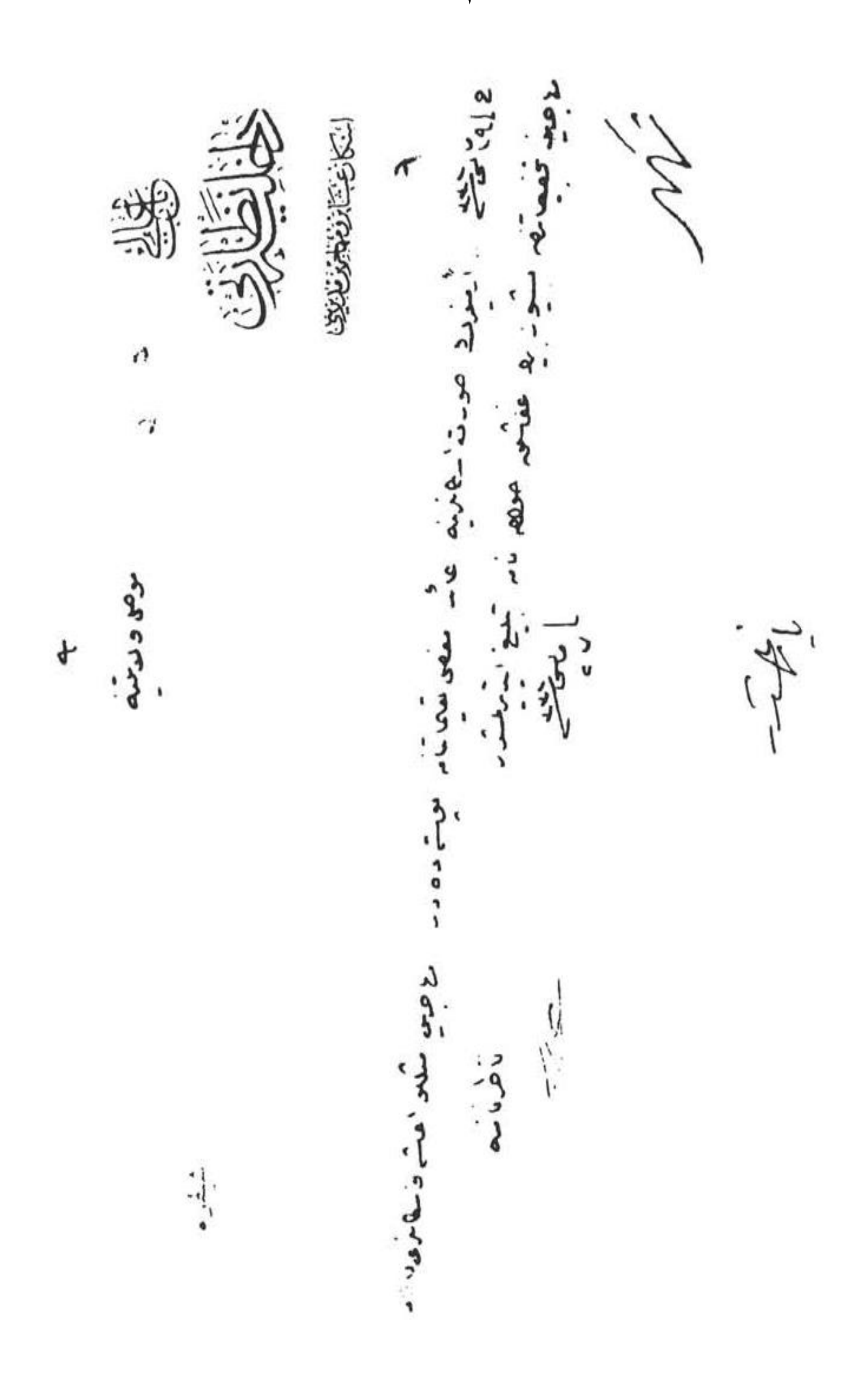
ج.23 أيار سنة 331[1]. نوافق على إبقاء الأرمن المقيمين بغرض التجارة ونحوها في ملحقات اللواء الذي تم إخلاء الأرمن منه في بلادهم المسجلين فيها أصلا.

في 26 أيار سنة 331[1]

الوزير

الأرشيف العثماني. الداخلية .الشفرة. رقم 295/53

ملحق رقم 7



BOA. *DH. ŞFR*, nr. 53/305

ملحق رقم 7

التعليمات الخاصة بإسكان الأرمن

والحوالة المرسلة بقيمة مصاريف الإعاشة والإسكان

(برقية شفرة من وزارة الداخلية إلى ولاية الموصل ببيان إرسال التعليمات الخاصة بإسكان الأرمن بالبريد وإرسال حوالة بمبلغ خمسمائة ألف قرش من مخصصات المهاجرين لتغطية مصاريف الطعام والسكن)

26 رجب 1333 (9 حزيران 1915)

الباب العالي

وزارة الداخلية

مديرية إسكان العشائر والمهاجرين

19شفرة

إلى ولاية الموصل

.في 19 أيار سنة 331[1 .[التعليمات المفصلة حول طريقة إسكان الأرمن بالبريد. تم إبلاغ الحوالة بقيمة خمسمائة ألف قرش من مخصصات المهاجرين لمصاريف إعاشة وإسكان من هم في عداد المهاجرين.

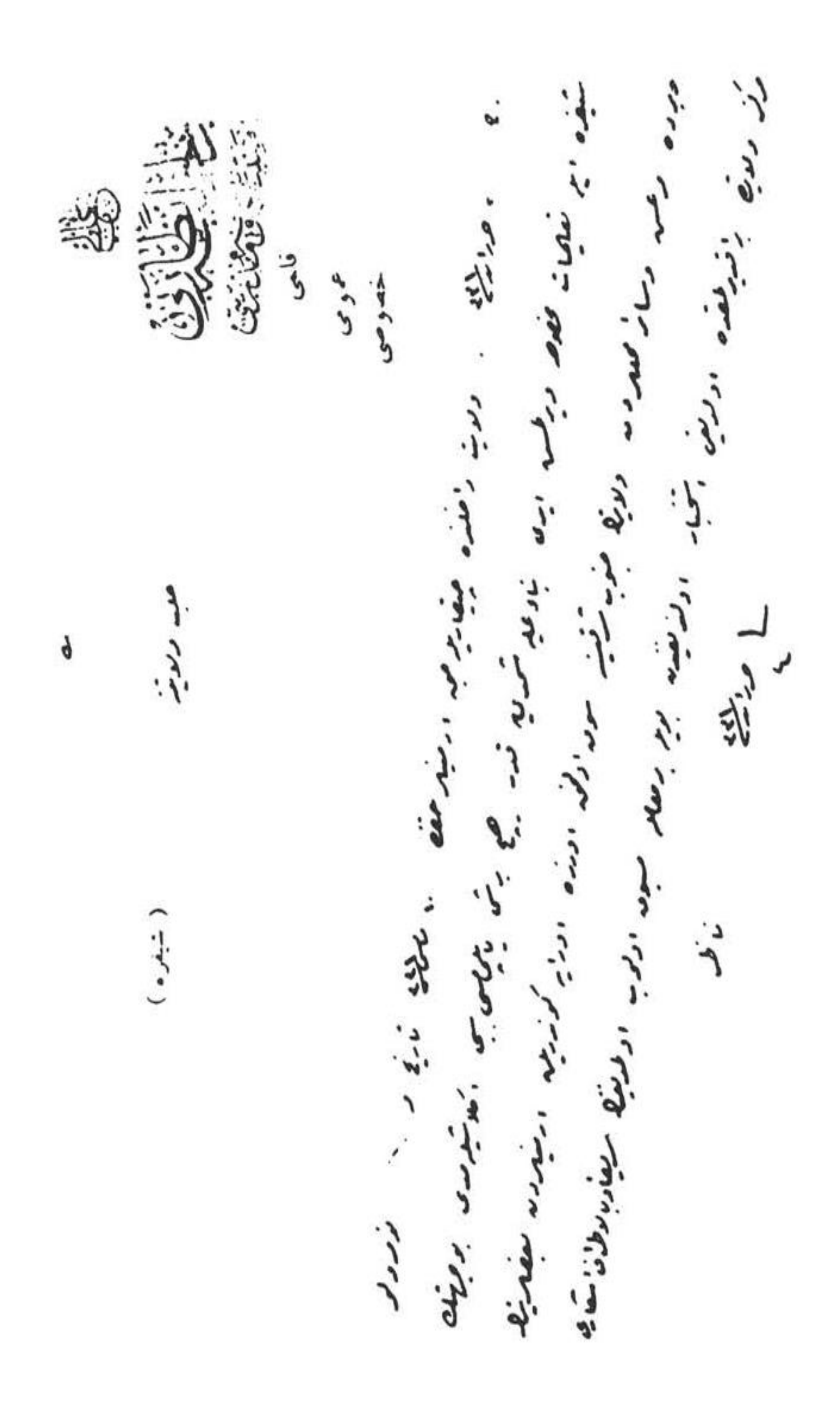
في 27 أيار سنة 331[1]

عن الوزير

علي منيف

الأرشيف العثماني. الداخلية .الشفرة، رقم 305/53

ملحق رقم 8



BOA. *DH. ŞFR*, nr. 54/54

ملحق رقم 8
التحقيق في وضع الأرمن المرحلين

(برقية شـــفرة من وزارة الداخلية إلى ولاية حلب بطلب التحقيق في خبر ترك قســـم من الأرمن المهجرين من مرعش والأماكن الأخرى لترحيلهم إلى جنوب شـرقي الولاية في مركز الولاية)

4شعبان 1333(17 حزيران 1915)

الباب العالي

وزارة الداخلية

مديرية الأمن العام

خصوصي: 38 شفرة

إلى ولاية حلب

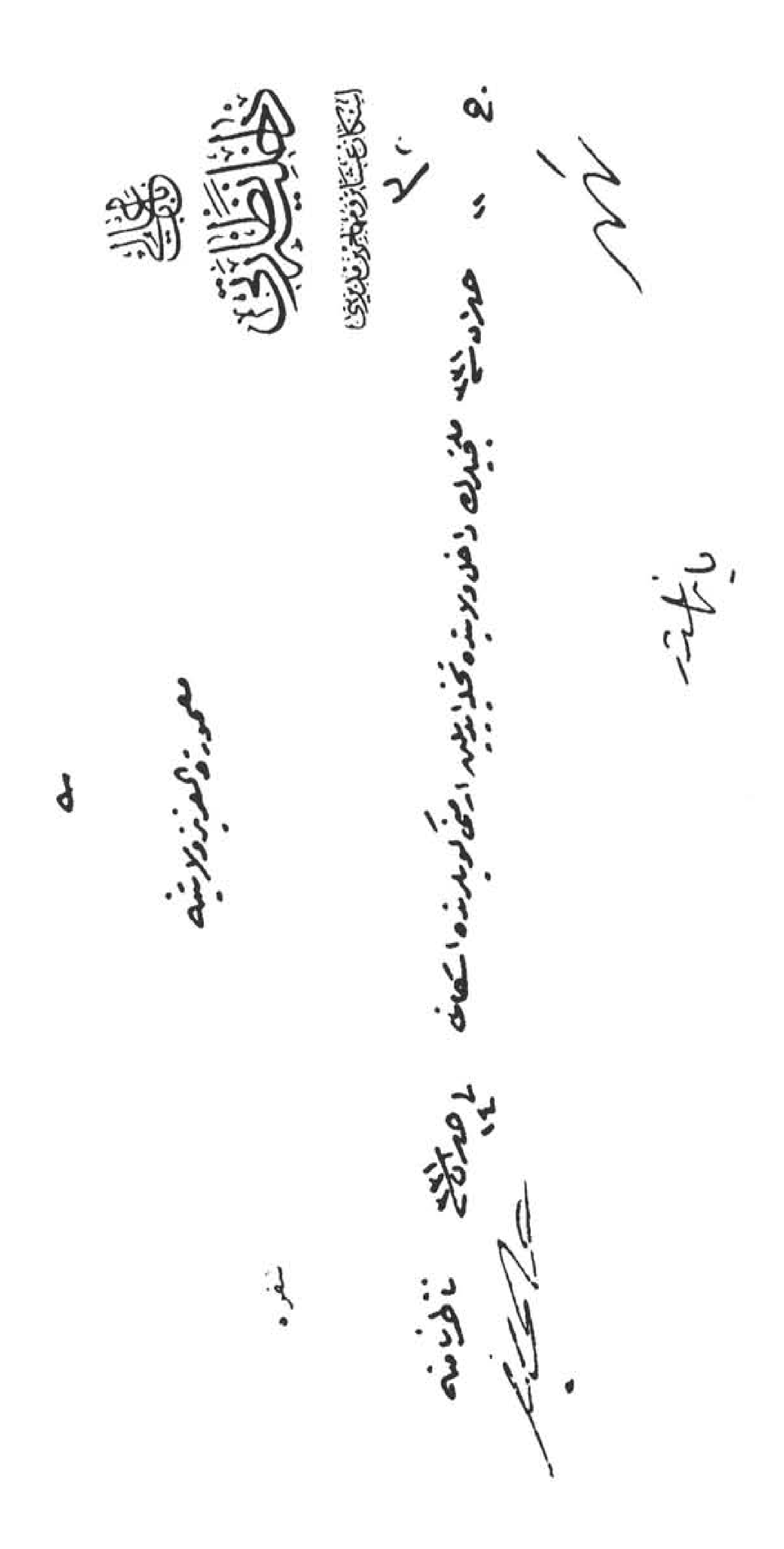
ج 2 حزيران سنة 331[1]. سبق وأن صدرت التعليمات الخاصة بالأرمن المقرر إجلاؤهم داخل الولاية بالشفرة رقم 18 وتاريخ 10 أيار سنة 331[1]. وبناء على ذلك لم نستطع فهم سبب القيام بأي شيء حتى الآن. هذا من جهة . والأمر الآخر أنه وردت أخبار بترك بعض الأرمن المهجرين إلى هناك من مرعش والأماكن الأخرى لترحيلهم إلى جنوب شرقي الولاية في مركز الولاية. للإشعار السريع والمفصل عن إجراء مثل هذه المعاملة من عدمه.

في 4 حزيران سنة 331[1]

الوزير

الأرشيف العثماني. الداخلية. الشفرة، رقم54/54

ملحق رقم 9



BOA. *DH. ŞFR,* nr. 54/189

ملحق رقم 9

إسكان اللاجئين في القرى الأرمنية

(برقية شفرة من وزارة الداخلية إلى ولاية معمورة العزيز حول أسكان اللاجئين في القرى التي تم إخلاؤها)

14شعبان 1333(27 حزيران 1915)

الباب العالي

وزارة الداخلية

مديرية إسكان العشائر والمهاجرين

35 شفرة

إلى ولاية معمورة العزيز

ج 11 حزيران سنة 331[1]. لإسكان اللاجئين في القرى الأرمنية التي أخليت داخل الولاية.

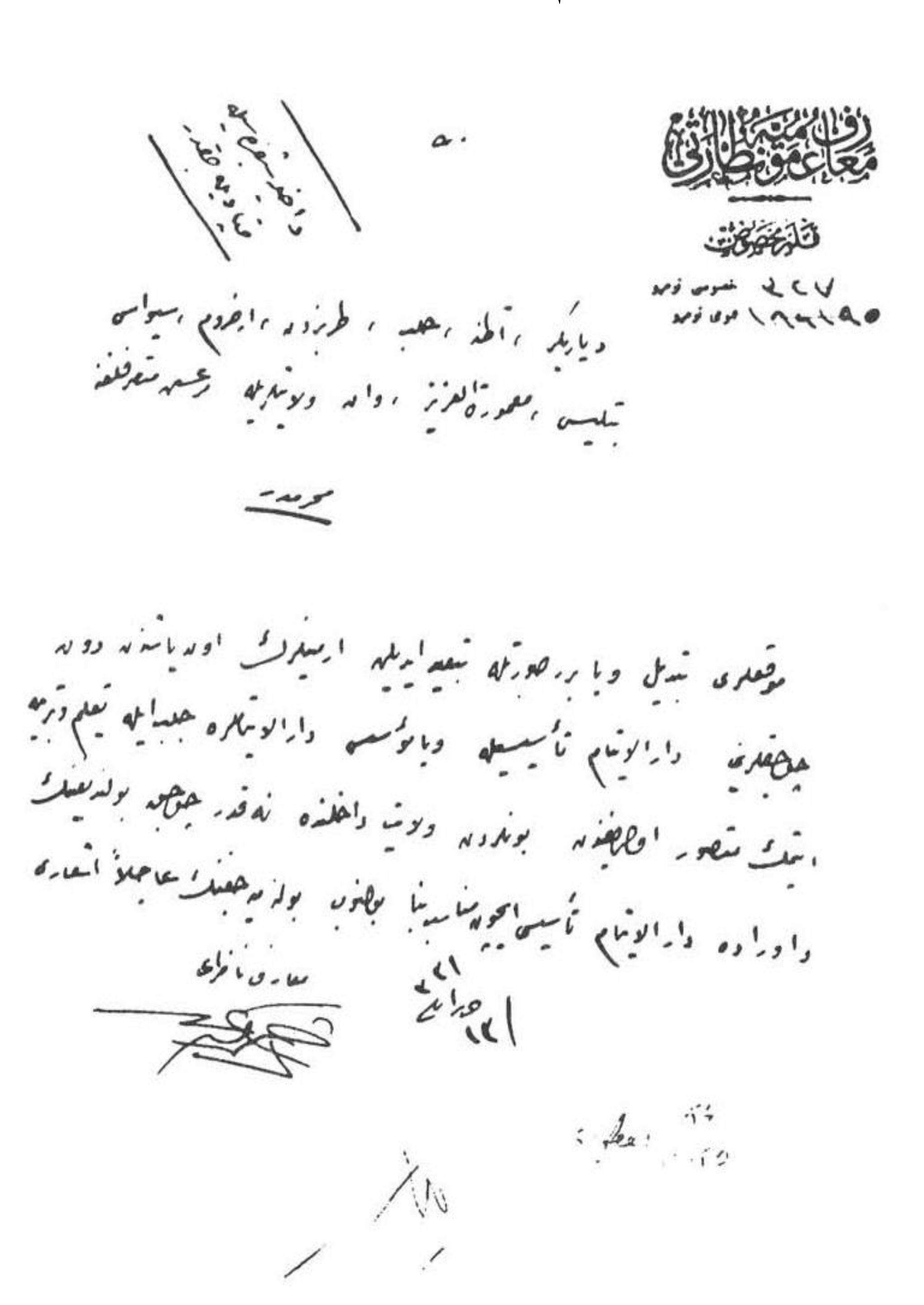
في 14 حزيران سنة 331[1]

عن الوزير

علي منيف

الأرشيف العثماني. الداخلية. الشفرة، رقم 189/54

ملحق رقم 10



موقعلری تبدیل و یا بر صورتله تبعید ایدیلن ارمنیلرک اولادلرینه دولتجه

دار الایتام تأسیسیله و یا موجود دار الایتاملره جلبیله تعلیم و تربیه

ایتدیرلمسی تصور اولنمقده بونلرده ولایت داخلنده نه قدر چوجق بولندیغنک

و اوراده دار الایتام تأسیسی ایچون مناسب بنا بولنوب بولنمدیغنک عاجلاً اشعاری

معارف ناظری

BOA. *DH. ŞFR*, nr. 54/150

ملحق رقم 10

اسكان الأطفال الأرمن في دور الأيتام

(برقية شـــفرة من وزارة المعارف العمومية إلى ديار بكر وأضـــنة وطرابزون وســـيواس وبدليس ووان والولايات الأخرى ؛ للإستفسار عما إذا كانت هناك عمائر مناسبة تصلح لأن تكون دورا للأيتام لإســـكان الأطفال الصـــغار للأرمن الذين تغيرت أماكنهم ، أو المبعدين منهم ، وعدد الأطفال)

13شعبان 1333(26 حزيران 1915)

وزارة المعارف العمومية

القلم المخصوص

الرقم الخاص: 327

الرقم العام:194195 تغلق بشفرة الداخلية

إلى ولايات ديار بكر وحلب وطرابزون وأرضروم وسيواس وبدليس ومعمورة العزيز ووان ومتصرفية مرعش

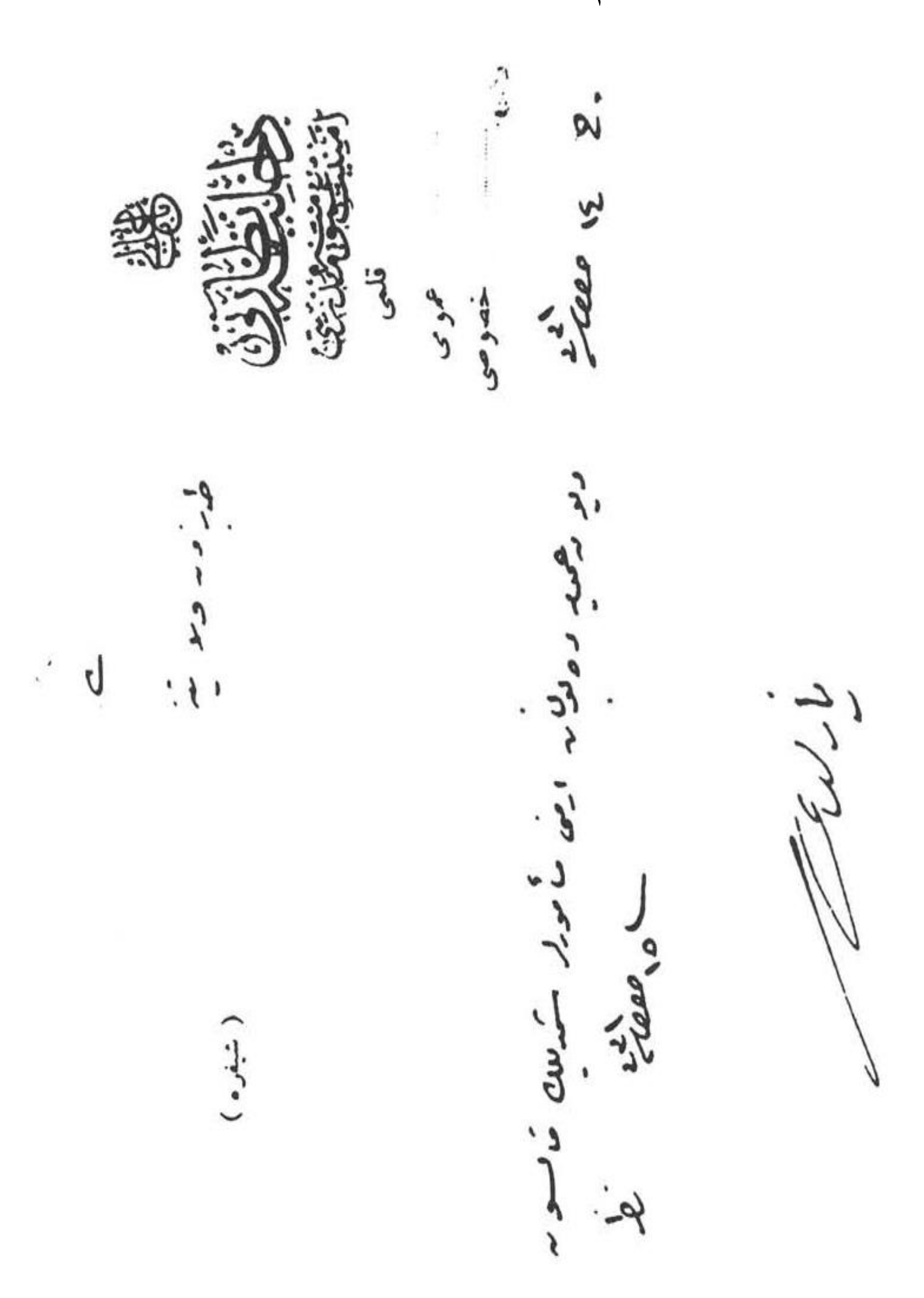
نظرا لأن هناك تصور في جلب من هم دون سن العاشرة من أطفال الأرمن الذين بدلت أماكنهم أو الذين أبعدوا في صورة أو بأخرى، وتعليمهم وتربيتهم في دور للأيتام تؤسس لهذا الغرض أو في دور أيتام مؤسسة، فإن المطلوب الإشعار عاجلا عن عدد الأطفال من هؤلاء داخل الولاية وعما إذا كانت هناك مبان تكون مناسبة لتأسيس دور الأيتام.

في 13 حزيران سنة 331[1]

وزير المعارف

الأرشيف العثماني. الداخلية. الشفرة، رقم 150/54

ملحق رقم 11



BOA. *DH. ŞFR,* nr. 54/221

ملحق رقم 11

إبقاء الموظفين الأرمن في الديون العمومية في أماكنهم

(برقية شـفرة من وزارة الداخلية إلى ولاية طرابزون بشـأن إبقاء الموظفين الأرمن بالديون العمومية في أماكنهم)

15 شعبان 1333(28 حزيران 1915)

الباب العالي

وزارة الداخلية

مديرية الأمن العام شفرة

إلى ولاية طرابزون

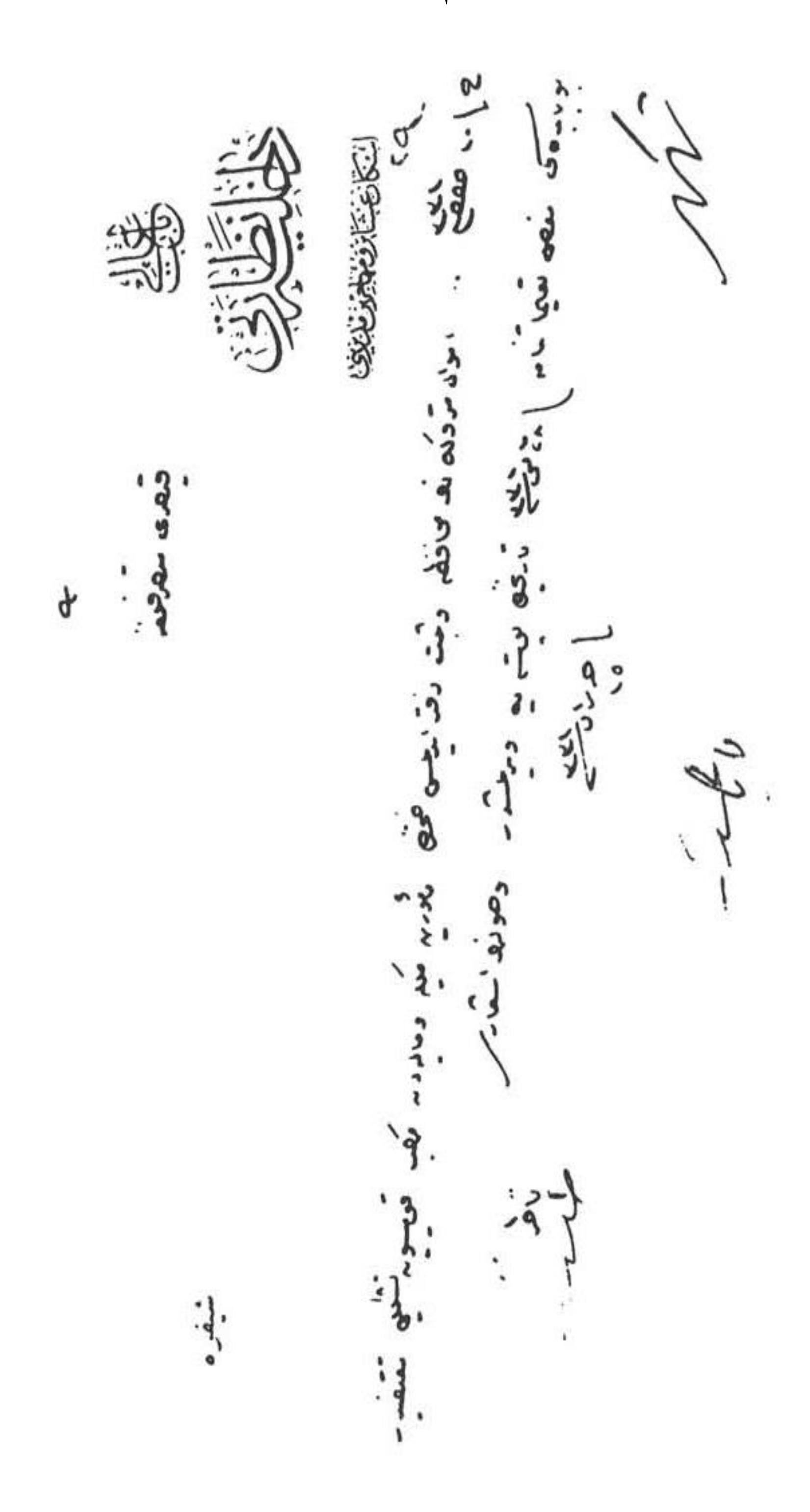
ج 14 حزيران سنة 331[1]. ليبق الموظفون الأرمن الموجودون بالديون العمومية في أماكنهم بالوقت الحالي.

في 15 حزيران سنة 331[1]

الوزير

الأرشيف العثماني .الداخلية. الشفرة، رقم 221/54

ملحق رقم 12



BOA. *DH. ŞFR,* nr. 54/226

ملحق رقم 12

المحافظة على الأموال المتروكة وتسجيلها في الدفاتر

(برقية شفرة من وزارة الداخلية إلى متصرفية قيصري ببيان إرسال التعليمات التي تقضي بتشكيل لجنة من موظفي المالية والإدارية للمحافظة على الأموال المتروكة وتسجيلها)

15شعبان 1333(28 حزيران 1915)

الباب العالي

وزارة الداخلية

مديرية إسكان العشائر والمهاجرين

29شفرة

إلى متصرفية قيصري

ج. في 10 حزيران سنة 331[1]. يتعين تشكيل لجنة من موظفي الإدارية والمالية للمحافظة على الأموال المتروكة وتثبيتها في الدفاتر. وقد أرسلت التعليمات المفصلة في هذا الشأن بالبريد في 28 أيار سنة 331[1]. لإشعارنا بالوصول

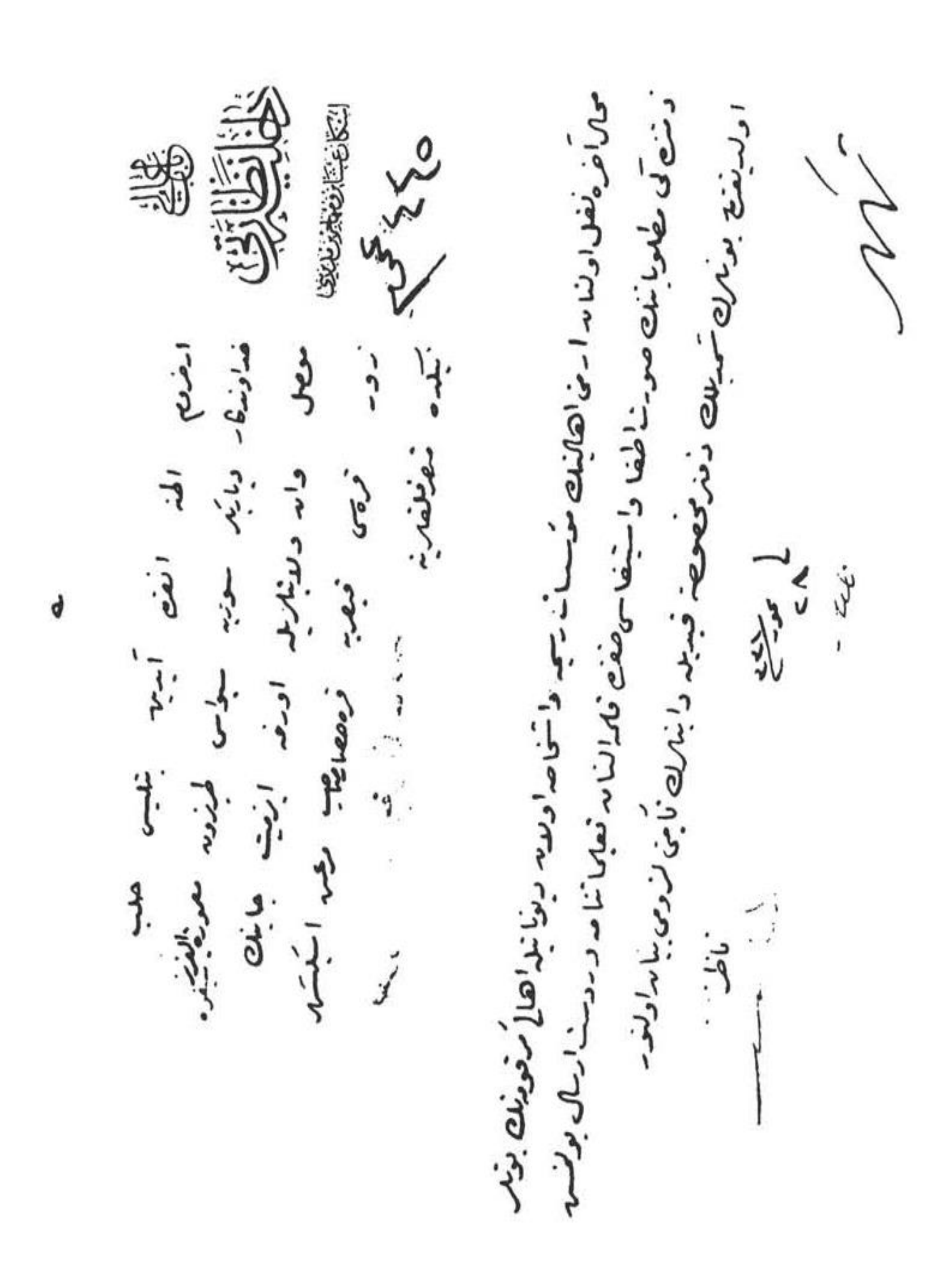
في 15 حزيران سنة[1]331

الوزير

طلعت

الأرشيف العثماني. الداخلية. الشفرة، رقم54/226

ملحق رقم 13



BOA. *DH. ŞFR,* nr. 54-A/368

ملحق رقم 13

تسديد ديون ومستحقات الأرمن المرحلين

(برقية شفرة من وزارة الداخلية إلى مختلف الولايات والمتصرفيات ببيان إرسال التعليمات الخاصة بتسديد ديون ومستحقات الأرمن المرحلين وطلب تحديد هؤلاء الأشخاص)

29رمضان 1333(10 آب 1915)

الباب العالي

مديرية إسكان العشائر والمهاجرين

عمومي:445 شفرة

إلى ولايات أرضروم وأضنة وأنقرة وأيدين وبدليس وحلب وخداوندكار وديار بكر وسورية وسيواس وطرابزون ومعمورة العزيز والموصل ووان ومتصرفيات أورفه وإزميد وجانيك والزور وقاره سي وقيصري وقره حصار صاحب ومرعش وأسكيشهر ونيكده[

نظرا لإرسال التعليمات المعدة حول طريقة وفاء واستيفاء ديون الأرمن الذين سيقوا إلى أماكن أخرى على المؤسسات الرسمية والأشخاص وما لهذه[المؤسسات والأشخاص] بذمة المذكورين[الأرمن [من مطلوبات، نبين لزوم تسجيل ذلك في دفتر مخصوص حاليا لتأمين الدائنين.

في 28 تموز سنة 331[1[

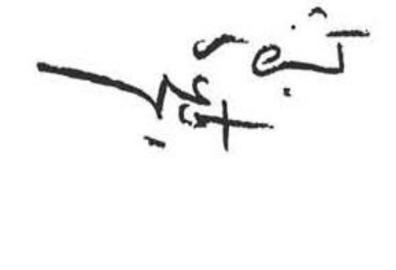
الوزير

طلعت

الأرشيف العثماني.الداخلية.الشفرة، رقم-54 أ/368

ملحق رقم 14





BOA. *DH. ŞFR,* nr. 56/27

ملحق رقم 14

عدم سوق المرضى من الأرمن

(برقية شفرة من وزارة الداخلية إلى ولاية أضنة بعدم سوق عوائل المرضى والعميان من الأرمن)

6 ذي القعدة1333 (15 أيلول1915)

الباب العالي

وزارة الداخلية

مديرية الأمن العام

خصوصي:5720 شفرة

إلى ولاية أضنة

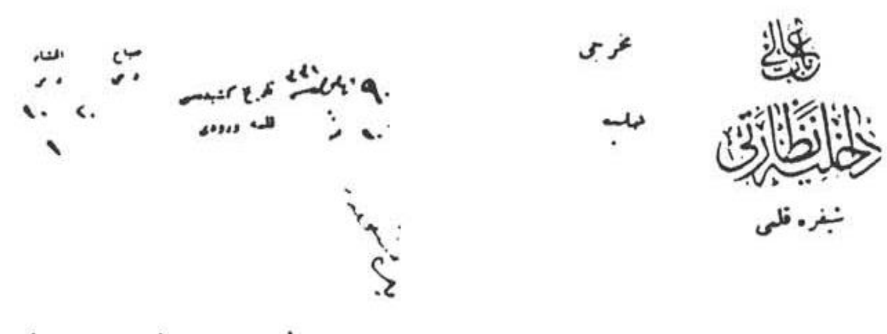
عدم سوق عوائل المرضى والعميان من الأرمن.

2 أيلول سنة 1331

الوزير

الأرشيف العثماني. الداخلية. الشفرة، رقم 27/56

ملحق رقم 15



BOA. ***DH. EUM,*** **2. Şb. 68/12**

ملحق رقم 15

حول عدم التقيد التام بالتعليمات المنظمة والمبلغة حول السوق

(البرقية المشــفرة الواردة من شــكري بك مدير إســكان العشــائر والمهاجرين بحلب نظارة الداخلية حول عدم التقيد التام بالتعليمات المنظمة والمبلغة حول الســـوق والتراخي أثناء السوق)

13ذي القعدة 22 (1333 أيلول سنة 1915)

الباب العالي المصدر

نظارة الداخلية حلب

قلم الشفرة عاجل جدا

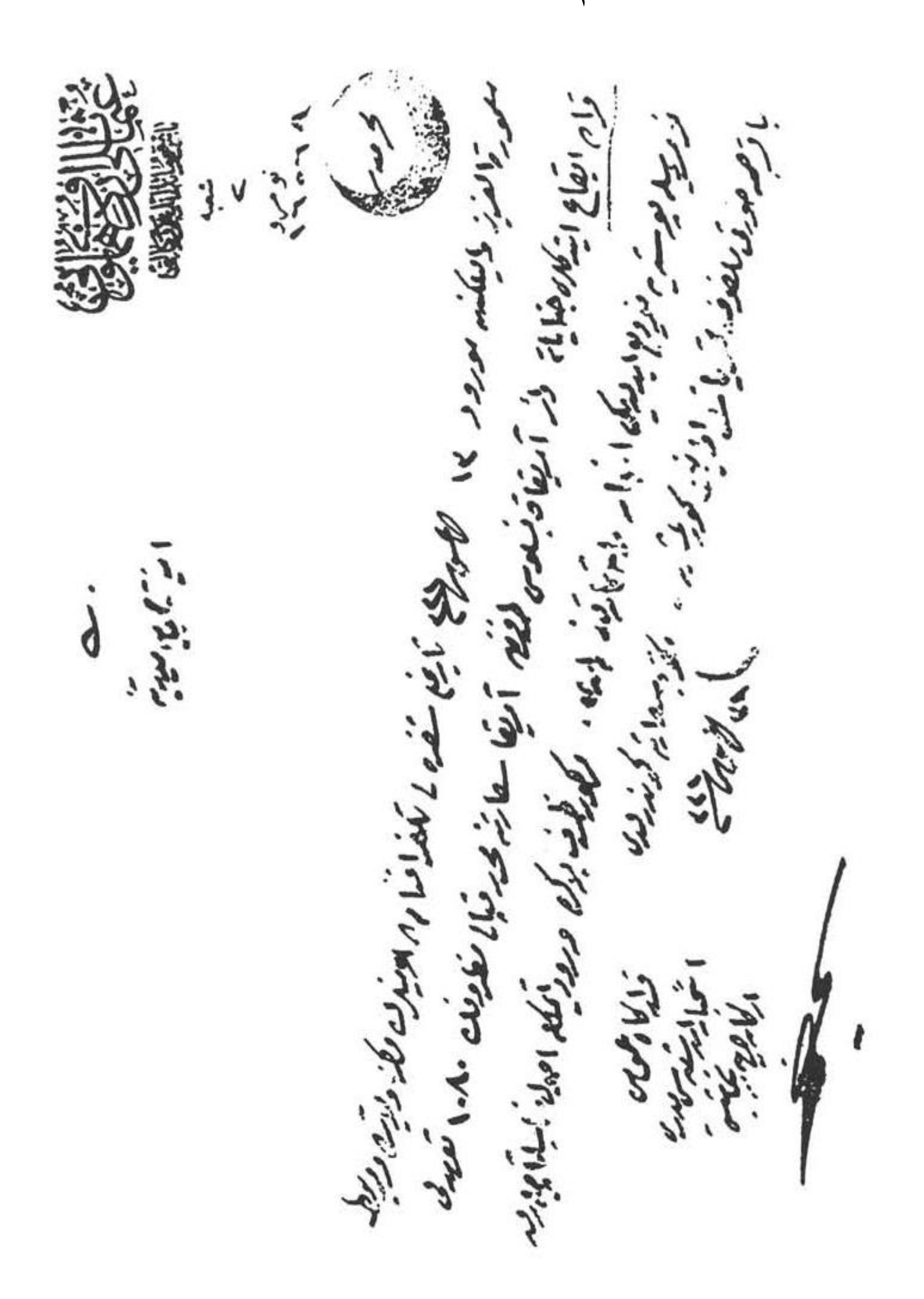
جاء في البرقية الواردة من مأمورية السوق بقونية عدم تطبيق التعليمات الخاصة المنظمة والمبلغة حول السوق كما هي والتراخي وتبين التساهل الشديد، وتأكيد ذلك على مقام النظارة العالية .

مدير إسكان العشائر والمهاجرين بحلب

شكري

الأرشيف العثماني.الداخلية. مديرية الأمن العام، الشعبة الثانية 68/12

ملحق رقم 16



BOA. *DH. EUM* , 2. Şb. 68/84

ملحق رقم 16

الاطلاع على الكتاب الذي أرسله القنصل الأمريكي بمعمورة العزيز

إلى السفير الأمريكي باسطنبول

(مذكرة من وزارة الداخلية إلى مديرية الأمن العام ببيان الاطلاع على الرسالة التي كتبها القنصل الأمريكي بمعمورة العزيز إلى السفير الأمريكي باسطنبول يبلغه فيها بالجرائم التي ارتكبها الأرمن داخل الولاية، وإرسالها إلى السفارة)

4 ذي القعدة 1333(13 أيلول1915)

الجيش الهمايوني العثماني

وكالة القيادة العامة

الشعبة:2

رقم16569 :

سري

إلى مديرية الأمن العام

أشعرت البرقية الشفرة الواردة من معمورة العزيز المؤرخة 13 آب 331[1] بأن مظروفا مغلقا محررا من القنصلية الأمريكية إلى السفارة الأمريكية بشأن الجرائم التي ارتكبها الأرمن في مركز الولاية والقرى التابعة، أودع في البريد برقم مسجل 1080 . ولدى وصول المظروف المذكور فتح بطريقة مناسبة وشوهد بأن محتوياته على الصورة المترجمة لفا. وتم إرسال الرسالة إلى السفارة.

في 31 آب 331[1]

مقر القيادة العامة

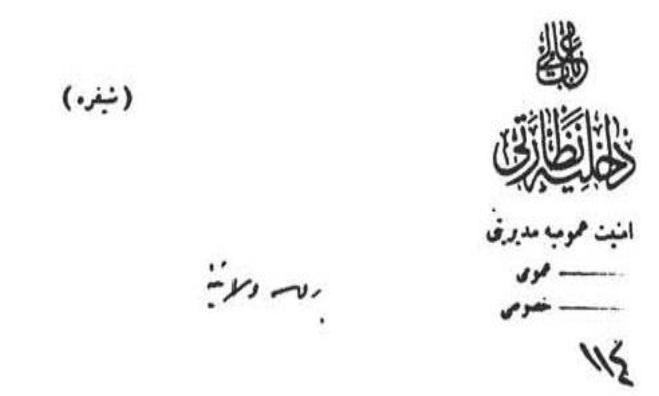
مدير شعبة الاستخبارات

بكباشي أركان حرب

سميح

الأرشيف العثماني.الداخلية.الأمن العام، الشعبة الثانية. 84/68

ملحق رقم 17



BOA. *DH. ŞFR,* nr. 55/296

ملحق رقم 17
اتخاذ التدابير لمنع اعتداءات
العصابات الأرمنية على قرى المسلمين

(برقية شـــفرة من وزارة الداخلية إلى ولاية بروســــة ببيان أن قوات الدرك لم يقوموا بمسئولياتهم في التنكيل بالأرمن الذين هاجموا القرى بمنطقة يالوا وإزميد، وأنه صدر الأمر إلى متصــرفية إزميد بإرســـال قائد الكتيبة فورا للقيام بالتعقيب اللازم ، وبالعزم على إنزال العقوبة في المسئولين الذين يثبت تقصيرهم في هذه المسألة)

18 شوال 1333(29 آب 1915)

الباب العالي

مديرية الأمن العام

خصوصي:114 شفرة

إلى ولاية بروسة

يتبين من المعلومات الموثوقة الواردة إلينا أن عصابات مسلحة من أرمن بروسة الفارين تتسلل إلى جهات يالوا وإزميد وتعتدي على القرى الإسلامية هناك ومن دواعي الأسف ألا تكون قوات درك الولاية قد تبنت بعد أمر التنكيل بهؤلاء وقيامهم بـ[هذا] النشاط . وقد أعطيت الأوامر اللازمة لمتصرفية إزميد كي يتوجه قائد الكتيبة إلى هناك فورا ويجري التعقيبات الشديدة. ولما كان التنكيل والاستئصال الكامل خلال أسبوع واحد مطلبا حاسما لدى الوزارة فإننا ننتظر منكم أن تتوجهوا بنفسكم إلى الملحقات لوضع حد للوقائع بأي حال، ونريد أن نبين بصورة قطعية بأن إنزال العقوبة بالموظفين الذين يثبت قصورهم وتكاسلهم أمر مقرر. ننتظر تتابع المعلومات المعطاة حول مراحل التعقيبات.

في 16 آب سنة 331[1] [الوزير

أرسلت بتاريخ: 19/8/2007 19:00

طلعت

الأرشيف العثماني. الداخلية. الشفرة، رقم 55/296

جورجيا

البحر الأسود

أرمينيا

آسيا الصغرى

البحر المتوسط

100 km

60 mi

© d-maps.com

ملحق رقم (18): ـــــــ حدود أرمينيا التاريخية (القديمة).

قائمة المصادر والمراجع

أولا: الأرشيف

1-الوثائق العثمانية المنشورة:

1- ***Osmanli Belgelerinde Ermeni Isyanları*** *(**1878-1894**), cilt 1, Başbakanlık Basımevi, Ankara, 2009.*

2- ***Osmanli Belgelerinde Ermeni Isyanları*** *(**1895-1996**), cilt 2, Başbakanlık Basımevi, Ankara, 2009.*

3- ***Osmanli Belgelerinde Ermeni Isyanları*** *(**1896-1909**), cilt 3, Başbakanlık Basımevi, Ankara, 2009.*

4- ***Osmanli Belgelerinde Ermeni Isyanları*** *(**1909-1918**), cilt 4, Başbakanlık Basımevi, Ankara, 2009.*

5- ***Osmanli Belgelerinde Ermeni- Engliz Ilişkileri*** *(**1845-1890**), Cilt 1, Başbakanlık Basımevi, Ankara, 2009.*

6- ***Osmanli Belgelerinde Ermeni- Engliz Ilişkileri*** *(**1891-1893**), Cilt 2, Başbakanlık Basimevi, Ankara, 2009.*

7- ***Osmanli Belgelerinde Ermeni- Engliz Ilişkileri*** *(**1894-1895**), Cilt 3, Başbakanlık Basımevi, Ankara, 2009.*

8- ***Osmanli Belgelerinde Ermeni- Engliz Ilişkileri*** *(**1896-1822**) , Cilt 4, Başbakanlık Basımevi, Ankara, 2009.*

9- ***Osmanli Belgelerinde Ermeni- Fransiz*** *(**1876-1918**), Cilt 1, Başbakanlık Basımevi, Ankara, 2002.*

10- ***Osmanli Belgelerinde 1909 Adana Olayları***, *Cilt 1, Başbakanlık Basımevi, Ankara, 2010.*

11- ***Osmanli Belgelerinde***, ***Ermeni – Rus Ilişkileri*** *(**1841-1898**), Cilt 1, Başbakanlık Basımevi, Ankara, 2006.*

12- ***Osmanli Belgebevinde Ermeni – Rus Ilişkileri*** *(**1899-1906**), Cilt 2, Başbakanlık Basımevi, Ankara, 2006.*

13- ***Osmanli Belgelerinde Ermeni - Rus Ilişkileri***, *(**1907-1921**), Başbakanlık Basımevi, Ankara, 2006.*

14- *Muammer Demirel, Ermeniler* ***hakkında İngiliz belgeleri*** *(**1896-1918**), yeni türkiye yayınları, Ankara, 2002.*

2- الوثائق العثمانية غير المنشورة:

1. *BEO. DH, EUM ,2. Şb.68/81.*
2. *BEO.DH, ŞFR, Nr. 57/71.*
3. *BOA. DH, ŞFR. 54/301.*
4. *BOA. DH, ŞFR, Nr. 54/439.*
5. *BOA. HR, MU 43/34.*
6. *BOA. DH. SYS,2752/37.*
7. *BOA. HR, SYS.2828/15.*
8. *BOA. DH. ŞFR, Nr. 65/100.*
9. *BOA. DH, EUM,2.Şb.68/12.*
10. *BOA.D H. ŞFR, Nr.55/292.*
11. *BOA. DH, ŞFR, Nr. 54/308.*
12. *BOA. DH. ŞFR, Nr. 54/413.*
13. *BOA. DH. ŞFR, Nr. 54/328.*
14. *BOA. DH, ŞFR, Nr, 57/110.*
15. *BOA. DH, ŞFR, Nr. 63/60.*
16. *BOA. DH, ŞFR, Nr. 57/317.*
17. *BOA. DH. ŞFR, Nr, 57/345.*
18. *BOA. DH. ŞFR, Nr. 54/420.*
19. *BOA.DH. ŞFR, Nr. 53/200.*
20. *BOA. DH. ŞFR. Nr. 54/315.*
21. *BOA. DH. ŞFR. Nr. 54/226.*
22. *BOA. DH. ŞFR. Nr. 54/381.*
23. BOA. DH. ŞFR. Nr. 55/107.
24. *BOA. DH. ŞFR. Nr. 54/149.*
25. *BOA. DH. EUM,2.Şb.68/36.*
26. *BOA. DH. EUM,2.Şb.68/41.*
27. *BOA. DH. EUM,2. Şb .68/77.*
28. *BOA. DH. EUM,2. Şb 68/99.*

29. BEO. DH. ŞFR, Nr,54/406.
30. BOA. DH. ŞFR. Nr, 54/162.
31. BOA. DH. ŞFR. Nr. 21/55.
32. BOA. DH. ŞFR. Nr. 57/136.
33. BOA. DH. ŞFR. Nr. 95/255.
34. BOA. DH. ŞFR. Nr. 9/54.
35. BOA. DH. ŞFR. Nr. 54/55.
36. BOA. DH. ŞFR. Nr. 22/55.
37. BOA. DH. ŞFR. Nr. 48/55.
38. BOA. DH. ŞFR. Nr. 19/55.
39. BOA. DH. ŞFR. Nr. 53/295.
40. BOA. DH. ŞFR. Nr. 94/150.
41. BEO. DH. ŞFR. Nr. 129/53.
42. BOA. DH. ŞFR. Nr. 54/254.
43. BOA. DH.EUM,2, Şb 68/83.
44. BOA. DH. ŞFR.Nr. 201/53.
45. BOA.DH. EYM, 2/227.
46. BEO. Meclis-i Vükela, Mazbatalari ,198/163.
47. BEO. Meclis-i Vükela, Mazbatalari,213/54.
48. BEO. Meclis-i Vükela, Mazbatalari,213/62.
49. BEO. Meclis-i Vükela, Mazbatalari,213/60.
50. BOA.DH. ŞFR. 141/50.
51. BOA. HR, HU. Kr,112/6.
52. BOA. HR, HU, Kr,109D.1/7.
53. BOA. HR. HV. Kr. 173/5.
54. BOA.HR, HU, Kr.178/20.
55. BOA.HR, MU,43/16.
56. BOA.Y.PRK, UM,1/66.
57. BOA.HR.SYS.2828/15.
58. BOA, Y.PRK.ESA,16/80.

59. رسالة مشفرة مؤرخة ب 17محرم 1337هـ/23سبتمبر 1918م رقم: *BOA, HR, MU, 43/34*

60. رسالة مشفرة مؤرخة ب 22 محرم 1337هـ/27 سبتمبر1918م رقم: *BOA, HR, MU, 43/34*

61. رسالة من وزارة الخارجية مؤرخة ب 26 محرم 1/1337نوفمبر 1918 رقم: *BOA, HR, MU, 43/34*

62. صورة الشفرة المكتوبة من وزارة الداخلية إلى الألوية والولايات مؤرخة ب 30 محرم 1337هـ/5نوفمبر 1918م رقم:*BOA, HR, MU, 43/34*

63. صورة الشفرة المكتوبة المؤرخة ب 30 محرم 1337هـ/5 نوفمبر 1918م رقم: *BOA, HR, MU, 43/34*

64. صورة الشفرة المكتوبة المؤرخة ب 26 محرم 1337هـ/1 نوفمبر 1918م رقم: *BOA, HR, MU, 43/34*

65. ترجمة خطاب من الألمانية مؤرخ ب 19 صفر 1337هـ/24 نوفمبر 1918م رقم: *BOA, HR, MU, 43/34*

66. رسالة من وزارة الداخلية مؤرخة ب 16 محرم 1337هـ/22 سبتمبر 1918م رقم: *BOA, HR, MU, 43/34*

67. Tahrir Defterleri ,Başbakanlık Arşivi,Bulunan ,TD64,VTD,99S'dir.

68. Bd.H klasor ; 56 Dosya : Fihrist :1

3- وثائق بريطانية

1. *Turkey, No. : 8, 1896, No. : 337, inc., 1.*
2. *Turkey, No.: 1 (1895) 1, No. 25*
3. *Turkey, No.: 1 (1895) inc, No. 23, Memorandum*
4. *Turkey, No.: 2 (1896) No. 50, inc.*
5. *F. O. 424/188, No. : 174, inc.: 4*

6. F. O. 424/188, No. : 144, 169
7. F. O. 424/188, No. : 190, inc.: 1
8. F. O. 424/220, Inc.: 48
9. F. O. 424/189, No. : 225, P.: 205

ثانيا: المصادر:

1–باللغة العثمانية:

1. سلمانة نظارة المعارف العمومية، إيكنجي سنه، مطبعة عامرة، دار الخلافة العلية، 1317هـ.
2. سلمانة نظارة المعارف العمومية، أوجنجي سنة، مطبعة عامرة، دار الخلافة العلية، 1318هـ.
3. سلمانة نظارة المعارف العمومية، يدنجي سنه، طاهر بك، مطبعة سي، دار الخلافة العلية، 1319هـ.
4. سلمانة نظارة المعارف العمومية، ألتنجي سنه، المطبعة عامرة، دار الخلافة العلية، 1312هـ.

2– باللغة العربية:

1. القضية الأرمنية في الصحافة العربية (1876 – 1923)، التدويل والإصلاحات (1876-1893)، مطابع نوبار، القاهرة، 2017.
2. القضية الأرمنية في الصحافة العربية (1876-1923)، الأرمن وتركيا الفتاة (1897-1908)، مطابع نوبار، القاهرة، 2017.
3. -القضية الأرمنية في الصحافة العربية (1876-1923) ،الإبادة الكبرى (1915-1918) ،المجلد السادس ،مطابع نوبار ، القاهرة ،2018.
4. –القضية الأرمنية في الصحافة العربية (1894-1896)، المذابح الحميدية (1894-1896)،المجلد الثاني–القسم اللأول ،مطابع نوبار،القاهرة،2018 .
5. القضية الأرمنية في الصحافة العربية (1876-1923)، المذابح الحميدية (1894-1896)، المجلد الثاني –القسم الثاني، مطابع نوبار، القاهرة،2018.
6. القضية الأرمنية في الصحافة العربية (1876-1923)، المذابح الحميدية (1894-1896)، المجلد الثاني –القسم الثالث، مطابع نوبار، القاهرة ،2018 .
7. –القضية الأرمنية في الصحافة العربية (1876-1923) ،المذابح الحميدية (1894-1896) ،المجلد الثاني– القسم الرابع ، مطابع نوبار،القاهرة ،2018.

8. الغصين فائز، المذابح في أرمينيا، القاهرة ،1917.

9. جمال باشا، مذكرات جمال باشا السفاح، إعداد، محمد السعيدي، الطبعة الأولى، دار الفرابي، بيروت ،2013.

10. مورغنطاو هنري، قتل أمة مذكرات السفير الأمريكي لتركيا للسنوات (1914-1916) ،ترجمة ألكسندر كشيشيان ،دار الطلاس للنشر والتوزيع ،حلب، دت.

3- باللغة الفرنسية:

1. *Anonyme, **Les Arméniens en Turquie**, imprimerie Balitout, Paris, 1880.*
2. *Achguerd, Les **Arméniens de Turquie. Rapport de Patriarche Arménien de Constantinople**, Imprimerie Laloux fils et Guillot, Paris ,1877.*
3. *Basmadjian, K. J., **Histoire Moderne des Arméniens**, Paris, 1917*
4. *Bérard Victor, La politique du Sultan, **les massacres des Arméniens (1894-1896),** préface de Martin Melkonia, Editions du Félin, Paris, 2005.*
5. *Charmetant Félix, **Martyrologe Arménie Tableau officiel des massacres d'Arménie, dressé après enquêtes**, France, 1896.*
6. *Cilliére Alphonse, **1895 Massacres d'Arméniens**, texte présenté par Gérard Dédéyan, Claire Mouradian, yves Ternon, Edition privat, Toulouse, France, 2010.*
7. ***Constitution Nationale des Arméniens traduit de l'Arménien sur le document original**, traduit par M.E Prud'homme, Paris 1862.*
8. *Vital Cuinet, **La Turquie d'Asie**, Paris, 1892*
9. *De Contenson Ludovis, **Les réformes en Turquie d'Asie : La question Arménienne, La question syrienne**, Librairie plon, Paris, 1913.*
10. *Du Bocage Barbié Victor-Amédée, **De l'introduction des Arméniens Catholique en Algérie**, Paris ,1855.*
11. *Gatteyria Joseph- André, **L'Arménie et les Arméniens**, Paris, France, 1897.*

12. L'eart Marcel, ***La question Arménien a la lumière des documents***, *Paris, 1913*
13. Varantian Mikael, ***L'Arménie et la question Arménienne***, *imprimerie moderne ,1917.*

ثالثا: المراجع:

1. باللغة العربية:

1. أغلو يوسف حلاج، تهجير الأرمن (1914-1918) الوثائق والحقيقة، ترجمة أورخان محمد علي، الطبعة الأولى، شركة قدمس للنشر والتوزيع، بيروت ،2010.
2. الإمام محمد رفعت، الأرمن في مصر في القرن التاسع عشر، مطابع نوبار، القاهرة،2015.
3. _________، الأرمن والغرب والإسلام جناة وضحايا ومتهمون، دار نوبار للطباعة، القاهرة ،2008.
4. _________، القضية الأرمنية في الدولة العثمانية (1878-1923)، دار نوبار، القاهرة، 2002
5. _________، مصر والأرمن مسألة أضنة أبريل 1909، الطريق إلى الإبادة الأرمنية الكبرى 1915، الطبعة الأولى، دار نوبار، القاهرة، 2014.
6. _________،القضية الأرمنية في المعاهدات الدولية(1878-1923)، القاهرة ،2001.
7. البرواري محمد زكي، الكورد والدولة العثمانية موقف علماء كوردستان من الخلافة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، 1293-1327/ 1876-1909، الطبعة الأولى، دار الزمان للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 2009.
8. البيات فاضل، المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني دراسة تاريخية إحصائية في ضوء الوثائق العثمانية، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إريسكا)، إسطنبول ،2013.
9. الجهماني إبراهيم يوسف، تركيا والأرمن، الطبعة الأولى، دار حوران، دمشق،2001.
10. أشرف محمود صالح، الأرمن في الطباعة والصحافة، دار الوزان للطباعة والنشر، القاهرة، 1990.
11. الشرقاوي أحمد عبد الوهاب، أمريكا والبروباجندا الأرمنية، الطبعة الأولى، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر،1438 هـ/2017 م.

12. ________________، مذابح الأرمن ضد الأتراك في الوثائق العثمانية، الطبعة الأولى، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، 1437 هـ/2016.

13. ________________، أكذوبةُ إبادة الأرمن في الدّولة العثمانية، وحقائق التّهجير والتّوطين والعودة.. دراسة وثائقية، مركز التاريخ العربي للنشر، إستانبول، 2019م.

14. الشناوي عبد العزيز محمد، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، الجزء الثالث، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2004.

15. الغالبي سلوى سعد، العلاقات العثمانية الأمريكية 1830– 1918م، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 1، 2002م.

16. الصباغ ليلى، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، مطبعة ابن حيان، دمشق ،1984.

17. المحامي محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، الطبعة الأولى، دار النفائس، بيروت ،1981.

18. المدور مروان، الأرمن عبر التاريخ، الطبعة الأولى، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1892.

19. اليافي نعيم، مجازر الأرمن وموقف الرأي العام العربي منها، الطبعة الأولى، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا ،2000.

20. اليافي نعيم، الموسى خليل، نضال العرب والأرمن ضد الاستعمار العثماني، الطبعة الأولى، دار الحوار للنشر والتوزيع، حلب، سوريا،1995.

21. أوغلو أكمل الدين، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، نقله إلى العربية صالح سعداوي، المجلد الأول، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ،2010.

22. بابازيان ك.س، الوطنية المنحرفة، ترجمة، محمد علي ثابت، مركز التاريخ العربي للنشر، إستانبول/القاهرة، 2020م.

23. بلدوكيان كريج هـ، الصيارفة الأرمن في الإمبراطورية العثمانية، ترجمة نورا أريسيان، مطبعة باكلايان، بيروت، لبنان، 2015.

24. بورنوتيان جورج، تاريخ الشعب الأرمني من العصور القديمة إلى العصور الحديثة، ترجمة سحر توفيق، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2012.

25. تورك قابا أتا أوف، ماذا حدث للأرمن في الدولة العثمانية؟، ترجمة، درويش عبد الهادي،الطبعة الأولى ،مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ،الرياض ، المملكة العربية السعودية،2009.

26. بيهم محمد جميل، فلسفة التاريخ العثماني، شركة فرج الله للمطبوعات، بيروت، 1954م،

27. جاستن ماكارثي وأسعد أرسلان جمال الدين وتاشكيران وعمر توران، التمرد الأرمني في وان، الطبعة الأولى، الدار العربية للعلوم، بيروت 2010.

28. حافظ فؤاد حسن، تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتى اليوم، القاهرة، 1982.

29. حسون علي، تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي، بيروت ،1415هـ.

30. حرب محمد، رحلة الراهب سيمون إلى مصر والشام، كتاب الهلال، القاهرة،2007.

31. ديردريان كسبار، القضية الأرمنية في القانون الدولي العام، دار الفرابي، بيروت، لبنان، 2015.

32. قاصابيان لوسي، وغسان كجو (دراسة وترجمة)، 20 قصة أرمنية، ط 1، الجمعية الخيرية العمومية الأرمنية، حلب، سوريا.

33. رسلان أحمد فؤاد، أرمينيا الأمة والدولة، الطبعة الأولى، دار الأمين، دون مكان الطبع ،1997.

34. زهر الدين صالح، سياسة الحكومة العثمانية في أرمينيا الغربية وموقف القوى الدولية منها، دار النهضة الجديدة، بيروت ،1996.

35. عثمان فارس، الكرد والأرمن العلاقات التاريخية، الطبعة الأولى، مؤسسة مارغيت، سوريا،2008.

36. عزازيان هوري، نبذة تاريخية موجزة عن الجاليات الأرمنية في البلاد العربية سورية –لبنان– العراق – فلسطين – الأردن – مصر.

37. مانتران روبيرت، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة البشير السباعي، الجزء الثاني، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، 1993.

38. مجموعة من المؤلفين، سلسلة دراسات ووثائق المجازر الأرمنية مختارات من بعض الكتابات التاريخية حول مجازر الأرمن عام 1915، ترجمة خالد الجبيلي، الطبعة الأولى، دار الحوار للنشر والتوزيع، حلب، سوريا،1995.

39. منصور نقية حنة، ارمن والدولة العثمانية، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2016.

40. مذكرات السلطان عبد الحميد، ترجمة وتحقيق محمد حرب، ط4، دار القلم، دمشق ،1988.

41. هاملتون جب بارون هارولد، المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، الجزء الأول، دار المعارف القاهرة ،1970.

42. هايكازن غازاريان وثائق تاريخية عن المجازر الأرمنية عام 1915.ترجمة نزار خليلي، الطبعة الأولى، دار الحوار للنشر والتوزيع اللاذقية، سوريا،1995.

43. هنداوي سهام، التطور التاريخي للعلاقات الألمانية العثمانية، (1293 هـ/ 1876م – 1327 هـ / 1909م) وثائق سرية، الطبعة الأولى دار نينوى، دمشق، سوريا، 2015.

44. هوفهانسيان نيقولاي، الكتابات التاريخية العربية عن الإبادة الأرمنية، ترجمة سحر توفيق، القاهرة، 2011.

45. هوكر طاهر توفيق، الكرد والمسألة الأرمنية (1877-1920)، الطبعة الأولى، دار الفرابي، بيروت لبنان، .2014

2. باللغة الفرنسية:

1. *Akçam Taner, **Un Acte Honteux Le génocide Arménien et la question de la responsabilité Turque,** traduit de l'anglais par Odile Demange, Demoël, France, 2008.*
2. ***Aspiration et Agissement Révolutionnaires des comites Arménien avant et après la proclamation de la constitution ottomane**, Başbakanlık Basımevi, Ankara, 2001.*
3. *Carmont Pascal, **Les Amiras Seigneurs de l`Arménie ottoman**, éditions Salvator, Paris ,1999.*
4. *Courbag Youssef, Fargues Philippe, **Chrétiens et Juifs L'Islam Arabe et Turc** Dans, Librairie Arqethme Fayard, Paris, 1990*
5. *El –Emam Mohamed Refaat, **Documentary Historical texts Armenian Question and International Relations**, Nubar priting house, 2005.*
6. *Hitzel Frédéric, **Le dernier siècle de l'emprise ottoman**, édition les belles lettres, Paris, 2015.*

7. *Kévorkian Raymond, **Le Génocide des Arméniens**, Odie Jacob, Paris, 2006.*
8. *Kevork Aslan, **L'Arménie et les Arméniens**, Istanbul, 1914.*
9. *Nichanian Mikaël, **Détruire Les Arméniens Histoire d'un génocide**, Paris, France, 2015.*
10. *Reclus Elisée, **Les Arméniens**, Magellan et cie, Paris, 2011.*
11. *Shaw ,Standford J ,Shaw Ezel Kural ,**History of the Ottoman Empire and modern Turkey ,Reform Revolution** **and Republic the Rese of modern Turkey (1808-1975),**Volum 1 , Cambridge University press ,New York ,1977.
12. Ternon Yves, Kebabdjian Jean-Claaude, **L'Arménie d'antan, voyage à travers l'Arménie d'avant1915,** HC éditions, Paris ,2015.
13. Toyebee Arnol j., **Les massacres des Arméniens le meurtre d'une nation (1915-1916),** Editions payot, paris 2012.

3. مراجع أرمنية (مترجمة إلى الانجليزية)

1. *Leo, **the ideology of the Armenian revolution**, Paris, 1935*
2. *Louise Nalbandian, **the Armenian Revolution Movement**, Barkley, 1967.*
3. *M. Varandian, **History of the Dashnaksution**, Paris, 1932.*

4. باللغة الإنجليزية:

1. *East Uras, **The Armenian in history and The Armenian Question**, Istanbul, 1988.*
2. *Erich Feigle: **A Myth of Terror, Armenian Extremism's its Causes and its Historical Context**, Edition Zeitgeschte Salzburg, 1986.*
3. *Kamuran Gurum, **The Armenian**, file, London, 1985.*

5. باللغة التركية:

1. *Adıgüzel Hüseyin,* ***Ittihat ve terakki Tarihi yalanlar ve Gerçekler****, Bilgeoguz yaynları, Istanbul, 2018.*
2. *Akgündüz Ahmet ,Öztürk Said , Kar Recep ,* ***Sorularla Ermeni meselesi*** *, İstanbul , 2008.*
3. *Akter Ahmet,* ***Tehcier öncesi, Anadoludan Amerikaya Ermeni Göçü (1834-1915),*** *IQ Kültür sanat yayıncılk, Istanbul, 2007.*
4. *Akıncı Turan ,**Suikast:Osmanli 'da son dönem suikastlar**,Remzi kitabevi ,İstanbul,2017.*
5. *Akyol Taha,* ***(1914- 1915) Felaket Yıllarında Osmanli ve Ermeniler****, DK Doğan Kitap, Istanbul, 2015.*
6. *Artinian Vartan,**Osmanli devletinde Ermeni anayasası doğuşu (1839-1863**),İstanbul,1980.*
7. *Arslan Ali,* ***kadim Ermeni Papalığı Eçmiyazin Kilisesi'nde stratejik savaslar****, Idil Yayıncılık, Istanbul, 2013.*
8. *Arslan Ali, Bal Halil ,Demirhan Hasan ,**Tarihi ve stratejik boyutlarıyla Ermeni meselesi** ,İdil yayınları ,İstanbul,2012.*
9. *Avagyan Arsen, Minassian Gaiz F**, Ermeniler ve İttihat ve Terakki işbirliğinden çatışmaya**, Aras, Ankara ,2005.*
10. *Avcı Halil Ersin,* ***Ermeni Meselesine objektif bakış****, Dk doğan kitap, İstanbul ,2014.*
11. *Bakar Bülent,* ***Ermeni tehciri****, Atatürk araştırma merkezi, Ankara, 2009.*
12. *BebiroğlMurat ,**Tanzimattan IIMeşruteyete** **Nizamnameleri,** İstanbul ,2003.*
13. *Bildirici Yusuf Ziya,* ***Adana'da Ermenilerin yaptığı Katliamlar ve Fransiz- Ermeni ilişkileri****, Ankara ,1999.*
14. *Bilgi Nejdet,* ***Yozgat Ermeni Tehciri Dava****, Kitabevi, Istanbul, 2006.*
15. *Büyükkaracı Süleyman,* ***Istanbul Ermeni Okulları****, Yelken Basım – yayım- Dağıtım, Konya, 2003.*
16. *Cahit Kaleckçi,* ***Sosyo –küktürel açıdan Ermeniler ve Türkler (İstanbul Ermenileri)****, Kayıhan, İstanbul, 2010.*

17. *Dabağyan Levon Panos*, ***Sultan Abdülhamid han ve Ermeniler***, *Kum saati yayınları, İstanbul ,2011.*

18. *Dadrian Vahakn N.*, ***Ermeni Soykırımı tarihi Balkanlardan Anadolu ve kafkasya'ya Etnik Çatışma,*** *türkçesi Ali Çakıroğlu, Belge yayınları, İstanbul, 1995.*

19. *Dadyan Saro,* ***Osmanli'da Ermeni aristokrasısı*** *,Evrest yayınları ,2011.*

20. *Dalyan Murat Gökhan*, ***19 Yüzyılda Gelenekten Batı kültürüne Geçişte Ermeni Yaşamı***, *Öncü Basımevi, Ankara, 2011.*

21. *Deri Mehmet*, ***Türkiye'de Azınlıklar ve Azınlık Okulları (Rum, Yahudi, Ermeni Cemaatleri)***, *İQ kültür Sanat Yayıncılık, İstanbul ,2009.*

22. *Erdoğan Dilşen İnce ,* ***Amerikan Misyonerlerinin Faaliyetleri ve Van Ermeni İsyanları (1896)*** *,İK kültür sanat Yayıncılık , İstanbul , 2008.*

23. ***Ermeni komiteleri (1891- 1895)*** *, Başbakanlık Basimevi , Ankara , 2001 .*

24. *Fırat Ferhat*, ***Abdulhamit Döneminde Ermeniler***, *paradoks, Istanbul, 2010.*

25. *Göyünç Najat ,* ***Türkler ve Ermeniler*** *,yeni Türkiye yayınları , 2005 .*

26. ***____________,Osmanli Idaresinde Ermeniler***, *Istandul, 1983*

27. *Güllü Erhan Ramazan*, ***Ermeni Sorunu ve İstanbul ve Ermeni Patrikhanesi (1878-1923)***, *Türk tarih kurumu, Ankara ,2015.*

28. *Halaçoğlu yusuf*, ***Ermeni Tehciri***, *25. Baski, Babıali kültür yayıncılığı , Istanbul , 2016.*

29. *Kanar Mehmet*, ***Ermeni komitelerinin emelleri ve İhtilal Hareketleri Meşrutytten önce ve sonra***, *Der yayınları, İstanbul ,2001.*

30. *Karademir Nihat*, ***Korku ve Umut ll Abdülhamid dönemi Kürt-Ermeni ilişkileri***, *Çıra yayınları, İstanbul, 2015.*

31. *Karakoç Ercan, Geçmişten* ***günümüze Ermeni komteleri ve terörü***, *İQ kültür sanat yayıncılık , İstanbul ,2009 .*

32. *Kırcı Halûk ,* **Ermeniler Zamani Unutma !,** *Buhara yayıncılık , Istanbul, 2009.*
33. *Koçaş Sadi,* **Tarih Boyunca Ermeniler ve Türk- Ermeni Ilişkileri,** *Altinok Matbaasi, Ankara 1967.*
34. *Kodaman Bayram,* **Türkler- Ermeniler ve Avrupa**, *Türk Tarih Kurumu, Ankra, 2015.*
35. *Kutlu Emin ,***İslam alalinin düçar oldukları mezalim hakkında vesaika müstenid ma'lümat Ermeni katliamı** *,Şehbal yayıları ,İstanbul ,2006.*
36. *Küçük Cevdet ,***Osmanli Diplomasısında Ermeni meselesinin ortaya çıkışı 1878-1897***, İstanbul ,1984.*
37. *Lee ki young ,***Ermeni sorunu'nun doğuşu** *,Başvuru Kitapları ,Ankara ,1998.*
38. *Levy- Aksu Noémi,* **Osmanli Istanbulu'nda Asayış (1879-1909),** *Iletişim yayınları, Istanbul, 2017.*
39. *Mazıcı Nurşen ,***Uluslararası rekabette Ermeni Sorunu'nun kökeni 1878 -1920** *, 2 Baskı , Poztif yayınları , İstanbul , 2005.*
40. *Mildanoğlu Zakarya ,* **Izmir Ermenileri Ege Kıyılarının yitip gitmiş Sakinleri** *, Aras , Istnabul, 2017.*
41. *Mutlu Cengiz ,* **Osmanli'da Bir Ermeni Hariciye naziri***.* **Gabriel Noradunkyan Efendi***, Gündoğan yayınları, Istanbul, 2015.*
42. *Ölmez Adem,* **Istanbul'da Soyal Barışın Bozulması Istanbul Ermeni Olayları ve Yahudiler***, Kurtuba Kitap , Istanbul 2010.*
43. *Özel Sabahattin ,* **Millet-i Sadıka Ermeniler** *,Tasam yayınları ,İstanbul , 2005 .*
44. *Sarıkaya Musa ,***Ermeni Komitelerinin Emelleri ve ihtilal hareketleri Maşrutiyet'in İlanından Önce ve Sonra** *,Kaynak yayınları ,İstanbul ,2006.*
45. *Seyfli Canan,* **Ermeni kilise Merkezi Eçmiatzin***, Çizgi kitabevi , Konya , 2015 .*
46. *Söz Sema Küçük, Tebe'a-***i sadika Ermeniler***, tek yayıncılık, İstanbul, 2006.*

47. *Srınay Yusuf, Karacakaya Recep ,**1909 Adana Ermeni olayları ,**İdeal kültür yayıncılık , İstanbul , 2012 .*
48. *Ter Minassian Anahide, **Ermeni Kültürü ve Modernleşme Şehir, oyun, Mizah, Aile**, Dil , Ceviren Sosi Dolanoğlulık, Aras yayıncı, Istanbul, 2006.*
49. *Tural Sadık , **Ermeni meselesine dair** , Atatürk kültür merkezi ,Başkanlığı yayınları , Ankara , 2001.*
50. *Yarman Arsen , **Osmanlı sağlık hizmetlerinde Ermeniler ve Surup Pırgiç Ermenı hastanesı** , 1 baskı ,Ana basım sanayi ve ticaret A.Ş , İstanbul ,2001.*

رابعا: المقالات:

1– باللغة المقالات التركية:

1. *Dingeç Emine ,Amerikan miyoner okullarının Ermeni Ayrılıçı hareketindeki yeri ,**Hoş görüden yol ayrımına Ermeniler** ,cilt 2 ,Erciyes üniversitesi yayını ,2008.*
2. *Engin Vahdettin ,Sultan II Abdülhamid'e düzenlenen,ve Ermeni suikast bu sebeple Belçika ile yaşaman diplomatik kriz, **Ermeni meselesi üzerine araştırmalar**,ikinci baskı,İstanbul, 2001.*
3. *Günay Nijle , Ermeni comitelerine ilham veren yer zeytun , **19 - 20 yüzyıllarda Türk - Ermeni ilişkileri –Kaynaşma –Kırgınlık – Ayrılık yeni arayışları** , cilt1 ,İstanbul ,2015.*
4. *Kankal Ahmet Batmaz Şükrü ,Women in Armenian and daily life (Based on the Armenian stori of the 19 th and 20 th centuries) ,**Osmanlı siyasal ve sosyal hayatında Ermeniler** , İQ kültür sanat yayıncılık ,İstanbul ,2009.*
5. *Karaca Ali ,Tehcire giden yolda Ermeni meselesine bir çözum projesi reform müfettişliği (1878 -1915) , **Ermeni meselesi üzerine araştırmalar** , Tatav , İstanbul ,2001 .*
6. *Karacakaya Recep ,Seçin ittifakları ,**Türk- Ermeni ihtilafi makaleler**,TBMM Basımevi,Ankara ,2007.*

7. *kevorkian Dekran ,<u>Ermeni meselesinde tehcire amil olan sebepler</u>* ***,Tarih boyunca Türklerin Ermeni toplum ile ilişkileri sempozyumu ,*** *2-12 ekim ,Atatürk üniversitesi ,Ezurum,1984.*
8. *Mildanoğlu Zakariya , <u>İzmir 'de economi ticaret ve Ermeniler</u>* ***,İzmir Ermenileri*** *, Aras yayıncılık ,İstanbul ,2017.*
9. *Mutlu servet , <u>Osmanlı nüfusu</u> ,* ***Türk- Ermeni ihtilafi makaleler*** *, n º 112 ,TBMM,kültür ve sanat yayın kural yayınları ,Ankara ,2007.*
10. *Mutlu Servet ,<u>Son dönem osmanlı nüfusu ve etnik dağılımı</u>* ***,tarihte türkler ve Ermeniler Ermeni nüfusu ve kilisesi misyonerlik*** *,cilt 8, Ankara ,2014.*
11. *Okur Mehmet ,<u>Osmanlı devleti'nin son yüzyılında kara deniz bölgsi'nde</u> <u>türk rum ermeni nüfusu</u>* ***,tarihte türkler ve ermeniler ermeni nüfusu kilisesi misyonerlık****, cilt 8,türk tarih kurumu ,Ankara ,2014.*
12. *Öntuğ Mustafa Murat , <u>Ermeni mektepleri ve ulusal kimlik oluşumu</u> ,* ***hoşgöründen yol ayrımına Ermeniler*** *, cilt 3,Erciyes üniversitesi yayını ,2009 .*
13. *Özdemir hikmet , <u>Çatışmalar</u>* ***,Türk – Ermeni ihtilaf makaleler*** *,TBMM basımevi müdürlüğü , Ankara , 2007.*
14. *Pamukçu Gürkan ,<u>Ermeni sorunu'nun kökenleri ve 19 yüzyılın ikinci yarısında kürt Ermeni siyasal ve toplumsal ilişkileri</u>* ***,Erministan tarih hukuk dışpolitika ve toplum*** *,Gazy kitabevi ,Eylül 2015 ,Ankara ,2015 .*
15. *Sarı Nil , <u>Amerikanli misyonerler ve Ermeni ilişkileri sorunu</u> ,* ***Uluslararası türk Ermeni ilişkileri sempozyumu*** *,24 -25 mayıs 2001,İstanbul .*
16. *Tozkoparan Neşe , <u>Ermeni ayrılıkçı hareketlerinde Amerikan prtestan misyonelerin eğitim sağlık faaliatlerin rolu</u> ,* ***Hoşgörüden yol ayrımına Ermeniler*** *,cilt 3 , 22-24 mayıs 2008 .*

17. *Turan Ömer , Amerikan misyonerlerine Ermeni patrikhanesi'nin tepkisi* , ***Hoşgöründen yol ayrımına Ermeniler*** *,cilt 3 ,22-24 mayıs ,istanbul .*
18. *Türk Men Zekeriya , Unutulan senaryo ,* ***Türk –Ermeni ihtilafi makaleler*** *, TBMM Basımevi , nisan 2007.*
19. *Yaramış Ahmet , Ermeni camaati arasında yaşanan mezhep kavgası ve bunda Amerikan misyonerlerin rolu (1831-1855) ,* ***Arayışlar insan bilimleri araştırmaları*** *, yıl 8, sayı 16.*
20. *Yuvalı Abdulkadir , Ermeni millyetçilinin doğşunda şark meselesi faktöru ,* ***Hoş gürüden yol ayrımına Ermeniler*** *,cilt 1 ,Eryes ünivessitesi ,İstanbul, 2009 .*
21. *Zamacı Ayşe , Arşiv belgelerine göre Osmanlı toplumunda iltda eden Ermeniler ve olayın sosyal neticeleri ,* ***Osmanlı siyasal ve sosyal hayatında Ermeniler*** *, İQ kültür sanat yayıncılık , İstanbul , 2009.*

2– باللغة الفرنسة:

1- *Ter Minassian Anahid , Les Arméniens dans l' empire Ottoman ,* ***Arménie une passion Fraçaise le mouvment Arménophile en France (1873-1929)*** *, avril 2007, Paris.*

3–باللغة العربية:

1. أحمد عبد الوهاب الشرقاوي، الأنشطة الأرمنية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، بحث منشور ضمن كتاب: السلطان عبد الحميد الثاني في الذاكرة العربية (مجموعة بحوث مؤتمر جامعة دوملو بينار–كوتاهية – تركيا)، دار الأصول العلمية، إستانبول، 2019م.
2. الإمام محمد رفعت، الدعاية البريطانية ضد الدولة العثمانية (1917-1918)، حوليات المؤرخ المصري، شوال 1434 هـ، أغسطس 2012 م، جامعة القاهرة.
3. الإمام محمد رفعت، رؤية الغرب لعلاقة الدين بمذابح الأرمن العثمانيين (1894- 1896)، حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية، الحولية الرابعة، ربيع الآخر 1426هـ، أبريل 2008، جامعة القاهرة.

4. العكرة أدونيس، العلاقات الأرمنية العربية بين عامي 1915 – 1923، العلاقات العربية الأرمنية الماضي والحاضر، جامعة القاهرة، 2009.

5. رضا محمد رشيد، قليل من الحقائق عن تركيا في عهد جلالة السلطان عبد الحميد الثاني.. الأرمن وفتنتهم، مجلة المنار، المجلد 3، الجزء 7، القاهرة، 11 محرم 1318 / 10 مايو 1900.

خامسا: القواميس والموسوعات:

1–باللغة العربية:

1. الجهني صانع حماد، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الطبعة الثالثة، الجزء الثالث، دار الندوة العالمية للطباعة، الرياض ،1418 هـ.
2. الشرقاوي أحمد وآخرون، جغرافية الممالك العثمانية، الطبعة الأولى، دار البشير للثقافة والعلوم ،1439هـ/2018 م.
3. الكيالي عبد الوهاب، الموسوعة السياسية، ط 3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1995م.
4. صابان سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض ،1421 هـ/2000 م.
5. غربال محمد شفيق، الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الأول، المكتبة العصرية، بيروت ،1965.
6. موستراس. س، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ترجمة عصام محمد الشحادات، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، لبنان،1423 هـ/2002.

2–باللغة الفرنسية:

-Dictionnaire de l’empire Ottoman, Librairie Arthème Fayard ,2015.

سادسا: الرسائل الجامعية:

1– أحمد عبد الوهاب الشرقاوي، أبعاد المشكلة الأرمنية وأثرها في تركيا الحديثة، رسالة دكتوراه، مصر، جامعة الزقازيق، 2010م.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الفصل الثاني:

عوامل ميلاد المسألة الأرمنية